جمهورية مصر العربية

وزارة الدفاع



الندوة الإستراتيجية

ب أكتوبر بعد ٢٥ عاما

المحور الاجتماعي

جمهورية مصر العربية
وزارة الدفاع

الندوة الاستراتيجية
حرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما

٣-٥ أكتوبر ١٩٩٨

النـدوة الاسـتراتيجية
حرب اكتوبر بعد ٢٥ عاما
٣ـ ٥ اكتوبر ١٩٩٨
الناشر :إدارة الشئون المعنوية ـ وزارة الدفاع

جميع الآراء الواردة فى بحوث هذه الندوة تعكس وجهة نظر الباحثين ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى وزارة الدفاع المصرية .

جميع المعلومات الواردة فى هذه الندوة مستقاة من المصادر العلنية المصرية والإقليمية والعالمية

روجعت مراجعة شاملة بواسطة :

اللجنة العلمية للندوة

واشراف منسق عام الندوة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ١٥٥٨٤ / ١٩٩٨
الترقيم الدولى I.S.B.N.: 977-5552-05-7

تصميم الغلاف والإخراج الفنى : حامد العويضى

الندوة الاستراتيجية
حرب أكتوبر .. بعد ٢٥ عاما

تحت رعاية
السيد رئيس جمهورية مصر العربية
القائد الأعلى للقوات المسلحة

محمد حسني مبارك

اللجنة العلمية للندوة

رئيس الندوة

د. مصطفى خليل

رئيس وزراء مصر الأسبق

منسق عام الندوة

لواء أ.ح/ سمير سعيد فرج

مدير إدارة الشئون المعنوية

أمانة المحور العسكرى

لواء أ.ح/ أحمد فخر
رئيس المحور

لواء أ.ح.د/ محمد رضا فودة
مقرر المحور

أمانة المحور السياسى

السفير/ عبد الرؤوف الريدى
رئيس المحور

لواء أ.ح.د/ محمد نجاتى إبراهيم
مقرر المحور

أمانة المحور الاقتصادى

د. يوسف بطرس غالى
رئيس المحور

لواء أ.ح.د/ محمد جمال الدين مظلوم
مقرر المحور

أمانة المحور الاجتماعى

د. ميرفت تلاوى
رئيس المحور

لواء أ.ح/ أحمد عبد الغفار حجازى
مقرر المحور

سكرتارية الندوة

لواء أ.ح/ حسين على عبد الرازق
مساعد مدير إدارة الشئون المعنوية

عقيد/ عبد الغفار عفيفى الدويك
رئيس فرع التوعية السياسية

المحور الاجتماعى

أمانة المحور

السيدة الوزيرة / ميرفت تلاوى — رئيس المحور

لواء أ.ح / أحمد عبد الغفار حجازى — مقرر المحور

المحتويات

صفحة

صفحة

الجلسة الرابعة : نتائج حرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما

بحوث قدمت إلى الندوة لإثرائها

تقــــديم المحــــور الاجـــتـــمـــاعــى
الســـيــدة الـوزيــرة مــيــرفـت تـلاوى
رئيس المحــور

السيدات والسادة:

نرحب بحضراتكم كل الترحيب ... في أعمال المحور الاجتماعي للندوة الاستراتيجية ... ليوم العبور العظيم ...

وأرى بدايةً ... أن من واجبي كمواطنة مصرية أولاً ... فضلاً عن مسئوليتي كمقررة لهذا المحور ... أن أبدأ بتحية واجبة لشعب مصر العظيم ولطليعته المتقدمة ... من أبنائه ... في القوات المسلحة ... والذين عبروا بنا من الهزيمة للنصر ... ومن المهانة إلى الكرامة وأقاموا الجسور لتحرير الأرض ... والإرادة ... ومهدوا الطريق لنا ... لنعبر جميعاً جسور التنمية ... والرفاهية ... والرخاء إلى حياة وغد أفضل.

السيدات والسادة:

وإذا كنا جميعاً ... شعباً وجيشاً ... نحتفل اليوم، بمرور خمسة وعشرين عاماً على حرب أكتوبر، فإن علينا أن نتأمل مغزى ودلالة نصر أكتوبر ١٩٧٣ وأن نعي بأن تاريخ الشعوب يمر بلحظات حاسمة تترك آثارها البارزة في السلوك القومي ... ومن هذه اللحظات، الهزيمة في ٥ يونيو ١٩٦٧، والنصر في أكتوبر ١٩٧٣.

إذا كان أداء جنودنا الأبطال ... في ملحمة أكتوبر قد أصبح بكل المقاييس الاستراتيجية ... نموذجاً عسكرياً ناجحاً ... تدرس نتائجه في المعاهد والمؤسسات الاستراتيجية الدولية.

فإن علينا نحن أن نستلهم من هذه الملحمة ... الدرس والعبرة ونعكف على دراستها تفصيلاً ... وتحليلاً ... للخروج منها بالمنهج والرؤي السليمة ... التي تعيننا في العبور بشعبنا إلى مجتمع الرفاهية والرخاء ... الذي تعمل من أجله

قيادتنا السياسية .

لقد شهدت هذه الحرب . . . نموذجاً رائعاً لتكاتف الشعب المصري وتلاحمه على اختلاف فئاته وطبقاته . . . كما كانت مسرحاً تطبيقياً . . . لمكانة العلم والمنهج والتخطيط العلمي في الفكر . . . والتصميم . . . والتجهيز . . . والتنفيذ . . . والمتابعة ، كما أظهرت قراءة جيدة للعدو . . . وكيفية التعامل معه بواقعية .

السيدات والسادة :

إن إنجاز أكتوبر العظيم . . . مازال . . . وبعد ٢٥ عاماً نبعاً لا ينضب من البطولات . . . والتضحيات . . . والدروس . . . التي أعطاها الشعب المصري . . . وجيشه البطل . . .

والسؤال ما زال مطروحاً . . . كيف نعظم الاستفادة . . . من كل ذلك في تخطي العقبات والصعوبات التي تواجه مسيرة التنمية الشاملة في مصر ، خاصة أن العالم يتجه اليوم نحو التركيز على البعد الاجتماعي وأصبح تقدم الدول يقاس بالمعايير الاجتماعية .

وعلى محورنا . . . هذا . . . أن يركز على القضايا الاجتماعية ذات الصلة . . . بنصر أكتوبر ودروسه المستفادة . . . وأن يجيب على الكثير من الأسئلة منها على سبيل المثال :

– كيف استعد الشعب المصري . . . اجتماعياً . . . وثقافياً . . . لعبور هزيمة ١٩٦٧ ؟

– وكيف انكب في مرحلة الصمود . . على تجهيز أبنائه . . وشبابه . . وإعدادهم نفسياً وعقائدياً . . للمعركة . . والنصر؟

– وكيف لعبت مؤسساته الاجتماعية . . الرسمية . . والأهلية . . والثقافية والإعلامية . . أدواراً متكاملة . . في منظومة واحدة . . نحو النصر؟

– وما هو دور المرأة المصرية في إعداد الأبناء كمواطنين صالحين، وتحملها هي مسئولية مزدوجة في حالة تواجد الأب على الجبهة؟

– وكيف نستفيد من نموذج أكتوبر . . في إعداد كوادرنا البشرية . . اللازمة للتنمية؟

– ثم كيف . . نبعد عن شعبنا شبح الحرب ومآسيها؟ وهو الذي عانى من ويلاتها الكثير، وتجمدت مشروعاته التنموية طويلاً بسببها؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه . . خلال أعمال هذا المحور . .

وتجدون في أوراق العمل التي بين أيديكم مساهمات بعض مفكرينا وباحثينا الأفاضل في هذا المجال ولهم جميعاً أتقدم بالشكر على هذه المساهمة الكريمة، وأهم من ذلك على الروح العظيمة الذي أظهرها الكثيرون في الإقبال على المشاركة في هذه الندوة .

لواء أ.ح/أحمد عبد الغفار حجازى:

الندوة الاستراتيجية- أكتوبر بعد ٢٥ عاماً قسمت أعمالها على عدة محاور، المحور العسكري، والمحور السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وقد أثرى المحور الاجتماعي اشتراك مجموعة من ألمع المفكرين في مصر، رفعت من قيمة البحوث المقدمة للندوة، وقد زاد المحور الاجتماعي شرفاً أن اشتركت فيه سيدة مصر الأولى السيدة سوزان مبارك قرينة السيد رئيس الجمهورية بتقديم ورقة بعنوان (أكتوبر في خاطري).

-دارت أعمال المحور الاجتماعي في عدة جلسات شملت:

الجلسة الأولى:

- تقديم المحور الاجتماعي للسيدة الوزيرة ميرفت تلاوي وزيرة التأمينات والشئون الاجتماعية.
- الآثار النفسية لحرب أكتوبر- أ.د.عبد السلام عبد الغفار وزير التعليم الأسبق.
- حرب أكتوبر وآمال مواجهة القرن الجديد- أ.د. إبراهيم بدران وزير الصحة الأسبق.
- الجندية المصرية قبل وبعد حرب أكتوبر- لواء أ.ح عبد الغفار حجازي مساعد وزير الدفاع الأسبق.
- عبور المشاكل الاجتماعية - أ.د.محمود عودة نائب رئيس جامعة عين شمس.
- وعقب عليهم أ.د.عبد المنعم سعيد مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الأهرام
- أعقبتها مناقشات.

الجلسة الثانية:

- المتغيرات الثقافية المهيئة لحرب أكتوبر - أ.د.فتحي نجيب مساعد وزير العدل.
- أثر حرب أكتوبر على صورة الشخصية المصرية - أ.د. ماجي الحلواني وكيل كلية الإعلام جامعة ا القاهرة فرع الفيوم.
- وعقب عليهم د.طه عبد العليم نائب مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الأهرام.
- الأبعاد الاجتماعية لحرب أكتوبر ١٩٧٣- أ.حمدي الكنيسي رئيس الإذاعة وعضو مجلس أمناء الإذاعة والتليفزيون.

■ إعادة هندسة الإنسان اجتماعياً بعد حرب أكتوبر- أ.د.فريد النجار رئيس قسم إدارة الأعمال كلية التجارة جامعة الزقازيق.

ثم أعقبت ذلك مناقشات.

الجلسة الثالثة:

■ دور المرأة قبل وبعد حرب أكتوبر- د.سكينة فؤاد عضو مجلس الشعب وكاتبة صحفية بجريدة الأهرام.

■ دور الإعلام في حرب أكتوبر ١٩٧٣- أ.د. فاروق أبو زيد عميد كلية الإعلام جامعة القاهرة.

وعقب عليهما أ.د.ليلى الحمامصي أستاذ علم الإنسان الاجتماعي بالجامعة الأمريكية.

■ العبور الاجتماعي- أ.د.زينب رضوان عميد كلية دار العلوم جامعة القاهرة فرع الفيوم.

■ النتائج الاجتماعية لحرب أكتوبر ١٩٧٣- د.سهير لطفي مدير المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.

■ البعد الاجتماعي-٢٥ عاماً على حرب أكتوبر- د.سوسن عثمان أستاذ ورئيس قسم تنظيم المجتمع

■ بالمعهد العالي للخدمة الاجتماعية.

■ وعقب على الجلسة د.نادر فرجاني مدير مركز المشكاة للبحث في مجال الاجتماعيات.

■ وأعقب ذلك مناقشات.

الجلسة الرابعة:

■ أثر حرب أكتوبر على الشخصية المصرية - أ.د. صوفي أبو طالب رئيس مجلس الشعب الأسبق.

■ تغيرات في معالم الشخصية المصرية - د. علي السمان رئيس لجنة الأزهر لحوار الأديان.

■ عقب عليهما د.ميلاد حنا عضو المجلس الأعلى للثقافة.

■ مصر وصمودها بعد ١٩٦٧ - د.أحمد هيكل وزير الثقافة الأسبق.

■ من حرب الاستنزاف إلى حرب أكتوبر: بروز الجوانب الإيجابية للشخصية المصرية - أ. سيد ياسين مستشار مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الأهرام.

■ أبعاد العمل الاجتماعي قبل وأثناء وبعد حرب أكتوبر - السيدة الوزيرة مرفت تلاوي وزيرة التأمينات والشئون الاجتماعية.

■ أكتوبر في خاطري - السيدة سوزان مبارك قرينة السيد رئيس الجمهورية.

ثم دارت مناقشة عامة أدارتها السيدة الوزيرة ميرفت تلاوي وزيرة التأمينات والشئون الاجتماعية.

ثم اختتمت أعمال المحور الاجتماعي بالمشاركة في حلقة النقاش وموضوعها: كيف نمنع نشوب حرب جديدة؟ (إرجع إلى المحور العسكري وحلقة النقاش)

الجلسة الأولى:

من حرب الاستنزاف إلى حرب أكتوبر

الورقة الأولى :

الآثار النفسية لحرب أكتوبر

أ.د/ عبد السلام عبد الغفار

وزير التعليم الأسبق / عضو مجلس الشعب

المقدمة :

١- تواجه المجتمعات فى تاريخها العديد من المواقف، البعض منها انتصارات، وقد يجانبها النصر فى البعض الآخر. ولسنا نعلم عن شعب أو مجتمع حقق انتصارات ولم يتعرض لهزائم.

وقد واجهت مصر فى تاريخها الطويل العديد من هذه المواقف، لقد تعرضت لهزائم ولكنها حققت انتصارات، وكانت دائما تخرج من هزائمها مرفوعة الرأس منتصرة، بل ما يثير الاهتمام هو أن مصر كانت تنتصر دائماً بحد السيف، وأن مصر لم تستسلم أبداً لهزيمة أو نكسة.

٢- والحروب تمثل أقصى المواقف التي يواجهها المجتمع والأفراد وأشدها، حيث تعتصر كافة إمكانات الدولة وإمكانات الفرد لتحقيق النصر. واعتصار إمكانات الفرد العقلية والانفعالية والدافعية ليس بالأمر اليسير على الفرد.

٣- ولهذا يلجأ الفرد المقاتل إلى أساليب سلوكية تمكنه من تحقيق هدفه، الدقة والإتقان والإحكام والالتزام، وغير ذلك سلوكيات تسمح للمقاتل بالسيطرة على موقف المعركة، وعلى الرغم من ذلك فهناك احتمال لحدوث مالا يتوقعه المحارب، وهكذا الحرب القاسية. وقد واجهت مصر نكسة فى عام ١٩٦٧ وكانت مفاجأة وكانت قاسية إلى أبعد حد على أنفسنا، وكان أكثرنا شعوراً بالألم وإحساسا بالقسوة من هول المفاجأة هم أخوتنا وأبناؤنا رجال القوات المسلحة .... ونحب هنا أن نؤكد على أمرين:

أ - نجاح القيادة السياسية والقادة العسكريين فى المحافظة على الروح المعنوية لرجال القوات المسلحة، على الرغم من قسوة الظروف وهول المفاجأة، وكان الاستمرار فى حرب الاستنزاف والنجاح فيها وسيلة من الوسائل الأساسية التي نجحت مصر فى استخدامها لتنمية وتدعيم وتقوية الروح

المعنوية للمصريين جميعاً.

وعلى الرغم من أننا لا نتعرض فى هذه الدراسة إلى الحديث عن الروح المعنوية، إلا أن نجاح مصر فى المحافظة على الروح المعنوية لأبنائها، سواء من رجال القوات المسلحة أو من المصريين جميعا، أمر لابد من تأكيده هنا وذكره، خاصة ونحن نعلم أن العدو قد استنفد كل ما لديه من علم ونحن نعلم مصادره وهي متعددة - فى سبيل تصميم برامج لتحطيم الروح المعنوية للشعب المصري وقواته المسلحة. ولم ينجح العدو وانتصرت مصر.

ب- أما الأمر الذي أود ذكره هنا هو نجاح القيادة السياسية والقادة العسكريين فى إعداد مصر بأبنائها وقواتها المسلحة للدخول فى معركة عسكرية بعد ست سنوات من النكسة، على الرغم من الحسابات والتوقعات التي كانت تنشرها القوى المختلفة والتي كانت تشير إلى أن مصر لن تنهض مرة أخرى، فإذا بالمصريين ينهضون ويدخلون فى حرب الست ساعات ويوقعوا العدو فى هزيمة أطاحت بعقول رؤسائه الذين انطلقوا فى العالم يصرخون ويولولون ويطلبون النجدة - وهذا أسلوب العدو دائماً - ويعرف الجميع قصة هذه الحرب.

بعض الآثار النفسية لحرب أكتوبر:

٤- وتستمر المعركة بين مصر وإسرائيل وتأخذ صوراً مختلفة حتى نحصل على حقوقنا كاملة، وتتضح مصر الحقيقية فى كل هذه الصور والتي نوجزها فيما يلي:

أ- المصريون قوم لا يفرطون فى أرضهم مهما كانت الظروف إلى الحد الذي دفع بقيادتهم السياسية إلى أن تكرر القول مرات ومرات بان الأرض عند المصريين كالعرض لا تفريط فى أي منهما.

ب- انتماء المصريين إلى أرضهم ووطنهم مكون أساسي فى شخصية المصري يظهر بوضوح عند تعرض مصر للمخاطر ويدعمه دائما نجاح مصر وانتصاراتها.

ج- نحن قوم لا نعتدي ولا نحب العدوان ولا نقبل أن يعتدي علينا آخرون ونحن لا نستسلم أبداً وعندما نجنح للسلم يكون ذلك من منطلق القوة وليس من منطلق ضعف ولسنا من دعاة الحروب، ولكننا نبشر دائما بالسلام لأننا مارسنا الحروب وعشنا ويلاتها ومن يكتوي بنيران الحرب يقدر السلام ويحافظ عليه ويدعو إليه. والسلام عندنا هو السلام العادل الشامل الذي يعطى كل ذي حق حقه.

د- ونحن نعتقد أنه لا حماية حقيقية للسلام الذي نحرص عليه وندعو له إلا من خلال قوة رادعة.

هـ- هذا الفكر هو من آثار حرب أكتوبر ١٩٧٣ وهو أحد نواتج الصراع العربي/الإسرائيلي.

و- نحن أكثر واقعية مما كنا عليه، وعلى الرغم من إننا نؤمن تماما بكل القيم العليا والمبادئ السامية فنحن نعطى للواقع بمعطياته مساحة مناسبة تمكننا من التفاعل المثمر مع كل القوى فى العالم.

ز- لقد تعلم المصريون عندما نجحوا فى التخطيط لحرب أكتوبر ٧٣ وعندما أقاموا تخطيطهم على الأسس العلمية وما توافر من علم، تعلمنا أن التخطيط هو سبيل النجاح، وأن العلم ركيزة أساسية للتقدم وان القرارات والسياسات التي تقوم على العلم والدراسة أفضل من القرارات التي لا أساس لها من العلم والمعرفة.

ح- بدأ المصريون يتحدثون عن التخطيط العلمي، وبدأت الدولة تضع الخطط لتحدد مسارها، ويكفى أن نذكر أن مصر نجحت لأول مرة فى تاريخها الحديث فى وضع وتنفيذ ثلاث خطط خمسية، ونسير الآن فى الرابعة، الجميع يلتزم بالتخطيط العلمي كل فى موقعه، فلا مجال لبدائل عشوائية، بل والأكثر من ذلك، لقد دخلت على لغتنا مفاهيم ومصطلحات مثل مفهوم الاستراتيجية والتكتيك،

وهذه مفاهيم عسكرية انتقلت إلى لغتنا وفكرنا بعد أكتوبر ١٩٧٣، وهذه إحدى آثار حرب أكتوبر ١٩٧٣، لقد تغير الفكر المصري.

ط- انتشار التخطيط والالتزام به فى معظم المواقع فى الدولة هو امتداد للفكر الذي ساد حرب أكتوبر ١٩٧٣.

ي- تأكدت قيمة العلم والمتعلمين، وأدرك المصريون أن وجود الجندي المتعلم الذي يحسن التعامل مع سلاحه، والذي كان لفكره وسعة أفقه دور فى النصر و تطوير القوات المسلحة، وقد أدى ذلك إلى تقدير العلم كقيمة وإعطائه دوراً متميزاً فى تطور مصر إلى المدى الذي جعلنا نتحدث عن تطوير التعليم كمشروع قومي لمصر.

ك- لقد كشف نصر أكتوبر عن المعدن الأصيل للجندي المصري وعن قدراته القتالية وكفاءته الميدانية، وقوى لدينا دعائم الثقة بالنفس والقدرة على تجاوز المحن والنكسات، فكم من مرة تعرضت مصر لقسوة الانكسار، ولكنها سرعان ما نهضت من كبوتها ، محولة الهزيمة إلى نصر وإلى سلام.

ل- لقد دعمت ثقة المصريين فى قدراتهم على التخطيط والعمل على النجاح والوصول إلى ما يهدفون إليه من أهداف.

م- ولقد ظهر ذلك واضحا جليا فى اتجاه مصر الآن إلى تبنى المشروعات العملاقة التي تحتاج إلى تخطيط طويل المدى يقوم على العلم وإرادة الاستمرار وإرادة النجاح، المثل فى ذلك مشروعات جنوب الوادي، شرق العوينات، درب الأربعين، مشروعات سيناء وشرق التفريعة وغير ذلك من مشروعات تعتمد على التخطيط طويل المدى.

ن- ولاشك فى أن اختيار السلام كخيار إستراتيجي يحدد سياسة مصر أمام مشاكل المنطقة كان له أثر كبير فى انتشار جو من الاستقرار والأمن الذي كان بمثابة الخلفية المناسبة للتطور السياسي والاقتصادي والثقافي الذي تعيشه مصر الآن.

س- لقد أدى تبنى مصر للسلام كخيار إستراتيجي إلى انتشار ثقافة السلام بين المصريين، ثقافة السلام التي تشيع فى جو من الاستقرار والأمن والتي تدعو إلى حشد الطاقات وتوجيهها إلى البناء والحب والتشييد، تختلف عن ثقافة الحرب التي كانت تنتشر بين المصريين قبل حرب أكتوبر بما كانت تحمله من إحباطات وتوترات وأنواع من القلق، وما كانت تحمله من حشد للطاقات وتوجيهها ضد العدو.

٥- والسلام الذي تقصده مصر هو السلام العادل الشامل الذي يعطى كل صاحب حق حقه، وهو السلام الذي تحميه مصر بقواتها المسلحة وبقوتها الرادعة.

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون »

« صدق الله العظيم »

٦- بقدر ما تأملنا وآلمنا فراق الأصدقاء والأبناء دفاعا عن مصر، وقياماً بواجبهم حيال أنفسهم وبلدهم، وبقدر ما نكره الحروب، وبقدر ما نبشر وننادى بالسلام، إلا أن حرب أكتوبر ٧٣ قد تركت بيننا آثاراً نفسية إيجابية والتي نوجزها فيما يلي:

أ- لقد تخلصنا من الإحباط والتوتر الذي نعاني منه نتيجة لما حدث فى عام ١٩٦٧، واستعدنا ثقتنا

بأنفسنا وبقيادتنا وبقدرتنا على التخطيط العلمي السليم.

ب- لقد حطمنا جدار الوهم الذي بنته إسرائيل والتي ادعت فيه أن إسرائيل تفوق مصر، وأن هذا التفوق ليس عسكريا فقط، بل هو تفوق حضاري، ونؤكد اليوم من خلال ما أنجزناه في السنوات القليلة الماضية أن المصري الذي أقام حضارة ضاربة بجذورها في عمق الزمان كان ومازال قادراً على إقامة حضارة جديدة استمراراً لما قدمه للبشرية.

ج- لقد زاد انتماء المصريين لأمتهم، وزاد ولاؤهم لمصر على الرغم من أن انتماءنا وولاءنا لمصر لم يتزعزع، فقد عهدنا مصر دائماً تنطلق أن كبت وتنهض، ولم نعهدها أبداً مستكينة أو مستسلمة.

د- زاد انتماء المصريين لبلدهم وزاد ولاؤهم لقيادتهم التي عرفناها وهي تشق السماء مع نسور مصر لتقطع اليد الطولي التي هددتنا بها إسرائيل مؤكدة أن النصر والتفوق الآن لمصر.

هـ- كان من نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ أن ازداد إدراك المصريين بأن دورهم الذي خلقهم الله له لا يزال قائماً ومستمراً حتى تقوم الساعة، فمصر كانت ومازالت بكل عراقتها التاريخية وثوابتها الثقافية صاحبة دور فاعل ومؤثر، وموطناً للأمن والسلام.

الورقة الثانية :

حرب أكتوبر وآمال مواجهة القرن الجديد صحيا وتعليميا وبحثيا

د. إبراهيم بدران

وزير التعليم الأسبق / عضو مجلس الشورى

المقدمة:

١ – هذه كلمة في رسالة صادرة من قلب مصري مخضرم ولد في مرحلة ثورة الاستقلال، وشحنت وطنيته في أتون معارك سنة ١٩٤٨ حين كلف طبيباً في القوات المسلحة وخدم في العوجة وبئر سبع والخليل.

وتكرر التكليف في معارك ١٩٥٦ و١٩٦٧ ثم عشنا أياماً مجيدة في مرحلة الاستنزاف التي أكدت الصحوة العسكرية كسراً لتهمة النكسة.

والحمد لله الذي أحياني إلى يوم النصر في معركة العبور ١٩٧٣، وقد كنت، بعدها مشاركاً في التحضير لندوة أكتوبر الأولى التي أقيمت في جامعة القاهرة ١٩٧٥، وقد كنت وقتها نائباً لرئيس الجامعة.

وأسجد لله شكراً أن أحياني لنحتفل بمرور ٢٥ سنة على تلك المعركة التي أعادت البسمة والأمل لكل مصري مخلص، بجهد رجال استعملوا العلم الحديث ووسائله والتنظيم الدقيق والتوقيت السليم وقدموا حياتهم وجهدهم فداء للوطن فوهبهم الله نعمة النصر جزاء موفوراً.

ولكن ... وكما قال نلسون مانديلا بعد خروجه من السجن الذي قضى فيه حوالي الثلاثين عاماً «إنه كلما تسلق الإنسان جبلاً وأنهى رحلته، واجه جبلاً أعلى يحتاج جهداً أكبر ليتسلقه ويتجاوزه ليجابه بعده جبلاً أعلى منه ... وهكذا الحياة ...

فقد واجهت مصر بعد الانتصار عقبات تلو عقبات وتجاوزتها بفضل الله وقدرة الرجال وبالإخلاص... في معركة السلام ثم معركة الاقتصاد ثم معركة الاستقرار ومعركة تحدي المارقين وأخيراً معركة العودة إلى حظيرة الأهل مع العرب، وذوي القربى من الأفارقة... معارك تلو معارك نسجد لله حمداً على التوفيق فيها، واليوم تفضل القائمون على هذه الندوة بدعوتي للتحدث في موضوع «آمال المواجهة مع القرن

الجديد صحة وتعليماً وبحثاً علمياً« ، وقد تصادف أن هذه المواضيع الثلاثة تمثل محصلة لرحلة عمر قضيته وتمرست فيه في التعليم ممارسة في كلية الطب وإدارة في الجامعات وبعدها أتاح لي الله القيام بمسئولية وزارة الصحة خادماً وحافظاً لصحة الإنسان المصري ، راصداً ومستعملاً القدرات المتخرجة في الجامعات ومقيماً لجدوى التعليم المجود ، ثم انتقلت إلى أكاديمية البحث العلمي حيث مارست قيمة البحوث في دفع التنمية إنتاجاً وخدمات. واستمرت الرحلة بعد التقاعد في الخدمة والمجالس القومية المتخصصة ومصاحبة الخبرة الوطنية المكتنزة في ألوف العقول التي خدمت الوطن في كافة مجالات الحياة والتنمية سنوات طويلة ومازالت تسعى لعطاء أكثر. والسبيل الذي ألزمت نفسي به في هذه العجالة، سيعتمد على رؤيتي وخبرتي ورصدي للتطورات العالمية والتغيرات المحلية، وإبداء الرأي بلا مغالاة أو تعصب. إذ إن الموضوع المطروح يرتبط بكل المتغيرات المنتظرة في القرن الواحد والعشرين الذي نعدو نحوه ونحتاج للتحضير لمواجهته حتى تحصل مصر على ما تستحقه ونصبو إليه، في إطار مسئولياتها التي كتبت عليها لريادة المنطقة العربية والأمة الإسلامية والقارة الإفريقية، وذلك قدرنا في زمن اتسم بمتغيرات وتغيرات ألخصها في عشر نقاط :

أ- انفجار سكاني خاصة في عالمنا النامي وتوابعه : ضغوط اقتصادية، هجرة، بطالة، قلق.

ب- انفجار غير مسبوق في تدفق المعارف وتطور التكنولوجيات.

ج- زيادة سرعة التطور والتطلع لدى جميع الشعوب مما يغير أسلوب الحياة وسلوكياتها ومستهلكاتها.

د- المتغيرات الهائلة التي صاحبت الثورة الصناعية وتأثيرها في منظومة القيم والعلاقات.

هـ- تطور النمط السكاني بتزايد شريحة المسنين في الشمال، تزايد شريحة السن المبكرة في الجنوب، حيث تمثل شريحة ما تحت ٢٥ سنة ما لا يقل عن ٦٠٪ من السكان.

و- بروز ظاهرة القرن العالمية »العولمة« Globalization وتوابعها ونتاج ثورة الاتصالات وسهولة المواصلات، وتزايد التجارة العالمية وانتشار حركة السياحة بين الشعوب.

ز- ظهور ما يسمى بالتكتلات العملاقة السياسية والاقتصادية، واعتمادها على المؤسسات الإنتاجية عابرة القارات والحدود.

ح- تداخل الحضارات والثقافات والعقائد ، مما أدى إلى اضمحلال الهوية الحضارية وانحسار التعصب الوطني.

ط- التطور المذهل في وسائل الإعلام واجتياحها الحدود والأجواء عبر الفضاء.

ي- ومحصلة لكل ذلك ظهر نظام عالمي جديد تحكمه منظمات عالمية مثل البنك الدولي وصندوق النقد ومنظمة التجارة العالمية ونظامها فيه حرية التجارة وانتقال رؤوس الأموال والأفراد والسلع وحماية براءات الاختراع في نفس الوقت.

كل ذلك يتم في إطار من أحادية القطبية ورعاية موحدة لقضايا الشعوب محكومة التوجه... كذلك تطور جاد في المنظومة الاقتصادية العالمية وبروز قيمة الاستثمار في الخدمات وتطوير الإنتاج الصناعي والزراعي، كل ذلك يتم أيضاً مع التوجه إلى عالمية التعليم في محتواه ومستواه. ذلك مع الحفاظ على بيئة الأرض والتوجه للدعوة إلى الصحة للجميع قبل سنة ٢٠٠٠ ، والسلام بين الدول ... كل تلك القضايا تبنتها المؤسسات العالمية: هيئة الأمم المتحدة، واليونسكو، ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة التجارة الدولية.

٢- وما أحاول أن أبرزه في كلمتي ليس روشتة علاج ولكنه أمل وتوصيف لعملية تطوير لمصر القادرة بإذن الله على تخطيّ العقبات وتحدي الصعوبات في أحلك الظروف العالمية حالياً.

إن موضوع اليوم يرتبط بثالوث يسمى « منشطات التنمية » Energizers of Development أساسه التعليم المجود والصحة القادرة والبحوث المنتجة - جهد متكامل لإحداث التنمية . ذلك الجهد هو السبيل الوحيد لتخطي فجوة التخلف التي يعاني منها العالم الثالث.

يحدث كل ذلك في زمن خلع فيه العالم المتقدم برقع الاستعمار العسكري والعقائدي الموجه ضد الشعوب المقهورة واتشح بثياب المعرفة والتطور التكنولوجي والإنتاج المتفوق الذي ينمو في رحم التعليم المجود والبحوث المتقدمة ليغزو بدون سلاح ولا عقيدة ولكن بالرغبة في الربح، تتعدى الحدود بسلع متفوقة ومستهلكات جاذبة، يسوقها الإعلام ويستنزف مقدرات الشعوب ويستهلك قدراتها، وهذا ما يسمى «الاستعمار الجديد». في هذه المعارك يكون السلاح الوحيد القادر على المواجهة هو الإنسان وتكوينه . . .

الإنسان القادر صحياً وذهنياً والمؤهل تعليماً وثقافة ، ويمتلك الكفاءة على البحث والابتكار. . تلك هي أسلحة المقاومة المتمثلة في الثالوث الذي نطرقه اليوم (الصحة - التعليم - والبحث)، وقبل الاندفاع في التحليل أراني أذكر مقولة لأستاذ جليل د. أحمد خليفة يضعها أمام صناع التنمية بعد إيمانهم بجدوى منشطات التنمية بحقيقة يسميها مسارب التنمية تتلخص فيما يلي:

أ-عدم التركيز على البنية الأساسية وأهمها الإنسان، قدرته و إمكاناته وابتكاراته.

ب-عدم الإيمان والتقدير لجدوى التميز والجهد والتفوق (بما يسمى الواسطة).

جـ- إهدار دور المرأة نصف المجتمع.

د- إهمال البيئة الذي يمثل الانتحار العالمي بالتنازل عن حق الحياة بسلام مع الطبيعة، والحفاظ على الأصول والموارد دعماً لاستدامة البقاء.

هـ- إهمال حق الفقراء ودورهم في الأوطان، والعمل على توفير مستوى معقول يرتفع بالعمل وللعمل درءاً للحقد الطبقي الخطير والمدمر.

و- التنمية بلا تخطيط لما هو مطلوب إنجازه وبدون أهداف مرسومة.

ز-التنمية بدون شحن سياسي وإطار خلقي وديني مع ولاء وطني وتعبئة جماهيرية.

حـ-عدم وجود منظومة متكاملة وملائمة وموجهة نحو أهداف ومواقف وسلوك.

ط-الحرمان من جرعة مناسبة من العدل والحرية والديمقراطية مما يذكي الآمال خاصة للشباب.

٣- ومن منشطات التنمية إلى مساربها ننتقل إلى قضية حالمة في المرحلة التي يمر العالم فيها اليوم إذ أن العالم يتوجه إلى العمل في تكتلات عملاقة، تأكيداً لظاهرة العولمة.

من هنا فإن التوجه المصري نحو التكامل ولا أقول الوحدة - كلمة كثر الحوار فيها حتى أصبحت من دواعي الحساسية السياسية - لكنى أقول التكامل في أي وقت في أي من الثلاثة مجالات التي تدور مصر في فلكها العربي والإسلامي والإفريقي. لقد آن الأوان ليكون لها وجود في وقت ترابط فيه ٨٥٪ من سكان الأرض في تكتلات اقتصادية إنتاجية خدمية. والتكامل في الخدمات الصحية والتعليمية والبحثية قد يكون السبيل لتجميع القوى لإثبات الوجود على مائدة التطور.

وقبل الدخول في آمال المواجهة في القرن الجديد أراني أرصد عدة سمات حميدة على مسرح العمل

الوطني:
أ- العمل على تكريس الاستقرار والتطوير الاقتصادي المستمر.
ب- التوجه لزيادة الاستمارات والتمويل المتاح للخدمات التنموية: الصحة والتعليم والبحث العلمي. ورصد ميزانيات لهذه الخدمات غير مسبوق على مدى التاريخ. نتمنى أن تستمر وتزداد.
جـ-مواجهة شاملة لمشاكل مزمنة متطورة على مسرح التنمية ألخصها فيما يلي: العشوائيات وما تمثله من مسبة قومية ومنبع لإفراز ظواهر وسلبيات شتى أهمها تفشي الفقر والجهل والمرض، مع مواجهتها بالأسلوب العلمي. كذلك قضايا البطالة وتوابعها القلق، والإدمان، والإرهاب، وكذلك التسيب والانحراف. نسأل الله أن تستمر المواجهة بأسلوب يوجه إلى جذور المشاكل وليس واجهاتها، مع التأهيل المستمر للفئات المنحرفة حتى تحول إلى قدرة مضافة تتعايش في المجتمع بأسلوب حميد.
الموضوع المطروح:
والآن أراني قد وصلت إلى القدرة على الحوار في المشاكل المحددة المرجو طرحها قبل وصول القرن الجديد.

٤- نعم هناك نهضة صحية تنمو بتدرج وبإمكانات متزايدة على مدى الحقبات السابقة، نمو مطرد مع مواجهة علمية لجذور المشاكل التي تعتري متطلبات وتطلعات الإنسان إلى حياة رغدة في صحة ورفاهية، والأمر هنا يحتاج أولاً لمواجهة شاملة لثلاثة أعداء للصحة: الفقر، الجوع، الجهل بقيمة التنمية الصحية، والمرض الوبائي وغيره من الآفات، وقد اتضحت الرؤية وتوفر التمويل، وتزايدت الإمكانات وبدأت خطوات، لكن بقيت مساحات نرجو أن نخطوها بتوفيق، بعد تشخيص المشاكل وتحجيمها قبل المواجهة ويتم ذلك من خلال:
أ-تحديد المتغيرات المتطورة اليوم على الساحة العالمية في مجال الصحة.
ب-تقييم الوضع الصحي ومشاكله على الساحة المصرية والعربية والإفريقية مسئولية مصرية، إذ أن النظرة المنفردة للصحة في عالم العولمة وسهولة انتقال المرض أصبحت لا تجدي.
جـ-توصيف المتغيرات المنتظرة في مصر في القرن القادم وتأثيرها على الصحة وسلامة الإنسان تطلعاً ونفسياً ومرضياً في زمن نقل الإعلام للناس كل آفاق التقدم والأمل.
د-تحديد المجالات التي يتحتم الاجتهاد فيها للحفاظ على أجيال تقدر على تحمل أعباء التنمية وتلك المجالات نوجزها كالتالي:
(١) البداية في تطوير التعليم الطبي بأسلوب يتوافق مع احتياجات المرحلة القادمة ورفع مستواه لتخريج طبيب قادر على أداء دوره. هذه قضية تحتاج ساعات للحوار.
(٢) الاهتمام بتوفير مراكز متميزة في الجامعات ومراكز البحوث ووزارة الصحة والخدمات المتخصصة لرعاية الحالات المختلفة، وتوزيعها على مختلف المناطق بعدل مع رفع مستواها لإجراء البحوث والدراسات الوبائية والوقائية العلاجية. توطئه لتحسين الخدمات.
(٣) أهمية التركيز على وسائل الوقاية من الحوادث والطوارئ ورعاية الحالات الطارئة والمستعجلة، مسئولية ضمير، تتولاها الدول المتقدمة لخطورتها وجدوى التصرف السليم منها.
(٤) الاهتمام بالإدارة الصحية في منظومة مرتبطة بمفهوم Health System Research التي تبدأ بتقييم المستوى وضبط جودة الأداء وتقييم كافة الإدارة والخدمة.
(٥) الاهتمام والعناية بالفئات المختلفة من المجتمع كل منها يحتاج إلى تخصصات لازمة نذكر منها على سبيل المثال: الأم والطفل - المسن والمعوق - العامل والفلاح- المدرس والشاب. كل هذه الفئات حساسة

يحتاجها الوطن بالحفاظ عليها.

٥- وجدير بالذكر أن المشاكل الصحية في مصر يمكن تلخيصها، ومعظمها سيستمر في القرن القادم إذا لم تتم المواجهة الآن بأسلوب علمي لأنها تغطى بانوراما صحية شاسعة.
مشكلة السكان - صحة الأم والطفل والأسرة - صحة الشباب والشيوخ.
الأمراض الوبائية المتوطنة - مشاكل ضد الطوارئ والحوادث - الأمراض غير المعدية.
مشاكل الريف والمناطق الجديدة والصحراوية - مشاكل التغذية خاصة للفئات الحساسة -مشاكل الأداء الصحي جودة وإدارة وتمويلاً- تقييم التكنولوجيات الحديثة والمستخدمة وتعميمها وجدواها مشاكل الدواء إنتاجا واستيراداً وتوزيعاً وتسعيراً.
مشاكل خارجية تؤثر في مستويات الصحة ،الإعلام -الإسكان -المياه -الصرف والتخلص من القمامة -الغذاء وسلامة المستهلك. الطرق والعمل والحوادث كلها قضايا تشارك في مواجهتها كل مؤسسات الدولة وتؤثر في الحالة الصحية.

من هنا كان رصد المتغيرات المنتظرة في المراحل القادمة للاستعداد للمواجهة. وتتلخص هذه المتغيرات في كونها : ديموغرافية - اقتصادية - اجتماعية - وأخيراً صحية.

أ- المتغيرات الديمغرافية المرتبطة بالوضع السكاني:
تعداداً : تبشر الإحصائيات الحديثة بتحسن الوضع حالياً.
توزيعاً : خطورة التكدس - سوء التوزيع السكاني - قضايا تعمير سيناء وجنوب الوادي.
تطوراً : خاصة في الشرائح السنية : ٦٥٪ تحت سن ٢٤ و ٦٠ وفوق سن ٦٠ وكل له خصائصه.
الهجرة : من الريف للحضر - وارتداد الهجرة من العالم العربي.
قضايا غزو الصحراء : وتأهيل شرائح المستوطنين الجدد ودراسة أمراض الصحراء وأسلوب الحياة في المجتمع الجديد.

ب- المتغيرات الاقتصادية :
بعد التحول من مجتمع شمولي إلى مجتمع رأسمالي متحرر ينتظر تغيرات نرصدها في:
(١) الانتقال من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي متطور مستقر تحول من صناعة كثيفة العمالة إلى صناعة كثيفة الخبرة والقدرة وما يعتري ذلك من تطور سلوكي.
(٢) البطالة المتزايدة نتيجة التطور التكنولوجي والانفتاح التعليمي غير المرتبط بتخطيط التشغيل والاحتياج إلى توازن الدخول مع الأجور وجدوى خلق شبكات اجتماعية لرصد المتغيرات وتوفير التأمينات وخلق الفرص وإعادة التأهيل.
(٣) العمل على مواجهة الفقر الجوعي وتحسين دخل الفرد والأسرة - والبدء في التدريب على استغلال أوقات الفراغ في الإنتاج خاصة إذا حدث تخفيض في ساعات العمل.
(٤) تغيير النمط الاستهلاكي ، مع تأثير الإعلام، وتغير الأسعار المنتظر، ورصد تأثير ارتفاع أسعار المواد الغذائية خاصة البروتينات على صحة المواطن الفقير.

جـ- المتغيرات الاجتماعية :

(١) مع افتراض انحسار الأمية كما نتمنى وزيادة فرص التعليم - ذلك سيفرض التطور الاجتماعي وزيادة الطلب على الخدمات وجودتها مع الأمل في صحة أحسن وعمر أطول.

(٢) أهمية التأمينات الاجتماعية الواقية - خاصة تأمينات البطالة والعجز - ذلك يدعم الاستقرار السياسي.

(٣) تطور قضايا الأسرة مع المتغيرات العالمية وتطور السلوكيات في عصر الإعلام المفتوح غير المحكوم مما ينقل عادات وقيماً مرفوضة. وتغيير نمط الحياة والاستهلاك،هنا تأتي أهمية الوازع الديني الحميد وضبط التوازن بين التنازل والمغالاة في التدين.

د- المتغيرات الصحية :

(١) إذ أنه مع المتغيرات السابقة ديموغرافياً واقتصادياً واجتماعياً ينتظر أن تتطور الخريطة الصحية للمواطنين.

(٢) كذلك ستتغير احتياجات المواطنين من الخدمات الصحية وذلك سيقتضي تطوير التعليم الطبي ليفي بالمتطلبات الجديدة ومواجهة الأمراض المستحدثة.

(٣) تطور المنظومة الطبية الحاكمة من أسلوب تكلفة الدولة مجاناً ليتحول إلى توليفة التأمين الصحي الجماعي حيث تكلفه الدولة جزئيا ويرعاه ويموله أصحاب رؤوس الأموال ويشارك فيه العاملون - ذلك التنظيم التأميني حل محل دور وزارات الصحة في كثير من الدول التي حولت مسئولية الوزارة إلى الاقتصار على التوجيه والرقابة والتحويل ورعاية الطوارئ والإجراءات الوقائية.

لكن نمو ذلك التنظيم يحتاج إلى التروي والدراسات العميقة وكذلك الاقتصادية قبل التطبيق مع تحويله إلى منظومات فئوية ذات مسئوليات مختلفة تلتقي في التنظيم العلوي فقط، وتنفرد كل فئة بمسئولية من ينتمون إليها.

هـ- التطورات الوبائية المنتظرة والمستحدثة:

بعد الاندفاع في العولمة وانحسار الحدود وسهولة المواصلات واختلاط الشعوب ظهرت متغيرات عدة:

(١) ظهور أمراض وميكروبات لم تكن معروفة من قبل، وينتظر أن تتزايد في المراحل القادمة بظهور سلالات وأنواع خاصة من الفيروسات الجديدة ... مثل الإيدز والإيبولا وفيروسات الكبد.

(٢) ظهور ميكروبات قابلة للعلاج ... سلالات جديدة أو سلالات قديمة حميدة تغيرت خصائصها وزادت حدتها في التأثير على الإنسان.

(٣) تغير قدرة الإنسان على مقاومة المرض ، إما بنقص المناعة المكتسبة أو عن طريق الملوثات البيئية التي تؤثر على مقاومة الإنسان للمرض.

(٤) استعادة بعض الأمراض لحدتها بعد أن انحسرت ولكنها استعادت أهميتها الوبائية في الخريطة الصحية وعودة خطورتها على الإنسان، مثل السل -الالتهاب الرئوي-الملاريا.

و- المؤثرات الفاعلة في تطور التعليم الطبي في المرحلة القادمة:

(١) التقدم المذهل في تكنولوجيات التعليم والمعلومات.

ذلك حدث بتأثير ظهور الميكروبروسيسور في تقليل مساحة تخزين المعلومات (مليار كلمة في قرص

ممغنط نصف قطره ٣. ٥ سم). وتأثير النقل الإلكتروني السريع (حيث تنقل صفحة طولها ميل في أقل من ثانية واحدة) وظهور الذكاء الاصطناعي في خلق محاكيات Simulation. مما يسر سبل التدريب والأداء. لكل ذلك سوف يتحول التعليم الطبي إلى وسائل مستحدثة تليفزيونية ترتبط بالأقمار الصناعية تحت تأثير تعدد المجالات المؤثرة Multimedia و Virtual Realityأي الواقع المتصور فعلياً وسوف يعتمد الطالب على هذه الوسائل في تعليم نفسه Self Learning، وينحسر دور الأستاذ في التوجيه والتدريب المباشر، وتقل ساعات التواجد في الكلية والمستشفى الجامعي التي سينحسر دورها التعليمي وينتقل جزئياً إلى المراكز الخدمية المجاورة لتواجد الطلاب.

(٢) ظهور مواد بيولوجية جديدة وتكنولوجيات حديثة سوف تؤثر في التشخيص والعلاج والممارس سوف يستفيد من توفر المعلومات المستحدثة من خلال وصلات بأقمار صناعية تعاون في التشخيص والعلاج.

(٣) سوف تتطور صناعة الدواء بظهور كيماويات وبيولوجيات علاجية جديدة تساعد في مقاومة الأمراض. لكن ذلك التطور سيضيف إلى تكاليف العلاج درجة كبيرة مما قد يجعلها بعيدة المنال إلا على القادرين. وكذلك سوف تنتقل البحوث الطبية إلى العلميين والمهندسين والتكنولوجيين وعلماء الخلية وسينحسر دور الأطباء ولو جزئيا حتى في التدريس في كليات الطب.

(٤) كذلك سيزداد الاهتمام بالتعليم والتطبيب عن بعد Telemedicinوكذلك أهمية استمرار التعليم والاحتكاك الدولي.

(٥) ومما يذكر أن الطب سيتحول إلى صناعة وتجارة تحكمها المؤسسات التكنولوجية والتجارية التي سبيلها الربح المتزايد مما سوف يرفع تكاليف الشفاء، وفي نفس الوقت قد تضعف العلاقة الإنسانية التي تحكم مهنة الطب كخدمة إنسانية بعيدة عن التجارة.

حوار حول قضايا التعليم والبحث العلمي في عالم الغد:

٦- أبدأ حديثي بسؤال يراودني كثيراً: لقد عملنا الكثير وأنفقنا أكثر من الكثير وما زالت الميزانيات تتعاظم فهل استفادت مصر من الاستثمار في الأعداد الصغيرة التي خرجتهم؟

هذا السؤال سيكون محور حديثي في جزئية التعليم والبحث العلمي والمستقبل وأقول الرد... نعم ولا.

نعم لقد حمى التعليم والتوسع فيه مصر من مخاطر التطور، وحماها من مخاطر التحول الطبقي الذي صاحب الثورة والتحولات التي صاحبتها، وإراقة الدماء التي مورست في بعض الدول التي تعرضت لتجربة التحول.

ولكنها لم تستفد بالقدر المطلوب في إحداث التغيير المرتجى في معظم مرافق الحياة. وتحليل ذلك لا يتم إلا بدراسات وبحوث لتقييم الطالب والخريج والمدرسة والمدرس والأستاذ ودور كل منهم، وفاعلية التعليم والخريج في تطوير المجتمع المحيط ومشاركته الفعالة في برامج التطوير والإنتاج. هنا أحدد حديثي في عدة رسائل عسى أن تنفع المخططين وتعاون في إحداث طفرة فعالة:

أ-إذا بدأنا بتوصيف الإنسان في العصر الحديث ودوره في الحياة، اقتبس مقولة لعالم اقتصادي (تيودور شولر، الحائز على جائزة نوبل) قال: « إنه ينظر اليوم للإنسان على إنه وحدة رأسمالية اجتماعية منتجة، حيث يعتبر الإنسان بقدراته وملكاته رأس مال مخزوناً » وذلك المخزون يتمثل في كفاءة الإنسان وقدرته على الإبداع. ومن خلال تلك القدرة الممكن حكمها وتنميتها قد صنفت الدول إلى ثلاثة أنواع:

(١) دول الريادة والتقدم.

(٢) دول الاجتهاد والمحاكاة.
(٣) دول التخلف والغيبوبة التكنولوجية.
ب- أي أن التصنيف اعتمد على قدرة الإنسان وليس رأس المال ولا الآلة ولا تتم القدرة إلا بتكوين وتأهيل محكوم بقواعد التجويد والتوجيه. ترفع القدرة الذهنية وكفاءة الأداء في إطار من القيم الحميدة ... تلك قدرات يتوالى نموها في مراحل التعليم المختلفة وتنتهي إلى الجامعة التي ينظر إليها اليوم على أنها مصنع الرجال والقادة.
وتتقدم الجامعة بقدرتها على التخطيط للغد برؤية اليوم وتدرس مشاكل الحاضر وترسم مجتمع الغد بتصور للمستقبل...
ج- لكل ذلك إذا تحدثنا عن التعليم ومواجهة القرن الجديد نقول:
أن العالم ينظر اليوم إلى التعليم على أنه عملية مستمرة حلقاته تترابط في تسلسل مستمر، بدءاً من محو الأمية إلى التعليم الأساسي والإعدادي ثم الثانوي العام والمتخصص الفني، وهنا نتوقف قليلاً عند فترة التعليم الأساسي، ذلك لأن الدول المتقدمة ودول الاجتهاد توجهت إلى زيادة مدة الالتزام بالتدريج من ٦ سنوات إلى ٩ سنوات، وكثير منها وصل إلى ١٢ سنة. تلك قضية حتمية إذا كان هدفنا توسيع قاعدة التعليم ورفع مستواها. هناك فقط يمكن أن نأمل في سد الفجوة الخطيرة بين واقعنا وأمانينا في القرن القادم وتحقيق التقدم المنشود.
د- إضافة إلى ذلك لابد من الاهتمام بالتعليم الفني... نعم هو باهظ التكاليف ولكن عوائده لا تعد ولاتحصى في تطوير وسائل الإنتاج والخدمات ووضعه اليوم غير مرضي. وكذلك فإن العلم قد فتح قنوات اتصال بين المتفوقين في التعليم الفني ومجالات الارتقاء الأكاديمي في الجامعات، للحصول على أعلى الدرجات ، مما يحفز المتفوقين للابداع.
هـ- وأريد هنا أن ألفت النظر إلى منظومة التنسيق التي تحدد المصير لجمهور الطلاب الحاصلين على الثانوية العامة ورغم ما فيها من عدل مؤكد، فإنها قضية طال العمل بها، ورغم أنها أثبتت جدواها في العدل لكنها لم تثبت فاعليتها في إحداث التقدم. وقد انتهجت الدول المتقدمة السبيل في إضافة سنة تحضيرية قبل دخول الجامعة تكتشف فيها المواهب والميول والتوجه والرغبات الأكيدة (صفات نسيت تماماً) ، وليس الالتزام بتوجهات قد تقل جدواها في إحداث التغيير المجتمعي والإنتاجي.
و- لقد تحددت اليوم أهداف التعليم عامة ، وخير من وضعها كان «فريدريكو مايور» عندما تولى التعليم في أسبانيا -أسرد أسسها باختصار لضيق المكان والوقت: التعليم له ثلاثة أهداف وتوجهات أساسية : أهداف وطنية - وإنسانية - ونظامية:
(١) الأهداف الوطنية:
فتتمثل في تكافؤ الفرص للفرد ، وتكافؤ الحقوق في المناطق المختلفة ، وتنمية حق الحرية في الفكر والتعبير مدخلاً لتنمية الابتكار والاختراع والصدق في إبداء الرأي مع تأكيد قيمة الثقافة الوطنية للمواطن داخلياً ولمن هجر بلده وعاش في الخارج والتركيز على زرع القيم والسلوك الحميد والدين القيم وكلها يقوم عليها استقرار المجتمع.
(٢) الأهداف الإنسانية:
تتمثل في رفع مستوى أداء الفرد والمجموع في كافة مجالات الحياة مع الاهتمام بقدرات المتعلم عامة وتوفير جرعة كافية لهم من المعلومات. كذلك التركيز على الخاصة المتفوقة وتأهيلهم تأهيلاً يوجههم للقيادة، وذلك درءاً لمزاولة أسلوب التوحيد القياسي للبشر عند فتح أبواب التعليم، كذلك أهمية شحن

المدرس نفسياً ووطنياً ليتحمل مسئولية بناء الوطن وفي نفس الوقت مضاهاة كافة المستويات الموجودة بالمستويات العالمية (World standards)من خلال مواصفات المدرس والفصل والمدرسة وفاعلية الخريج.

(٣) الأهداف النظامية:

فتتمثل في :

(أ) إصلاح الجهاز الإداري ليقوم بواجبه في ضبط الأداء والانضباط والمتابعة والتطوير.

(ب) التركيز على دور الإعلام العلمي وأهمية التعليم المفتوح والانتساب والتعليم عن بعد.

(ج) دعم السياسة التعليمية وتوفير مصادر الحصول على المعارف والمعلومات.

(د) كل ذلك مع التركيز على أهمية التدريب ورفع مستوى المهارات مع استمرار التعليم وإعادة التأهيل.

(هـ) التركيز على زرع قيم محددة في الطلاب والعاملين: أولها قيمه الوطنية وقيمة الوقت واستغلاله، وقيمة الحفاظ على البيئة، وقيم الحفاظ على المصادر القومية مادية أو بشرية - تلك أحاسيس تاهت في محيط الحشو.

(و) الاهتمام برأي كل من يستفيد من المدرسة وخريجيها في فعالية ومستوى ونوعية الخريج مع تقييم البرامج المتاحة وجدواها واقتراح تطويرها والإضافة إليها.

(ز) منظومة التنمية البشرية وضبط إيقاعها:

تلك منظومة يناط بها تخليق وتنشئة جيل جديد ومختار ومتفوق يمكنه ريادة التنمية:

- المنبع يتحدد في تكوين التربويين الأفذاذ (في كليات التربية)، حيث يطلب منهم قيادة ثورة تعليمية ويختار منهم رواد التعليم، ويأتي بعدهم تكوين فئة العلميين والمهندسين والتكنولوجيين لريادة ثورة الإنتاج، ثم يأتي دور المتخصصين في الاقتصاد والإدارة الذين يضبطون إيقاع التنمية وتكاليفه ثم بعد ذلك كل التخصصات الخدمية الأخرى لرفع التطور في كافة مجالات التنمية.

- توسيع فرص الاختيار للتعلم من خلال تنويع وتوزيع وتميز البرامج، ذلك درءاً للبطالة نتيجة التخصص المحدود في مجالات قليلة ضيقة وقد لا تكون مطلوبة وتنتهي لتخرج صناعة بشرية غير مطلوبة لأسواق التنمية.

-التحرر من الأنماط والقوالب الجامدة المتكررة واللوائح المتخلفة والإدارة المعوقة والمتقاعسة.

-الاهتمام بتوفير المعلومات على كافة المستويات وتلك أكبر قيمة مضافة للتعليم والبحث والإنتاج.

-العمل على تطوير البرامج باستمرار بما يتوافق مع تطور المعارف واحتياج مرافق الإنتاج والخدمات والأسواق.

-ضبط أساليب التقييم المستمر والمحاسبة الجادة من خلال معايير محددة.

-أهمية التركيز على نقل المستحدثات العلمية والتكنولوجية المتطورة في كل مجال وإتاحتها لمن يطلبها.

-الاهتمام بإدخال أنماط جديدة ومبتكرات جربت في دول أخرى يمكن الاختيار منها . فمثلاً:

* الدراسات الجامعية التي تنتهي بتكوين مواطن صالح يستطيع اختيار السبيل المناسب.
* جامعة الدراسات العليا والتخصصات المتقدمة.
* جامعة البحوث.
* مركز التميز البحثي.
* المعاهد المجتمعية وهي تمثل مجالاً متوسطاً بين التعليم الثانوي والعالي ويمكن أن يؤهل لدخول

الجامعة.

* التعليم عن بعد.

* الانتساب بعض الوقت للجامعة.

(٤) قضية الترابط في التعليم: يحدث ذلك في اتجاهين:

(أ) ترابط رأسي : حيث يرتبط التعليم العالي بمستويات أدنى فمثلاً ترابط كليات التربية بالمدارس المختلفة وكليات الهندسة بمدارس إعداد الفنيين وكليات الطب بمعاهد التمريض وأخصائي المعامل والأشعة.

(ب) ترابط أفقي : حيث يتم الاتصال بين الجامعات ومراكز البحوث بمرافق الإنتاج والخدمات وذلك يعود بفوائد عديدة منها : البحث عن المشاكل واقتراح الحلول، إيجاد مجالات لإجراء بحوث على المشاكل بأساتذة متخصصين، توفير حوافز للأبحاث والعلماء، وتوفير تمويل إضافي للجامعات والمعاهد مما يخفف عبء التمويل عن الدولة.

(٥) العناية بتكوين الأستاذ الرائد والباحث المتميز والحفاظ عليه وتحفيزه للتفرغ لأداء عمله التعليمي والبحثي وخدمة المجتمع.

(٦) إن منظومة التنمية البشرية لابد أن تعتبر جزءاً لا يتجزأ من منظومة التنمية الشاملة توجه أساساً لريادة المجتمع لتطوير الإمكانات وتحويل النظرية إلى قدرة من خلال ما يسمى (التطور التكنولوجي) وتطوير القدرة إلى منتجات تضيف إلى الدخل القومي.

(٧) لقد ظهرت في السنوات الأخيرة دعوة إلى عالمية التعليم بمفهوم تقريب مستويات البرامج والأساليب وقدرات الخريج - جزءاً من مفهوم العولمة، الذي يهدف ليكون الخريج أهلاً للعمل في كل مكان، لتقارب المستويات والكفاءة لذلك عندما تفتح الحدود لرؤوس الأموال والشركات العالمية ستنتقل معها القوى العاملة. فإذا لم تكن مستويات العمالة في الدول المضيفة على المستوى المطلوب فسوف ينتهي ذلك إلى غزو بشري لابد وأن يضاف إلى مشاكل البطالة والتخلف.

ويرتجى في هذه المرحلة من إعادة البناء قبل دخول القرن الجديد أن نكتشف أخطاءنا ونعيد تقييم تجاربنا لنحتذي الطريق السليم - نسرد هنا بعض المساوئ، إذ لابد من التخلص من آفات بالية حقنها الاستعمار، منها :

(أ) آفة التلقين والحفظ الأصم والابتعاد عن ملكة الاستيعاب والابتكار والتجويد وخطورة الاسترجاع الفوتوغرافي بدون فهم.

(ب) كذلك آفة التمدرس (Scooling) وليس التعلم-حيث يكون هدف التعلم هو التمتع بالوصول إلى المدرسة غير عابئين بقيمة المعرفة وعائد التقدم والتطور التقني.

(ج) كذلك آفة حشو البرامج وإجهاد العقل بما لا لزوم له، سمة يحتذيها مؤلفو الكتب المدرسية ولا عائد لها إلا مكسب شخصي.

(د) كذلك آفة التسرب من التعليم وتكرار الرسوب بلا تقييم للمسببات ومراجعة المسئول - كل ذلك انتقاص من حق المواطن وهدر للإنفاق.

(هـ) كذلك مخاطر التعليم التلغرافي والتقييم الكاذب والمتمثل في ممارسات غير شرعية مثل الدروس الخصوصية واحتمالات الغش الفردي والجماعي خاصة في المناطق النائية حيث تقل الرقابة.

٧- وأخيراً وليس آخراً، بقيت كلمة هامة عن تنمية القدرة التكنولوجية والأسس الحاكمة فيها :

ذلك يعتبر مدخلاً لثورة البحث العلمي والتطوير التكنولوجي المنتهي إلى الإنتاج المتفوق والقادر على المنافسة في الأسواق العالمية.

أ- رعاية الإنسان وإطلاق ملكاته الابتكارية المختزنة ومنبعها الرعاية المنزلية منذ الطفولة والتعليم المجود والموجه في كل درجاته وتشجيع ملكة الاختراع.

ب- المتابعة والرصد المستمر للتطورات العالمية، تلك شريعة تحكم أسواق الإنتاج.

ج- توفير القدرة على اختيار ونقل المستحدثات المناسبة بأسلوب محكم ومبرمج تعاوناً مع مؤسسات التمويل المحلية والأجنبية.

د- عناصر حاكمة ومؤثرة في القدرة البحثية والتكنولوجية :

(١) تنمية الابتكار وتحفيز المتفوقين.

(٢) توفير متطلبات التفوق من معلومات وتجهيزات وعلاقات.

(٣) إحكام أساليب الاختيار والتوجيه والتطوير في مرافق الإنتاج.

(٤) دعم شبكات الترابط بين الجامعات ومراكز البحوث من جهة ومجالات الإنتاج والخدمات من جهةأخرى.

توفير الحوافز المجزية والوضع الاجتماعي المرموق والجاذب للباحثين والعلماء حتى يتفرغوا لمسئولياتهم.

هـ- تنمية أساليب وقدرات الاختيار والتوجيه والربط بين البحوث والإنتاج، يتم ذلك من خلال قنوات وقدرات ذات كفاءة في مؤسسات لابد من توفيرها :

(١) مقاولو نقل التكنولوجيا Technology Enterpreneurs تلك فئة متخصصة وظيفتهم وقدرتهم تتمثل في اختيار التكنولوجيات المناسبة في الأماكن المحتاجة، وربطها بقدرات محددة في مراكز معينة.

(٢) إيجاد قطاعات وسيطة تمثل حزاماً ناقلاً للأفكار المتقدمة المستخدمة لمن يحتاجها من العلماء، لكي يقوموا بواجبهم لتطوير الإنتاج Technology Brokers.

(٣) هناك أيضاً المكاتب الاستشارية التي تعاون وتوجه المؤسسات القائمة هندسياً وإدارياً Tech-nology consultants.

(٤) كذلك هناك أنماط من مؤسسات عالمية تعمل على ربط التعليم وتطوير برامجه وتدعم البحث العلمي وترفع مستوى أدائه، وتمول الصناعة والخدمات بمتطلبات التطوير، ومن الأمثلة المشهودة في هذا المجال مؤسسة ANVAR الفرنسية التي تنمي ملكة الابتكارويشاركها فى نفس المجال مؤسسة FRAEN_HOVER_GESELLSCHAFT التي تربط التقدم العلمي والبحثي بتقدم وتطور الإنتاج.

تلك آمال وتطلعات ورؤية اختزنتها في رحلة العمر، وانهي حديثي بدعوة إلى الله أن يوفق كل قائم على تنمية مصر أن يتقى المولى ويسمع ويستشير ويحتذي السبيل المجود قبل أن يندفع في التغيير، حتى تأخذ مصر حقها ودورها في معركة التقدم والرخاء.

إنه سميع مجيب

والحمد لله رب العالمين

الورقة الثالثة :

الجندية المصرية قبل وبعد حرب أكتوبر

لواء أ.ح /عبد الغفار حجازى

مساعد وزير الدفاع الأسبق / عضو المجالس القومية المتخصصة

المقدمة:

إن الجندي المصري يمثل أحد أسس المجتمع المصري العريق، ولقد وجدت أنه من الواجب أن أضع صورة واضحة للجندي المصري وما مر به من ظروف وتطورات أثرت في كيانه وشخصيته. وذلك من خلال خبرتي ورؤيتي الشخصية أثناء خدمتي في القوات المسلحة والتي بدأت من عام ١٩٤٨.

وأود أن أوضح كيف كنا وكيف أصبحنا. وما أكتبه من قبيل المذكرات الخاصة عن مشاهداتي وملاحظاتي الشخصية عبر الفترة الطويلة من خدمتي.

عاصرت فيها حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٥٦ وحرب اليمن وحرب ٦٧ وحرب الاستنزاف وما قبلها والاستعداد والتخطيط للحرب المشرفة لمصر حرب أكتوبر ١٩٧٣.

ثم كان لي الشرف العظيم أن أكون ضمن المخططين قائدا ومنفذا لحرب أكتوبر ١٩٧٣.

وقد توليت جميع الوظائف التعليمية والقيادية على كافة المستويات وتركت القوات المسلحة مساعدا لوزير الدفاع ورئيسا لهيئة تدريب القوات المسلحة.

الجندي المصري:

الجندي المصري خير أجناد الأرض. له تاريخ حافل طويل عبر آلاف السنين. كانت له فتوحات عظيمة ضد الغزاة ورد المعتدين وتذكره المراجع التاريخية بالبطولة والحسم. ولست أريد أن أدخل في عرض التاريخ الحافل المشرف للعسكرية المصرية، ولكن اكتفي هنا بذكر مشاهداتي الشخصية في عدة فترات مرت بنا مع الصراع لتحرير فلسطين منذ عام ١٩٤٨. أذكرها في نقاط محددة وأترك لسيادتكم التذكر والربط بالأحداث.

الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٦ و أحداث معينة:

١- كان النظام في مصر هو النظام الملكي. وكانت القوات البريطانية تحتل مصر وتعسكر في القاهرة والإسكندرية وقناة السويس.

٢- الجندي المصري يشعر بعجزه عن دفع البدلية ليعفى من التجنيد لأنه فقير.

٣- الأمية متفشية في الجندي بنسبة عالية سواء من شمال مصر أو من جنوبها.

٤- التجنيد ثلاث سنوات وأكثر، ولا تعويضاً مادياً للجندي يعينه على إعانة عائلته التي تركها طوال هذه المدة.

وبالتالي فمشاكله الاجتماعية كثيرة ومختلفة وهو عاجز عن حلها.

٥- الضابط قائده من فئة متعلمة مثقفة - ولكن مستوى التعليم العسكري والخبرة القتالية محدودة حيث كان :

أ-حجم وتسليح الجيش محدودا طبقاً لمعاهدة ١٩٣٦.

ب-يشرف على تدريب الجيش البعثة العسكرية البريطانية.

ج- ساهم عنصر كبير في قوات المدفعية المضادة للطائرات في حماية المدن أثناء الحرب العالمية الثانية.

د - وكانت معظم المعلومات العسكرية معلومات نظرية دون خبرة عملية.

هـ - تدريب وتسليح الجندي محدود . ولكن أصالته وإيمانه بالله لا حدود لهما.

٦- كان الجندي يثق بقائده ثقة عمياء. ولكنه محدود المعرفة والخبرة قاتل ببسالة اخترق الحدود الفلسطينية - المصرية في ١٥ مايو ١٩٤٨ . استولى على خط ممتد من رفح إلى خان يونس إلى غزة إلى المجدل إلى أشدود شمالاً. طارد العصابات الصهيونية ثم قطع فلسطين عرضاً بالاستيلاء شرقاً على عراق سويدان والفالوجا وعراق المنشية وبيت جبرين واتصل بالقوات العربية في الخليل والقدس وجنوباً إلى العصلوج والعوجة إلى الحدود المصرية. وبذلك تم عزل المستعمرات الشمالية عن الجنوبية . كل ذلك بما لديه من أسلحة وذخائر محدودة واحتلال بريطاني في قناة السويس خلفه.

هنا نقف ونقول كيف لعبت الأمم المتحدة دورها ولماذا كان الأمر بالهدنة من يونيو إلى يوليو ١٩٤٨ لمدة ثلاثين يوماً. عاصرت ذلك. حيث تم الإمداد للطرف الآخر بالأسلحة الحديثة والطائرات والدبابات وإمكانيات ضخمة مفاجئة (تفوق ما كان لدى الجندي المصري)، عاونت الإسرائيليين على القيام بالهجوم المضاد مدعمة بكل حلفائهم. وانتهى القتال بحصار قوات باسلة لنا في قطاع الفالوجا . ثم بالاحتفاظ بقطاع غزة -رفح فقط من أرض فلسطين المغتصبة وكانت اتفاقية الهدنة في رودس ١٩٤٩، عاد الجندي إلى أهله في مصر بعد حرب ١٩٤٨ سعيداً بما أمكنه أن يحققه في ظل قيود لا مثيل لها من التسليح والإمداد بفضل السلطة البريطانية التي تحتل مصر وفي عصر الملكية. وعادت قوات الفالوجا منتصرة رافعة هامتها في احتفال مهيب بساحة عابدين بالقاهرة.

الجندي بعد الثورة:

ساد شعور عام بعدم الارتياح لنتائج حرب فلسطين ١٩٤٨، وقامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لأسباب كثيرة ونجحت الثورة في إنهاء عصر الملكية وغادر الملك فاروق مصر في ٢٦ يوليو ١٩٥٢. كان من أحد أهداف الثورة إنشاء جيش قوي قادر على الدفاع عن الوطن بعد ما عاناه الجميع في حرب فلسطين ١٩٤٨ الجندي المصري هو.. هو لم يتغير ولكن الروح تغيرت فجأة :

أ-شعر بالعزة والفخر بثورته.
ب-شعر بأن له أهدافاً يجب أن يحققها.
ج-شعر بالخطر الجديد الذي وصل إلى حدود بلاده الشرقية.
د-زاد ثقة في قادته بعد الثورة.
هـ-ألغي البدل النقدي وأصبح التجنيد واجباً وطنياً لا فرق فيه بين غني وفقير والكل أبناء وطن واحد.
و-ألغي نظام جندي المراسلة بالمنازل.
ز-ثم بدأ في المساهمة في التدريب على قتال المدن وحرب العصابات لطرد القوات البريطانية من قناة السويس.

وجاءت اتفاقية الجلاء ١٩٥٤ وأخرجت الثورة الاستعمار البريطاني من مصر، و حرصت الثورة على الحصول على السلاح الحديث لدعم الجيش المصري. لكن جهودها مع الغرب فشلت تماماً مما اضطرها إلى أن تلجأ إلى الشرق ، وكانت أول صفقة أسلحة شرقية في سبتمبر ١٩٥٥، وكان ذلك نذيراً لإسرائيل حسب تصريحات بن جوريون والذي أمر بإعداد خطة لمهاجمة مصر وتدمير الأسلحة الحديثة الشرقية قبل أن يتمكن الجندي المصري من استيعابها والتدريب عليها.

وبدأت المؤامرة والتخطيط جاهز وحالفهم الحظ أن إنجلترا وفرنسا أعدت عدتها لغزو القناة والاستيلاء عليها بعد قرار الرئيس جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس في يوليو ١٩٥٦، وتآمرت الدول الثلاث في العدوان الثلاثي على مصر في ٢٩أكتوبر ١٩٥٦، وتقوم إسرائيل بتنفيذ الخطة «قادش» للاستيلاء على سيناء وتستولي إنجلترا وفرنسا على قناة السويس حسب الخطة «جاردزمان».

لم تكن مصر تخطط لغزو إسرائيل، وكان التدريب العسكري وخططها دفاعية، وبدأت في تعديل عقيدتها القتالية وتطويرها مع العقيدة الشرقية لتتلاءم مع الأسلحة الجديدة.

وفي خضم هذا التدريب والتطوير والتحديث - فوجئ الجندي المصري بالعدوان الثلاثي في ١٩٥٦. وكان عليه أن ينسحب من سيناء بقواته المحدودة إلى غرب القناة. لمواجهة العدو الرئيسي إنجلترا وفرنسا الذي نزل في بور سعيد وبدون قتال أو مواجهة مع إسرائيل، تطور الموقف السياسي وانتهى العدوان وانسحبت القوات الغازية خارج أرض مصر في مارس ١٩٥٧.

الجندى من (١٩٥٧-١٩٦٧):

وعاد الجندي المصري يجمع قوته وعزيمته مرة أخرى ، موجهاً عزمه نحو التدريب والتطوير الذي أخذ فترة طويلة سادتها أحداث هامة أثرت سلباً على قدراته وتفرغه للتدريب والاستعداد القتالي:

١- لم تكن لمصر خططاً هجومية إطلاقاً في تلك الفترة ولكن حدثت أحداث كثيرة لا يمكن أن ننساها أثرت على الجندي المصري.

أ- فقد تمت الوحدة بين مصر وسوريا وقامت الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨.
ب- كلفت القوات المسلحة بالكثير من المهام في المجال المدني في سبيل التعجيل بتطوير مصر وتحقيق أهداف ثورة ٢٣ يوليو.
ج- ثم قامت ثورات التحرير في العالم العربي .
د- ثم كانت نكسة الوحدة والانفصال في عام ١٩٦١ .

٢- خلال تلك الفترة كان جزء كبير من القادة الكبار والصغار في دورات تدريبية طويلة في الخارج - لم يكن تدريب القوات المسلحة قد زاد عن مستوى كتيبة ولواء نظراً لتطوير العقيدة القتالية - الجندي المصري يعمل على أسلحة حديثة متطورة معقدة بأساليب قتالية جديدة عليه. ولن أنسى أن عنصراً جديداً كان يشكل من الجندي المصري في تلك الفترة هو جنود المظلات وجنود الصاعقة. كان معظمهم من المتطوعين وكانوا فخرا لنا دائماً بانضباطهم وقوتهم وإيمانهم والتضحية في سبيل الوطن.

٣- ثم جاءت الثورة اليمنية وانشغلت القوات المسلحة هناك بجهودها.

٤- وكانت المؤامرة العظمى تحاك مرة أخرى ضد مصر والنظام في مصر. لتهيئة الظروف السياسية المناسبة للإيقاع بجيش مصر ومعظم قواته في اليمن والباقي في مصر في معركة غير مخططة أو مستعدة لها.

الجندي بعد عدوان ١٩٦٧:

١- وكان عدوان ١٩٦٧ والذي يقرر الإسرائيليون أنهم استعدوا له عشر سنوات من ١٩٥٧. وشكلوا القوات اللازمة بأحدث الأسلحة لكل جبهة. وتم التدريب على العمليات في كل اتجاه جواً وبحراً وبراً مدعمين بقوة الولايات المتحدة ومساندتها.

وصوروا للعالم عدواناً مصرياً على إسرائيل للقيام بالاستيلاء على سيناء والضفة الغربية والجولان في خلال ٦ أيام بالتفوق الجوي الساحق والتفوق في المدرعات وخفة الحركة.

٢- ولم يستطع الإسرائيليون في كتبهم وتاريخهم إلا أن يذكروا شهامة وشجاعة وشراسة وقتال الجندي المصري في المعارك التي التقوا فيها بالقوات المصرية منذ عام ١٩٥٦. في ممر متلا وفي معركة أبو عجيلة ومعركة رفح ومعركة المدرعات في جبل لبنى وغيرها، وليس المجال لذكرها هنا. فقد ذكروها هم بالتفصيل عن الجندي المصري الذي قاتل في العراء بدون غطاء في مسرح سيطرت عليه القوة الجوية المعادية لفترة قصيرة من الزمن.

٣- لكن ماذا عن الجندي الذي كان في سيناء. والله أشهد أن حجماً كبيراً منهم كانوا من جنود الاحتياط. وكانوا مسلحين بأسلحة مخزنة في المخازن من طرازات غريبة قديمة. ولست هنا في مجال سرد لأسباب ما حدث ولكن أقرر واقعا عشته شخصياً. فكيف يقاتل جندي الاحتياط بسلاح لم يتدرب عليه إلا خلال أيام أو ساعات قبل بدء المعركة.

٤- وكان الأمر من القيادة العليا بالانسحاب إلى غرب القناة .وعاد الجندي المصري من سيناء إلى خط الدفاع المناسب غرب قناة السويس ليستعد لمعركة جديدة فاصلة وكان الحال:

أ- شعور بالمرارة، لا يريد أن يناقشه مع أهله في بلده إلا بعد أن يسترد كرامته.

ب- شعور بالثأر لما ألم به حتى يعود لأهله رافع الرأس- هذا هو الجندي المصري الأصيل.

٥- تجمعت القوات المسلحة مرة أخرى غرب القناة - الجنود مختلفون جندي قادم من سيناء - ذاق الحرب ومرارتها - جندي قاتل خصمه وآخر لم يكن له الفرصة في مواجهة هذا الخصم وأمر بالانسحاب ولم يشف غليله، جندي قادم من اليمن بعد سحب قواتنا من اليمن إلى ساحة قناة السويس مباشرة جندي جديد لم يكن له خبرة سابقة بالجندية ولكنه سمع وتأثر بأحداث يونيو ١٩٦٧ في نفسيته، وآخر جندي مؤهلات عليا يخدم لأول مرة على الجبهة مع معدات محدودة.

٦- واجتمع الجندي الأمي والمؤهلات المتوسطة والعليا في مجتمع واحد، لا فرق بينهم لا غني ولا فقير، لا متعلم ولا أمي، يجمعهم شعور واحد وهو الثأر لكرامة الوطن. وكانت أشق المهام علينا في ذلك الوقت هى رفع الروح المعنوية لهؤلاء الجنود وصهرهم في بوتقة واحدة، وإزالة مشاكلهم العائلية

ورفع مستوى حياتهم القاسية في الجبهة، وأزلنا الفارق بين الضابط والجندي، مأكل واحد وإيواء في مكان واحد. يجمعهم انضباط ومحبة وإخلاص وكلهم لهم هدف واحد وهو تحرير الأرض ورد كرامة الوطن.

٧- كانت مهمة القيادة العليا الجديدة في تلك المرحلة شاقة في الحصول على المعدات والأسلحة مرة أخرى وبكميات كافية للعبور العظيم. رغم العوائق والمشاكل السياسية والتي سعت إلى الحد من تسليح قواتنا واستمرار حالة اللاحرب واللاسلم باتفاق القوى العظمى.

٨- وكان علينا التركيز على إنشاء الخط الدفاعي الحصين الجديد - وكان الجنود المصريون بلا معدات ميكانيكية للحفر في تلك المرحلة، وأعمالنا للتجهيز الهندسي على القناة تتم بطريقة يدوية، والخصم أمامهم عبر القناة على بعد ٢٠٠ متر يلاحظهم باستهتار بشعور المنتصر وهم يقومون بالحفر والتجهيز الهندسي يدويا وكلهم تحفز لإطلاق النار عبر القناة. ولكن كان علينا تهدئة هذه الروح الجارفة الثائرة، كلهم يريد إلقاء نفسه للعبور عبر القناة والانتقام. ولكن كانت هذه أصعب مراحل حياتي-وكنت في تلك الفترة قائداً لمجموعة لواء مشاة المسئولة عن قطاع دفاعي - وهي كيف أقنع القادة والجنود بألا يتهوروا وألا يطلقوا النار عبر القناة وأن يلتزموا بالأوامر العليا في مرحلة الصمود حتى يتم تجهيز النطاقات الدفاعية ونستعيد أسلحتنا و قدرتنا القتالية. وبدأت الأسلحة تصل للجندي الذي كان مشتاقاً لها. وآمن بقائده وقيادته وصدقهما.

كان النهم على التدريب غريباً - سرعة استيعاب للأسلحة الحديثة المعقدة مدهشة - كل جندى كان يسعى إلى أن يكون أول من يعبر القناة ومعه سلاحه الجديد - واثقاً في نفسه وفي سلاحه وفي قادته.

٩-لم يكن هذا الشعور للجندي فقط بل للضباط من مختلف التخصصات والرتب وزاد الفكر لتحديث الأسلحة والمعدات وإجراء التعديلات العملية لتطويرها وكان فكر الضابط والمهندس والعامل المنفذ متطابقاً بروح عالية وهمة عالية.

١٠- وتم تدريب مركز لكل الجنود في كافة التخصصات والأسلحة ، وتدريب مشترك يتم بكل أنواع الأسلحة مع بعضها وزادت الثقة بين الجنود في تخصصاتهم المختلفة.

جندى حرب الإستنزاف:

١- ولما حان الوقت أطلقنا المارد - الجندي المصري - الذي كنا نمنعه من الاشتباك فأحال الجانب الشرقي من القناة إلى جهنم بنيران المدفعية والأسلحة الصغيرة والقوات الجوية والبحرية في ظل وحماية قوات الدفاع الجوي في قتال شرس وتدريب حي تمثل في تسلسل واقعي للتدريب:

أ- أعطينا للجندي الفرصة للسباحة في القناة ليلاً.

ب- ثم العبور والعودة بدون أسلحة ثم بالسلاح.

ج- ثم العبور في دوريات عبر القناة والعودة.

د- ثم العبور وعمل كمائن وخطف أسرى من الضفة الشرقية.

هـ- وزاد العمل من دوريات صغيرة إلى عمليات وصلت إلى حجم كتيبة.

و- دخلت دوريات الصاعقة ليتم تدريبها في عمق سيناء وتعود ومعها عناصر الاستطلاع والمخابرات.

٢- وزادت الثقة في نفوس الجنود كل جندى يرغب فى أن ينطلق وقد زاد ثقة في نفسه بعد التدريب المجمع له وضرب النار بسلاحه وعبوره للقناة وكان يتسابق للتطوع للعبور والاشتراك في عمليات

الإغارة والكمائن. وهكذا تغيرت روح الجندي المصري غرب القناة وأصبح يتحرق شوقاً للأمر بالعبور.
٣- ونتيجة لقسوة نيران الجندي المصري من الشرق لجأ الجيش الإسرائيلي إلى إنشاء خطوط الدفاع الحصينة لأول مرة. ولا خبرة له بأعمال الدفاع سابقاً. وأنشأ خط بارليف وكلفه ملايين الدولارات بشكل لا يمكن أن تخترقه قوة وزاد من الموانع والألغام حول نقاطه الحصينة لتصل إلى عمق ١٥٠متراً ورفع الساتر الترابي إلى أكثر من ٢٠-٢٥ متراً بزاوية حادة على ضفة القناة. وإنشاء خزانات الوقود لإشعالها إذا ما حاول الجندي المصري العبور. إنشاء سواتر للدبابات على خط بارليف وكون الاحتياطات المدرعة القريبة والبعيدة. واعتبر أن ذلك مانعاً لا يمكن للجندي المصري عبوره.
٤- وكان التدريب للجنود لعبور مثل تلك الموانع في ميادين صناعية مشابهة تماماً للدفاعات المواجهة لهم. وزادوا ثقة في قدرتهم على العبور وخطط لهم كل عمل بأدق التفاصيل. وكان كل منهم يتدرب ويعلم مكانه ومن على يمينه ومن على يساره أثناء العملية مستقبلا. في أرض مشابهة على نهر النيل وعلى الرياحات العريضة في الدلتا وفي جزيرة البلاح وميادين جافة مشابهة تماما للنقط الحصينة المقرر مهاجمتها.
٥- تدريب .. تدريب.. عرق.. جهود.. ليلاً ونهاراً - لجميع الرتب.
٦- ونتيجة لحرب الاستنزاف أصبح من المؤكد أن جميع رجالنا من الجنود قد زالت عنهم صورة الجندي والجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر بعد عبورهم في دوريات ونصب الكمائن واسر أفراد منهم والعودة بهم . وكانت تلك المرحلة استمراراً للتدريب العملي بالذخيرة الحية استعداداً ليوم العبور العظيم.
٧- الجندي المصري يتعجل قادته على كافة المستويات للعبور بعد أن استرد عافيته وزاد إيماناً بقدرته وفخره بأن كل أهله في قريته معجبون ويفتخرون.به وبما تنشره وسائل الإعلام العالمية والمصرية عن معاركه البعيدة عبر القناة وينتظرون منه العمل العظيم ويشعر أن كافة الشعب خلفه وكافة أجهزة الدولة تعمل لصالح معركته القادمة.

جندي العبور :

١- ولكن قيادته كانت تخطط خطة العبور العظيم بما فيها من مفاجأة استراتيجية وتعبوية وتكتيكية و تدريب القيادات العليا في مشروعات ومناورات مستمرة وتغيير وتبديل للقوات لتأخذ مكانها في المعركة تحت ستار التدريب على القتال في العمق والذي اعتاد عليه العالم في مشروعات تدريب كبرى لا تستحق اهتمام إسرائيل بها - وتدفع القوات للجبهة في خطة عملية هجومية استراتيجية عظمى أساسها الجندي المصري الجديد الذي تم إعداده في القوات البرية وفي القوات الجوية والقوات البحرية وقوات الدفاع الجوي.
٢- وإذا كنا نتحدث عن جندي المشاه والمدرعات والمدفعية المقاتلين فلا ننسى الجهود الشاقة التي تمت لتدريب العناصر الأساسية من الأسلحة المقاتلة مثل المهندسين وأفراد الحرب الكيمائية.
وقد كان لجندي المهندسين وهمته في التدريب الفضل في تعديل خطط العبور وتوقيتاتها بجهده في فتح الثغرات في خط بارليف وإقامة الكباري والمعديات والمناورة بها في أوقات قياسية تفوق معدلات الغرب في سرعة الإنشاء ، هل يمكن أن ننسى هذا الجهد؟ هذا هو المصري الأصيل هذا الجندي المصري الذي قام بتهيئة العبور لجميع القوات تحت نيران المدفعية والطيران وخلافه ، هدفه هو النصر أو الشهادة.
٣- وماذا عن ذلك الجندي الذي تسلل في عمق العدو وأنشأ نقاطاً للملاحظة ويراقب ويبلغ عن تحركات العدو في سيناء معرضاً حياته لأشد الأخطار قبل وأثناء المعركة ذلك هو جندي الاستطلاع

والمخابرات الجسور .
٤- أما جندي المشاة فحدث عنه ولا حرج . بطولة وشجاعة وصلابة لا حدود لها ، يحمل معدات وذخيرة وأسلحة بعشرات الكيلوجرامات عبر القناة، ويتسلق ومعه الأحمال على حبال حائط خط بارليف، ويندفع للعمق مدمراً أقوى الدبابات المعادية بأسلحته الصغيرة المضادة للدبابات التي كانت مفاجأة من مفاجآت حرب أكتوبر ٧٣، وقاتل وتعمق في سيناء وتشبث بأرضه يصد أقوى الهجمات المضادة المتصلة ليلاً ونهاراً من الدبابات والقوات المعادية.
٥- الكلام كثير ولا أستطيع أن أعطي كل ذي حق حقه من أسلحة قواتنا المسلحة، فهؤلاء جنود المدفعية وعزيمتهم الجبارة وقتالهم المستمر خلال الفترة ٦٧-٧٣ من قصفات النيران والتمهيد النيراني الرهيب ليوم العبور - كم استغرق ذلك من جهد.
٦- أما رجال المدرعات فلم ينتظروا حتى تجهيز الكباري والمعديات لعبورهم إلى الضفة الشرقية للقناة بل صعدوا فوق السواتر الترابية من الضفة الغربية في خطة محكمة يحمون رجال المشاه في الفترة الحرجة لحظة العبور بنيرانهم الرهيبة مانعين اقتراب احتياطات العدو من العمق ومعهم رجال المدفعية بصواريخهم المضادة للدبابات من الغرب ومن الشرق.
٧- إنها ملحمة لا يمكن أن تنسى لأي بشر حضرها - وأحمد الله أن كان لي الشرف أن أكون شاهداً، عليها لحظات لا تنسى هدير الله أكبر ،الله أكبر، وعلم مصر يرتفع فوق خط بارليف.
٨- أليس هذا هو الجندي المصري عندما تحققت له فرصة القتال لأول مرة وأكرر لأول مرة، كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ والمبادأة في يدي مصر بعكس جميع المعارك السابقة - كانت إسرائيل هي التي تحدد مكان ووقت المعركة ولكن في هذه المرة في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ كان قرار مصر ومبادأة مصر مفاجأة للعالم.
٩- أما عن الجندي في القوات الجوية - فالطائرات يقودها الضباط الطيارون فماذا عن مكانة وأصالة الجندي المصري في هذا المجال؟ إنه هو الذي أزال آثار العدوان على أرض مطاراته وأعاد استعدادها بعد دقائق وساعات محدودة وجعلها صالحة للطيران مرة أخرى. هو الذي أنشأ وساهم في إنشاء القواعد الجوية الجديدة والدشم الحصينة ودافع عن المطارات في جميع أنحاء مصر.
وهو الذي كان يصون ويحمي طائراتنا لإيمانه بأنها ستكون أساس نجاح معركة الكرامة وهو الذي عمل على سرعة وكفاءة استعداد الطائرات والطيارين للقيام بالآلاف من الطلعات الجوية قبل وأثناء حرب أكتوبر للتدريب والقتال والوصول لأعلى المعدلات العالية . وهو الذي عمل على شبكات الاتصال والرادارات والتوجيه يوميا وطوال ٢٤ ساعة واثقاً في قادته ومعداته مؤمنا بالنصر العظيم متعاونا مع كافة أسلحة القوات المسلحة الأخرى.
١٠- أما جندي القوات البحرية فهو الذي كان يحمي شواطئ مصر وسفن مصر في قواعدها وفي مرورها وفي أثناء عمليات الإغارة أو الاشتباكات، وهو ذلك الجندي الذي أطلق صاروخه على المدمرة إيلات في أكتوبر ١٩٦٧، والذي قلب نظريات القتال البحري رأساً على عقب واثقاً في معداته وفي قادته، وهو الذي غادر أرض الوطن في ١٩٧٣ متجها للجنوب لقفل مضيق باب المندب في الجنوب، وهو الذي حمى السواحل المصرية قبل وأثناء حرب أكتوبر في البحر الأحمر والبحر المتوسط.
١١- وكان لنا جنود الدفاع الجوي والذين قاتلوا مع زملائهم في التشكيلات البرية وتم تدريبهم المتصل على المدافع المضادة للطائرات لحماية زملائهم من أي عدوان جوي، وتطور سلاحهم وتطور تدريبهم على أحدث معدات الدفاع الجوي من الصواريخ والرادارات حققوا معجزة تحدث عنها العالم

وهي حائط الصواريخ المصرية، كم من الجهد والعرق والدم بذل في تكوين هذا الحائط ؟
وهناك جنود المراقبة بالنظر والذين عاشوا في أصعب الظروف في نقط منعزلة يراقبون سماء مصر ويبلغون عن أي اختراق جوي لها مكملين بذلك شبكات الرادار المصرية.

١٢- وأود أن أنوه هنا عن جهود خارقة بذلها جنود من المخابرات والاستطلاع في شجاعتهم النادرة في العبور اليومي عبر القناة من قطاع كنت مسئولا عنه يحملون معهم المعدات والأسلحة والمعلومات في عمق سيناء، والتي كانت لها الأهمية العظمى في تخطيط العمليات لحرب أكتوبر ١٩٧٣.

١٣- وكان لنا في العمق القريب من القناة الفرق المشاه الميكانيكية التي شكلت خلال تلك الفترة لتكون جاهزة بتدريبها الجديد وخفة حركتها وقوتها في العبور شرقا مع الفرق المدرعة عبر الكباري بعد تجهيزها لتندفع في العمق لتحقيق أهدافها تحميهم قوات الدفاع الجوي والقوات الجوية.
ومن الطبيعي أن تدريب هؤلاء الجنود وجهدهم يختلف عن تدريب زملائهم المكلفين باقتحام قناة السويس في القوارب والناقلات البرمائية.

١٤- أعتقد أن هذا العمل الضخم بالجندي المصري لم يكن ليتحقق له النجاح لولا تواجد جهاز ضخم وجنود أمناء أشداء يجهزون له الإمداد اليومي بكل شيء بالذخيرة والوقود والتعيينات والمهمات والمياه والنقل حتى مواقعه وتهيئة الخدمة الطبية المتفوقة له في كل شبر من أرض المعركة وذلك بجهود أسلحة هيئة الإمداد والتموين المختلفة.

١٥- وأود أن أضيف هنا أن المعدات والأسلحة التي كانت تصل لنا من جهود سياسية ضخمة كان منها أعقد المعدات المتفوقة في التكنولوجيا الحديثة وصلت متأخرة قبل المعركة بشهور معدودة - استطاع الجندي المصري استيعابها واستخدامها في المعركة في أوقات قياسية.

١٦- كان الجندي يعود لأهله في إجازاته الميدانية ويرى كيف تقوم أجهزة الدولة جميعها بالإعداد للمعركة وإعداد مسرح العمليات من طرق وكباري جديدة وخطوط مواصلات وتصنيع معدات وذخائر، شعر أن كل الوطن يعمل خلفه ويأمل في قدرته على رد الكرامة لمصر.

فترة حرب أكتوبر ١٩٧٣

١٧- اقتحام قناة السويس والعبور العظيم :
لا يستطيع إنسان على ظهر الأرض عسكرياً كان أو مدنياً أن ينكر معجزة عبور قناة السويس التي حققها الجندي المصري والتي أعادت لنفسه الثقة والفخر والكرامة للعسكرية المصرية في أول حرب يدخلها بتخطيط وتدريب وتنفيذ مصري مائة في المائة، واسترد نفسيته التي تأثرت كثيراً عبر السنوات الماضية وتحطمت أسطورة الجندي الإسرائيلي الذي لا يقهر وشهد العالم أجمع على عظمة العبور العظيم.

١٨- شاهدت الجندي المصري يثأر لكرامته لا يهاب الموت ، إيمانه بالله والوطن ، شعاره النصر أو الشهادة وكلمة واحدة في أفواه الجنود ، الله أكبر الله أكبر مسلم أو مسيحي جندي أو ضابط ، لا فرق ، الكل يقتحم الجحيم تحت ستر قواتنا الجوية وقصفات المدفعية الرهيبة من فوقهم ونيران الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات على أجنابهم تحميهم من الضفة الغربية للقناة.
كل ذلك تحت حماية قوات الدفاع الجوي التي حرمت الجيش الإسرائيلي من استخدام قواته الجوية.

١٩- واستغل الجندي المصري من المهندسين أعمال قتال زملائه من جنود المشاه والصاعقة الذين اقتحموا القناة وعبروها وبدأ في استخدام قوته وفكره في عمل فتحات في خط بارليف مستغلاً قوة

دفع مدافع المياه .. فكر جديد نعم ،ولكن من الذي نفذ ؟ من الذي تفانى في التدريب ؟ هو ذلك الجندي المصري العريق الذي أنشأ المعديات وأقام الكباري لعبور القوات الميكانيكية والقوات المدرعة إلى سيناء.

٢٠- وهكذا تحقق نصر لم يشهده عصرنا بفضل هذا الجندي الذي خططت له قيادته على كافة المستويات أدق التفاصيل وأمدته بأقصى ما يمكن من الأسلحة والمعدات رغم كل العقبات.

بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ومرور ٢٥ عاماً :

١- شعور بالفخر والنصر والاعتزاز بالجندية - استعاد أرضه في سيناء ودخلها منتصراً يجني ثمار نصره وجهده وعرقه ، مترحماً على زملائه من الشهداء الذين رووا الأرض بدمائهم الذكية ، وأقام المنشآت اللازمة للإعاشة في سيناء كلها ، ودخلها جندي الإشارة ليقيم خطوط المواصلات المختلفة وأصبحت القوات المسلحة الركيزة الأساسية لتعمير سيناء ، طبقاً للمشروع القومي لتعمير سيناء.

٢- تطورت حياة الجندي ومعيشته غرب القناة وطرقها وأنشئت له المدن العسكرية على أحدث طراز وأنشئت لهم أماكن النوم وميسات الجنود ، ولم يكن لنا قبل حرب أكتوبر ٧٣ معسكر واحد متكامل يصلح لإقامة الجنود بل كانوا في الخنادق والملاجئ تحت الأرض وكان أسلوب الحياة شاقاً.

٣- واستمر في التدريب الحديث بالأسلحة الحديثة المتطورة واستمر في التدريب على معداته التي حارب بها محافظاً عليها ، وتطور فكر الجندي الذي أصبح الآن من خريجي الجامعات مؤهلات عليا ، وأصبح له مدة تجنيد محددة بسنة واحدة والمؤهلات المتوسطة لسنة ونصف ، أما الجندي الأقل تأهيلاً علمياً فثلاثة أعوام.

٤- وقضي على الأمية تماماً في القوات المسلحة لمن دخلها وهو أمي بجهود مكثفة، وتهيأت له الفرصة لإتمام تعليمه في مدارس التحرير وما بعدها. بل وخرج الجندي المصري الحديث في فترة تجنيده لمحو أمية المواطنين في بعض المحافظات معلماً وهي تجربة فريدة من نوعها تتم الآن في مصر.

٥- لا مشكلة للجندي الآن في قراءة واستخدام أحدث نظم المعلومات من أجهزة الحاسب والكومبيوتر والآلات الدقيقة المستخدمة في كل الأسلحة والمعدات الحديثة.

٦- وبالإضافة إلى التدريب على كل ما هو ضروري للقتال للجندي المقاتل فقد تمت العناية الكاملة بالتدريب الفني، واستقبل الجندي المتطوع في مراكز ومدارس التعليم الفني بالقوات المسلحة، وتخرج منها جندي فني ماهر قادر على التعامل مع أحدث الأسلحة والمعدات والصواريخ والمركبات والأجهزة الإلكترونية المعقدة ، حتى يتحقق للقوات المسلحة الاكتفاء الذاتي للفنيين لصيانة المعدات والأسلحة وجعلها صالحة للعمل بصورة دائمة.

٧- واكتسب الجندي الفني في أثناء الخدمة العسكرية مهارات عالية ثم خرج للحياة المدنية مدعماً وطنه بقدراته الفنية في المجالات المدنية المختلفة في أكثر من ٢٥٠ مهنة تخصصية.

٨- حتى الجندي المصري الذي دخل القوات المسلحة وهو محدود الخبرة في حرفته أو مهنته ازداد صقله عليها أثناء الخدمة وأنهى خدمته وهو أصلح وأقدر على مزاولة مهنته في حياته المدنية.

٩- ثم ماذا عن الجندي المصري الذي دخل القوات المسلحة وهو لا يملك لنفسه حرفة أو مهنة يتعيش منها ؟ لقد هيأت له القوات المسلحة التدريب المتخصص الفني على أكثر من عشرين مهنة مدنية وتصرف له القوات المسلحة صندوق عدة كاملة عند خروجه إلى الاحتياط حتى يجد لنفسه حياة كريمة وعملاً شريفاً.

١٠-جندي ما بعد أكتوبر ٢٥ عاماً ينعم الآن بالاستقبال المتميز والأسلوب الحديث لاستقباله في مراكز التجنيد وفي مراكز التدريب، حيث يجد المعاملة الكريمة له والإقامة الملائمة.

١١- وقد راعت الدولة ظروف الحياة ، رفعت مرتبه (مصروف الجيب له) إلى المستوى المناسب ليحقق له الحياة الكريمة أثناء خدمته وتزيده عاما بعد عام. وحققت له إمكانية القروض والمنح لحل مشاكله الاجتماعية من صندوق الجلاء. وحققت له العلاج ولأسرته في الحالات الحرجة في أرقى المستشفيات التي أنشأتها القوات المسلحة لخدمته بها أرقى مستوى من الأطباء والمعدات طوال خدمته وتستمر في رعايته بعد الخدمة. وتوفر له الدواء من مصانع القوات المسلحة للدواء محققا له إكتفاء ذاتي.

١٢- وتسعى إدارة الشئون المعنوية لحل مشاكل الجندي وتدبير الحل المناسب لمشاكله العائلية - والعمل على رفع الروح المعنوية ونشر الثقافة له والترفيه بإنشاء النوادي والميسات الخاصة بهم ونشر أجهزة الفيديو والتليفزيون في كل وحدة وإمدادها بالأفلام التعليمية والثقافية والترفيهية حتى يعيش الجندي يومه في التدريب، ويقضي وقت راحته وترتاح نفسه بأن يعيش مع وطنه عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة . وقد خصصت له صحافة خاصة به بجريدة القوات المسلحة اليومية والمجلات العسكرية والصحافة اليومية في جميع الوحدات.

١٣-كما توفر له إدارة الإمداد والتموين كل احتياجاته من مأكل ومشرب من صنع مصانع القوات المسلحة المختلفة التي يعمل بها أيضا الجندي المتخصص موفرا الملابس وأماكن الإيواء والوقود وكافة أنواع التعيينات لزملائه وذلك تخصص آخر اكتسبه من خدمته العسكرية ليعمل بها في القطاع المدني مستقبلاً.

١٤- وبالرغم من العمل والجهد الدءوب طوال العام للتدريب القتالي فهناك اتجاه آخر للجندي المصري من فائض الوعاء التجنيدي أثناء خدمته بالعمل في جهاز الخدمة الوطنية مشاركا في مشروعات التنمية العظيمة بالدولة وكلنا يرى ويشعر بجهد هؤلاء الجنود في إنشاء بعض الكباري في القاهرة وغيرها لحل مشاكل المرور - وهو الذي يعد الكباري المتنقلة للمناسبات الوطنية مثل كوبري الأقصر لتنشيط السياحة وأعمال أخرى مجيدة للمواطن ليس المجال كافياً لسردها. ثم حل مشكلة التليفونات بعد حرب أكتوبر ٧٣ وإنشاء الطرق وخطوط المواصلات وفي استصلاح الأراضي وزراعتها في المناطق المتطرفة، مساهمة كاملة في مشروعات تنمية الدولة.

١٥- أليس الجندي المصري هو أول من شارك في خدمة ومعاونة مواطنيه في مواجهة الكوارث - من زلازل وفيضانات - وأمدهم بالخيام والغذاء والكساء وأنشأ لهم قرى حديثة نموذجية ومدارس ومصانع في الصعيد وساهم في التطوير وتنمية جنوب الوادي مستعدا دائماً في قوافله ومعداته الهندسية العالية الكفاءة لتقديم أي معاونة للدولة في أي لحظة ولأي طارئ خارج إمكانيات القطاع المدني.

١٦- يتم ذلك في أثناء خدمته ثم يخرج بعد خدمته يعمل في مجاله الجديد بعد التعليم والتدريب والخبرة التي اكتسبها في أثناء خدمته - يرفع شأن أسرته ويرفع مستوى حيه وقريته. عاد إليها بإيمان بوطنه مساهما في تنمية وطنه اجتماعيا وبشريا يعمل بروح أكتوبر بالجدية والرجولة.

١٧- ولقد سعت الإدارات الفنية المتخصصة من هيئة التسليح وغيرها في رفع المستوى الفني للجنود المتخصصين الفنيين بخبرة المهندسين الأكفاء بها.

وبعد مرور ٢٥ عاماً من أكتوبر هل نستطيع أن نحدد أعداد العاملين الحرفيين والمهنيين الذين تعلموا في أكبر مدرسة للحياة وهي القوات المسلحة ويعملون في القطاع المدني ؟ وجه سؤالاً لأي فرد سائق

لوري أو أوتوبيس أو تاكسي أو جرار أو بلدوزر أو ...إلخ أين تعلمت هذه المهنة ؟ سيرد عليك أكثر من ٩٠٪ تعلمتها بالقوات المسلحة. كما ترى ذلك حتى عمال إصلاح الأجهزة الإلكترونية الحديثة والعمال على الآلات الحديثة وورش الإصلاح المدنية للسيارات وخلافها ، حتى العامل في الريف سنجده عاملاً على جرار الحرث أو الجر أو موتورات رفع المياه قادراً على إصلاح كافة الأعطال مما تعلمه أثناء الخدمة، وهكذا يساهم في تطوير المجتمع.

وهكذا أينما ذهبت إلى أي مشروع في الدولة بناء أو مصنع أو مجتمع إنتاج وتسأل أين تعلمت فمعظمهم خريج القوات المسلحة.

أما الجندي الذي عاد أو خدم في وظيفة في الدولة فهو شخص آخر تعود على الانضباط على روح الفريق، على الصدق وعدم الأنانية، على طاعة رؤسائه واحترامهم، وهو في صحة جيدة، وهذه هي روح أكتوبر التي غرست في جنود مصر في حرب أكتوبر ٧٣، وتناقلتها أجيال بعد أجيال.

هذا الجندي المصري رغم عمله المدني ورزقه الواسع فهو مستعد في أي لحظة أن يتلقى طلباً باستدعائه لوحدته للتدريب معها في مشروعاتها المتخصصة أو التكتيكية طوال مدة بقائه في خدمة الاحتياط للمحافظة على مستواه التدريبي وكفاءته لفترة محددة.

مصر قوية برجالها في الخدمة العاملة ، جاهزة لدعوة احتياطيها الضخم إذا دعا الداعي، فلتسعد مصر برجالها.

لقد لخصت في عجالة تطور حال الجندي المصري الذي عاصرته من عام ١٩٤٨ إلى ما بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وبعد مرور ٢٥ عاماً على تلك الحرب أشعر أنه الآن - أصلب عوداً وأقوى سلاحاً وأشد إيماناً بنفسه وبقيادته التي لا تألو جهداً لرفع شأنه والعناية به، وتوفر له أحدث الأسلحة والمعدات والمركبات رغم ارتفاع أسعارها وتكاليفها، ولكن الشعب كله وبعد نصر أكتوبر العظيم ومع قيامه بمشروعات التنمية الشاملة يؤمن أنه الأمين على حمايته والدفاع عن أمواله ومشروعاته الجديدة، ولا أمن للشعب دون قوات مسلحة قوية رادعة لأي محاولة للمساس بالوطن. وهو يعلم مدى تضحية الشعب بذلك ويحرص على صيانة معداته وأسلحته والمحافظة عليها حرصه على روحه وحياته.

تكلمت عن الجندي المصري فهو أساس المجتمع المصري وتساهم الدولة في تأمين حياته وأسرته في حالة استشهاده أثناء القتال أو التدريب ونحن نرى دائماً ماذا تفعل الدولة والقوات المسلحة من تقديم المعاشات للشهداء ورعاية كاملة وشاملة لأبناء الشهداء. أليس هذا كافياً لكل مؤمن أن يقدم روحه فداء لوطنه إذا دعاه ؟

هذا هو الجندي المصري اليوم وبعد ٢٥ عاماً من حرب أكتوبر ١٩٧٣.

الضابط المصري:

لقد ركزت في هذا المقال على الجندي المصري ولن أنسى الضابط المصري الذي بذل كل الجهد ليقدم لمصر إنتاجه من الجندي المؤهل لخدمة مشروعات التنمية، فهو الذي دربه وعلمه ورعاه صحياً وقتالياً، وسهر على تجهيز مشروعات التدريب المختلفة له ورفع مستواه الفني والتخصصي، وأشرف على أعماله وخطط لها.

وذلك الضابط الذي يقضي كل حياته العسكرية في التعليم والتدريب على كل ما هو حديث. يقضي حياته في اختبارات للترقي ودورات تأهيلية لكل سلاح حديث ولكل فنون الحرب من الكلية الحربية

إلى أن يتخرج من كلية القادة والأركان - ويتولى أعلى القيادات بعد تأهيله في أكاديمية ناصر العسكرية العليا - ويخرج إلى الخارج في البعثات التدريبية والتعليمية للضباط المقاتلين والمهندسين والأطباء وغيرهم من كافة التخصصات ويحصلون على أرفع الدرجات العلمية من الجامعات المصرية والجامعات بالخارج في درجات الماجستير والدكتوراه وما بعد الدكتوراه ويحضرون المؤتمرات العلمية ويقومون بتعديل الأسلحة والمعدات وتقديم الابتكارات للتصنيع الحربي. والضابط المصري تعلم العقائد القتالية المختلفة وأصبح له عقيدة قتالية مصرية اختبرها وجربها وانتصر بها وطورها للمستقبل، ودائماً سيكون منتصراً بإذن الله بإيمانه بوطنه وقادته وقيادته العليا، وبعد انتهاء خدمته العسكرية يقدم خدمته وخبرته الطويلة في قطاعات الدولة المختلفة أو المشروعات الخاصة بروح أكتوبر التي آمن بها مساهمة في التنمية الشاملة للوطن.

الخاتمة:

وهكذا يظهر لنا الأثر الواضح للجندية المصرية في تطوير المجتمع المصري. والحديث عن القوات المسلحة ومساهمتها وما تقدمه للوطن كثير وكثير لا يتسع الوقت لسرده.

وأختتم كلمتي بقول مأثور للرئيس حسني مبارك رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة: «إن رجال القوات المسلحة البواسل يثبتون كل يوم أن العسكرية المصرية هي المدرسة العليا للوطنية وعرين الأبطال ومصنع الرجال في كل العصور.»

الورقة الرابعة:

عبور المشاكل الاجتماعية

أ.د. محمود عودة

أستاذ علم الاجتماع ونائب رئيس جامعة عين شمس

المقدمة:

١- ليس ثمة شك في أننا ننتمي إلى جيل تفتح وعيه على أحلام عظيمة وآمال كبيرة، وعايش حقبة من التاريخ مشحونة بالأحداث والتطورات، والانتصارات والانكسارات على مختلف الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والاستراتيجية، وشكلت تلك الأحداث والتفاعلات بناءنا النفسي، بصورة ربما لم تعرفها أجيال سابقة، أو لاحقة، حيث امتزج العام بالخاص، واختلطت الذاكرة الفردية بالذاكرة الجماعية، والتاريخ الشخصي بالتاريخ الوطني، والتنشئة الاجتماعية بالتطور الوطني على الأصعدة السياسية والاستراتيجية ولذلك كله أضحى لكل حدث وطني وقومي دلالة نفسية وشخصية. تفتحت أعيننا، صغارا على ثورة يوليو، بأهدافها وتطلعاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والوطنية والقومية، وانفعلنا يافعين بإنجازاتها وانتصاراتها والإصلاح الزراعي، بداية العمل من أجل تغيير الواقع الاجتماعي في الريف المصري بخاصة، والمجتمع المصري عامة، وتأميم قناة السويس، وإحباط أهداف العدوان الثلاثي والتحول الاجتماعي في اتجاه تجاوز التخلف وتحقيق العدل الاجتماعي، فضلا عن الإنجازات القومية والدور المتعاظم في حركة التحرر الوطني الذي هيأ لمصر مكانا مرموقا على الصعيد الدولي، ودورا فاعلا في عالم مستقطب بين قوتين عظيمتين ويسوده مناخ الحرب الباردة وعلاقاتها. عشنا يافعين وشباباً عصراً من الإنجازات والأحلام الوطنية والقومية الكبرى، تبلورت فيه بصورة واضحة خريطة الآمال والأهداف، فضلا عن خريطة المصالح والتحالفات التي تحدد أنماط المصالح والتحالفات، والأعداء والأصدقاء على ضوء المصالح الوطنية والقومية. وليس ثمة شك في أن إنجازات كبرى قد تحققت على مختلف الأصعدة وبخاصة الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، ساهمت في إعادة تشكيل الخريطة الاجتماعية، والتوزيع العادل لفرص

الحياة، ومواجهة الاحتياجات الأساسية للناس في الغذاء والمسكن، والعلاج والتعليم وغير ذلك. لقد جنى جيلنا جانبا من ثمار هذه التحولات والإنجازات، وتحمل في الوقت ذاته الكثير من أعبائها وتبعاتها. ولكنه في جميع الأحوال توحد بها، وتفاعل معها، وتغنى بشعاراتها وطرب ومازال لأناشيدها وأغانيها، وحين يختلط العام والخاص، التاريخ الوطني والقومي، التاريخ الشخصي، الذاكرة الفردية والذاكرة الجماعية، يتجلى الانتماء في أبهى صورة، هكذا كان جيلنا عشية نكسة ١٩٦٧، شبابا متوحدا مع قضايا الوطن والأمة وأهدافها وتطلعاتها وفي هذا السياق القومي والوطني والسياسي والاجتماعي والسيكولوجي تقع الواقعة في يونيو ١٩٦٧، وليس ثمة مجال لمعاودة الحديث عن آثارها القومية والوطنية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وسيكولوجيا في مناسبة نحتفل فيها بتجاوز هذه الواقعة والانتصار عليها، لكن الحقائق تتكشف عن ان «الفرصة لم تسنح للقوات المصرية للقتال. فقد تم حشد هذه القوات في سيناء بطريقة مظهرية وبعيدة عن أي أصول حربية، كما لم توضع لها أية خطة، أو تحدد لها أية أهداف استراتيجية. بل فرضت عليها أوضاع خاطئة تخالف كل المبادئ والأصول التكتيكية ... وكان للانتصار الخاطف الذي أحرزته إسرائيل في حرب يونيو ١٩٦٧ تأثير كبير على كل من العرب والإسرائيليين، ورغم أن هذا الانتصار كان يرجع في الدرجة الأولى إلى الأخطاء التي ارتكبتها بعض القيادات العسكرية العربية، وليس إلى مقدرة الجيش الإسرائيلي وبراعته، فان إسرائيل أثملها النصر وآمنت بأوهام لم تلبث أن أصبحت بالنسبة لها حقائق ثابتة ومعتقدات راسخة، من بينها أسطورة التفوق النوعي الإسرائيلي على العرب وجيشها الذي لا يقهر وذراع إسرائيل الطويلة القادرة على سحق أعدائها العرب... إلخ. فضلاً عما كانت تردده عن تلك الفجوة الحضارية الواسعة التي تفصل بينها وبين العرب والتي تحتاج لعدة قرون حتى يستطيع العرب الاقتراب منها(١).

٢- وفي الوقت ذاته أخذ الباحثون الصهاينة يروجون على أسس علمية زائفة للتفوق الأسطوري للإسرائيليين في مقابل عقلية عربية دونية متخلفة تعجز الإنسان العربي عن اللحاق بالعصر والأخذ بأسباب التطور والحداثة ، وتتمثل هذه العقلية العربية في الارتباط الشديد بالماضي والتمسك به، والارتكان إلى التقاليد الجامدة، والاستسلام لما هو قائم، وفقدان الرغبة في العمل على تغييره، وفقدان المثابرة وترديد الأقوال والشعارات دون الأفعال وفقدان المبادرة وحتى الانفصام العقلي(٢).

٣- والحقيقة أن الأمر لم يتعلق فقط بالباحثين وعلماء الاجتماع والانتربولوجيا من الصهاينة، بل أن جانبا كبيرا من العلماء والمفكرين العرب والمصريين ، قد أخذوا بالواقعة، وأضحوا فريسة للإحباط والاكتئاب قد أخذوا ينشرون عن نقائص العقل العربي والشخصية العربية بعامة، والعقل المصري والشخصية المصرية بخاصة التي تعوق الدخول إلى عالم الحداثة، وتحقيق إنجازات وانتصارات حقيقية. فمن يراجع عددا خاصا من مجلة «الفكر المعاصر» القاهرية ، صدر في إبريل عام ١٩٦٩ عن الشخصية المصرية (شارك فيه كاتب هذه الورقة) سوف يلاحظ بصورة جلية، كيف تطغي التحليلات السلبية للشخصية المصرية وكيف تبرز الصفات والخصائص غير الملائمة للعصر ومن ثم التي تصيب الإنسان المصري وتسمه بالعجز عن الفعل، ومن ثم الاستسلام للواقع على النحو ذاته الذي عالج به الباحث الصهيوني «رافائيل باتاي» قضايا العقل العربي.

٤- وتظهر على الصعيد العربي مجموعة من الدراسات التي تسير في الاتجاه ذاته، نقد العقل العربي لمحمد عابد الجبري، ونقد الفكر الديني لجلال صادق العظيم، وغير ذلك من الكتابات، التي تركز على سلبيات العقل العربي، وعجزه عن التفاعل مع الواقع المعاصر ومع متطلبات الحداثة.

٥- ولم يكن الفن والأدب والشعر ببعيد عن أن تعكس هذه الحالة من الاكتئاب «السياسي العام» والإحساس بالعجز والدونية إلى المدى الذي نستطيع ان نقول فيه ان ثمة تجاوزاً قد حدث من مجرد «نقد الذات» إلى «جلد الذات» وتعذيبها، من منا لا يذكر قصيدة نزار قباني «هوامش على دفتر النكسة»، والبيت الشهير الذي يقول «لقد لبسنا قشرة الحضارة والروح جاهلية».

من الانكسار إلى الانتصار أو «المعجزة البشرية» :

٦- على الرغم من التحليل العلمي والاستراتيجي «البارد» لأحداث السادس من أكتوبر، وعلى الرغم من اختلاط مشاعره وموقفه من الرئيس «السادات» على المستوى الشخصي بمشاعره وموقفه من ذلك الحدث الجليل «عبور السادس من أكتوبر»، يشير «محمد حسنين هيكل» في كتابه «أكتوبر ١٩٧٣السلاح والسياسة » إلى أن كل ما رآه أمام عينيه (يقصد السادات) أثناء وجوده في مركز القيادة رقم (١٠) وبعد خروجه منه -تجربة أسطورية وكان يمكن رد ما بدا أسطوريا إلى أسباب عقلانية وعلمية :

أ-أولها، أنه كان هناك وطن وأمة وقعا معا تحت ضغوط هائلة وصلت إلى تفجير النواة الداخلية الصلبة لمعدن الوطن والأمة، وبالتالي فان طاقة يصعب تصورها أفلتت من عقالها، واندفعت شحناتها -كما يحدث في أي تفجير نووي- تهاجم ذرات أخرى وتكسرها وتطلق شحناتها ثم تصل قوة الفعل المضاعف، وردود الفعل إلى خلق قوة جبارة لم يكن أحد يتخيل وجودها في نواة ذرة.

ب-وثانيها، أن التجارب المريرة السابقة -وعلى قمتها تجربة ١٩٦٧- علمت كثيرين وبالذات في القوات المسلحة المصرية ان العلم، والتخطيط على أساسه هما وسيلة العصر لتحقيق أي هدف. وهكذا فان عملية إعادة البناء التي بدأت مباشرة غداة نكسة ١٩٦٧ استطاعت ان تخلق حقائق جديدة في مقدرة الفكر والتحضير والفعل، وبالتالي امتلكت القوات المسلحة كفاءة تمكنت بها من إحداث نقلة نوعية في أساليب أدائها بالسلاح أمام عدوها.

ج-وثالثها، أن الكم الإنساني (جيش المليون) -استطاع ان يوفر لنفسه حجما من الكيف (كان في جيش المليون قرابة مائة ألف من حملة الشهادات المتوسطة والعليا) له وزن أضيف إلى إدارة المقدرة والفعل، وكانت نتيجة تلاحم العنصرين معا : عنصر الكم وعنصر الكيف-تحقيق ما يمكن وصفه بأنه معجزة.

د-ورابعها، أن إسرائيل لأول مرة في حياتها -فوجئت بعمل عربي أخذ في مده زمام المبادرة.

هـ-وخامسها أن القوات المصرية كانت لأول مرة في عملية تستهدف تحرير أرضها وقد طالت معرفتها وألفتها مع الخطة، خدمة وتدريبا ومناورة على عملية التحرير...

و-وسادسها، أن التفجير الذري الذي جرى في أعماق الشعب المصري، وأطلق شحناته الهائلة كان له مثيله فيما حدث لشعوب عربية أخرى...إلخ(٣) .

٧- وفي تحليله لإيجابيات حرب أكتوبر من حيث الاستراتيجية الأساسية يؤكد «هيكل» على الشجاعة والقدرة على اتخاذ القرار وأن مستوى التخطيط العلمي والعملي للمعركة كان دقيقا وكان ممتازا وقد استطاع في الأيام الأولى للقتال ان يحقق هدفا استراتيجيا، لا يختلف أحد، وأولهم «هنري كيسنجر» على أهميته وهو كسر نظرية الأمن الإسرائيلي .

٨- ويؤكد «هيكل» على أن «تغيراً هائلاً ظهر في المعارك منذ اللحظة الأولى، وهو مستوى الجندي المصري بالذات، والجندي العربي بصفة عامة. فالحرب في الظروف التي نشبت فيها تفجرت عن طاقة إنسانية لم يكن أحد يحسب لها حساباً، أو يخطر بباله أنها موجودة على هذه الدرجة من الاقتدار».

من معجزة الحرب في أكتوبر ٧٣ إلى محاولة العبور الاجتماعي نحو استلهام بعض ملامح استراتيجية أكتوبر في محاولة لبناء نموذج في عبور التخلف الاجتماعي:

٩- لقد برهن الانتصار العظيم في أكتوبر ٧٣ على كفاءة وفاعلية مجموعة من العناصر الأساسية شكلت الاستراتيجية التي قادت إليه ، وأبرز هذه العناصر دون شك التخطيط العلمي الذي ينطوي على تشخيص دقيق للظروف والقضايا ، وتحديد دقيق للأهداف المرحلية «التكتيكية» والبعيدة المدى «الاستراتيجية» ، وترتيب دقيق للأولويات والبدائل، وتعيين لوسائل بلوغ الأهداف وآليات تحقيقها، وتعبئة لكافة الإمكانات الخلفية، بتجاوز العقبات والعوائق والهجوم المباشر على الأهداف الموضوعة. فضلاً عن إثارة الهمم والعزائم، وتعبئة الموارد البشرية والمادية والذهنية، وتهيئة كافة الظروف التي من شأنها إطلاق القوى الكامنة في البشر، بوصفهم الآلية الأساسية لتحقيق الأهداف المرجوة. لقد أكد كل من كتب عن حرب أكتوبر على الطابع العلمي العقلاني للتخطيط لها وإدارتها، وعلى التحول النوعي في وسائلها وآلياتها وبخاصة ما يتصل بالتحول النوعي الذي طرأ على الجندي المصري حين هيئت له فرص المبادأة، والمشاركة، والتدريب، والإبداع والابتكار. ولا شك ان هذه الاستراتيجية قد انطوت أيضا على دراسة علمية لإمكانات العدو (وهو الهدف الرئيسي) وردود فعله، وأنماط استجابته وهو ما لم يتوافر في حرب سابقة معه.

١٠- والحقيقة ان هذا الإنجاز العظيم الذي يعكس انتقالا إلى عالم الحداثة بالتخطيط والعلم والعقلانية والقدرة على استخدام تكنولوجيا العصر ،والإبداع في وضع حلول غير مسبوقة وغير متوقعة (مثلا استخدام المياه في اقتحام خط بارليف)، هذا الإنجاز العظيم ما يزال وبعد خمسة وعشرين عاماً، جرت فيها مياه كثيرة، وتغيرت جوانب كثيرة من الحياة المصرية على الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، يطرح الكثير من التساؤلات حول الظروف التي ما تزال تعوق مسيرة التنمية الاجتماعية، وتحتفظ بما يمكن تسميته « بجزرالتخلف» تقاوم التطور الاجتماعي وتظل بؤراً لتفريخ الكثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؟

١١- كيف لمجتمع تمكن تحت ظروف معينة من اقتحام أعصى الموانع الطبيعية والعسكرية باستخدام أدوات العصر من علم وتكنولوجيا وتخطيط وإدارة علمية، أن يظل أداؤه غير كاف في مواجهة مشكلات مثل الأمية، والعشوائية، وقصور الخدمات التي تؤثر مباشرة على نوعية الحياة وعلى نوعية القوى العاملة بصفة خاصة.

١٢- ويكتسب هذا السؤال شرعيته استنادا إلى مجموعة من الحقائق ، لعل من أبرزها الحقيقة التاريخية التي تؤكد ان الجيش والقوات المسلحة المصرية كان دائما وعلى طول التاريخ بمثابة قاطرة التقدم الذي يجر وراءه المجتمع بأسره. لقد ارتبطت فترات الازدهار الحضاري على طول التاريخ المصري، بدور رائد للقوات المسلحة، ليس فقط على الصعيد العسكري، وإنما على الأصعدة العلمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، إذ كان الجيش دائماً عماداً لقوة الدولة، والدولة القوية في التاريخ المصري، والمستندة إلى جناحين عسكري، ومدني، والفاعلة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية كانت دائماً شرطاً ضرورياً ولازماً لبناء الحضارة، هكذا كانت الحضارة المصرية في كافة عصورها الذهبية، من العصور الفرعونية، إلى العصور الحديثة، بدءاً بمحمد على مؤسس مصر الحديثة، حيث ارتبطت سياسة النهضوية في كافة مجالاتها ببناء جيش مصري قوي وحديث، إذ تطلب هذا الهدف محاولة نقل المجتمع المصري بأكمله إلى العصر الحديث، العناية بالتعليم وتأسيس المدارس العليا، والترجمة، والبعثات، والتصنيع، وحتى تحديث الزراعة ببناء الجسور وشق الترع والقنوات، وإدخال

محاصيل حديثة، لقد ارتبط ذلك كله ببناء قوات مسلحة حديثة وتلبية متطلباتها واحتياجاتها، وتهيئة الظروف المادية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية الملائمة لها.

١٣- وارتبطت الحقبة الناصرية أيضا بدور قائد للقوات المسلحة إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة، حيث أن مصر الناصرية كانت والى حد كبير مجتمعا يبنيه ويقوده العسكريون، الذين لعبوا دورا وطنيا على مر التاريخ.

١٤- أن هذا الدور التاريخي والوطني والتحديثي للجيش المصري، قد كرسه بوصفه «الوعاء الذي تنصهر في بوتقته كل فئات المجتمع من كافة الطبقات والمستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية (٤).

١٥- ومما يؤكد مشروعية هذا التساؤل أيضاً، ان القوات المسلحة المصرية ما تزال تلعب أدواراً مباشرة في مجال التنمية الاجتماعية بمفهوميها الشامل والجزئي، بدءاً من دورها الدافع والمحرك للتطور التكنولوجي والبحث العلمي ودورها الثقافي والتعليمي للمجندين وغيرهم، ودورها في تنمية القوة البشرية، وتدريبها، إذ يتخرج الآلاف من المجندين سنويا بعد أدائهم للخدمة العسكرية على غير ما التحقوا بها ودخلوا إليها، تعليميا وثقافيا ومهنيا، ناهيك عن البعد الصحي والفيزيقي وغير ذلك. (قدرهم البعض بمائة ألف مهني وحرفي وسائق يتخرجون سنويا من القوات المسلحة)، وذلك إضافة إلى الأدوار الملموسة للقوات المسلحة في مجالات الأمن الغذائي والبناء والتشييد والخدمات الصحية والتصنيع العسكري والمدني، والمشروعات القومية العامة (مشروعات الطرق والمواصلات والتليفونات والنقل واستصلاح الأراضي وغير ذلك).

لم تكن القوات المسلحة في التاريخ المصري قاطرة للتقدم والنمو فقط، بل مشاركة فعالة فيه وما تزال. ومن هنا تتعاظم أهمية التساؤل المطروح وتتأكد مشروعيته.

١٦- لعلنا تعلمنا من حرب أكتوبر، ان مواجهة الحقائق والاعتراف بها، ودراستها ورصدها والاستعداد والتهيؤ العلمي والعملي لمواجهتها هي الطريقة العلمية الوحيدة لتجاوز المشكلات. إن الاعتراف باستمرارية عدد من المشكلات الاجتماعية، وربما تفاقم بعضها، واستمرارية عدد من مظاهر التخلف الاجتماعي، ومصادر تفريخ الكثير من التوترات والصراعات والتناقضات، والاعتراف بأن ثمة غياباً نسبياً لروح أكتوبر في مواجهة تلك المشكلات والمظاهر، هو خطوة أولى ضرورية لتشخيصها، والتخطيط لعلاجها وتعبئة كل الإمكانات المتاحة وتوظيفها من اجل تحقيق الهدف النهائي المتمثل في تجاوزها وعبورها.

١٧- إن هذا الاعتراف وهذه الرغبة والضرورة في استلهام روح أكتوبر وملامح إستراتيجيته، لا يعني النظرة بالغة التشاؤم التي يعكسها حوار «محمد حسنين هيكل» مع «جمال حمدان» في مقدمة كتابه «أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة« حين يقول »..لكني لا أستطيع ان أنكر بعض ما أراه على نحو ما تساورني هذه اللحظة هواجس : لست متأكداً ان هذا المكان عارف بموقعه وموضعه، واثق من هويته، أو واثق من دوره في محيطه الذي هو قطعة منه ؟ لست متأكدا ان هذا المكان قائد - حيث تؤهله الجغرافيا والتاريخ ان يقود ؟ لست متأكدا انه الملهم، والنموذج، والمثال. لست متأكدا انه العالم والمعلم والمفتي والمجتهد، لست متأكدا أنه المبدع، والمصور، بل لست متأكدا أنه المطرب والمغني. قصارى ما يمكن ان يجيئك إذا مددت سمعك دقات طبول بدائية وغريزية تكرر نفسها، تعطيك إحساسا موحشا بأن الحقول الخضراء تتراجع أمام عملية تصحر بطئ، ولكن خطاه منتظمة ومتتالية، كأنه على موعد يقصد إليه بنشاط رتيب ، هناك على حافة الدنيا وعلى حافة العصر(٥).

١٨- لا تستطيع ان تذهب إلى مثل هذا الحد من التشاؤم الذي يتجاهل الكثير من الإنجازات على مختلف الأصعدة والعديد من المشروعات القومية الكبرى التي تعمل من أجل بناء مصر جديدة، لكن ذلك لا يعني أيضا أن نتجاهل العديد من مظاهر التخلف القائمة، أو أن نتجاهل ضرورة وضع استراتيجية لتجاوز هذا التخلف على الصعيد الاجتماعي، تستند إلى المصارحة والمكاشفة والعلم والتخطيط، استلهاماً لروح أكتوبر واستراتيجيته. والدعامة الأولى التي تقوم عليها مثل هذه الاستراتيجية هي التشخيص الدقيق والصريح للظروف المراد تغييرها، والمشكلات المستهدف تجاوزها وعلاجها. والتشخيص الدقيق للظروف والأوضاع المستهدف من خلال تحديد دقيق للأهداف التي تسعى إلى تحقيقها والوصول إليها، وتشخيص موضعي للمعوقات والعقبات التي يمكن ان تعوق عملية تحقيق الأهداف وتطوير للآليات والوسائل الملائمة لتحقيق هذه الأهداف ، وتعبئة للإمكانات المادية والفنية والعلمية والبشرية اللازمة، وتحديد مراحل التنفيذ والعمل على ضوء ذلك كله، وأخيرا يأتي عنصر المتابعة الدقيقة والتقييم المستمر لكم الإنجازات ونوعها.

١٩- وفي هذا الصدد يمكننا أن نميز بين رؤيتين أو تصورين أساسيين للتنمية، أولهما، ذلك التصور الشمولي الذي يفهم التنمية الاجتماعية بوصفها عملية شاملة تستهدف تغيير المجتمع بكافة قطاعاته الريفية والحضرية وبكافة فئاته وشرائحه وطبقاته، من خلال استراتيجية شاملة للتخطيط القومي المركزي غالباً، على الأقل عند مستوى رسم الخطط ووضعها، حيث تلعب الدولة في هذا المجال دوراً أساسياً، من خلال التعرف على الموارد القومية، والاحتياجات القومية، تحديد أهداف التنمية. وقد ارتبط هذا التصور بمفهوم مركزي للتخطيط والتنمية ينطلق غالبا من إطار أيديولوجي يبرز سلطة الدولة أو المجتمع وسيطرتها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

٢٠- وجدير بالذكر أن هذا التصور هو الذي ساد معظم دول العالم الثالث إبان حقبة التحرر الوطني التي سيطرت فيها أفكار متصلة بجدوى وأهمية الطرق «اللارأسمالية» للتنمية، والتي وصلت إلى أوجها في عقد السبعينات الذي عرف بعقد التنمية.

٢١- وقد مثلت حقبة الخمسينات والستينيات في مصر هذا التصور العام للتنمية أصدق تمثيل، إذ وصفتها بأنها تطوير للقوى المنتجة من ناحية، والعلاقات الاجتماعية، وبخاصة علاقات التملك والتوزيع من ناحية أخرى.

٢٢- ورغم الخلافات الأيديولوجية في مجال تقييم هذه الحقبة في مصر، فثمة إجماع على إنجازاتها وبصفة خاصة في تحسين ظروف وأوضاع العلاقات الإنتاجية في الريف المصري، وتبني خطط اقتصادية واجتماعية طموحة، ربما أخفق بعضها في تحقيق أهدافه أو بعضها، لكن التحسن في مواجهة الاحتياجات الأساسية للناس، العمل، التعليم، السكن، الصحة وغير ذلك، يصعب إنكاره أو تجاهله وذلك رغم بعض مظاهر الإخفاق أيضا التي تمثلت في استمرار تخلف القوى المنتجة، ومشكلات الخدمات وعدم كفاءتها واستمرار ارتفاع نسبة الأمية بصفة عامة، وغير ذلك.

٢٣- أما التصور الثاني للتنمية فانه يستند إلى مفهوم جزئي لتنمية وتطوير قطاعات ومجالات بعينها (المجتمع المحلي - المرأة - القوى البشرية - العشوائيات) وغير ذلك. ويستند هذا التصور الجزئي إلى إطار أيديولوجي ليبرالي يركز على الدور الأعظم للمشروع الخاص، والمبادرات الفردية وقوى السوق، والمشاركة الشعبية، أو بمعنى أدق مشاركة الناس في حل مشكلاتهم، واستثارة وعيهم بهذه المشاكل والجهود الذاتية، ودور المنظمات غير الحكومية. ويفترض هذا التصور دوراً محدوداً للدولة يناسب دورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بصفة عامة في الحقبة الليبرالية.

٢٤- لقد شهدت نهاية السبعينات إخفاق كثير من المشروعات التنموية الطموحة التي تبنتها دولة التحرر الوطني والطريق اللارأسمالية للنمو في مختلف أنحاء العالم الثالث ووصل هذا الإخفاق إلى ذروته في أواخر الثمانينات بسقوط المنظومة الاشتراكية وفلسفاتها، والتحول إلى «نظام عالمي جديد» تسيطر علية السوق العالمية الرأسمالية سيطرة كاملة ومطلقة، وينعكس ذلك كله على الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في صورة عولمة الاقتصاد، وعولمة القيم، وعولمة الثقافة، من خلال آليات متعددة مثل المؤسسات المالية الدولية وتوصياتها بإعادة الهيكلة الاقتصادية والخصخصة، وانسحاب الدولة أو على الأقل تحديد دورها عند حده الأدنى في مجمل الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وإطلاق قوى السوق ورفع الدعم، وتحرير السياسات الاقتصادية وتقليص وظائف الدولة في مجال السياسة الاجتماعية بصفة عامة، واتفاقات التجارة الدولية. هذا فضلا عن الآليات الثقافية لعولمة القيم والعادات الاجتماعية وثورة الاتصال والمعلوماتية والأقمار الصناعية والقنوات الفضائية والإنترنت، والملتي ميديا وغير ذلك.

٢٥- لقد جرت وتجري مياه كثيرة في نهر التطورات العالمية والمحلية منذ نهاية السبعينات، تبعث من جديد هذا المفهوم الليبرالي للتنمية، ورغم الاختلاف البين بين المفهومين، الشمولي والليبرالي، والذي يعكس اختلافات أيدلوجية كبرى، فإن ثمة أبعاداً لأي مفهوم للتنمية وبصفة خاصة في العالم الثالث لا يمكن الاختلاف حولها، منها أن هدف التنمية ينبغي أن يكون الإنسان، حياته وطموحاته واحتياجاته الأساسية، سواء تحقق هذا الهدف بجهود حكومية أو شعبية أو مشتركة، أي أن التنمية ينبغي أن تتجاوز الاختلافات الأيدلوجية لتصبح أيديولوجيا في حد ذاتها، وبصفة خاصة في عالمنا الثالث حيث ما تزال قطاعات أساسية من سكانه دون الحدود الدنيا من إشباع الاحتياجات البشرية الأساسية، وان هدف التنمية ينبغي أن يفهم بوصفه «هجوما انتقائيا على أكثر أشكال الفقر سوءاً». و «الخفض المتزايد والإلغاء الفعلي لسوء التغذية والمرض والأمية والفقر المدقع والبطالة ومظاهر عدم المساواة».

إن هذا التصور للتنمية بوصفها تحسينا لنوعية الحياة إنتاجا، وتوزيعا، وتعظيما لمواجهة الاحتياجات الأساسية للناس وإشباعها عند الحدود المقبولة إنسانيا هو التصور الذي ينبغي ان يوجه أي استراتيجية لعبور التخلف الاجتماعي.

ويمكننا أن نضيف مجموعة من المبادئ الهامة الضرورية لهذه الاستراتيجية فيما يلي:

أ-إن الإصلاح الاقتصادي لا يعنى إطلاقا انسحاب الدولة من أدوارها الإيجابية فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وعليها أن تقنع الناس بأنها وأجهزتها تهدف إلى خدمتهم وتنمية أوضاعهم وتحسينها وترقية نوعية حياتهم، عليها أن تبرهن على استمرار دورها الجماعي ودورها فى تطوير البنية الأساسية وصيانتها، وتنمية القوى المنتجة وتبنى سياسة اجتماعية تقوم على أساس التوازن الاجتماعي، وضمان الحاجات الأساسية ودعمها (وهى وظائف تحرص عليها اشد الحرص الدولة فى المجتمعات الرأسمالية المتقدمة بينما تدفع الدول فى العالم الثالث إلى التخلي عنها تحت شعار الإصلاح الاقتصادي) كما أن عليها أن تبرهن على جدية دورها فى مجال عدالة توزيع فرص الحياة من خلال سياسة عادلة للضرائب التصاعدية وسياسة حازمة فى تحصيلها وتعبئتها.

إن المواطن العادي اصبح غير معنى بمن يملك الثروة بقدر ما هو معنى بأن يعيش مستوى لائقا وإنسانياً من الحياة، عليها أن تؤكد دورها فى دعم الشرائح البسيطة والفقيرة من توحش قوى السوق من خلال آليات متعددة ما تزال تحافظ أعتى الدول الرأسمالية عليها كدعم الزراعة وحماية الأسعار

من تقلبات السوق وإثارة الأنشطة التعاونية غير الحكومية فى مواجهة التطورات الجديدة فى حقبة الإصلاح الاقتصادي.

ب-إن هذه الأدوار المتغيرة والمفترضة للدولة فى هذه الحقبة يمكن أن تلعب دوراً فى تغيير الأنماط الثقافية والقيمية المكرسة للتخلف والعزوف عن المشاركة على مختلف الأصعدة.

ج-التعامل مع تنمية ومواجهة بعض جزر التخلف ومظاهره بوصفها مشروعا قوميا أساسيا تكرس له كل الجهود ، الحكومية والأهلية، الرسمية والشعبية من خلال وضع مخطط إستراتيجي علمي يشارك فيه كافة القطاعات والهيئات والمنظمات على اختلاف انتماءاتها.

د- الهجوم المباشر على ثقافة القهر والفقر ونتائجها على الصعيدين الاجتماعي والسيكولوجي من خلال التحسين المستمر فى ظروف الحياة من ناحية والهجوم غير المباشر من خلال وسائل الإعلام والإنتاج الفني على نتاج هذه الموروثات الثقافية من فردية وسلبية وأنا ملية ، وانسحاب ، وغير ذلك من أنماط السلوك والفعل السلبية.

ويظل السؤال قائما ومطروحا للمناقشة كيف يمكن تحويل هذه التصورات والمبادئ إلى واقع فعلى ، إلى حركة اجتماعية لعبور التخلف استلهاما لروح أكتوبر، التي تلخص روح العلم والتخطيط والإرادة الإنسانية.

المراجع:

(١) جمال حماد: المعارك الحربية على الجبهة المصرية:حرب أكتوبر ٧٣،العاشر من رمضان.الزهراء للإعلام العربي.١٩٨٩.ص ص١١-١٢.

(٢) راجع حول ذلك: سمير نعيم أحمد: حرب أكتوبر وبناء الإنسان المصري الحديث.بحوث ودراسات ندوة أكتوبر، مطبعة جامعة عين شمس. القاهرة. ٢٢-٢٣ أكتوبر ١٩٧٧.ص ص١٤١-١٤٢.

(٣) محمد حسنين هيكل: أكتوبر ٧٣: السلاح والسياسة.مركز الأهرام للترجمة والنشر. القاهرة.١٩٩٣.ص ص(٣٥٣-٣٥٥)-ص ص(٥٧٩-٥٨٠)

(٤) محمد شفيق زكي: العلاقة بين القوات المسلحة والمجتمع وأسلوب تطويرها وتعميقها. سلسلة دراسات عن الشرق الأوسط. مركز بحوث الشرق الأوسط. جامعة عين شمس.القاهرة. ١٩٨٦.

(٥) محمد حسنين هيكل: السلاح والسياسة. ص١٠.

التعقيب على الجلسة الأولى :

أ.د. عبد المنعم سعيد

مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ـ الأهرام

لدى كلمتان عن كل ورقة، ورقة اللواء «عبد الغفار حجازي» وورقة الدكتور «محمود عودة ». وفى الحقيقة بالنسبة للورقة التى تعلقت بالجندية المصرية لفت انتباهي أن معظم التراث الموجود عن حرب أكتوبر، هناك تركيز على فكرة المفاجأة والمبادأة العربية فى هذه الحرب، وأنها جاءت أساسا من نقص شديد فى الإدراك الإسرائيلي والأمريكي لفهم موضوع توازن القوى الموجود فى المنطقة لأنهم لم يتوقعوا الحرب بسبب حساب عملية التسليح الإسرائيلية والتسليح العربية فى هذه الحرب، ولكن الآن بعد كشف كثير من الوقائع، نجد أنه فى لجنة تحقيق أجراها مجلس النواب الأمريكى مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية يلقى الضوء على نقطة بالغة الأهمية لأنه فى هذه التحقيق الذى أجرى فى الكونجرس لفشل المخابرات، وجد أنه كان هناك كتاب ذائع داخل وكالة المخابرات الأمريكية وترددت مقولته الرئيسية فى أروقة المخابرات فى الأيام الأولى من أكتوبر ١٩٧٣، وجاء فيه أن العرب من الضعف بحيث لا يستطيعون عقلانيا مهاجمة إسرائيل، وأضاف الكتاب أن المقاتل العربى ليس لديه الملكات البدنّية لكى يؤدى خدمة عسكرية تتميز بالكفاءة. وفى تقييم الوكالة لأسباب فشلها ذكرت ما يلي :- أُقحمت حرب يونيو مرارا بواسطة المحللين كبرهان على الضعف الجوهري فى القوات العربية. وعلى عكس ذلك عدم قابلية الإسرائيليين للهزيمة، وبالإضافة إلى ذلك جاء فى التقييم أنه جاءت هناك مقولة منتشرة بشكل معقول وتقوم بشكل كبير على الأداء السابق والذي جعل الكثيرين من العرب لمجرد كونهم عربا غير قادرين ببساطة على متطلبات الحرب الحديثة كما أنه لا يوجد لديهم الفهم أو الدوافع وفى بعض الحالات الشجاعة أيضا. كان ذلك اعتقد جزءا هاما فى مفاجآت أكتوبر وهى الإنسان المصرى والعربي الذى شارك فى الحرب والذي قام « اللواء عبد الغفار حجازي » بعرض كيف تم إعداده ، هذه هى الكلمة الأولى.

-الكلمة الثانية: هي كيف نعد هذا الإنسان لكى يعبر بمصر إلى القرن الـ ٢١ أو نقول إلى التقدم ؟ أعتقد، وأريد أن أضيف عوامل رئيسية أخرى لحرب أكتوبر-كثرة القوانين، الضرائب، الإعداد التعليمي، الصحة... إلخ.

كل هذه المسائل أساسية، ولكن إذا كان لى أن أقول وقد كنت أحد جنود أكتوبر أن هناك عاملين أساسيين كانا موجودين لدينا : الغضب الشديد، أي أننا ننسى أحيانا أن هذا الجيل الذى دخل الحرب هو الجيل الذى شارك فى المظاهرات فى أعوام ١٩٦٨ و ١٩٦٩ و ١٩٧٠ يطالب بالحرب فى الوقت الذى كان كل طلبة العالم يطالبون بالسلام والحب، نذكر جميعا فى فرنسا وبريطانيا وكافة الدول الأوروبية وجميع العواصم الأمريكية، كان الطالب المصرى معاكسا لكل طلبة العالم فى ذلك الوقت لأنه كان يتملكه قدر هائل من الغضب، وأنا أخشى ما أخشاه أن جزءا مما نفتقده فى حياتنا هو كم هائل من الغضب على مشاكل كثيرة نعاني منها، لـ «مهاتما غاندى» كلمة أن الفقر أسوأ أنواع العنف، وأنا أقول: لو تعلمنا أن الفقر هو أسوأ أنواع الاحتلال لاستعدنا بشدة ما حدث فى حرب أكتوبر، كان غير مقبول لدينا أن تبقى مصر محتلة ويجب ألا يبقى مقبولا لدينا أن تظل مصر فقيرة أو تكون فى المرتبة المائة أو ضمن العشرة بعد المائة فى تقرير التنمية البشرية فى العالم، هذا الكم من الغضب ضروري للغاية.

-النقطة الثانية بهذا الموضوع كانت الهدف، أن هناك قطعة عزيزة من ارض الوطن محتلة ينبغى تحريرها، ما هو الهدف لمصر بهذه المرحلة ؟

فى رأيى أننا لا يمكننا حل كافة المشاكل الإجتماعية والاقتصادية بدون النمو وأن يكون لدينا من الطاقات الاقتصادية التى تنمو سنويا بنسبة ٧ أو ٨٪ على الأقل لمدة ٢٠ عاما متواصلة، وهذا هو الطريق الوحيد الذى يجب على الجميع إيجاد متطلباته، أن يكون لنا وطن ينمو وبالتالي تزيد موارده وأنا لا أعتقد أن ذلك ممكن بنفس الطريقة التي طبقناها من قبل فى الخمسينات أو الستينات وهذا لن يكون إلا بإطلاق كامل للطاقات الفردية داخل المجتمع لأن هذه الطاقات الفردية هي التي اقتحمت وهى التي عبرت وهى القادرة على العبور اليوم.

المناقشات :

تعقيب الدكتور / جابر عوض

الحقيقة أن أستاذنا الدكتور «إبراهيم بدران» عرج إلى أشياء كثيرة وهى أبعاد إستراتيجية لمجتمع يريد القيام على مقومات قوية وأعمدة وركائز يريد أن ينهض، وان يتقدم ويصل إلى ما وصل إليه الإنسان فى مجتمعات أخرى.

وأنا دائما من وجهة نظري أن حرب أكتوبر هي عبارة عن إبداع جماعي ونحن الاجتماعيين، نقول أن الإبداع هو إبداع الصفوة أو إبداع فرد، لكن من وجهة نظري أن حرب أكتوبر إبداع جماعي، هذا الإبداع واضح فى التساند الوظيفي والإعتمادية المتبادلة وأيضا بين الجيش والشعب وقد تفجرت فيه طاقات الإنسان المصري، أى موقف تجلت فيه قدرة الإنسان المصري، وفي الحقيقة بهذا الموقف أنا كنت ضابطاً بالقوات المسلحة، (ضابطا بالجيش الثانى الميداني)، سأتحدث عما قاله اليهود فى جرائدهم وجرائد العالم أيضاً بمناسبة هذه الذكرى فقد ثبتت جدارة الإنسان المصري، وهل هذا الإنسان الذى قام بهذا العمل الرائع استطاع بقدراته الإبداعية الجمعية أن يوحد حركته وصفوفه وأن يجمع الشمل العربي وأن يجند الإمكانات العربية وإمكانات المجتمع المصري بالكامل وينطلق ليحقق هذا، ألا يمكن أن يستمر هذا ؟

هو موقف واحد وكل ذلك من نتائج الحرب سواء التطور الاقتصادي أو التطور السياسي الذى حدث على مستوى العالم وحركة مصر العالمية، وصوتها المسموع، وحركة العرب معها ولجوءهم إليها، دور مصر فى القضية الفلسطينية اليوم ، دور مصر مع إسرائيل كل هذه الأبعاد ما كانت تظهر لولا وجود احتلال ومحتل، فمن حرر هذا ؟ الرد «الإنسان المصري».

اليوم الأبعاد الإستراتيجية التي نتحدث عنها هي كوامن، ونحن كاجتماعيين يجب أن نلتمسها، فاليوم نجد البطالة فى مجتمعنا قنبلة موقوتة وكثير من دول العالم طبقت نظام «المعاش البطالة»، أنا أضيف من وجهة نظري انه لابد كما تقول السيدة الوزيرة «ميرفت تلاوى» التركيز على السلام والأمن الاجتماعي.

أنا أعتبر أن السلام والأمن الاجتماعي إحدى الركائز الأساسية لانطلاق وتقدم أى إنسان وأي مجتمع ومن وجهة نظري كعضو مجلس الشعب وكأخصائي اجتماعي بالنظر إلى صعيد مصر. حقا أن هناك بالفعل تقدماً وتغطية فى الخدمات والاحتياجات الأساسية للإنسان (الصحة- التعليم- مكان فى مدرسة- كوب ماء نظيف- لمبة كهرباء .....الخ).

السؤال: هل طاقات الناس متحركة بالكامل وبالكم الكافي؟ وهل فى اندفاع الناس كناحية نفسية نتيجة هذه الخدمات التي هي المشروعات الاستثمارية والتي تغطى البعد الاجتماعي من ناحية العمل يتناسب مع هذة الطاقات.

وقد تقدمت باقتراح برغبة فى مجلس الشعب على أن يتم جمع الصندوق الاجتماعي وصندوق الزكاة فى وعاء واحد وننطلق بها إلى «معاش بطالة» لهؤلاء الشباب الذى يبحث عن مسكن ولا يجد، بالإضافة إلى المعاشات الخاصة بالأسر الفقيرة والأرامل وذوى الظروف الخاصة يجب إعطاؤهم شيئاً من الاهتمام.

تعقيب الدكتور / سعد الدين إبراهيم:

لدى ثلاث كلمات : عما تفضل به المتحدثان الدكتور «عبد السلام» والدكتور «إبراهيم بدران» وما هو الربط بين ما قالوا وفهمنا لانتصار أكتوبر ثم انطلاقنا للمستقبل.

التحدي والاستجابة: أنه عندما يستجيب الناس بشكل خلاق لتحدى فتتفجر حضارة أو مشروع ضخم وهذا ما حدث على ارض مصر على مر التاريخ، وأن الإنسان المصري دائماً ينتصر، الإنسان المصري والمجتمع المصري مر بانتصارات وانتكاسات وهزائم وما يهم من هذا الكلام الذى سمعناه، ما هي الدروس التي يمكن تعلمها لنعيها وننطلق بها إلى المستقبل، فى رأيي أن لحظات الدراما القومية ومنها لحظة الهزيمة فى ١٩٦٧ ولحظة انتصار أكتوبر نتعلم منها شقين أن الإنسان المصري الذى هزم فى ١٩٦٧ هو نفس الإنسان المصري الذى انتصر انتصارا رائعا فى أكتوبر المهم الظروف والمحفزات والمثيرات التي جعلته يقفز هذه القفزة، إذن نستطيع أن نتحدث عن القرن الحادي والعشرين وكيفية دخوله ، ونحن لم نكن المجتمع الوحيد الذى مر بانتكاسات وانتصارات بل هناك مجتمعات أخرى.

وما نتفق عليه مع سيادة الرئيس وسيادة الوزيرة أننا لم ندرس بما فيه الكفاية ما حدث فى ١٩٦٧ و١٩٧٣ وأنا أقول أن هناك درساً هاماً تعلمناه ليس مما حدث فى مصر ولكن مما حدث فى دول أخرى فى أن المقاتل أو العسكري فى الحرب العالمية الثانية كان أداؤه يتوقف على علاقته الأولية بأسرته، بالأصدقاء، بجماعات الرفاق، بالقائد المباشر له فى الوحدة، هذه العوامل تعطينا المفتاح للمستقبل والتحدث عن الشبكات والاندماج فى المستقبل وهو جعل كل مواطن عضواً فاعلاً فى جماعة أو شبكة.

ليس فقط شبكات الأمان لكن أيضا شبكات الاقتحام هذا المعنى لابد أن نوفره إلى أى مدى كان هذا صحيحا فى انتصار أكتوبر والى أى مدى نستطيع استعادة هذا فى الحديث عن شبكات أمان بالمعنى الواسع وليس فقط أمان بطالة أو مرض .

هناك نقطة أخيرة فى مصر فى فترة الثلاثين أو الأربعين سنة الأخيرة نجد القيم التي تأكدت لها ارتباطاً بطبيعة المجتمع المصري كمجتمع نهري. إن حديث سيادة الرئيس هذا الصباح وحديث الأخوة أن قيمة الأرض بمصر مرتبطة بنهرية مصر ووجود مصر على نهر عظيم «نهر النيل» وأن قيماً عديدة مرتبطة بهذا النهر لابد من إحيائها وتعميقها لأنه ربما بدأت هذه القيم تضمحل قليلا.

تعقيب الدكتور / ميلاد حنا

نفس الشعب فى ١٩٦٧ هو نفس الشعب فى ١٩٧٣، ما هو الفرق، الفرق هو الـ system الذى يثير البشر ليعطوا أقصى ما لديهم، هو الفرق بين ما حدث فى ١٩٦٧ وبين ما حدث فى ١٩٧٣ إن هذا المجتمع يتطلب إبداعاً من الحاضرين لأنني أرى جزراً كثيرة فى مصر دون وجود كباري بينها بمعنى مؤسسات صغيرة ، أحزاب سياسية أو نقابات مهنية أو جمعيات أهلية، لكن الشعوب تقاس بما لديها من منظومة من القنوات قادرة على أن تأخذ من كل إنسان طاقاته ومواهبه فيصل المجتمع إلى أقصى المراكز المتقدمة بين الأمم.

من وجهة نظري الشخصية أتمنى تغيير اسم وزارة الشئون الإجتماعية ليصبح « الأمن الاجتماعي » أو « الأمان الاجتماعي ».

لكن بحكم أن مشكلة الإسكان تابعة لوزارة الشئون الإجتماعية وهى التي تدعم التمليك والإيجار لأنها قضية مجتمعية، فالإسكان العشوائي لن يحله المقاولون ولن يحله سوى التنمية الريفية وصيانة المباني ، تلك الأمور ربما أتطرق إليها غدا ولكنى أردت أن أسجل فى اليوم الأول وفى الجلسة الأولى أن الأمان الاجتماعي والموارد المالية الخاصة به هو السبيل لإيجاد قنوات لحل كل مشاكل المجتمع وجعله مقتصراً بشكل داخلي من خلال مصر.

تعقيب الدكتور / على السمان

أؤكد على البعد الاجتماعي كما قال الدكتور «ميلاد حنا» وأهميته ولكن لي رجاء فى أوراق العمل والكلمات كي أكون صريحا لأننا لو لم نمارس الصراحة بروح أكتوبر فلا داعي لكل ذلك.

تعقيب السيدة الوزيرة / ميرفت تلاوى

الحقيقة هذا هو الهدف كيف نستفيد سن أكتوبر إذا لم نكن قد حللنا التجربة جيدا ، نحللها بحيث يتم تطبيقها على المحور الاجتماعي ونخرج بتوصيات.

لكن القصص والأشياء الأخرى فجميعنا لنا مساهمات ولكن أرجو أن نكون عمليين لأن هذا يحتاج لجهدنا وأول شئ خرجنا به الآن هو كما قلت للدكتور «سعد الدين» أن كل الاجتماعيين يبدأون بالبحث والتحري والتحليل كي نستطيع حل مشاكلنا.

تعقيب الأستاذ / سيد ياسين

أولا فى العروض التي قدمت هناك كما أتصور تعميمات عن الشخصية المصرية نحن فى حاجة إلى القدرة النقدية إلى هذه التعميمات وكثير من هذه التعميمات انطباعات لا تسندها لا بحوث ميدانية ولا أبحاث نقدية. تتصور نتحدث ساعة عن المصريين أنهم أعظم الناس والمجتمع المصري أعظم مجتمع ثم فى لحظات الهزيمة نتحدث عن السلبيات الشديدة وكأننا لم نفعل شيئا وهذا الاتجاه موجود

حتى الآن، يظهر فى الكرة عندما ننتصر فيها يصبح شيئا عظيما أما عند الهزيمة فتخفت العزيمة والحماسة وتنتهي المسألة.
فالنقطة التي آثارها الدكتور «على السمان» نقطة شديدة الأهمية إذا اعتبرنا أكتوبر نموذجاً فى التخطيط والإعداد وتغيير الاتجاهات وهو نموذج يتطلب دراسة فسيولوجية وثقافية ونفسية بالكامل، أما المشكلة الحقيقية فهى نقله إلى الجانب الاجتماعي، مسألة ليست هينة لسبب بسيط حين تم الاتفاق على الهدف فى حرب أكتوبر وتحرير الأرض وتم الإعداد والتخطيط كان من السهل أن يكون للقوات المسلحة صوت واحد ويد واحدة.
حين ننتقل بهذا النموذج إلى المجتمع فلدينا صراعات طبقية واجتماعية لا حدود لها، ليس لدينا اتفاق حتى الآن فى مصر حول ما هو مستقبل مصر وماينبغي أن يكون عليه مستقبل مصر؟
هذه الخلافات لا تحل بطريقة ديمقراطية للأسف الشديد وقد قمنا من قبل بعمل حوار وطني فى رأيي انه فشل لان الحكومة أرادت فرض سياستها دون حوار حقيقي فنحن فى حاجة إلى حوار وطني ديمقراطي حقيقي لا يستبعد منه أحد لا اليمين المتطرف ولا اليسار المتطرف لمناقشة ما هو مستقبل المجتمع المصري حتى بالنسبة ل « توشكى» كمشروع مستقبلي يمكن ان يفتح أفاق الوادي، يتحدث الرئيس عن عمل حضاري فى توشكى، ما هو شكل هذه الحضارة الجديدة؟ وما هي علاقتها بالحضارة القديمة ؟ وما هو شكل التجمع الديموغرافى فى توشكا ؟
فنحن نتحدث عن تخصيص ٥٠٠ ألف فدان لمستثمر أساسي أو إستراتيجي، لكن ما هو شكل الطبقات الاجتماعية؟ هل هي المسألة الاستثمارية؟ هل الخصخصة هي الأساس فى المجتمع المصري؟
جميعها مشاكل مطروحة للنقاش وتحتاج أولا إلى شفافية فى المعلومات والى نقاش ديمقراطي حقيقي، إذن لابد من حوار وطني مفتوح حتى نحدد ما هي الرؤية الإستراتيجية للمجتمع المصري في ربع القرن القادم.

تعقيب السيدة الوزيرة على كلمة اللواء / عبد الغفار حجازي:

نشكر سيادة اللواء «عبد الغفار حجازي» ونأخذ من كلمته ما سوف نوصى به فيما يتعلق بتغير الشخصية المصرية، الإنسان المصري قبل وبعد الهزيمة وتحوله بعد النصر.
كما أشكر الدكتور « محمود عودة » وفى الحقيقة سأطالبه بإيجاد حلول وليس وضع تساؤلات لأن هذا هو هدف الندوة أساسا لوضعها فى توصياتها لأن الجميع يعلم المشاكل وأرجو من المثقفين والكتاب بالذات والمفكرين أن يضعوا جهدهم سويا من أجل إيجاد الحلول وليس فقط النقد أو التساؤل فلا مانع للنقد ولكننا نريد حلا.

تعقيب السيدة الوزيرة على كلمة الدكتور محمود عودة:

بالطبع الجيش المصري قاطرة التقدم والتنمية ولكن اليوم جميع جيوش العالم تستخدم أحدث نظم التكنولوجيا فلابد أن يكون لديه التقدم عن القطاع المدني فى استخدام العلم والتكنولوجيا فى التعرض لكل ما هو جديد، فنحن نبحث الآن كيف نستخدم البحث العلمي ونزيد مصادره.
السؤال الآن: هل نستطيع استخدام القاعدة العلمية الأساسية وما لدى الجيش من قاعدة للعلوم والتكنولوجيا فى زيادة وتقوية دور البحث العلمي فى القطاع المدني؟

كذلك اليوم بعدما خفضت ميزانية جيوش عديدة فى العالم، والسؤال الذى يطرح عالميا الآن: من يتولى البحث العلمي والإنفاق عليه؟
لأن معظم البحوث العلمية بدأت بسبب العسكريين أو بسبب البحوث العسكرية، فهذه نقطة إستراتيجية لأن البحث العلمي أدى بدول كثيرة إلى التصدير فى هذا المجال فأصبح هناك عنصر سياسي وليس فقط تجارياً لبدء علاقات بين الدول ومنها إسرائيل هو بيع أسلحة محددة فهذه النقطة تبدأ من البحث العلمي أساسا وقوته، وليس فقط مسالة قاطرة التنمية والتقدم وإنما أيضا الجوهر الأساسي وهو البحث العلمي واستخدامه بالقوات المسلحة والاستفادة به.

تعقيب الدكتورة / إيفلين رياض:

بالطبع حرب أكتوبر وانتصارها كان شيئا عظيما وقد غطتها الصحافة كما غطت وكل إنجازات السيد الرئيس وبشكل متواصل وربما السينما مقصرة لأنني ومنذ عامين شاهدت فيلما بإنجلترا عن الحرب العالمية والإنجليز فخورون بانتصارهم حتى الآن، فالسينما لدينا بها مشاكل كثيرة فلم تسجل حرب أكتوبر كما يجب ولا مسلسلات التلفزيون أيضا، لكنني أريد إلقاء الضوء على السلبيات التي حدثت بعد حرب أكتوبر إن كنا في حاجة إلى الصراحة، أولا: الانفتاح الاقتصادي حدث سريعا دون دراسة بعمق وبأسلوب علمي مما أدى إلى تفاوت طبقي كبير للغاية بكل مكان بمصر وهو موجود لدرجة المدارس أيضا والتى نعتبرها مجانية إن لم ينفق الأب بدروس خصوصية لأبنائه وهو الفقير ذو الدخل البسيط ، لن يتمكن ابنه من النجاح بعد ارتفاع نسبة المجموع إلى ١٠٠ ٪ للدخول بكليات الطب والهندسة.
وظهرت المدارس الفندقية التي لم نكن نسمع بمصروفاتها الباهظة من قبل ، مستشفيات فندقية تكاليفها غير ممكنة، ففي الانفتاح حدثت سرعة هائلة أدت إلى تفاوت كبير فمثلا بعد تخرج المهندس من كليته بعد كل هذه السنوات من الجهد والتعب يظل يعمل ١٠ سنوات ولم يتمكن من تأجير مسكن أو من شرائه سوى بمساعدة أهله، فتكون النتيجة عدم تمكن الشاب من اختيار شريكة الحياة سوى برضا أهله فهم من يختارون لأنهم فى معظم الحالات هم المتلكون للإمكانيات المادية، فالنتيجة لا يستطيع الشباب إختيار الكلية أو شريكة الحياة التي يريدها لان المطلوب من الإمكانيات المادية فوق طاقته مما يؤدى فيما بعد إلى حالات فشل، إذا اختار بنفسه يعيش فى ضيق ولو حسب رغبة أهله تكثر حالات الطلاق.
أما الدروس الخصوصية بالمدارس فقد جعلت الأهالي يدخلون أبناءهم الذكور المدارس أما البنات فتتسرب بنسبة كبيرة الآن و قد رأيت أرقاماً من هيئة الأمم عن تسرب البنات الريفيات من المدارس، مما يعطى شعورا بالإحباط فبجانب الشعور العظيم بالانتصار العسكري العظيم، لابد من وجود انتصار اجتماعي أيضا ندرسه ونرى ما هو الخلل الموجود لتوازن المجتمع وتقاربه.
أنا على سبيل المثال إن أردت العلاج لا أجد سوى طبيب يطلب منى ٢٠٠ جنيه مقابل مجيئه للمنزل، مسالة أصبحت فلكية وأسعار أشعات وتحاليل فلكية والإنسان البسيط يعانى بشدة، أما الناس الذين أثروا ثراءاً فظيعاً صارت حياتهم سهرات وأبناؤهم لا يرون توجيها وتربية كافية فهناك سلبيات نتجت عن الانفتاح السريع يجب مواجهتها بشجاعة، فلابد من إيجاد حلول للناس المقهورين الذين يعانون وأتمنى لهذه الندوة أن تنعقد كل خمس سنوات وكنت أتمنى أن أرى أبناء الشهداء وما حدث لهم فمن كان عمره سنتين أو ثلاث والآن صار عمره يقترب من الثلاثين، ما هي مشاكله وهل

استطاعت أمه تربيته وإعطاؤه احتياجاته ؟

تعقيب السيدة الوزيرة / ميرفت تلاوى:

أولا أبناء الشهداء مسجلون مع وزارة الشئون بالإضافة إلى الجيش وهى تراعى أسر الشهداء ولهم ميزانية ورواتب مخصوصة تساعدهم على التعلم حتى التعليم الجامعي، فأتخيل أن سيادتك تريدين دراسة عن أننا كنا نأخذ من بعد هذه الاحتفالية أسلوباً علمياً، أن ندرس ونبحث ونحلل، وهو ما طالب به سيادة الرئيس اليوم فى كلمته أن هذه أحد الجوانب التي يمكن دراستها من الجائز خروجها فى صورة امتياز وربما على شكل مشاكل ،نلتفت إليها أكثر.

النقطة الثانية، أشرت إلى مسألة التوازن فى المجتمع فأنا أريد أن أزيل اللبس إذ أن حرب أكتوبر لا دخل لها بالأسعار وأرقام اليوم فهذا تطور ربع قرن، فالأمور تتصاعد والنظم الاقتصادية تتغير لكن الحقيقة الموجودة الآن أن هناك ارتفاعاً فى الأسعار وهناك نظرة مادية شديدة اللهجة فلابد من تغيير أسلوبنا بها وهى ضمن العادات السيئة الواردة من الغرب أو من الشرق أو كليهما والنمط الاستهلاكي الفظيع والتغالي بأرقام فى كل شئ، ونحن ربما فى كثير من الأحيان تكون الأرقام وهمية، فيجب على المفكرين والاقتصاديين حتى نمتنع عن التباهى بالأسعار المرتفعة مع الغير ومع أولادنا فلابد من التغيير ، فالتوازن حقا مسألة هامة وبحاجة للبحث الكثير ووقف الخلل.

تعقيب الدكتورة / ليلى الحمامصى:

عند الحديث عن الناحية الإجتماعية يجب أن يعي الشخص أن هناك ارتباطاً بين الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وربما لظروف الندوة كان لابد من التركيز على كل شق على حدة لكن التحدث عن الأبحاث وما يحدث مثلا بالنسبة للاقتصاد الجديد والانفتاح، فلا نستطيع التكلم عن كل شق على حدة فهناك ترابط وتأثيرات والاجتماعيون لا يقومون بالبحث بمفردهم بل أشدد على أن تصبح MULTI DISCIPLANARY وذلك إن كنا نريد الوصول إلى حل يكون حقا ممكناً وليس مسألة اجتماعي وحده، لأننا عند الحديث رأينا أن الاقتصاد يؤثر ونرى أن الناحية السياسية تؤثر وما حدث فى أكتوبر كان له نواح سياسية كبيرة من ضمنها ما حدث فى البلاد الأخرى ونظرتها للجيش وما نتج عنها من انفتاح اقتصادي وتغيير فى التفكير ومؤكد أنها تركت فروقاً، فلابد من دراسة الفرق فكما قيل إن لم يستطع الإقتصاد النمو فلا تمويل للناحية الاجتماعية، وفى ١٩٦٧ وما بعدها عندما كنت أتساءل عما حدث ولماذا لا تقومون باستصلاح أراض؟ وأين الطرق لعمل تنمية مجتمع وطرق الاتصال بينها؟

كانوا يقولون «اقتصاديات الحرب»، فهناك وقت توقفت به الحاجات الاجتماعية، أما الآن فلا يوجد تفكير بها ولا نستطيع فى يوم وليلة إصلاح كل ما مضى ونقول دخلنا فى اقتصاد جديد لكن الدراسات يمكنها التفسير اكثر وبعمق.

تعقيب السيدة الوزيرة / ميرفت تلاوى:

الحقيقة أن التكامل بين الاقتصادي والاجتماعي والسياسي متصل وهام للتنمية الشاملة لكن للاجتماعيين بالذات ، فعندما قلت للدكتور «سعد الدين» نبدأ بهم لأن دورهم لم يأخذ حظا كافيا.

لكننا فى الرأي والبحث والانعكاس على المجتمع علما بأنهم يقومون بدور مهني جيد، لكننا نريد لهذا العنصر أن يكون اكثر واقعية لمعرفة المشاكل الإجتماعية ويكون له دور واقعي وهذا لا يعنى أننا نضع كل المسئولية على الاجتماعيين ونعزل عملية التنمية عن التنمية الاقتصادية، فحديث الدكتورة « ليلى الحمامصى » صحيح لكن بنفس الوقت نريد تعظيم دور الاجتماعيين ومستقبلهم فى اتخاذ القرار لحل المشاكل الإجتماعية لأنهم بدراستهم سيصبحون اكثر واقعية بهذا الشأن.

تعقيب الدكتور / عبد الباسط عبد المعطى:

فى سياق العلاقة بين الاقتصادي والاجتماعي فى الموقف الراهن بمصر عند تحليل حتى النمو الاقتصادي بمعناه الدقيق يكمن جوهره، مسألة الإنتاجية ليست مجرد استثمارات رؤوس أموال قد يكون لها ريع أو عائد أو فوائد حتى توضع فى بنوك أجنبية، إنما هي القضية قضية إنتاجية المواطن المصري فى كافة المجالات، وعندما أحلل هذه الإنتاجية فى عمقها أجدها مسألة دافعية، ودوافع لدى الناس مرتبطة باشباعات متوفرة مرتبطة بتكافؤ فرص مرتبطة بمشاركة أيضا، أجد هذه الإنتاجية مرتبطة بإنجاز وخيارات تكنولوجية وفى تقديري أن العلاقة بين الاجتماعي والاقتصادي هنا ليست مجرد مباهاة بالتخصص أو التعصب، إنما إذا كان من الصعب أن نحدث نمواً كما أشار الدكتور «عبد المنعم سعيد» بطريقتنا منذ أربعة أو ثلاثة عقود، وأيضا من الصعب أن نحدث نمواً كما حدث فى العالم الغربي أو فى الولايات المتحدة منذ قرن على أشلاء ضحايا وقهر للأطفال والمرأة وساعات عمل لم يعد العصر ولا المتغيرات الدولية حتى فى حقوق الإنسان تسمح بذلك، فأي كفاءة اقتصادية تحتاج بالضرورة إلى كفاءة اجتماعية وكفاءة التنظيمات الاجتماعية، القيم القائمة، الإحساس بتكافؤ الفرص، الإحساس بإمكانية الحراك بناء على جهد يبذله الإنسان وليس مجرد المحسوبية، هذه قضية أساسية وبالتالي إن أردنا الربط بين ما أشارت إليه سيادة الوزيرة وبين ما حدث بعدها ربطا ميكانيكيا فهناك الكثير من الظواهر ارتبطت بمتغيرات عالمية ومحلية أيضا وإقليمية كالهجرة والعولمة...الخ.

حتى نستطيع المحافظة على نموذج أكتوبر بشكله النقي لكي نستلهمه بعد ذلك فى مشروع تنموي، أشار الأستاذ «سيد ياسين» إلى قضية من أخطر ما يمكن (وحدة الهدف) ليس بالمستحيل ان يتفق المصريون على هدف ويقدمون قدرا من الإجماع، لكن الشرط الرئيسي هو الحوار الديمقراطي والشفافية وإتاحة الفرص لكل الآراء، الشرط الثانى كيف يمكن أن نعبئ كل شركاء هذا الوطن أى أطراف التنمية على مستوى الساحة المصرية، كيف يمكن تحقيق تكافؤ الفرص بتقريب الفوارق الإجتماعية والفجوات الكبيرة بين الأميين والمتعلمين والفوارق بين الريف والحضر، بين الصعيد والوجه البحري والقاهرة، بين الذكور والإناث، الآن قضية الشباب من اخطر ما يمكن، إذ لا يوجد حوار حقيقي بين الشباب والأجيال التالية، اللغة مفتقدة فى المفردات والاهتمامات، وأتصور أن هذه من اخطر القضايا التي تمثل قضية أمن قومي، من هنا أقول أن البعد الاجتماعي ليس مجرد مساند للتنمية إنما هو بالمعنى الشامل قضية أمن قومي وهو أساسا مساعداً للتنمية حتى بمعناها الضيق وهي إحداث نمو اقتصادي حقيقي ليس من ريع أو فوائد أو بيع منتجات أو موارد طبيعية.. الخ.

تعقيب الدكتورة / بثينة عمارة:

بالطبع كلنا متفقون على أن الإنسان هو أهم مقومات النجاح في أي عمل، فالإنسان المصري لدينا لازالت تنشئته على أسس غير علمية بالتخمين وبالارتجال، نحن كخبراء علم نفس أو إجتماع نعلم تماما الأسس العلمية لبناء الإنسان، لكن هل هذه الأسس العلمية منتشرة بين جماهير المجتمع كما يجب، فمثلا أولاد الشوارع هي مشكلة تحز في نفسي للغاية فكلنا نعرف أن الإنسان قيمة كبيرة ينبغي أن يولد دون أن يكون لديه تخطيط للمسكن، التعليم، الأكل، الملبس، بل والرحلات والترفيه، أي أنني لا أحب إنجاب طفل ويصبح محروما من أي شئ ، لكن الآن عند إمساك رجال الشرطة لطفل، كل ما يفعله هو البحث عن أبيه ليسلمه إياه، بالطبع حل لا يمكنه إصلاح مشكلة عمالة الأطفال، فلا يوجد وعي لدى الأهل أن هذا الطفل لابد من توفير الرعاية له حتى إتمام تعليمه، فنحن نعلم الأسلوب الذي يرفع من شأن الإنسان والبناء على أسس علمية لكن لابد أن تسير جميع أجهزة الدولة في هذا الإتجاه الذي ينصح به خبراء علم النفس والاجتماع.

تعقيب الأستاذة / سكينة فؤاد:

ملاحظة صغيرة في الورقة الهامة للدكتور محمود عودة، تحدث وأوافقه الرأي تماماً عن أنه ليس معنى التحول إلى النظام الاقتصادي الجديد أن الدولة تفقد دورها وقوتها، وهناك عناصر أعتقد أنها يجب أن تضاف إلى الورقة وهي : دعم الديمقراطية من عناصر القوة بحيث تكون المشاركة الشعبية أحد الأدوار الغائبة الآن، وربما نرجو السيدة الوزيرة أن تتضمن توصيات الندوة دعم دور المواطن في هذه المرحلة، قوانين حماية المستهلك، قوانين الغش التجاري، جميع القوانين لكل ما ستطرحه المتغيرات من سلبيات، ونحن نتفق أن المتغير له إيجابياته وسلبياته، ما هي القوانين الحامية والحاكمة؟ أتصور وأرى أن دور المواطن منسحب والسبب أن المشاركة الأهلية ليست مدعومة بالقوانين المحلية وقدرة المواطن على أن تكون له فاعلية حقيقية، هذه نقطة هامة للغاية وهي وجود الدولة وهي تحلق بجناحي الديمقراطية الكاملة والعميقة والمشاركة الشعبية الغائبة بنسبة كبيرة وليس لها قوانين حامية الآن.

تعقيب السيدة / آمال طلعت:

لم يأت من فراغ بل جاء بإصرار وعزيمة وإحساسنا بالقهر، فأقول لدينا بعض السلبيات الموجودة بالمجتمع أعتقد أن طبقة المثقفون والقادرون ليست متلاحمة التلاحم الكامل مع طبقات الشعب الكادحة والفقيرة، فأنا أرى أن ينزل المثقفون والقادرون إلى الشعب ويعلمونه ويفهمونه كيف يكون مواطناً صالحاً وتعطيه القدوة الحسنة والمثل وتعلمه كيف يصبح قادر على التعامل مع الأشياء من حوله لأن المواطن الفقير الذى لم يحصل على قدر من التعليم يتعامل مع الأشياء التي تيسرها له الدولة بشيء من العنف وهذا نتيجة القهر الذى يعيشه.

فأقول أننا كأناس مثقفين نبدأ ننزل إلى الشعب ونعطيه أمثلة حية ونتعاون معه وبالتالي نستطيع أن نرقى به ونعطيه شيئاً من الدفعة الذى يصبح معها مواطناً صالحاً وقوياً.

تعقيب الدكتور / أحمد بيلي:

عملا بما جاء في قول الدكتور «على السمان» من إرتباط حديثنا في الندوة عن الموضوع بتخصيص اكثر للأسف غاب الحديث عن الفترة من حرب الاستنزاف وحتى حرب أكتوبر إلى حد ما، و قد قدمت

ورقة عن فترة حرب الاستنزاف كمقدمة حقيقية لحرب أكتوبر، نحن نريد الإشارة إلى نواحي التميز فى حرب أكتوبر من خلال حرب الاستنزاف، فهنا تشير الورقة فى مكانين، الأول فى مرحلة التدريب وكيف تم إعداد الجندي المصري إعدادا جيدا ليكون مقاتلا جيدا فالتدريب أخذ ثلاثة مجالات : تدريب نظري، تدريب ميداني، الرماية بالذخيرة ورقم ٣ غاية فى الأهمية لنا لكي نخرج جندياً مقاتلاً على الرماية بالذخيرة الحية فى نهاية مرحلة التدريب التي وصلنا لها، كان يتعجب الخبراء الروس معنا كيف استطاع الجندي المصري أن ينفذ تدريبا على مستوى عال من الكفاءة بعد ٤ أو ٥ شهور من التدريب، المرحلة الثانية التي نشير لها فى حرب الاستنزاف والدور الذى قام به الجندي بها كانت هناك أدوار كثيرة قام بها الجندي فى هذه الحرب، دور مزدوج فقد كان الجندي يقوم بعملين فى نفس الوقت إذ كان يكلف فى الصباح بعمل الاشتباك مع العدو وبعد ساعات قليلة يكلف بالاستعداد للذهاب للخلف لإكمال واجب تدريبي وربما فى فجر نفس اليوم يعود للاشتباك مع العدو، فصار هناك عمل مزدوج أثناء العمل القتالي، وأذكر أننا فى مرة تحركنا من جبهة القتال إلى التدريب وكانت تلاحق سيارتنا دانات مدفعية العدو، فهذه من نواحي التميز التي قام بها الجندي المصري، هناك شئ آخر قام به الجندي المصري والتى أسميتها فى نهاية الورقة (جندي أكتوبر)، من هو جندي أكتوبر هو الكفاءة التي قام بها فى عمله كجندي.

تعقيب الدكتورة / نبيلة رسلان:

ما سأقوله هو جماع ما قيل فى هذا المحور بدءا بكلمة سيادة اللواء عن شخصية الجندي المصري، أو شخصية المواطن المصري الحقيقية فى سرد سيادتك لشخصية الجندي المصري ما قبل ١٩٤٨ و١٩٦٧ و١٩٧٣، أنا لم أجد أي اختلاف فى شخصية الجندي المصري، فالجندي المصري المعدم الذى كان قبل ٤٨ هو نفس الجندي المصري الحائز على شئ من الثقافة عام ١٩٦٧ هو نفسه الجندي المصري المتميز بالثقافة والحائز على المؤهلات العليا، فهو قلب هذه الأمة وهذا البلد والدفاع عن وطنه.

إذن النواحي الاجتماعية والاقتصادية لم تؤثر على الشخصية المصرية إطلاقا، فالشخصية المصرية سواء كانت تنعم بالناحية الثقافية والاجتماعية فهي في النهاية مصرية وتحب مصر ولا تحمل الغضب كما قال زميلنا الدكتور عبد المنعم سعيد، فإن الغضب أمر مرفوض وليس الذي نجح في ١٩٦٧ أو في ١٩٧٣ هو غضب المواطن المصري بل حب المواطن المصري لبلده لأن الغضب شعور مدمر وعواقبه ليست محمودة، ولكن هو حب وإيمان المواطن المصري المتمثل في الجندي المصري المتمسك بهذا الوطن بدليل أن في كلام سيادة اللواء عبد الغفار أن لديهم كماً هائلاً من العمالة تخرج من القوات المسلحة وتلتصق بالعمل المدني وأسال هل هذه الفئة التي تخرج من القوات المسلحة وتنضم للعمل الوطني هل لديها الآن نفس الإيمان ونفس الشعور الذي كان موجوداً في حرب ١٩٧٣؟ أعتقد أن الإجابة لا، بدليل أن الخدمة المدنية الموجود فيها العسكريين لا تتميز بهذا الإيمان، إذن المفقود لدينا الآن هو الإيمان والهدف والذى برمجته الأستاذة سكينة فؤاد في المشاركة الشعبية فالشعب لا يوجد لديه الهدف والدافع لأن يكون لديه روح أكتوبر.

تعقيب أخير للأستاذ/ السيد ياسين:

في الحقيقة يزعجني مقولة أن الشخصية المصرية لا تتغير، أنا أعتقد أن هذا الكلام غير علمي، ليس هناك شيء يعني عدم تغير الشخصية المصرية وتأثرها بالظروف الثقافية الاجتماعية فهذا غير

صحيح، فالشخصية الصينية قبل ثورة « ماو » مختلفة عما بعدها، الشخصية المصرية تغيرت واختلفت حسب إدارة قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج والقيم السائدة، فالزعم أن هناك حباً لمصر فقط، كلام غير علمي ولابد من خضوعه للتحليل النقدي، وما قاله الدكتور عبد المنعم سعيد يمثل الحقيقة، فقد كان هناك غضب شديد وإحساس بالعار والفضيحة، كان هذا جيلنا لأننا أحسسنا أننا لم نقم بواجبنا في الميدان، لم نعد للمعركة كما ينبغي، كان هناك تقصير في التخطيط السياسي وفي الإعداد العسكري، في ٧٣ استعدنا كبرياءنا القومي لأننا أحسسنا أن هناك غضباً على التقصير السياسي والعسكري، فلابد أن نعترف أن الشخصية القومية الأمريكية أو الإيطالية..إلخ، تتغير عبر الزمن وتتغير السمات ودورنا الأساسي هو كيف يمكن تفعيل السمات الإيجابية في الشخصية المصرية، هذا هو التحدي وهذا هو موضوع ورقتي.

الجلسة الثانية:

مرحلة التخطيط لحرب أكتوبر

الورقة الأولى :

المتغيرات الثقافية المهيئة لحرب أكتوبر

أ.د. فتحي نجيب

مساعد وزير العدل

١- إذا كانت لغة القطع واليقين هي لغة تبعد وتبتعد عن المنهج العلمي الصحيح وخاصة فى مجال العلوم الاجتماعية، إلا انه فى بعض الأحيان يرد القطع واليقين مقبولاً عندما يتعلق الأمر بحدث معين وتجمع كافة المصادر والشهود والأدلة على وقوعه وعلى ما نتج عنه من آثار.

٢- وبهذا المفهوم نستطيع أن نقرر انه من المؤكد أن حرب ١٩٦٧ كانت زلزالاً هائلاً انهارت به ومعه كثير من القواعد والمسلمات التي كانت قائمة وسائدة من قبلها، وانه لولا إعادة بناء قواعد جديدة للحياة المصرية ما كان يمكن الأقدام على حرب أكتوبر المجيدة، وانه لولا صحة وسلامة القواعد الجديدة ما كانت حرب أكتوبر قادرة على تحقيق الإعجاز والنصر الذي حققته.

٣- إذن هناك متغيرات وقعت ما بين ١٩٦٧ إلي ١٩٧٣ بانهيار قواعد ومسلمات، وبناء وظهور قواعد ومسلمات جديدة ، وتعالج هذه الورقة بعض أهم المتغيرات التي تتعلق بالجانب الاجتماعي فى الحياة المصرية. على أن بعض الملاحظات ترد كضرورة تسبق هذه المعالجة.

أ- الملاحظة الأولي :

انه قد تبدو المتغيرات الثقافية عند البعض لها مجالها المخالف والمختلف عن الجانب الاجتماعي، ولكننا نعالج الأمر مستندين إلى الرأي القائل بان الثقافة هي أحد أهم مكونات الحياة الاجتماعية، بل إن قاطرة كل تغير اجتماعي هى التغيير الثقافي.

ب- الملاحظة الثانية:

إننا لا نقصد بالثقافة فى هذا المجال ما يشكل فى رأى البعض ترفاً فكرياً من فنون وآداب وفلسفات، إنما نقصد بها مجموع الأفكار والقيم الفكرية السائدة والتي تؤدى إلى صياغة رؤية الإنسان للحياة، ومن ثم تقود سلوكه الذي يجابه به ما يتولد عنها من مشاكل.

جـ- الملاحظة الثالثة :

إننا ننتقل بالملاحظتين السابقتين إلى ارض الواقع لنتحقق من مدى سلامتهما، فنسوق لذلك بعض الأمثلة :-

(١) إن مشكلة الانفجار السكاني هي مشكلة إجتماعية تلقى بآثارها السلبية على الاقتصاد القومي وعلى كافة جوانب الحياة الاجتماعية من صحة وتعليم وإسكان وبطالة، وجوهر المشكلة بكل هذه الأبعاد هو جوهر ثقافي يتمثل فى سيطرة نسق ثقافي معين عند فئات عريضة من الشعب رؤياه تتحدد بعدة مفاهيم، قوامها الإيمان بالتحريم الديني لتحديد النسل، واستصحاب الطفل لرزقه فى انفصال بين مستوى الدخل وعدد الأبناء ثم النظر للأطفال أنفسهم باعتبارهم مصدرا للرزق، دون نظر لإحتياج تكوينهم الإنساني الرفيع من ناحية الكيف إلى متطلبات لا تتوافر للأسرة.

(٢) انتشار ظاهرة المخدرات بكل آثارها الإجماعية المدمرة كأثر لرؤية ثقافية معينة قوامها أن المخدرات غير محرمة دينياً.

(٣) انتشار ظاهرة الثأر وخاصة فى مناطق معينة من صعيد مصر، كأثر لقيمة ثقافية معينة قوامها وجوب الإنتقام من الجاني مباشرة من أحد أفراد أسرة المجني عليه. ولا يتسع المقام لتعداد مئات من المشاكل الاجتماعية التي تعوق تقدم المجتمع وترتد فى جذورها إلى قيم ثقافية معينة، ولكن تأتي هذه الأمثلة لتؤكد الفرضية التي يقوم عليها هذا البحث، وهى أن البعد الثقافي هو أخطر واهم الأبعاد فى المكون الاجتماعي لأي مجتمع وان المقصود بهذا البعد هو مجموع القيم الثقافية السائدة لمحصلة تحدد رؤية الفرد وسلوكه الاجتماعي محصلة ترتد منابعها إلى تراث طويل من العادات والتقاليد والمفاهيم الدينية والأدبية والفنية.

نعود إلى المتغيرات الثقافية التي كان لوقوعها أكبر الأثر فى التهيئة لحرب أكتوبر فنرصد منها ثلاثة، نعتقد أنها كانت الأكثر أهمية وسط متغيرات ثقافية أخرى وهى:-

(أ) عودة روح المشاركة الإيجابية للشعب المصري .

(ب) استعادة العلم والخبرة والإجادة لمكانة كانت قد اهتزت من قبل كثيراً.

(ج) بناء قاعدة جديدة للتعامل الفكري والإعلامي مع العدو .

ونتناول هذه المتغيرات تباعا :-

أولا : عودة روح المشاركة الإيجابية للشعب المصري :

٤- فيما يتعلق بروح المشاركة الإيجابية للشعب المصري ، الروح التي تتشكل من شعور كل مواطن مهما كان شانه بأنه مسئول عن مصير الوطن ومصالحه، يمكننا وفيما يتعلق بالتاريخ الحديث جداً لمصر والسابق مباشرة على حرب ١٩٦٧، أن نجرى تقسيما لهذا التاريخ إلى فترتين:-

الفترة الأولي من ١٩١٩ إلى ١٩٥٧:

أ- بدأت بقيام ثورة ١٩١٩ وهى ثورة شعبية كاملة بلغ فيها الشعب المصري قمة إيجابيته فى المشاركة فى صنع مصير الوطن وشارك فيها كل مواطن بإحساس عارم بمسئوليته المباشرة عن تحرير الوطن فكان العطاء الذي يستخف بالموت والسجن هو عطاء الطالب والفلاح والموظف وكبار الملاك وصغارهم والمعدمين، الرجال والنساء، الشيوخ والأطفال.

ب- امتدت هذه الروح تصارع القوى المتربصة بالوطن، فكان شاهداً عليها الانتفاضات المتوالية عبر هذه الفترة ١٩٣٠، ١٩٣٥، ١٩٤٦ ثم انتفاضات ومظاهرات الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٢ التي مهدت الطريق بحق إلى ثورة ١٩٥٢.

ج- لقد بدأت ثورة ١٩٥٢ كانقلاب عسكري، ولكن إيجابية الشعب المصري فى الفترة السابقة، عليها ثم إيجابيته فى تأييدها الكاسح، هو الذي حول هذا الإنقلاب إلى ثورة حقيقية، إستطاعت أن تقوم على دعائم من أماني ومطالب الشعب التي كانت قد صاغتها إنتفاضاته فى الفترة السابقة.

وبالرغم من أن الثورة قد جعلت الفترة من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٦ فترة إنتقالية استأثر فيها مجلس قيادة الثورة بكل السلطات إلا أن ذلك لم يغير من الطبيعة الإيجابية للشعب المصري، التي تتجلى فى عام ١٩٥٦ كأبرز ما تكون وهى تحتضن قرار تأميم قناة السويس وتحميه، ثم وهى تشتعل دفاعا عن الوطن ضد عدوان ١٩٥٦.

فى تقديرنا أن إنتخابات مجلس الأمة لعام ١٩٥٧، وهى أول إنتخابات تجرى فى عهد الثورة كانت نقطة تحول كبرى فيما يتعلق بروح المشاركة الإيجابية للشعب المصري.

الفترة الثانية من ١٩٥٧ - ١٩٦٧ :

فى هذه الانتخابات برز أن الكلمة العليا للتمثيل النيابي هي للجنة العليا التي انبثقت عن الإتحاد القومي، وأن المضمون الحقيقي للعزل السياسي تجاوز المشتغلين بالسياسة فى عهد ما قبل الثورة. وكان هذا التحول هو بداية استرخاء لإيجابية الشعب المصري فى المشاركة.

أ- فى السنوات التالية وقعت التحولات الإقتصادية الإشتراكية والتي جعلت مقاليد الأمور الإقتصادية جميعا فى يد الدولة التي حملت المسئولية كاملة عن الأفراد. وبلا أي تقويم لمدى صحة ذلك كله، فان الثابت أن القيمة الثقافية التي نتجت عن ذلك كله هى تولد الإعتقاد بمسئولية الدولة الكاملة عن كل فرد سياسيا واقتصاديا، بحيث لم يعد هناك محل لأي مشاركة منه إلا فى الحدود وبالمقدار الذي تحدده له الدولة.

لقد تجلت آثار ذلك كله عندما بدأت مقدمات حرب ١٩٦٧ فالشعب الذي حمل السلاح فى عام ١٩٥٦ وراح يدافع عن بور سعيد وينتشر بسلاحه فى ربوع الوادي دفاعا عن الوطن، هو الشعب الذي لم يكن له دور فى حرب ١٩٦٧ إلا الغناء والهتاف.

ب- وعندما وقعت نكسة سنة ١٩٦٧ التي شكلت زلزالا للشعب المصري فى كل معتقداته السائدة فوجئ الجميع بظاهرة « جنرالات المقاهي » حيث راح كل فرد يتكلم كخبير عسكري فيما كان يجب أداؤه لتحقيق النصر وتجنب الهزيمة، وإذا كان للظاهرة وجهها السلبي من الناحية العلمية العسكرية، إلا إنها فى نفس الوقت كانت تعبر عن قيمة ثقافية جديدة وهى أن الأفراد خرجوا عن سلبيتهم ولم يعد فى مقدورهم ترك مصير الوطن لغيرهم وكانت هذه إيجابية جديدة يمكن رصد بعض الظواهر لها فى الآتي:

(١) مظاهرات طلبة الجامعات فى الفترة من ١٩٧١ إلى ١٩٧٣.

(٢) خطاب بعض السياسيين المرفوع إلى القيادة السياسية فى عام ١٩٧٢.

(٣) العريضة المرفوعة إلى القيادة السياسية من كبار المفكرين والكتاب.

٥- إن روح المشاركة الإيجابية كانت تعود إلى الشعب المصري الذي اصبح يطالب بالمعركة ويعلن استعداده لتحمل أعباءها، وهذه الروح هي التي تفسر تقبله الكامل وبمنتهى الرحابة للقرارات

الاقتصادية الصادرة فى أول أيام حرب أكتوبر المجيدة ، وهى التي تفسر بطولات السويس بعد ذلك.

ثانيا : إعلاء مكانة العلم والخبرة :

٦- اقتضت ظروف تامين الثورة فى بدايتها الاستعانة أساسا بمن تثق الثورة فى إخلاصهم لها إلا أن الأمر امتد بعد ذلك ليصبح منهجا راسخا عبرت عنه المناقشات التي دارت حول المفاضلة بين « أهل الثقة وأهل الخبرة » حيث كان الانتصار لأهل الثقة فى إهدار للمكانة الواجبة لأهل العلم والخبرة.

٧- لقد كشف زلزال سنة ١٩٦٧ إن الإنتصار لأهل الثقة وحده كان أحد أهم أسباب الهزيمة وكان التغير الثقافي الجديد هو الإيمان بأن يكون لأهل العلم والخبرة المكانة الأولى وخاصة فى مجال إعداد القوات المسلحة لمعركتها القادمة.

٨- لقد تحقق هذا التغير بالفعل وحسبنا إن نرصد فى هذا المقام الوقائع الآتية :-

أ- إن التغيير الذي تم فى قيادات القوات المسلحة عقب الهزيمة مباشرة كان تنحية لرموز أهل الثقة.

ب- إن حاملي المؤهلات العليا أصبحوا هم القاعدة العريضة لجنود القوات المسلحة فى إعدادها الجديد.

ج- إن القيادات الجديدة التي بدأت تصعد إلى مواقع القمة فى القوات المسلحة، كان رصيدها الوحيد هو العلم والخبرة والإجادة فى الأداء ولعل صعود «الرئيس حسنى مبارك» إلى موقع قيادة الطيران فى هذه الفترة خير شاهد على ذلك.

٩- إن هذا التغيير الثقافي كان أحد أهم العوامل المهيئة لحرب أكتوبر، ولتحقيق النصر فيها.

ثالثا : بناء قاعدة جديدة للتعامل الفكري والإعلامي مع العدو :

١٠- منذ نشبت حرب سنة ١٩٤٨ حتى حرب سنة ١٩٦٧ سادت مسلمات ثقافية لدى الشارع المصري، قوامها الاستخفاف بالعدو استخفافاً كاملاً، ولعب الإعلام المصري دوراً كاملاً فى تصوير أفراد العدو كأشخاص جبناء لا يحفلون إلا باقتناء الدراهم والملاليم ويعانون من «الخنف» فى أصواتهم، وتصاعد الأمر حتى وصل إلى الأروقة العلمية حيث لم يكن من المقبول تقديم أية دراسة جادة عن الأوضاع الحقيقية للعدو، وكان المقبول الوحيد هو تقديم الدراسات والتحليلات التي تؤكد انهيار العدو من الداخل، وإن مصيره إلى زوال، سواء بتحلله ذاتيا أو بإلقائه فى البحر حين تتهيأ الظروف.

١١- لقد جاء زلزال يونيو ١٩٦٧ ليبرز أن العدو ليس ذلك كله، وأن فيه قيادات عسكرية لها تاريخها فى الحرب العالمية الثانية وفى حرب فيتنام، كما أنه كيان استفاد من تعدد الثقافات التي تمثل المهاجرين إليه، وأن لديه قواعد علمية شديدة التقدم وهذه الحقائق جميعاً أسقطت الصورة القديمة تماماً وتولدت قيمة ثقافية جديدة تطالب بمعرفة العدو معرفة علمية صادقة تقوم على الحقائق وحدها وتفتح الطريق لتعامل واقعي يحدد حجم وقدر القوة التي تجرى مواجهتها لقد لعب بعض المفكرين ومراكز البحث العلمي دوراً رائداً فى ذلك وحسبنا فى ذلك الإشارة إلى ما أداه الكاتب المرحوم « أحمد بهاء الدين » ومركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام.

١٢- لقد مضى الآن ربع قرن على حرب أكتوبر المجيدة ،وعندما ننظر للنصر الذي وقع فيها ، فإن أنظارنا لا يمكن أن تغيب عن ثلاثة أسباب جوهرية له هي:

أ- إيجابية الشعب المصري حيال متطلبات هذه الحرب.

ب- التخطيط العلمي الدقيق الذي قامت به قيادات رصيدها الأول والأخير هو العلم والخبرة وإجادة الأداء.

ج- معرفة العدو معرفة دقيقة حددت تماما حجمه وقدره بما ضمن حدود النصر وأبعاده.

الورقة الثانية :

أثر حرب أكتوبر على صورة الشخصية المصرية

أ.د. ماجى الحلوانى

وكيل كلية الإعلام - جامعة القاهرة

للحديث عن أثر حرب أكتوبر فى صورة الشخصية المصرية يجب التفرقة بين ثلاثة مستويات لتحليل اثر هذه الحرب فى صورة الشخصية المصرية أمام الذات، صورة الشخصية المصرية فى محيطها العربي والإسلامي والأفريقي، إضافة إلى صورة الشخصية المصرية فى المحيط الدولي. ولكي تتضح هذه الصورة بشكل أفضل يجب المقارنة بين مستويين للتحليل يرتبط الأول فيهما بدراسة هذه الصورة قبل حرب أكتوبر، ودراسة هذه الصورة بعد حرب أكتوبر، نظرا لما تمثله هذه الحرب من مرحلة هامة ودقيقه فى حياة الشخصية المصرية.

إن تتبع التاريخ المعاصر يوضح لنا أن الشخصية المصرية فى بداية الخمسينيات وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، هي التي قادت ودعمت حركات التحرر العربي والأفريقي ضد الاستعمار، ونشط الدور المصري إلى الحد الذى اعتبرته الدول الكبرى الاستعمارية مجاوزا للخطوط الحمراء لدور مصر الإقليمي ولعل ذلك كان أحد دوافع العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦.

كان لدور مصر الريادي ودعم الثورات وحركات التحرر أثره البارز فى تشكيل صورة الشخصية المصرية كشخصية رائده وقائدة فى المنطقة، وانعكست صورة الدولة على صورة الأشخاص، وبطبيعة الحال فإن صورة الدولة ما هى إلا محصلة ونتاج لصورة وأداء أفرادها. ولعل فشل العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، وتعاطف المجتمع الدولي مع مصر ووقوفه إلى جانبها فى هذه الآونة كان له أثره البارز فى دعم معنى ومفهوم القيادة فى صورة الشخصية المصرية (١).

ولذا فإنه من المهم تعريف مفهوم الصورة الذهنية :

أجريت العديد من الدراسات عن الصورة الذهنية (النمطية) تناولت دراسات عن الصورة الذهنية لقيم

ومفاهيم حضارية ومدى اختلافها بين أفراد أو جماعات ينتمون إلى حضارات وثقافات متنوعة.
كذلك تناولت الصورة الذهنية، لدول وشعوب معينة، فى وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية.
ولقد أسهمت كثير من العوامل والدوافع والأسباب فى تشكيل الصورة الذهنية أو النمطية المشوهة للإسلام والعرب فى المجتمعات الغربية، فلقد أشار د. عبد القادر طاش فى كتابه (الصورة النمطية للإسلام والعرب فى مرآة الإعلام الغربي) بأن الصحفي الأمريكي «وولتر ليبمان» كان أول من تناول موضوع الصورة النمطية (الذهنية) فى كتابه الشهير (الرأي العام) الذى نشر لأول مرة عام ١٩٢٢، أشار ليبمان إلى أن الصورة الذهنية التي تتكون لدى الإنسان عن العالم ما هي إلا تمثيل مبسط لبيئة غير حقيقية، وينتج هذا التمثيل بسبب قلة الفرص المتاحة للإنسان فى التعرف بنفسه على هذه الحقائق من جهة أخري.
ولذا فإن الإنسان يعيش فى عالمين أحدهما قريب ولكنه صغير ومحدد وهو محيطه الذى يستقى منه مباشرة معلوماته بنفسه والعالم الآخر فهو عالم بعيد وأرحب وأوسع ولذا فإنه يلجأ إلى وسائل الاتصال حتى يستقى منها معلوماته التي سماها العالم الياباني (هاياكاوا) بالعالم المنقول RE-PORTED WORLD فى مقابل العالم المحسوس من قبل الإنسان مباشرة.

وتتكون الصورة الذهنية لهذا العالم المنقول فى مدى زمني يمتد بمدى تطور مراحل الإنسان (٢).
أشار الكثيرون إلى تعريفات عدة للصورة الذهنية سواء من خلال الدراسات العربيةوالأجنبية واتفقت جميعها فى تحديد مفهوم هذا المصطلح ففي المورد «منير بعلبكى» يرد تعريف IMAGE بأنها (الصورة أو الانطباعية الذهنية) ونعنى STEREOTYPE بأنها الشيء المكرر على نحو لا يتغير أو الشيء المتفق مع نمط ثابت أو عام وتعوزه السمات الفردية المميزة. وكلمة IMAGE تدل على المحاكاة أو التمثيل، كما يعرف معجم «وبستر» هذه الكلمة بأنها (تصور عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة نحو شخص معين أو شئ بعينه.)
ويرى الدكتور «علي عجوة» فى دراسة عن الصورة الذهنية فى العلاقات العامة أن IMAGEتعنى الناتج النهائي للانطباعات الذاتية التي تتكون عند الأفراد أو الجماعة إزاء شخص معين أو نظام ما أو شعب أو جنس بعينه أو منشأة أو منظمة محلية أو دولية أو مهنة معينة، أو أى شئ آخر يمكن أن يكون له تأثير على حياة الانسان (٣) .

ومن بعد الإطلاع على هذه التعريفات يمكننا أن نقول أن مصطلح IMAGE أو STEREOTYPE مرتبطان ببعضهما ويشتركان فى دلالاتهما على الصورة الذهنية النمطية التي يمكن أن نطلق عليها الصورة الذهنية - إذ أن الصورة الذهنية IMAGE تعنى مطلق الصورة الذهنية عن الحياة والأشخاص والأشياء فهي أعم وهى كما سبق القول الناتج النهائي للانطباعات الذاتية التي تكونت عند الأفراد أو الجماعات بشكل نمطي موحد ينزع إلى الثبات دون التغير أى أنها ثابتة بالمقارنة مع الصورة التي تتغير تبعا للظروف والملابسات الواقعية.
وتعد وسائل الاتصال بمختلف أنواعها من أهم القنوات التي تسهم فى تكوين الصور الذهنية (النمطية فى أذهان الناس(٤) .

جاءت حرب يونيو ١٩٦٧ لتشكل مرحلة هامة وخطيرة فى تصوير الشخصية المصرية والعربية. وتشير البحوث والدراسات التي اهتمت بدراسة الصورة المصرية والعربية فى وسائل الإعلام الغربية (التي تسيطر على العالم بطبيعة الحال) إلى أن صورة العرب والمصريين خلال هذه الحرب جاءت صورة قاتمة للغاية ، وأن هذه الصورة أصيبت بقدر كبير من التشويه والتحريف إبان حرب ١٩٦٧، حيث صورت الشخصية العربية عموما والمصرية خصوصا بكونها الشخصية السلبية، تعانى انخفاض المستوى التعليمي، تعانى انخفاض المستوى المعيشي، عدم الشجاعة القتالية، تعانى من نظم حكم ديكتاتورية، تقلل من شأن المرأة، وأن المصريين سبب اشتعال الحرب ومن ثم يستحقون ما لحق بهم من خسائر فادحة.

فى مقابل ذلك قدمت وسائل الإعلام الغربية صورة إسرائيل فى صورة الدولة المشرفة، الدولة المفترى عليها من جيرانها ، إلا أنها دولة شجاعة غنية ، وقوية وتستطيع الدفاع عن نفسها، ديمقراطية، تتمتع بمستوى معيشي وتعليمي مرتفعا، إضافة إلى ذلك فهي دولة متحضرة ومتقدمة (٢) .

ولعل هذه الدراسات تؤكد انه من النتائج المباشرة لنكسة يونيو ١٩٦٧ التي قام الإعلام الغربي بتشويه الصورة المصرية والعربية عموماً، مقابل دوره فى تقديم صورة إسرائيل بشكل إيجابي.

ومن أهم هذه الدراسات دراسة د. عبد القادر طاش عن الصورة النمطية للإسلام والعرب فى مرآة الإعلام الغربي، وتعرضه لكافة الموضوعات من رواية وقصة وكتب مدرسية أو فى الصحافة أو السينما أو التليفزيون.

وأظهر كيف سيطر الصهاينة على معظم تلك الوسائل الهامة آنذاك فأشار إلى سيطرتهم البالغة خاصة فى مدينة السينما هوليود حيث أشار إلى أن اليهود يشكلون أغلبية مميزة من كتاب أفلامها ومسلسلاتها.

كما تناول الدكتور «غازي عوض زين عوض الله» فى دراسة (العربي فى الصحافة الأمريكية) الصورة الذهنية عن كل من العرب وإسرائيل وخصائصهم كما ظهرت فى المقالات الافتتاحية لثلاث صحف أمريكية هي نيويورك تايمز ولوس أنجلوس تايمز وكريستيان ساينس مونيتور فى الفترة الممتدة من ١٩٦٠ حتى ١٩٨٢ م.

وأوضح الباحث فى دراسته أن الصحافة الأمريكية متحيزة أشد التحيز فى معالجتها للأوضاع والمشكلات والأفكار والأخبار فيما يتعلق بإسرائيل بل وأنها تدعو وتشجع صانعي القرار على التعاطف وحماية إسرائيل (٥) .

وحينما نتناول صورة الشخصية المصرية على المستوى المحلى إبان وبعد حرب يونيو١٩٦٧، فإن الموضوعية والحياد العلمي يحتملان القول ان من النتائج المباشرة لنكسة يونيو ١٩٦٧، أحداث اهتزاز قويا فى صورة الشخصية العربية فى ذهن وعقل المواطن المصري، هذا الاهتزاز شمل عدة مستويات بداية بالقيادة السياسية وانتهاء بوسائل الإعلام، ومرورا بقيادته العسكرية وقواته المسلحة ، وأجهزة مخابراته ، إلى غير ذلك من الأجهزة، المسئولة مباشرة عما حدث فى هذه الحرب ، فقد أحس المواطن المصري بالفجوة الكبيرة بين ما كان يسمعه ويشاهده ويقرؤه فى وسائل الإعلام المصرية وما حدث على ارض الواقع من نكسة مروعة لم يكن يتوقعها فى ظل المناخ الإعلامي السائد آنذاك والذي صور له النصر على الطرف الآخر وكأنه نزهة خلوية.

ولعل هذا الاهتزاز فى صورة الشخصية المصرية قد لحق بها فى محيطها العربي والأفريقي، فبالنسبة لهذه الدول والبلدان كانت مصر الدولة الرائدة والقائدة ويعول على جيشها كثيراً فى حسم الصراع،

أما وقد حدثت هذه النكسة فإن اهتزازا حقيقيا قد أصاب الشخصية المصرية إبان هذه الحرب.
وفى المرحلة اللاحقة وتحديدا إبان حرب الاستنزاف، حققت هذه المرحلة إنجازات طيبة فى تقديم صورة الشخصية المصرية.
١- أمام الذات ، ثم أمام المحيط العربي والأفريقي والدائرة الإسلامية.
٢- أمام المجتمع الدولي بأسره.
فعلى مستوى الذات أوجدت حرب الاستنزاف فى نفوس المصريين الإحساس بالقدرة على تحقيق إنجازات عسكرية كبيرة، والقدرة على تحقيق النصر ليس بالمستحيل، وأعادت للمصريين جزءا كبيرا من الثقة فى قواتهم المسلحة، وقدرتها على محو آثار الهزيمة السابقة.
وحدث نفس التطور فى صورة الشخصية المصرية فى محيطها العربي والإسلامي والأفريقي، التي حرصت فى وسائل إعلامها ان تظهر الأنشطة والجهود العسكرية المصرية الدءوبة، والخسائر المستمرة التي ألحقتها بالعدو فى مختلف الجبهات والتي تؤكد رغبة وقدرة المصريين على محو آثار هزيمة يونيو ١٩٦٧

وأمام ما أحدثته حرب الاستنزاف من إنجازات عسكرية للجانب المصري، وخسائر تدميرية لا يستهان بها على الجانب الآخر، اضطرت وسائل الإعلام الغربية -التي تسيطر على العالم- للحديث عن الإنجازات العسكرية المصرية وضرورة حسم الصراع بالوسائل السلمية تفادياً للخسائر بين الطرفين.
ولعل هذا التطور فى الأداء العسكري المصري، وتناقله عبر وسائل الإعلام الغربية كان عاملا رئيسيا فى تعديل صورة الشخصية المصرية من صورة سلبية كما عكستها وسائل الإعلام فى عام ١٩٦٧ ، إلى صورة أخرى نشطة وإيجابية ومصرة على تحقيق إنجاز عسكري.

حرب أكتوبر وتعديل وتغيير الصورة الذهنية:
وتجئ حرب أكتوبر المجيدة ١٩٧٣ لتحدث تغييرا جوهريا إيجابيا فى صورة الشخصية المصرية والعربية ، على مستوى الذات، وفى المحيط العربي والإسلامي والأفريقي، وفى المحيط الدولي.
فعلى المستوى الدولي، فإن الجندي المصري الذى غير الحقيقة على ارض الواقع أجبر وسائل الإعلام الدولية عامة والغربية خاصة على الحديث عن الإنجاز العسكري العربي، والمفاجأة العسكرية، وسرية التخطيط والتنفيذ، والشجاعة القتالية، وإنجاز العبور، والإصرار على تحقيق النصر، فى مقابل ذلك أظهر الإعلام الغربي ولأول مرة إسرائيل بصورة الفاقد للثقة بالذات والتي تسعى إلى طلب مساعدة الأطراف المختلفة بأي الأشكال.
١- أتت حرب أكتوبر ونصر أكتوبر بالأرضية الواقعية التي كان الإعلام فى انتظارها.
٢- كانت المبادرة العسكرية أو المبادأة العسكرية، مفاجأة ليس فقط للإعلام المصري بل كانت مفاجأة للإعلام الإسرائيلي والدولي.
٣- كانت المبادأة العسكرية مفاجأة للجميع، فمصر دائما تمثل المطمع الاستعماري لدول استعمارية كثيرة على مدار التاريخ منذ آلاف السنين وحتى ١٩٦٧، فدائما ما تدافع عن أرضها وتصد أعداءها لتحمى أبناءها ولكن فى ١٩٧٣ كانت البادئة لأول مرة فى التاريخ حتى ترد أرضها المغتصبة وكرامتها وعزتها لأبنائها.
٤- دراسة سلبيات إعلام ١٩٦٧ ومحاولة إيجاد وتوضيح الصورة الحقيقية لنصر أكتوبر ١٩٧٣(٦)
.

ورغم الإقرار بتحيز الإعلام الغربي على طول الخط لصالح إسرائيل، إلا ان الموضوعية العلمية تحتم القول إن حرب أكتوبر ١٩٧٣، أجبرت وسائل الإعلام الغربية على الحديث بموضوعية عما يجرى على ارض المعركة خاصة إبان المراحل الأولى للحرب.

وعلى المستوى العربي والإسلامي والمحيط الأفريقي، فقد أحدثت حرب أكتوبر إشادة حقيقية بمستوى أداء المصريين والعرب عموماً، فقد أعاد النصر المحقق الثقة فى الشخصية المصرية والعربية وقدرتها على تحقيق النصر العسكري بعد تحطيم تلك الأساطير التي نجحت إسرائيل في ترويجها لنفسها فى وسائل إعلامها ووسائل إعلام الدول الأخرى ، تلك الأساطير التي روجت لمسئولية مصر عن حرب يونيو ١٩٦٧، وأن مصر هي الدولة المعتدية، ولإسرائيل حق الدفاع عن نفسها، والجيش الإسرائيلي ذو الأداء الباهر الذى لا يقهر (٧).

ومثلما تمثل حرب أكتوبر المجيدة على المستوى العسكري والسياسي نقطة انطلاق نحو استرجاع كامل لسيناء، ومثلما تمثل عبورا للإعلام المصري إلى مرحلة المصداقية والصدق والأمان ومحو آثار هزيمة يونيو ١٩٦٧، فإن حرب أكتوبر ١٩٧٣ تمثل أيضا عبورا بالشخصية المصرية نحو مزيد من الثقة بالذات، القدرة على الاعتماد على الذات، القدرة على تحقيق النصر، وتعود مرة أخرى ثقتها الكاملة فى قيادتها السياسية والعسكرية وأجهزة مخابراتها وكافة الأجهزة المتصلة بهذا الإنجاز العسكري الذى تربى عليه المواطن المصري وعشقه منذ عهد رمسيس الثانى وحتى الآن.

ومن الأمور التي يمكن الإشارة إليها فى هذا الصدد، أن الأداء المصري المشرف فى حرب ١٩٧٣، كان وسوف يظل نموذجا يحتذى فى تقديم صورة البطل المصري، صورة هذا البطل الذى يشمل القيادة السياسية والعسكرية التي خططت، والمقاتل الذى نفذ، ويشمل الضابط و الجندي، بكافة تخصصاته، ملاحم شجاعة وبطولة وتضحية من اجل وطنه وشعبه.

والمرأة المصرية ذات الأداء المشرف فى هذه الحرب كمجاهدة خلف قواتها المسلحة كممرضة أو متبرعة بالدماء، ولعل هذه الصورة المشرقة للبطل المصري، كانت من المفاخر الحقيقية للإعلام المصري والعربي، كما قدمت هذه الصورة للطفل المصري والعربي كنموذج لأداء البطل المشرف على كل الأصعدة (٨).

من المهم بعد هذا العرض ان نوضح عدة استنتاجات هامة:

١- إن تغيير الجندي المصري للحقائق على أرض الواقع فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ كان الأساس والعامل الرئيسي وراء إيجابية الصورة المصرية فى الإعلام بكافة أشكاله المحلية والعربية والدولية.

٢- أن معركة العبور ١٩٧٣، لا تمثل عبورا فقط على المستوى السياسي والعسكري، وإنما تضمن أيضا عبورا ونجاحا للإعلام المصري ليخرج من أزمة الثقة التي اكتنفته عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧، إلى عبوره للمصداقية بعد ١٩٧٣ ونجاحه فى توصيل هذه المصداقية إلى الجماهير.

٣- أن صورة الدولة فى الداخل والخارج، ما هي إلا نتاج لمجهودات وأنشطة أفرادها فى الداخل. ولعل سيمفونية التعاون بين أجهزة الدولة المختلفة، وبين الأفراد على اختلاف مهنهم ودياناتهم وأعمارهم كان أساس عبور ١٩٧٣.

٤- تمثل حرب أكتوبر ١٩٧٣ عبورا بالشخصية المصرية إلى الثقة بالذات، والقدرة على تحقيق

الإنجازات الكبيرة، بعد مرحلة لم تدم طويلا من فقدان الثقة بالنفس، واهتزاز نموذج الشخصية المصرية في نفوس المصريين.

٥- الاهتمام باستمرار بتوضيح الصورة لكافة الجماهير حتى تعطى الصورة الحقيقية للقوات المسلحة ودورها لأنها تمثل الدرع الواقي ليس لمصر ولكن للعالم العربي كافة.

٦- أهمية الإشادة بالدور الذى يلعبه التوجيه المعنوي لتوضيح مثل هذه الصورة الإيجابية من خلال العديد من البرامج الإذاعية والتليفزيونية وأيضا من خلال القنوات الفضائية حتى يتعرف الجميع على إمكانياتنا المصرية الدفاعية والوقائية كما سبق القول لأنه بالفعل قواتنا المسلحة المصرية هي الدرع الواقي لكافة شعوبنا العربية.

الهامش:

(١) هدد الاتحاد السوفيتي (آنذاك بالتدخل العسكري إذا لم تنسحب القوات الثلاثية المعتدية وكذلك تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية.

(٢) عبد القادر طاش: الصورة الذهنية النمطية للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي. شركة الدائرة للإعلام المحدودة. (المملكة العربية السعودية). ١٩٨٩ ص١٦.

(٣) علي عجوة: العلاقات العامة والصورة الذهنية. عالم الكتب. (القاهرة) ١٩٨٣ ص١٠.

(٤) ماجي الحلواني حسين: الإعلام الإسلامي، التحديات والمواجهة. مكتبة مصباح. (جدة) ١٩٩١ ص٥٥.

(٥) أنظر في ذلك:-نادية سالم: صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة. معهد البحوث العربية. (القاهرة)١٩٧٨.

-ميخائيل سليمان: صورة العرب في عقول الأمريكيين. مركز دراسات الوحدة العربية(بيروت) ١٩٨٧.

للاستزادة في هذا الموضوع ارجع إلى: غازي عوض الله: العربي في الصحافة الأمريكية. (جدة: تهامة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م)

(٦) للاستزادة في هذا الموضوع ارجع إلى: سمير سعيد فرج: دور الإعلام في إعداد الدولة للدفاع تحقيقاً لأمن مصر القومي، أكاديمية ناصر العسكرية العليا، رسالة دكتوراة غير منشورة، القاهرة ١٩٩٨.

(٧) راجية قنديل: الصراع العربي-الإسرائيلي في صحيفة الجيروزاليم بوست أعوام ٦٦، ٦٧، ٦٨، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٧٦.

(٨) اعتماد خلف: صورة البطل المقدام في مجتمع الحرب والسلام، رسالة دكتوراة غير منشورة، معهد دراسات الطفولة، جامعة عين شمس.

التعقيب :

د. طه عبد العليم

نائب مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ـ الأهرام

أولا : التعقيب على ورقة الأستاذ الدكتور /فتحى نجيب

ينطلق الأستاذ الدكتور فتحي نجيب من تعريف واسع للثقافة بأنها مجموع الأفكار والقيم الفكرية السائدة، التي تؤدى إلى صياغة رؤية الإنسان الى الحياة ومن ثم تقود سلوكه فى مجابهة ما يتولد من مشاكل، وعلى أساس تشخيصه لهزيمة يونيو ١٩٦٧ بإعتبارها زلزالا أدى الى انهيار قواعد ومسلمات الرؤى الثقافية للشعب حيال قضايا الوطن، أعقبه بناء قواعد ورؤى ثقافية جديدة هيأت لحرب ونصر أكتوبر يرصد الباحث المرموق ثلاثة متغيرات ثقافية أساسية، نتعرض لها فى هذا التعقيب بملاحظات موجزة.

١-عودة روح المشاركة الإيجابية للشعب فى قضايا الوطن :

يرصد الباحث وبحق أن هيمنة الدولة على صنع القرار قبل عام ١٩٦٧ قد ولدت موقفا سلبيا للمواطن تجاه المشاركة الفاعلة فى قضايا الوطن. والواقع أن الإنجازات الوطنية الكبرى مثل تأميم قناة السويس، وسياسات التغيير الاجتماعي، وانتصارات التحرر الوطني، وإنجازات التنمية والتصنيع، ومعركة بناء السد العالي.. الخ، قد جعلت القطاعات الأوسع من الشعب تكتفي بتأييد الزعيم الملهم قائد هذه الإنجازات. لكن هذا لا ينبغى أن يغفل حقيقة أن غياب المشاركة الإيجابية للنخبة المصرية فضلا عن الجماهير الشعبية كان محصلة تاريخية للنظام السياسي الشمولي للعهد الناصري، الذى ارتكز الى تأميم الحياة السياسية، وإلغاء التعددية الحزبية، ومصادرة حرية الصحافة، وإهدار الحريات السياسية، وانتهاك حقوق الإنسان.

وبالفعل فقد تعددت مظاهر عودة روح المشاركة الإيجابية للشعب فى قضايا الوطن -بكلمات الباحث- وهو ما تجلى فى مظاهرات الطلاب والعمال فى عامي ١٩٦٨ المطالبة بالتغيير، ومظاهرات الطلاب ١٩٧٢ المطالبة بخوض حرب التحرير، فضلاً عن قبول كل ألوان التضحيات من أجل تحرير التراب الوطني واسترداد الكرامة الوطنية. فإن استمرار جوهر النظام السياسي الشمولي رغم حركة التصحيح فى مايو ١٩٧١، بقى عائقا أمام الحريات السياسية والتعددية السياسية وحرية الرأي وغير ذلك من شروط المشاركة السياسية للشعب والنخبة فى صنع القرار. وإلى جانب نظرية الأستاذ محمد حسنين هيكل حول قيادة الزعيم للأمة بواسطة الراديو والترانزيستور، وفلسفة تصنيف الأمة الى شعب وأعداء للشعب، جاء شعار لا صوت يعلو

فوق صوت المعركة ليضيف الى ترسانة قمع المشاركة السياسية الحقيقية فى صنع مصير الوطن.
وهكذا، فان تنامي المشاركة السياسية الفاعلة من جانب النخبة والشعب فى صناعة القرار السياسي، قد تطور تدريجيا مع التحولات الاقتصادية والسياسية نحو التعددية الأساسية وحرية الصحافة وغير ذلك من أشكال الانفتاح السياسي والتطور الديموقراطي وغير ذلك من التحولات التى شهدها المجتمع المصرى بعد نصر أكتوبر، وبالذات فى عهد مبارك عقب تحرير الأرض وتحقيق السلام والإصلاح الاقتصادي.

٢- إعلاء مكانة العلم والخبرة :
ويشير الباحث -وبحق أيضاً- إلى التوجه لأهل العلم والخبرة بدلا من أهل الثقة، مشيرا إلى مثال اختيار عبد الناصر لحسنى مبارك رئيسا لأركان القوات الجوية ثم اختيار السادات له قائدا للقوات الجوية. بيد أن هذا، من حيث الأساس قد اقتصر على تولى مواقع القيادة العسكرية بسبب الهزيمة التى قادت إليها مراكز القوى من أهل الثقة من جهة، والمظاهرات الشعبية ضد القيادات العسكرية خاصة قيادات الطيران التى حملت مسئولية الهزيمة، من جهة أخرى.
بيد أن الإطاحة اللاحقة بما سمي بمراكز القوى فى انقلاب مايو ١٩٧١، كشفت استمرار سطوة الاتحاد الاشتراكي فى مجال تعيين جميع قيادات الدولة فى كافة الأجهزة. وبدوره فإن الرئيس السادات فى صراعه مع خصومه إستند بدوره على حلقة ضيقة موثوق بها على رأس أجهزة الدولة المدنية. وفى الحالتين، فان القيادات الجديدة للقوات المسلحة بعد هزيمة يونيو، لم تكن مشغولة بغير تحرير الأرض واسترداد الكرامة وبقيت بعيدة عن صراعات الحكم، ومن ثم فقد إستمرت معايير الكفاءة والتفاني والعلم هى المحدد الرئيسى لاختيارها فى مواقع القيادة.
إلا أنه لا ينبغى تجاهل خطورة تلك الأسلحة التى استخدمها السادات فى صراعه السياسي ضد اليسار، بدءاً من شعار دولة؛ العلم والإيمان، ومحاولة التحالف مع الإخوان المسلمين، ثم مهادنة بل واستخدام وتقوية الجماعات الإسلامية فى الجامعات. فقد أثمرت هذه التطورات قبل حرب أكتوبر نكسة لا يزال الوطن يدفع ثمنها، مثل إشعال الفتنة الطائفية، وانتشار قوى التطرف الديني، ونمو الإرهاب بإسم الإسلام، وما يرتبط بهذا كله من نمو للشعوذة السياسية والفكرية على حساب التفكير العلمي. وقد نضيف هنا أن استمرار التطور على طريق بناء اقتصاد سوق اجتماعي واستكمال البناء الديموقراطي والتقدم صوب مجتمع الكفاءة والرشادة والعقلانية هو وحده السبيل لنمو وازدهار تلك الجذور التى نمت فى أحشاء مصر الحبلى بإنتصار أكتوبر. نقصد إعلاء شأن العلم والخبرة فى قيادة الأمة نحو التقدم الشامل واللحاق بعصر العلم والكفاءة، باعتبارها شروط الانتصار فى معترك التنافسية.

٣- بناء قاعدة جديدة للتعامل الفكري والإعلامي مع العدو :
وأخيراً، يبرز الباحث وبحق أن سبباً جوهرياً فى الهزيمة يكمن فى تكوين صورة غير واقعية للعدو، وأن هزيمة يونيو قد دفعت الى التسليم بضرورة الدراسة العلمية لقوى العدو. وفى هذا السياق، على سبيل المثال، كان تأسيس مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية فى إطار مؤسسة الأهرام فى عام ١٩٦٨، وهو المركز الذى تغير اسمه بعد حرب أكتوبر الى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام. وفى أعقاب حرب أكتوبر ومع تقدم عملية السلام اتسع نطاق البحوث، التي تهتم بدراسة المجتمع والدولة والاقتصاد والنخبة السياسية فى إسرائيل.
وفى إطار صراع السلام، تتزايد فى تقديرنا أهمية توسيع نطاق وارتقاء نوعية الدراسات الإسرائيلية حتى

تستطيع مصر أن تنتصر فى هذا الصراع السياسي والاقتصادي والتكنولوجي والثقافي، على أساس من عدم التهوين وعدم التهويل من شأن القدرة الإسرائيلية، وعلى أساس التحديد الموضوعي لنقاط القوة ونقاط الضعف المقارنة لإسرائيل. وبقدر تقدم عملية بناء سلام شامل ومتوازن ومتكافئ ينبغى أن يسهم التعليم والإعلام فى تحويل صورة العدو الى صورة الآخر مدركين أن إسرائيل هى المسئولة عن استمرار ثقافة الحرب فى المنطقة، وأن استمرار التناقضات بين مصر وإسرائيل يفرض عدم الوقوع فى ثقافة أحادية وعدم تجاهل ضرورات الصراع بغير أدوات الحرب، وبالذات حول الدور الإقليمي.

التعقيب على ورقة أ.د./ ماجي الحلواني:

تناولت الأستاذة الدكتورة ماجي الحلواني على ثلاثة مستويات للتحليل، أثر حرب أكتوبر على صورة الشخصية المصرية بعد هزيمة يونيو ثم بعد نصر أكتوبر: أمام الذات من ناحية وأمام ما تصفه بمحيطها العربي والإسلامي والأفريقي من ناحية أخرى، ثم أمام بقية العالم.
وتوضح الباحثة أولاً، أن الصورة النمطية الذهنية لا تعدو تمثيلا مبسطاً وتصوراً شائعاً، منقولاً عبر وسائل الاتصال على الأغلب، يشير أساساً إلى اتجاه جماعة معنية نحو شئ آخر (شعب آخر مثلا)، ثم تشير إلى أن صورة الشخصية العربية عموما والمصرية خصوصا فى وسائل الإعلام الغربية المتحيزة ضد العرب ولصالح إسرائيل والخاضعة لسيطرة اليهود، قدمت عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧ بسمات أبرزها: السلبية، وانخفاض مستوى ونوعية التعليم، والفقر، والإفتقار للشجاعة وروح القتال، والرضوخ للقهر السياسي، وتدنى مكانة المرأة، والمسئولية عن الحرب، واستحقاق الهزيمة. وفى المقابل قدمت صورة إسرائيل باعتبارها دولة مشرفة، ومفترى عليها، وشجاعة، وغنية، وقوية قادرة على الدفاع عن نفسها، وديمقراطية، ومتعلمة، ومتحضرة، ومتقدمة.
وتسلم الباحثة ثانياً، وإن كان بحذر غير مبرر، بأن نتائج ١٩٦٧ أحدثت اهتزازا قويا فى صورة الشخصية المصرية، أمام الذات بسبب الفجوة بين ما سمع وما حدث، وفى محيطها العربي الأفريقي نتيجة عدم النصر. وهو الترديد المكثف لمفردات النكسة بدلا من الهزيمة فى وصف حصاد حرب ١٩٦٧، والقول بأن الموضوعية والحياد يحتملان القول وعدم القدرة على النصر بدل الهزيمة. ثم ترصد -وبحق- إن حرب الاستنزاف أخذت تبدل الصورة السلبية للشخصية المصرية: أمام الذات وفى محيطها، حيث تعززت الثقة بأن القدرة على النصر ليست مستحيلة، واستعادت الأمة قدراً من الثقة بقواتها المسلحة، وحتى فى الإعلام الغربي الذى أخذ يشير إلى الإنجازات العسكرية، ويؤكد على التسوية السلمية تقليلا لخسائر الطرفين.
مشيرة إلى عبور الإعلام المصري إلى المصداقية، تبرز أثر نصر أكتوبر فى إحداث تغيير إيجابي جوهري فى صورة الشخصية المصرية والعربية، أمام الذات، حيث استردت الثقة بالنفس والاعتماد على الذات والقدرة على النصر، والثقة فى القيادة السياسية والعسكرية، وتغيرت صورة الدولة باعتبارها نتاجاً لجهود أفرادها فى سيمفونية تعاون، وتأكد دور القوات المسلحة كدرع دائم لمصر والأمة العربية، وبرزت صورة البطل القائد والمقاتل، وارتفعت مكانة المرأة بأدائها المشرف خلال حرب أكتوبر. وأما فى المحيط العربي الإسلامي والأفريقي، فقد عادت الثقة فى الشخصية المصرية والعربية وقدرتها على النصر، وتغيرت صورة جيش إسرائيل الذى لا يقهر. أخيراً، فقد تحول الخطاب الإعلامي الغربي للحديث عن: الإنجاز العسكري والمفاجأة العسكرية وسرية التخطيط والتنفيذ والشجاعة القتالية وإنجاز العبور والإصرار على النصر، ومتابعته الموضوعية للمعركة خاصة فى مراحلها الأولى، كما أبرز ولأول مرة إسرائيل باعتبارها فاقدة للثقة

بالنفس، وتسعى إلى طلب المساعدة.

والواقع أننا لا نرى مبالغة فيما أوجزناه من أثر حرب أكتوبر على تحول صورة الشخصية المصرية من صورة سلبية إلى أخرى إيجابية. وننطلق فى هذا، من تعريف علم الاجتماع للشخصية القومية، باعتبارها محصلة تلك السمات النفسية والاجتماعية التي تميز شعبا من الشعوب، وأن الشخصية القومية بهذا المعنى وإن اتصفت بالثبات النسبي، تتغير مع التغير الاجتماعي والنظامي الجذري، أو مع حدث هائل مثل خوض حرب وطنيه كبرى. وبالفعل فان تحقيق نصر بقيمة نصر أكتوبر وتجاوز هزيمة بحجم هزيمة يونيو، وما ترتب على تجاوز الهزيمة وإنجاز النصر من تحولات استراتيجية كبرى فى مصر، اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، كان له أبلغ الأثر على تبدل الشخصية القومية المصرية. ومن هذا المنظور بالذات نعرض بإيجاز لعدد من الملاحظات الأساسية.

أولاً: أننا بحاجة ملحة إذا أردنا الانتصار فى معركة التنمية والتقدم أن نتناول بالبحث العلمي الدقيق والقراءة النقدية الموضوعية نقاط القوة وعوامل الضعف فى الشخصية القومية المصرية. وسوف يسمح هذا بأن نحول صورة الشخصية المصرية أمام الذات، وأمام محيطنا العربي، وأمام العالم إلى صورة إيجابية بالفعل بقدر ما نقلص نقاط الضعف ونعظم عوامل القوة. ويتطلب هذا، إلى جانب دراسة الواقع الراهن، التعلم من دروس الهزيمة والانتصار، أي: ضرورة تحول النخبة والشعب من السلبية إلى المشاركة فى صنع مصير الأمة، والتحول من العفوية والفهلوة إلى التخطيط فى بناء المستقبل، وتجاوز الفجوة بين القول والفعل، وتعظيم الاهتمام بالتعليم والبحث العلمي والتكنولوجي، ومواصلة التحول الديموقراطي، واستكمال مهام تحرير المرأة. أضف إلى هذا، ضرورة إعلاء قيم العمل والطموح والجدية والإتقان والادخار والاستثمار الإنتاجي، والتحلى بالنظرة الواقعية والروح العملية والحساب الرشيد للتكلفة والعائد، وتعزيز الثقة بالقدرة على الانتصار فى معارك التنمية والتقدم والمنافسة، وإبراز صورة البطل - عاملا مبدعاً ومديراً ناجحاً، ورجل أعمال ينهض بدوره التنموي والاجتماعي، وعاملا على الإنتاجية، وطالبا متفوقا فى دراسته... إلخ. وأخيراً، إدراك أن تعزيز القيادة الإقليمية يستند إلى تقديم قوة المثال، وتحقيق تفوق القدرة، ودفع ثمن القيادة. بيد أن هذا لابد وأن يستند إلى مصلحة مصر أولاً، وحساب رشيد لتكلفة وعائد هذا الدور، وواقعية حساب ميزان القوى العالمي، وتجنب التورط فى حروب مع دول الجوار إلا دفاعا عن النفس ضد عدوان.

وثانياً: أن تقديم صورة نقدية موضوعية لإسرائيل يتسم بأهمية بالغة فى صراع السلام. ونرصد بوجه خاص ضرورة الإجابة العلمية على أسئلة جوهرية منها، على سبيل المثال هل هناك إسرائيل واحدة؟ وما هي الخريطة السياسية والوزن المتغير للقوى التي تريد بناء السلام المتوازن والشامل وتلك التي تسعى إلى استمرار الصراع بذريعة الأمن أو المرجعية الدينية؟ وكيف تدار التفاعلات الإقليمية بدور مصري إقليمي قيادي فى ظل سيناريوهات انهيار التسوية أو تحقيق السلام؟ وكيف نعزز قوى السلام فى إسرائيل ونكسبها لمفهومه المتوازن والمتكافئ؟

وثالثاً: أن تعديل الصورة الزائفة للشخصية المصرية خصوصاً والعربية عموماً فى عيون الغرب إلى صورة واقعية، وتحويل هذه الصورة من التشويه إلى الموضوعية، يتوقف بدرجة هامة على حقيقة أن الأمم حيثما تضع نفسها، وعدم الإساءة إلى الذات كما هو شأن منظمات وأعمال الإرهاب، وبناء مصالح مشتركة مستقرة مع الولايات المتحدة والقارة الأوروبية.

■ المناقشات:

د. عبد المنعم سعيد:

معرفة العدو:

١- حتى عام ١٩٧٠ لم يكن هناك مقرر دراسي واحد في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية على إسرائيل وتم فرض هذا المقرر فقط في عام ١٩٧٠ بضغط من الطلبة. والذي كان يرى أن ندرس الطرف الآخر كان في حد ذاته مشكلة أو تطبيعاً أو اعترافاً به وهذا معناه في حاضرنا الحالي أن نعرف المشكلات ونجعل الناس تعرف بهذه المشكلات. بمعنى أننا عندما بدأنا في مركز الدراسات وفي مناطق أخرى كثيرة في مصر وكما قيل كان الرائد في هذا أحمد بهاء الدين في كتابه عن الإسرائيليات أن نعرف ما هي المشكلة تحديداً، ما هي أحزاب إسرائيل، وكيف تفكر، ما هي المعاني الأيديولوجية، كيف يستخدمون الدين...إلخ. فأنا أدعو في الحقيقة أن ما كنت أذكره بالغضب ليس في الواقع الغضب بالمعنى السلبي ولكن أن مشاكلنا الاجتماعية الكبرى هي أعداؤنا وبالتالي ينبغي التعريف بها، التعريف بها في الكتب المدرسية، التعريف بها بأجهزة الإعلام والصحافة أمام الشعب المصري كشيء أساسي.

٢- هى مسألة قيمة العمل، بالفعل لا يوجد شيء يحث المجتمع كثيراً على العمل، بمعنى أن الأشعار، والأغاني، المسرحيات، الأدب، وكثير من الأشياء لاتحث على العمل، أنا أعجب حتى من أديبنا الكبير نجيب محفوظ، لا يوجد في رواياته شخصا واحدا يعمل، معظم شخصياته وأبطاله إما على المقهى وإما في المكتب ومندرجين في حالة تأمل شديدة ومناجاة مع الذات وحوارات فلسفية عميقة جداً ولكنني أحترم أدبه بالرغم من هذا احتراماً شديداً جداً.

إنما أريد أن أقول أن هذا يعبر عن أنه لا يوجد لدينا شيء يحث على العمل... قليل جداً وأعتقد أن هذا يجب أن يتحول لبرامج معينة لأن هذا في النهاية أياً كانت المسألة... مقاومة الفقر... التطور العلمي والتكنولوجي معناها ساعات عمل طويلة جداً، تماماً مثلما حدث في أكتوبر.

الوزيرة ميرفت تلاوي:

في الحقيقة بالنسبة للعمل فأنا أضم صوتي لصوت الدكتور عبد المنعم سعيد، فمنذ ثورة يوليو ونحن نردد أن العمل شرف، العمل عبادة، لكن لم ننجح في أن نغرسه تماماً، فعندما كنت سفيرة كان يأتي إلى شباب ويقولون لي، يجب ألا تصدقي أني أعمل بالنقاشة فأنا خريج كلية الآداب، قسم جغرافيا، ولكن مدون ببطاقتي أني نقاش حتى أجد عملاً. وإن كان يعلم أنه سيقتات من هذه المهنة بالرغم من أن كلية الآداب لم تعطه هذه الفرصة ولكنه يخجل من أن يذكر أنه يعمل بهذه المهنة. فالعمل الشريف أياً كان، إن لم يكن مقترناً بشهادة فهو ليس مقبولاً وهذا أمر غير وارد في الدول المتقدمة. ونحن في حاجة بالفعل إلى إعلاء قيمة العمل وإلى تعلم كيفية التعاون في مجال العمل وهي قضية الإدارة التي أثيرت اليوم وهي قضية أي مدير أو مسئول لأنه لا يوجد موظفون يريدون التعاون سوياً وهو أمر خطير، يجب أن نتعلم ال Collective work. فمثلما يفعلون في اليابان يتعود الفرد على التعاون من المدرسة فيقومون بأداء الواجبات المدرسية في جماعات.

د. فتحي نجيب:

تكلم الدكتور طه عبد العليم عن الانفجار السكاني وقيم المسألة من حيث الإيجابيات والسلبيات، الثأر من الممكن أن يكون له إيجابيات وسلبيات، أنا لم أتناول هذه المسائل كبحث في الظاهرة ولكن كنت أتناولها من زاوية كيف أن قيمة ثقافية تؤدي إلى ظاهرة اجتماعية.

السيدة سكينة فؤاد:

أحيي الدكتور فتحي نجيب على قضية القيم الثقافية ولإشارة السيدة الوزيرة لقيمة العمل مما يؤكد أن كثيراً من التحولات لم يصاحبها تغيير في الأنساق الثقافية المتراجعة أو المتخلفة وهذه قضية كبيرة جداً بالنسبة لواقع المرأة... لأن التحولات كانت تحولات شكلية أما في جوهر الوعي فكثير من القيم الدينية تستطيع أن تؤسس لنا مجتمعاً بالغ التقدم ولكن نطرح المتخلف دائماً إذن لا استخدام ديني صحيح، قيمة العمل: جوهر الدين، هل نعرفها؟

نادينا بالتعليم المتوسط ولم نؤمن به على الإطلاق، فأصبح الشاب يحتاج لأن يضع شهادة جامعية لكي يتقدم إلى المجتمع. إذن التحولات كانت شكلية ولم تكن في جوهر التأسيس المجتمعي الذي تصنعه القيمة الثقافية وهذه إحدى إشكالياتنا الكبرى، التحولات التي تمثلها ضرورة التغيير الثقافي، لأن قضية التغيير الثقافي قضية من أخطر ما يمكن، ونحن نتحدث كثيراً عن الطرح والطرح الجديد وكيف نتحول، بينما المجتمع محاصر داخل مجموعة من الأفكار التقليدية التي تسحبه إلى الوراء، وهذا ما رأيناه في الورقة الخاصة بالمرأة وفي واقع المرأة بشدة. وأنا أؤكد على قيمة التعرف على العدو، التعرف بالحجم الموضوعي والحقيقي، من هو وما هو، وإنما أضع بين أقواس أن التعرف غير التواصل. لأنه طالما يمارس هذا العدوان وطالما يجهض كل الأعراف والشرعيات وكل هذا، التعرف شيء وأني أتواصل أو أتصل من أجل أن أعرفه أكثر شيء آخر، وهذا ما نرفضه، نحن نستطيع أن نعرفه جيداً ولكنه لا يجب أن يحقق أي مكاسب على الأرض العربية على الوجدان العربي في الأمة العربية طالما أنه يمارس كل الانتهاكات لكل الشرعية الدولية كما نشاهد الآن.

الورقة الثالثة :

الأبعاد الإجتماعية لحرب أكتوبر ١٩٧٣

أ. حمدي الكنيسي

رئيس الإذاعة/ مراسل حربي - حرب أكتوبر

١- أذكر أنني فى أحد أيام حرب الاستنزاف «التي يعتبرها بعض المؤرخين حربا مستقلة بذاتها لصالح مصر»، حملت جهاز التسجيل الإذاعي متجها إلى الجبهة ووصلت إلى أحد المواقع بالقرب من الإسماعيلية بعد اشتباك عنيف بالمدفعية أعقبته غارات انتقامية شنتها الطائرات الإسرائيلية، وعندما دعوت قائد الموقع لإجراء لقاء معه لبرنامجي اليومي دعاني لمشاهدة حطام طائرة فانتوم أسقطت عند مسافة بعيدة نسبيا من الموقع، ثم توقف معي أمام الآثار التي أحدثتها القنابل زنة الألف رطل التي ألقتها الطائرات الإسرائيلية ومازلت أذكر قوله لي: «أنظر كيف تحولت الأرض إلى ما يشبه سطح القمر كما يظهر فى الصور من فجوات وحفر هائلة» ثم أردف قائلا : المهم أنه تحت هذا الضغط الذي استغلت فيه إسرائيل عدم استكمال خطوط دفاعنا الجوى لم تهتز إطلاقا إرادة أي جندي من رجالنا، هذا الجندي الذي لا يحصل على إجازة إلا فى فترات متباعدة، و قد يسافر إلى أسرته - فى الريف مثلا - لتحاصره بعض المشاكل الحياتية التى تواجهها الأسرة، لكنه يعود من الإجازة ليستأنف دوره مع الكتيبة بمنتهى الحماس و الإصرار ، وقبل أن أعلق على كلمات العقيد «س. م» أضاف قائلا :أنه الجندي المصري ابن اعظم حضارة.. هو وحده القادر على هذا الأداء و هذا العطاء .

٢- تذكرت ذلك الحوار.. فى ذلك الموقع.. فى ذلك اليوم من أيام حرب الاستنزاف عندما تأهبت لإعداد هذه الدراسة عن الأبعاد الاجتماعية فيما قبل حرب أكتوبر، ذلك لأن هذا النموذج الذي تحدث عنه قائده بحماس مستحق، و الذي يمثله نفس ذلك القائد وكل أفراد قواتنا المسلحة، ما هو إلا تجسيد للشخصية المصرية فى تأثرها بالأحداث و الانكسارات والانتصارات حيث تنطلق صفات ومقومات الإنسان المصري من تاريخه كصاحب اقدم حضارة فى التاريخ حاملا فى نسيج شخصيته

بصمات المراحل التاريخية التى مرت بها مصر وهي الفرعونية والمسيحية والعربية الإسلامية، وهكذا اجتمعت فيه صفات السماحة والاتزان والاعتدال والصبر واحتمال المشاق والقدرة على التكيف، وانطلاق أكبر الطاقات من داخله فى لحظات الخطر والتحدي ، ولعله من تحصيل الحاصل أن نقول انه بهذه الصفات والمقومات، وهذه الروح قهر الشعب المصري جحافل الهكسوس، واندحرت أمامه فلول الفرس والرومان والمغول والصليبيين، وتحطمت على صخرة عزيمته وصلابته أحلام فرنسا وإنجلترا

٣- وحيث أن هذا هو (الإنسان) فإن المجتمع يقوم بالتالي - ترجمة لما يتأثر به ويتفاعل معه، وبهذا المفهوم نستطيع أن نقول مطمئنين إن المجتمع المصري تجاوز بسرعة غير عادية التأثيرات التقليدية للمفاجأة المذهلة المتمثلة في نكسة ١٩٦٧ ابتداء من رفض الهزيمة بخروج الشعب كله في ٩و١٠ يونية رافضا تنحي الرئيس «جمال عبد الناصر» وكان ذلك تجسيداً حيا لبقاء الإرادة ورفض الهزيمة وإعلاناً عن إصرار المجتمع على تجاوز ما كان يمكن أن يحوله إلى جزر آدمية منعزلة تعيش داخل وطن واحد وقلوبها شتى واتجاهاتها متباينة متضاربة .. ما كان يمكن أن يتفشى من تمزق وتفكك اجتماعي، وفقدان للثقة في كل شئ، ووقوع فيما يسمى بالكآبة الاجتماعية والانحرافات المختلفة وأعمال العنف الهوجاء ثم اللامبالاة أو الأنا مالية

٤-وبنفس القدر تجاوز المجتمع السقوط في دائرة المبالغة في قوة العدو خاصة مع طبول الدعاية التي أخذت أجهزة الإعلام الإسرائيلية والغربية تدقها في صخب مدروس لتصور جيش الدفاع وكأنه الجيش الأسطوري الذي لا يقهر والذي يستند إلى موانع عديدة تقف في وجه الجيش المصري كالمستحيل.

٥- ويوضح ذلك تجاوز المجتمع بسرعة بالغة لتلك المشاعر الغاضبة التي عبرت عنها بعض «النكت» التي انطلقت في أعقاب الهزيمة والتي تم دس معظمها «من الخارج» للانتقاص من شجاعة وكفاءة المقاتل المصري وإحداث شرخ في العلاقة بين الشعب والجيش ، فسرعان ما تلاشت تلك النكت والتعليقات، وزاد التحام الجبهة الداخلية بالقوات المسلحة وتضاعفت الثقة في قدرتها على تحرير الأرض والكرامة. وهكذا بالأصالة والصلابة تحرك المجتمع المصري والعربي مناديا بضرورة المواجهة والعمل السريع من أجل تعويض ما فات وتحقيق ما رفعه الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» من شعارات بأنه لا صوت يعلو على صوت المعركة وأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة .. وليس هناك أدنى شك في أنه مما ساعد على استعادة المجتمع لتماسكه وتوازنه ما قامت به قواتنا المسلحة من خلال بعض المعارك مثل معركة «رأس العش» في ١ يوليو ١٩٦٧، وعندما انطلقت طائرتنا - قبل مضي شهر على النكسة - في غارات مفاجئه على المواقع التي احتلها العدو في سيناء لتعلن أن إرادتنا لم تهتز وتصميمنا لم يتراجع، واستطاع العدد القليل من طيارينا أن يدمروا تلك المواقع ويطاردوا الجنود الإسرائيليين الذين فروا منها مذعورين منهارين

٦- ثم كانت الضربة الموجعة التي وجهتها البحرية المصرية لإسرائيل في ٢١ أكتوبر من نفس عام النكسة عندما أغرقت المدمرة «إيلات» التي كانت تختال صلفا وغرورا بالقرب من شواطئنا شمال «بور سعيد» فتصدى لها زورقان قاما بمناورة رائعة ثم وجها لها صاروخين فانشطرت لنصفين وابتلعها البحر مع معظم أفراد طاقمها من جنود وضباط وتواصلت تلك العمليات لتصل إلى ذروتها من خلال حرب الاستنزاف التي اعتبرها - كما قال - بعض المؤرخين حربا مستقلة ذاقت فيها إسرائيل خسائر مادية ومعنوية لم تتوقعها بأي حال وقد أكدت تلك الحرب الاستنزافية التضامن والتكامل بين الجبهة الداخلية والجبهة العسكرية خاصة عندما شارك العمال والمهندسون من شركات المقاولات في بناء قواعد الصواريخ .. وقدم بعضهم حياته فداء للوطن.

٧- هذا وليس معنى تجاوز المجتمع المصري لما كان يمكن أن تحدثه نكسة يونيو ٦٧ من تأثيرات اجتماعية ونفسية مدمرة بسرعة غير عادية، أنه لم تحدث بعض التقلصات ومظاهر القلق لكنها كانت تتسم بالإيجابية بمعنى أنها كانت ترتبط بالرغبة في الإسراع في المواجهة العسكرية مع المحتل، وقد ساهم في إيجاد تلك الحالات من تقلصات ومظاهر قلق ما كان العدو يرتكبه من عمليات استفزازية وإجرامية مثل الهجوم على مطار بيروت (المدني) وتدمير عدد من طائرات الركاب العربية، ثم حادث مصنع «أبو زعبل» في ١٢ فبراير ١٩٧٠ الذي راح ضحية قصفه بالقنابل الغادرة ٨٩ عاملاً وسقط مثلهم جرحى ومصابون، ثم الغارة الإجرامية على مدرسة «بحر البقر» في ٨ إبريل سنة ١٩٧٠ واستشهاد ثلاثين طفلا وأحد عمال المدرسة وإصابة العشرات

٨- وخاض المجتمع المصري والعربي بعد ذلك أزمات عنيفة مثل «أيلول الأسود» بين الجيش الأردني والفدائين الفلسطينيين ..ووفاة الرئيس «عبد الناصر» في ٢٨سبتمبر من عام ١٩٧٠، وما كاد الرئيس «أنور السادات» يتولى مقاليد الأمور حتى كانت حركة أو معركة تصفية مراكز القوى في مايو ١٩٧١ ،وقد ظهرت بوضوح أصالة وعراقة المجتمع المصري في تصديه الفوري لمحاولة المساس بوحدته الوطنية عندما وقعت بعض الحوادث المتفرقة بهدف خلق فجوة بين المسلمين والمسيحيين، وكان ذلك في أعقاب نمو تيار ديني عصبي استثمره ذو الأغراض الشخصية وغذته قوى خارجية.

٩- ثم شهد شهر ديسمبر من عام ١٩٧٢ مظاهرات الطلاب التي لم يحركها سوى الرغبة العارمة في سرعة التحرك العسكري من أجل الثأر والتحرير. خاصة بعد أن تهيأ المجتمع لذلك التحرك وكان ما سمي بعام «الضباب»، حيث تساءل البعض عن جدية استعداد القيادة فعليا لخوض الحرب المنشودة، لكن المجتمع - كعادته - لم يفقد تماسكه.. ولم يتخل لحظة عن ثقته في قيادته وفي أن ساعة التحرير قادمة لا ريب فيها.

١٠- وإحقاقا للحق نقول أن تحرك الدولة سواء في عهد الرئيس عبد الناصر أو في عهد الرئيس «السادات »أفاد كثيرا في الحفاظ على تماسك المجتمع، - فكان على سبيل المثال بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ الذي حدد فيه الرئيس الراحل عبد الناصر أهداف المرحلة كالتالي:

أ-إعادة بناء القوات المسلحة.

ب- تحقيق الصمود الاقتصادي.

ج- تصفية مراكز القوى (التي كانت مرتبطة بالمشير عامر).

د- كشف انحرافات وأخطار المرحلة السابقة من خلال المحاكمات العلنية.

هـ- تكثيف الجهود السياسية من أجل المعركة.

١١- كذلك كان برنامج العمل الوطني الذي قدمه الرئيس الراحل »أنور السادات« في ٢٣ يولية ١٩٧١ والذي أوضح خطوات العمل التي تتخذها الدول من أجل إقامة الدولة الحديثة والتأكيد على أنها دولة الإنسان الحر المعتز بوطنه وكرامته والقادر على خوض معركة التحرير ، دولة الحرية والديمقراطية.

١٢- من جهة أخرى كان للإعلام والفن والأدب دور هام في الإسهام في تجاوز المجتمع لما كان يمكن أن تحدثه نكسة يونية من تأثيرات خطيرة على تماسكه وتوازنه، فقد لعب الإعلام من خلال خطة مدروسة دوراً هاماً في تعبئة الشعب وتوعيته بأساليب الحرب النفسية الشرسة التي أدارتها أجهزة الإعلام الإسرائيلية والغربية لكي يفقد الشعب ثقته في قواته المسلحة، ومما ساهم في نجاح الإعلام المصري في القيام بدوره الهام استيعابه للأخطاء التي وقع فيها قبل النكسة من حيث المبالغات

واللهجة الخطابية التي تثير المشاعر ولا تحرك العقول، فإلتزم الإعلام بالنبرة الهادئة متوخيا تقديم الحقائق في إطار مصارحة الشعب بمتطلبات المراحل المختلفة التي عاشها خلال السنوات الست التي سبقت حرب أكتوبر المجيد، كما نجح الإعلام في تقديم صورة موضوعية دقيقة لقواتنا وقوات العدو دون تهويل أو تهوين، واستثمر بنفس النجاح المواقف والمعارك المتفرقة خاصة أثناء حرب الاستنزاف ليحشد الرأي العام خلف الهدف الأوحد، وهو خوض معركة التحرير في الموعد الذي نحدده نحن وليس الذي يجرنا العدو إليه، هذا وقد استثمر الإعلام المرئي والمسموع والمقروء كل ألوان الفن الإعلامي من أغنيات وبرامج وأعمال درامية ومقالات وتحقيقات صحفية بصورة جيدة مما أعاد للمواطن ثقته في إعلام بلده ، هذه الثقة التي تضاعفت أثناء حرب أكتوبر والتي أكدت الثقة في قواتنا المسلحة وصلابة الجبهة الداخلية.

١٣- من جهة أخرى تعددت الأعمال الأدبية والمسرحية التي دعمت بدورها معاني التماسك والصمود والتحدي فكانت على سبيل المثال مسرحية «سبع سواق» لسعد الدين وهبة والتي قدمت بعد النكسة مباشرة ومسرحيات «أغنية على الممر»، و«جسر الخوف»، و«ياسين ولد»، و«أنت اللي قتلت الوحش»، و«ليلى والمجنون»، و«الحسين ثائراً»، و«الحسين شهيداً»، إلى جانب قصص وروايات توفيق الحكيم مثل «إنسان القرن العشرين»، ونجيب محفوظ في مجموعة من أعماله (تحت المظلة- شهر العسل- الحب تحت المطر)، والدكتور يوسف إدريس في كل ما كتبه من قصص ومقالات، والشعراء صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي وأمل دنقل ومحمد التهامي وفاروق شوشة ومحمد أبو سنة وعبد الرحمن الأبنودي وأحمد فؤاد نجم وغيرهم من كبار الشعراء.

١٤- هكذا خاض الشعب المصري -وبالتالي الشعب العربي بتماسكه وإصراره واحدة من أهم فترات تاريخه، فخاض مرحلة الصمود (من يونيو ١٩٦٧ إلى أغسطس ١٩٦٨)، ومرحلة التصدي أو (الدفاع النشط) من سبتمبر ١٩٦٨ إلى فبراير ١٩٦٩، ثم مرحلة الاستنزاف (من مارس ١٩٦٩ إلى أغسطس ١٩٧٠)، ومرحلة إيقاف إطلاق النار (من أغسطس ١٩٧٠ إلى أكتوبر ١٩٧٣)، ولعل هذه المرحلة بالذات كانت من أصعب وأخطر المراحل حيث احتاج الشعب إلى مزيد من الصبر والتماسك والوعي خاصة مع نجاح القيادة السياسية والعسكرية في إخفاء أية مؤشرات للاستعداد لشن الحرب التحريرية مما كان يثير القلق والتساؤلات لدى المواطنين، حتى تصور البعض أن الدولة لن تقدم على خوض الحرب المنتظرة، وقد غذى ذلك بطبيعة الحال ما كانت تبثه وسائل الإعلام الإسرائيلية والغربية وما كان يصدر عن مسئولين ومعلقين أجانب من تصريحات تؤكد الهوة الواسعة بين تفوق جيش الدفاع الإسرائيلي، وضعف القوات المصرية والسورية. إلا أن ذلك- كما قلنا لم يحدث التأثير الذي كان يتمناه الأعداء للعوامل والأسباب التي ذكرناها آنفاً. حتى كان يوم السادس من أكتوبر من عام ١٩٧٣ عندما اندلعت الشرارة المباركة للحرب المجيدة... لتتهاوى أسطورة الجيش الذي قيل أنه لا يقهر، وتتحطم معه نظرية الأمن التي طالما تغنت بها إسرائيل.

الورقة الرابعة:

إعادة هندسة الإنسان اجتماعيا بعد حرب أكتوبر

أ.د. فريد النجار

رئيس قسم إدارة الأعمال / كلية التجارة-جامعة الزقازيق

المقدمة:

١- عادة ما يتبع الحروب الكبرى انطلاقة ونقطة تحول كما حدث فى الحرب العالمية الأولى والثانية. ولكن ما حدث فى أعقاب حرب رمضان العظيمة كان أكثر من انطلاقة واحدة بل حدثت تحولات هيكلية وسلوكية واجتماعية وتكنولوجية وسياسية واقتصادية وفلسفية وإدارية. لقد استطاع الجندي المصري أن يرفع أسعار البترول ويجلب التكنولوجيا ويوفر مقومات التنمية للمنطقة العربية وأن يعطى درسا عسكريا ونموذجا للسلام وللمجتمع وللعالم بأسره.

٢- فى هذه الورقة الفنية إطلاله على الانعكاسات الاجتماعية لحرب أكتوبر فى المجتمع المصري والعربي. وتؤكد هذه الورقة على أن الحرب حققت إعادة هندسة اجتماعية على مستوى الفرد والجماعات والأسرة والمنظمات الاجتماعية والمجتمع المصري والعربي. فتحققت تنمية اجتماعية كبرى ساندت التنمية الاقتصادية وإعادة هيكلة الاقتصاد القومي. ولقد ظهرت معالم التنمية الاجتماعية فى معدلات أفضل فى التنمية البشرية من حيث الأمومة والطفولة وصحة المرأة والقضاء على الأمراض وتنظيم النسل وضبط معدل نمو السكان وتحسين معدلات التعليم وتوفير فرص عمل للمرأة والأسر المنتجة والعمل بالمنزل وتعظيم الدور الاقتصادي للمرأة وتنشيط الحراك الاجتماعي إلى المدن والمجتمعات الجديدة. وتسجل الورقة الفنية أهم ملامح المنظومة الاجتماعية لحرب أكتوبر من حيث: تشجيع المنظمات غير الحكومية لتلعب دورا أساسيا فى التنمية الشاملة، والاهتمام بحقوق الإنسان من حيث العدالة والمساواة ومكافحة الإرهاب وتنمية التربية الوطنية لبناء جيل فعال لأغراض التنمية والحفاظ على ثقافة المجتمع، حماية البيئة من الملوثات، تفجير الطاقات الإبداعية والإنتاجية للشباب والأسرة، توفير الضمان الاجتماعي والتأمينات الاجتماعية، تدعيم الأسر المنتجة والصناعات الريفية والصناعات الحرفية صغيرة الحجم،

مساندة المعاش المبكر فى ضوء برامج الخصخصة وإعادة الهيكلة الاقتصادية، تشجيع المنافسة الشريفة وإدارة الجودة الشاملة والتصدير وتحسين الصورة الذهنية للمجتمع المصري لدى العالم المصري.
لقد أثرت حرب أكتوبر على المنظومة الاجتماعية فى مصر والمنطقة العربية وحققت تحولات هيكلية وسلوكية واقتصادية تحت مظلة إعادة هندسة اجتماعية شاملة. سوف نطرح تلك التحولات فى شكل خلاصات استراتيجية لكل من المنظومة الاجتماعية وإعادة الهندسة الاجتماعية وأهم المقترحات المستقبلية لتحقيق المزيد من تعظيم المكاسب الاجتماعية والإنسانية لحرب أكتوبر للأجيال القادمة.

أولا : هياكل المنظومة الاجتماعية:

١- المنظومة الاجتماعية Social System هي مجموعة المدخلات والتحولات التي تشكل سلسلة المخرجات الاجتماعية واستخداماتها فى التنمية المتواصلة Sustainable Development وتتشكل المنظومة الاجتماعية عادة بالثقافة والتاريخ ومجموعة القيم والاتجاهات والهياكل المجتمعية والأحداث الإستراتيجية خلال فترة معينة. وتحتاج المنظومة الاجتماعية إلى اتصالات وتواصل (قيم واتجاهات- معلومات وإعلام- قيادة رائدة- رؤية ثاقبة- رسالة واضحة) إستراتيجية وسياسة جيدة حتى تحقق الطموحات والأهداف والغايات والمرامي - لقد استطاعت حرب أكتوبر رسم مساراتها والظهور أمام العالم بصورة جديدة للمجتمع المصري بثقافاته وتراثه وقيمه وتقاليده. وبالتحديد نجحت حرب أكتوبر فى تكوين منظومة اجتماعية جديدة تتواكب مع فلسفة السلام ورؤئ المستقبل كالتالي:

أ- تشجيع الحراك الاجتماعي والتوجه نحو المجتمعات الجديدة بروح المبادرة Proactive Spirit.

ب- تشجيع العمالة المصرية للعمل بأسواق العمل الدولية مع الافتخار بالنصر والثقة بالذات.

ج- تفجير الطاقات Empowerment لدى الشباب والأسرة والمرأة والطفل.

د- زيادة المشاركة الاجتماعية والسياسية للفرد والمرأة فى كل أرجاء الجمهورية.

هـ- الاهتمام بالطفولة والأمومة وتنظيم الأسرة وترتيب معدلات نمو السكان للمشاركة فى مكاسب التنمية.

و- التوسع فى تعليم المرأة والبنات والكبار والقضاء على الأمية بمعدلات تفوق الماضي.

ز- نشر الوعي .لبيئي والثقافة البيئية بدرجات أفضل من قبل لضمان حياة خضراء نظيفة.

ح- تدريب المرأة والفتاة للقيام بدور قيادي وأساسي فى التربية والدين والتنمية.

ط- بناء مجتمع التفاهم الديني والتوافق الاجتماعي والتماسك الوطني لحماية المجتمع وتعظيم مكاسب الحرب بما يحقق مجتمعاً أكثر قوة.

ي- التأكيد على دور المرأة فى تنشئة الأجيال وتأصيل المفاهيم الوطنية والقيم الروحانية والسلوكية.

ك- تكريم المرأة ودورها فى مساندة المحاربين القدماء للعطاء والمساندة والمثابرة والصبر والتفاني والتضحية.

ل- التوسع فى تكوين المنظمات غير الحكومية NGO'S التي تتحمل مسئولياتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى التنمية وخدمة المجتمع.

م- إنشاء مركز بالجامعات لشئون خدمة المجتمع وحماية البيئة لاستكمال مسيرة الأنشطة الاجتماعية بالمدارس لأغراض التنمية الاجتماعية للطالبات والطلبة والأطفال قبل دخول أسواق العمل.

ن - توفير عدد ضخم من المطبوعات والكتب والأفلام التي حافظت على التراث والحضارة وإنجازات الأجداد واستخدام هذا الرصيد العظيم لدفع عجلة التنمية الاجتماعية بعد حرب أكتوبر تأكيدا لفكرة

التنمية الاجتماعية المتواصلة
.Sustainable Social Development (SSD)
س- التأكيد على قيمة الإنسان والتنمية الاجتماعية وإشباع حاجاته الاجتماعية Social NEEDS من الانتماء والولاء والتعاون والعطاء عن طريق نوادي الجيش والنوادي الرياضية والأنشطة الاجتماعية العديدة التي تغطي جميع مدن وقرى الجمهورية.
٢- إن المنظومة الاجتماعية لحرب أكتوبر هي الجناح الثاني للمنظومة الاقتصادية كنواتج لمكاسب الحرب التي ستظل مصدرا لإثبات الذات والابتكار والإبداع والتحدي فى جميع المجالات الرياضية والثقافية والفنية والإعلامية والأسرية والاقتصادية والتكنولوجية وغيرها.
لقد امتدت تلك المنظومة للدول العربية وبعض الدول النامية كتجربة ناجحة فى المجالات المختلفة للتنمية.

ثانيا : إعادة الهندسة الاجتماعية

أقصد بإعادة الهندسة الاجتماعية - مجهودات إعادة بناء المجتمع لأغراض التنمية المستديمة لضمان بقاء المجتمع صلبا قويا أمام تحديات العصر. ولقد حققت حرب أكتوبر إعادة هندسة فى المنظومة الاجتماعية فى محاور عديدة على مستوى الإنسان الفرد والأسرة والمنظمات الاجتماعية والمجتمع بأسره وامتدت بذلك إلى الوطن العربي بأسره وحققت صدى فى جميع أرجاء المعمورة كما يلي:

١- التحول من الفردية والأنانية إلى السلوك الجماعي وروح الفريق ليس فقط فى المنظومة العسكرية ولكن أيضا فى جميع منظمات المجتمع Group Behavior.
فنجد ذلك موجودا ومطبقا فى الفن والثقافة والمسرح والرياضة والخدمة الاجتماعية والشركات وغيرها.
كما نلاحظ ذلك فى التكافل الاجتماعي والتأمينات الاجتماعية والمعاش المبكر وتشغيل المرأة وصناديق الزكاة.

٢- التحول من الهمجية إلى النظامية : لقد أحدثت حرب أكتوبر إحساسا بضرورة التحول للنظامية فى جميع مجالات الحياة والعمل- فالمدرسة العسكرية ذات آليات فعالة فى إعادة بناء الإنسان وإعادة هيكلة وهندسة رؤيته للحياة. ويجب أن تطبق تلك الآليات فى بقية منظمات المجتمع.

٣- التحول من المظهرية إلى الموضوعية : فلم يصبح المظهر هو المسيطر على الإنسان - أن الحرب مع الإيمان بالله حقق طفرة فى المفهوم العام لدور الإنسان فى الحياة ومسئولياته وتوقعاته وأصبحت العقلانية مطلبا أساسيا بديلا للشكل وتحقيقا لأهمية المضمون والمنطق.

٤- الانتقال من التبعية إلى الاستقلالية : وخاصة فى علاقة الإنسان بالحكومة وقيمة العمل ومفهومه لقد حدث تحول كبير فى عملية البحث عن وظيفة ، وأهمية إثبات الذات فى العمل بالقطاع الخاص وتكوين الثروة بالحلال بعيداً عن الحرام.

٥- التحول من رد الفعل إلى القدرة على المبادرة والريادة وتحمل المخاطرة المحسوبة. فأصبح إنسان

أكتوبر قادرا على التفكير الإبداعي وتحمل المخاطر المحسوبة وتوفر شجاعة المبادرات فى كل شئ فى السفر والعمل والابتكار والتجديد وحل المشكلات.

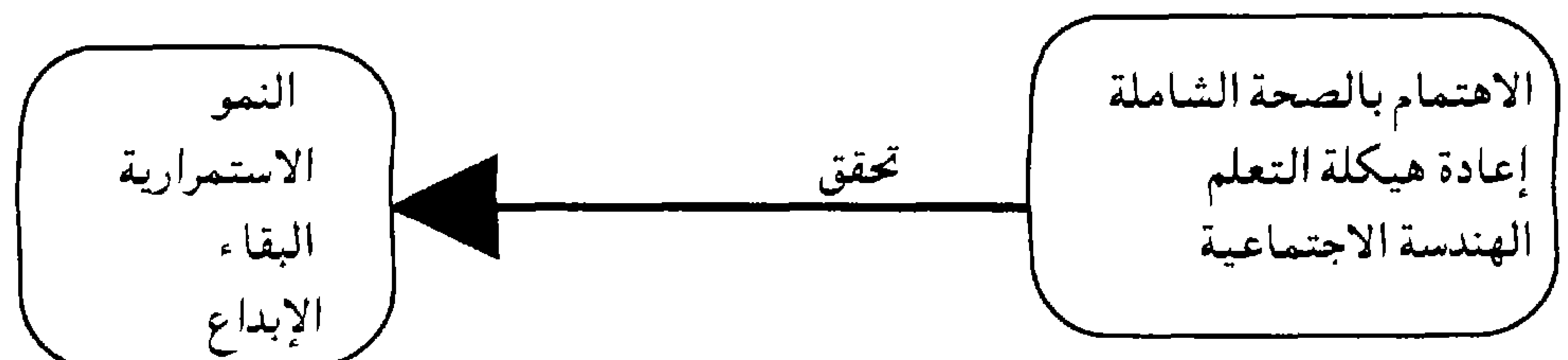
٦- القدرة على تحمل الضغوط : أدت حرب أكتوبر إلى تحول الشباب من النموذج المرهف إلى النموذج الصلب القوى الذى يتحمل الضغوط فى سبيل مستقبل اكثر إشراقا - فيتحمل الضغوط النفسية والعصبية برؤية الإيمان - والضغوط الاقتصادية بالتفكير فى الادخار والاستثمار - وضغوط الأسرة وبتنظيم الإمكانات والموارد.

٧- التحول من الصحة الجزئية إلى مفهوم الصحة المتكاملة وكان من نتائج حرب أكتوبر الشعور بان الصحة لا تتجزأ فالإنسان فى حاجة إلى الصحة الشاملة بالمفهوم التالي:
اللياقة البشرية = دالة فى الصحة النفسية + الصحة الاجتماعية + الصحة الإدارية.
ويؤدى ربط جرعات التعليم بالخدمات الاجتماعية والرعاية الصحية إلى توفير فرص اللياقة البشرية للفرد والأسرة.

٨- استغلال الإنسان إلى حماية الإنسان : أدت حرب أكتوبر إلى اهتمام جديد بالإنسان من حيث الحماية والرعاية والتوجيه والإعداد والإرشاد - ويظهر ذلك من المشروعات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية الجديدة التي يقدمها الجيش للمجتمع.

٩- التحول من التقليد إلى الابتكار والإبداع : استطاعت حرب أكتوبر ضمن منظومة الهندسة الاجتماعية أن تحول المجتمع بأسره من مجتمع يقوم على التقليد إلى مجتمع ذو ثقة فى الله والوطن والذات، وانطلق الإنسان فى جميع المجالات بفكر جديد وانطلاقة جديدة.

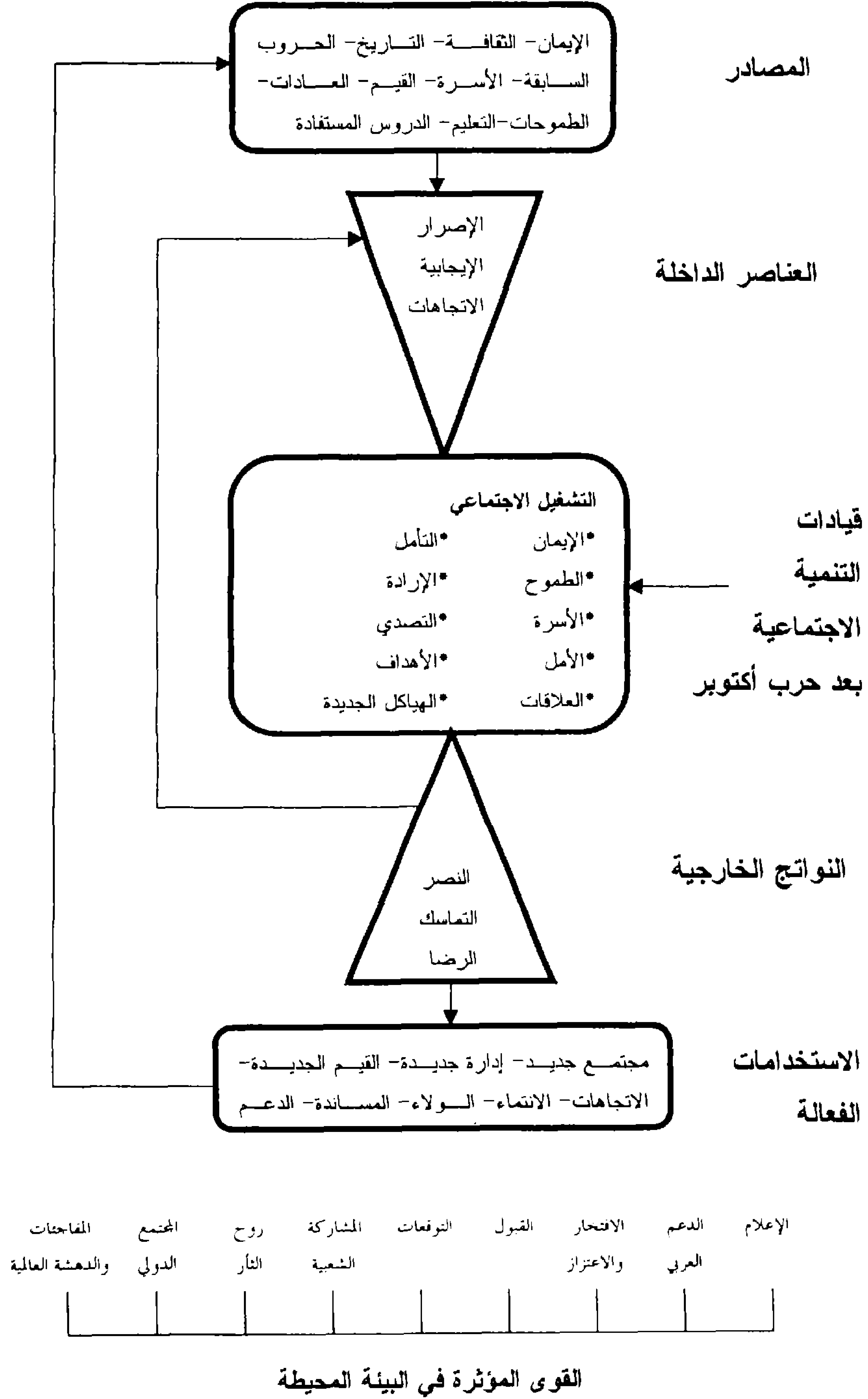
١٠- التحول من الإلحاد إلى إكثار الإيمان - إذا كان النصر فى حرب أكتوبر وليد التخطيط الإبداعي والإيمان بالله الواحد القهار، فالتأكيد على الإيمان بعد حرب أكتوبر كان الإطار الأوسع لسلوكيات الفرد والجماعات فى جميع الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية. فالإنسان المصري يتمتع بالإيمان والالتزام والعطاء والإخلاص ومكافحة الإرهاب.



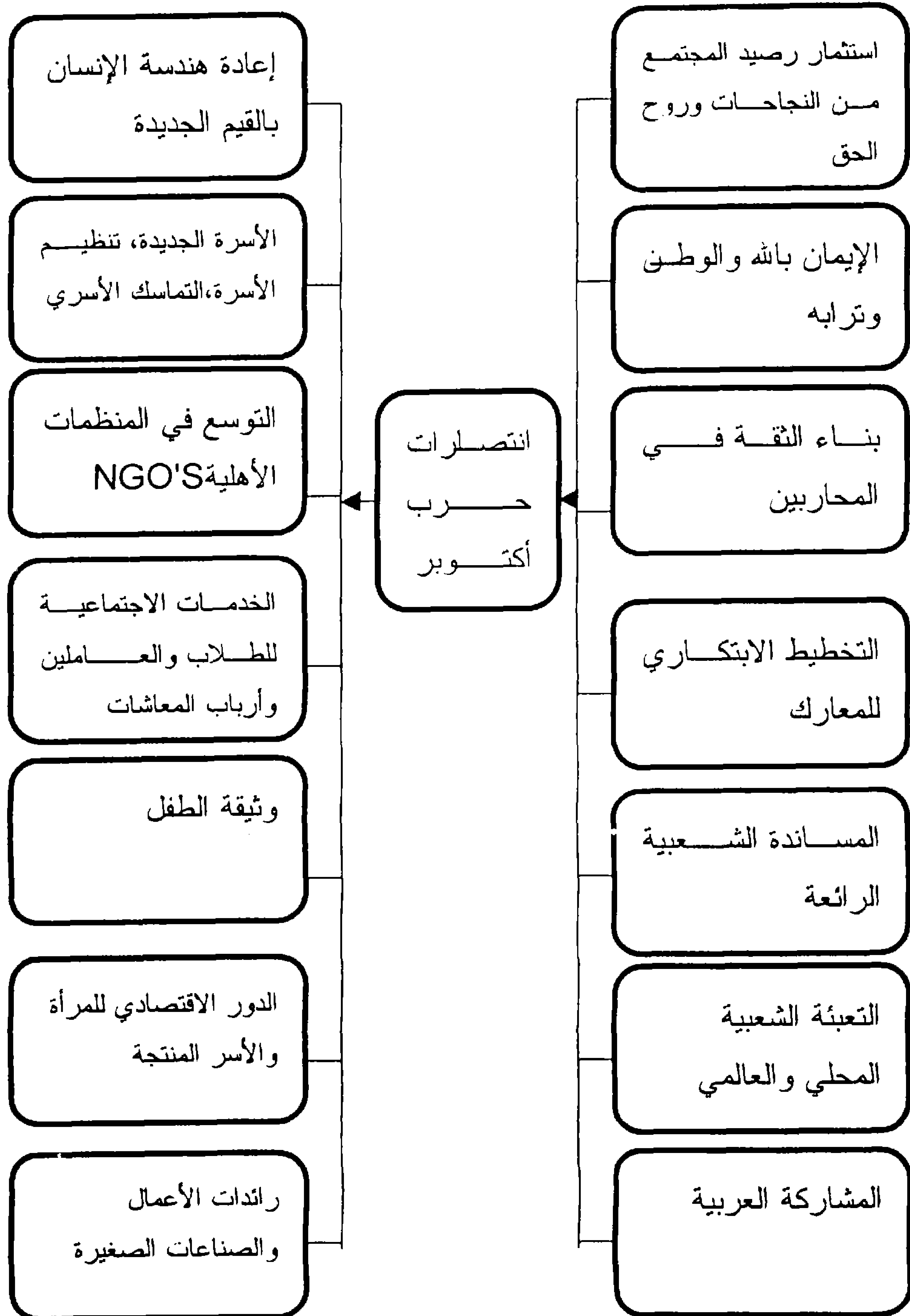
وفيما يلي عرض لنموذج المنظومة الاجتماعية وإعادة الهندسة:

المنظومة الاجتماعية لحرب أكتوبر

October War's Social System



منظومة إعادة الهيكلة الاجتماعية لحرب أكتوبر
October War's Social Reengineering System



ثالثاً: التسويق العالمي لمنظومة إعادة الهندسة الاجتماعية لحرب أكتوبر:

واعتبرت المنظمات الدولية والمؤسسات الاستراتيجية والعسكرية أن تجربة حرب أكتوبر واحدة من أندر الحروب في العصر الحديث وأكبرها حجماً من حيث الدبابات والطائرات والقوى العسكرية المشاركة. ومن أهم الإشارات وراء هذا النجاح العظيم:

١- الدعم والمساندة الشعبية الكبيرة مصرياً وعربياً.

٢- التضحية بالنفس في سبيل المجموع والوطن.

٣- صمود المرأة وراء صفوف المقاتلين.

٤- عدم إعطاء أهمية كبيرة للحاجات الاقتصادية بقدر الاهتمام آنذاك بإشباع الحاجات الاجتماعية والثبات أمام المبادئ الاجتماعية العريقة.

٥- الحرب للحصول على السلام والتحرير، قيمة كبيرة ونموذج للإصرار على النجاح.

٦- ولقد اكتشف العالم بعد حرب أكتوبر أن الموارد البشرية هي أساس القدرة التنافسية وليس توفر الموارد التكنولوجية والعسكرية والاقتصادية فقط. لذلك أصبحت حرب أكتوبر درساً للعالم أجمع بشرقه وغربه. لذلك يجب العمل على التسويق السياسي والاجتماعي لحرب أكتوبر بالتركيز على فلسفة إعادة الهندسة الاجتماعية التي تساعد على التغيير من مسارات الشعوب والحكومات والتكتلات الاقتصادية والاجتماعية. فمنذ حرب رمضان المجيدة التي اكتشفت أن الحرب يجب أن تعتمد على صلابة الموارد البشرية، والعالم أجمع أصبح يعترف أن المورد البشري هو أساس لضمان القدرة التنافسية العالمية قبل أن تكون مزايا مطلقة أو مزايا نسبية بوفرة المواد الخام.

رابعاً: نموذج الهندسة الاجتماعية لحرب أكتوبر

١- ويقوم النموذج المقترح للهندسة الاجتماعية لحرب أكتوبر على:

أ- الصمود الشعبي أساس الهندسة الاجتماعية الجديدة.

ب- باستثمار الرصيد الضخم للتماسك الاجتماعي في الماضي أساس للمستقبل.

ج- التنوع الثقافي والاجتماعي بديل للعولمة وسياسة القطب الواحد.

د- تحليل القيم والسلوك النابعة من الحرب صالحة للسلم والتنمية.

هـ- الهندسة الاجتماعية للحرب هي ابتكار مصري يصلح تعممه في العالم الداعي للسلام وللدول الصناعية الكبرى.

و- يقوم نموذج الهندسة الاجتماعية للحرب على محاور خمسة هي:

(١) قبول فكرة التنويع الاجتماعي.

(٢) التسليم بعدم تساوي توزيع القوة وتشجيع الجماعية مقابل الفردية.

(٣) الدعوى إلى التعاونية مقابل الانفرادية.

(٤) حساب الخسائر الاجتماعية وتحملها مقابل العائد والمكاسب.

(٥) التفكير الاستراتيجي طويل الأجل بدلاً من التفكير التكتيكي قصير الأجل.

ز- نشر النموذج المصري عالمياً باللغات للتأكيد على أهمية القيادة والتكامل والكفاءة الاجتماعية

والفعالية الاجتماعية والمرونة الاجتماعية والرقابة السلوكية وبناء المناخ الإيجابي.
ح- نموذج الهندسة الاجتماعية للحرب والسلم - هو في الأساس نموذج للسلم Peace Orienta-tion لأنه نموذج طويل الأجل والبقاء ، وهو ضد الحروب والكوارث والإرهاب والغزوات والصراعات. وهو إذن مناسب للقضاء على صراعات أوروبا الشرقية ويوغوسلافيا السابقة ودول أفريقيا وكندا مع كوبا والهند مع باكستان.
ط-نموذج الهندسة الاجتماعية ضد أسلحة الدمار الشامل لأنه يركز على التعايش السلمي الإيجابي واحترام الإنسانية. ويتمشى هذا النموذج مع مجهودات الأمم المتحدة للسلام والرفاهية الاقتصادية والاجتماعية واحترام حريات الشعوب في صناعة التاريخ وتحقيق أهداف البشرية بروح الإخاء والحب والمشاركة ضد المخاطر والأزمات.

الخلاصات

١- إن التراث والرصيد الثقافي والاجتماعي للشعوب لا يضيع كما هو الحال في تجارب مصر وألمانيا والصين واليابان مثلاً. لذلك استطاعت حرب أكتوبر أن تفجر الطاقات البشرية وتحقق المساندة الشعبية لمساندة المعارك لأغراض السلام والأمان والتنمية. إن إعادة بناء المنظومة الاجتماعية للشعب المصري بعد الحرب كانت ولا زالت النسيج الجديد للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية. إن قدرة الشعب على الصمود أمام الأزمات والصعوبات لنموذج رائد يقتدي به. هذا النموذج هو الذي حقق العبور في الإصلاحات الاقتصادية، العبور أمام الأعداء، العبور في توشكى، والعبور للقرن الحادي والعشرين. أي أن العبور العسكري خلق العبور الاجتماعي ومن بعده العبور الاقتصادي.
٢- إن تراكم الأرصدة الاجتماعية الماضية مع إعادة التأكيد على القيم والاتجاهات والهياكل والعلاقات الإنسانية ساعد على إعادة هندسة الإنسان والأسرة والقرية والمدينة والمدرسة اجتماعياً. إن إعادة هندسة الإنسان اجتماعياً هو الرصيد الحضاري للإنسان في العالم وعلى مدى الزمن.
٣- استطاعت هذه الورقة أن تلقي ضوءاً جديداً على الشعب ومنظومته الاجتماعية الذي تفاعل وتآلف مع الجيش لبناء عصر النهضة- هو الشعب الذي يصنع المعجزات بالإيمان والعطاء والثقة والحب والتآلف والتفاؤل والقدرة على التكيف مع التحولات العالمية والمحلية- إننا ننادي بضرورة نشر إعادة الهندسة الاجتماعية لحرب أكتوبر للسلم والسلام ونهضة الشعوب في وسائل الإعلام المختلفة وكدرس للآخرين.

المراجع والهوامش

١-الدكتور فريد النجار، المديرة العربية والتنمية المتواصلة ، مؤتمر المديرة العربية - الإسكندرية - مارس ١٩٩٧.
٢-الدكتور فريد النجار، إدارة الشرطة بالجودة الشاملة ، شرطة دبي ، أبريل ١٩٩٨ .
3-Berkowitz,L. (ed.) Experimental Social Psychology, Vo.2,N.Y.,Academic Press,1965.
4_ Narrol,R, The Moral Order, Baverly Hills, CM, Sage Public. 1983
5_ Journals of Cross_ Cultural Psychology (1982_1997).
6_ Rath, R, (ed), Human Values in Nine Countries in Diversity and

■ المناقشات :

د. إبراهيم بدران:

الإعلام يحكم العالم بشكل رهيب جداً وإذا لم يتخذ الإعلام صورة موضوعية يؤكد فيها التغيرات الاجتماعية المنتظرة فنحن مقبلون على كارثة. فإذا نظرنا إلى أعداد الطلاب في التعليم الصناعي والتعليم العادي سنجد أن النسبة ١٠ : ١ للأسف الشديد. وهي قضية في منتهى الخطورة، لأننا إذا نظرنا إلى الخارج سنجد أن النسبة في الخارج تصل إلى العكس تماماً ١ : ١٠ بالرغم من أن التعليم الصناعي والمهني مكلف جداً بعكس التعليم الجامعي، لأن الإنفاق في التعليم تأتي فيه كلية الزراعة على قمة الكليات عالية التكاليف، تليها كلية الهندسة والطب، وبالرغم من هذا نجد أن تعليم المهنة مكلف أكثر من كلية الزراعة. وهذه القضية ستعطيهم Social status وستساعد ديناميكية المجتمع وستساعد على الإقبال على بذور التطور التكنولوجي.

يتحدث الناس كثيراً عن أسلحة الدمار الشامل والأسلحة الكيماوية والبيولوجية والذرة والميكروبات، هناك سلاحان دمار شامل لم نركز عليهما حتى الآن أولهما المخدرات وهي سلاح دمار شامل موجه ضد شبابنا وهو أغلى ما يمتلك الوطن وهي قضية للأسف الشديد لم نصل إلى جذورها حتى الآن ولم نستطع أن ندخل إليها من المدخل الذي يُكره الشباب فيها.

والدمار الشامل الآخر هو التليفزيون، التليفزيون ليس في مصر فقط ولكن التليفزيون العالمي الذي أصبح بؤرة تجميع لتضييع الوقت وتضييع العمر وتضييع الخلق وتضييع السلوك قضية أيضاً أعتبرها من الدمار الشامل، فبقدر ما تقدم العالم في الإعلام بقدر ما يدخل داخل نفوس الشباب وتحويلها وجذبهم إلى ما لا ينفع.

القضية الثالثة هي كيف يتأتى للشباب أن يطلع والجريدة أصبح ثمنها جنيهاً والجريدة الجيدة بثلاثة جنيهات. ففي السويد مثلاً الجريدة بدون مقابل. فالطالب لا يستطيع شراء جريدة لتثقيفه بالرغم من أن الإعلانات من الممكن أن تغطي نفقات الجريدة.
والنقطة الأخيرة هي دراسة المستقبليات، التفكير والدراسة للتوجيه للطريق السليم. يجب أن نترك مساحة لتكوين المدربين للتعليم المستمر لمن يقومون على التعليم في مصر في كل المحافظات.

الوزيرة ميرفت تلاوي:

فعلاً أصبحت دراسة المستقبليات شيئاً مهماً جداً، لكي أواجه المشاكل التي تلاقيني وأستطيع حلها، فهناك مشاريع على سبيل المثال تأخذ عشرات السنين حتى أستطيع حلها وتؤتي ثمارها، مثل مشروع مترو الأنفاق، فالتخطيط لم يصبح خمس أو عشر سنوات بل أصبح ثلاثين عاماً. في طوكيو على سبيل المثال يخططون لاحتياجات الأسواق العالمية بعد ٣٠ سنة حتى يعطوا أوامر للشركات الخاصة لتجهز نفسها وتغير عُددها وخططها لكي تصل إلى استمرارية منافسة اليابان في الأسواق العالمية، فالتخطيط في الدول المتقدمة يكون في اتجاهين: التخطيط لرأس المال لكي يستمر في المنافسة في الأسواق العالمية والتخطيط للمستهلك الذي يعاني من إنتاج الرأسمالية وكيفية الدخول في البرامج الاجتماعية وتزويدها بما يعوض الإنتاج الرأسمالي. فعندما بدأت الصناعة تنشط في اليابان بعد الحرب في الستينات أصبح هناك تلوث كبير في الجو حتى أن الأشخاص لم يكن بمقدورهم رؤية النجوم في السماء من كثرة التلوث فأصبح اليوم في مقدورهم رؤية النجوم والسباحة في البحار التي كانت ملوثة. فإذا خرجت هذه الندوة بأهمية إنشاء معهد استراتيجي لدراسة المستقبليات سواء في الاجتماع، في الاقتصاد، في السياسة، في كل المجالات، نحن فعلاً في حاجة إلى هذا.
نحن لدينا معاهد كثيرة في الدولة مثل المعهد القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية التابع لوزارة الشئون، ولكن قصور البحث لدينا، فنحن لا ننظر للمستقبل فنتائج البحث لا يتم ربطها بالواقع أو الجهة التنفيذية لا تشعر بوجوبية أن تأخذ بنتائج هذه البحوث.
أما بالنسبة للمخدرات فأنا أؤيد الدكتور بدران في أنها خطر داهم فعلاً، لأنها ليست شيئاً عفوياً كما كانت في الماضي، فالحشيش موجود في بلادنا منذ زمن طويل وآثاره معروفة ولكن اليوم تعرف بالسموم البيضاء، وهو التدمير الشامل وأصبح لها تخطيط دولي من الزراعة لتصنيعها إلى تسويقها وما يحمي التسويق وقد تم عمل دورة خاصة في شهر يونيو الماضي عن المخدرات في معهد البحوث الاجتماعية والجنائية ومما يذكر أن حجم تجارة المخدرات في العالم هي ثاني أهم تجارة بعد تجارة السلاح. نحن نتحدث عن ٥٠٠ مليار دولار هي حجم تجارة السلاح ونحن هنا نتحدث عن مدى قوة العدو أو قوة التدمير.
فأعتقد أنه بالسلوكيات وعدم تعاطف الأهل وتساهلهم في الأمور المادية وبإعادة النظر في التشريعات، في التربية، في المصارحة في التليفزيون، فيجب على الأهل إذا حدث عندهم حالة إدمان ألا يكون هناك خجل أو إخفاء بل يجب مواجهتها حتى نستطيع علاجها، ليست عاراً ولا يجب أن ندفن رؤوسنا في الرمال.
وبالنسبة لإشارة الدكتور بدران إلى خطر التليفزيون فقد أشير في دراسة بحثية في انجلترا أن الطفل الذي يبلغ من العمر عامين إذا افترضنا أنه سيعيش ٧٥ عاماً فإن عشر سنوات من عمره ستضيع في مشاهدة التليفزيون. فهل نستثمر هذه السنوات العشر في أشياء مفيدة أم سنضيعها في أشياء لا قيمة لها مثل الأفلام والأغاني.

تعقيب :

نحن نرى أن رجال الأعمال في الوقت الحالي يساهمون مع الدولة في بناء المدارس أو ما شابه فلماذا لا تبني كل منطقة صناعية مدرسة، ليست مدارس عادية وإنما مدارس مهنية على ذات الصناعة التي تمارسها هذه المنطقة الصناعية أو الزراعية إذا كان نشاطها زراعياً ينشأ معهد زراعي يمنح هذه الشهادات. الدولة بمفردها لن تستطيع أن تقوم بهذا التدريب المهني. كل ما تستطيعه الدولة هو تحريم تشغيل الأطفال قبل سن ١٤ ، وتعليمهم مجموعة من النصوص التي لا تجد أي نوع من التطبيق. والحقيقة أننا لو ركزنا في أي منطقة صناعية على إنشاء مدارس صناعية وحرفية حقيقية وأقول حقيقية وليس مظهرية ولا يوجد بها ورشة ولا أي مقوم لهذه الصناعة أو هذه المهنة ، وأرى أنه يجب أن يكون من توصياتنا التوسع في التعليم المهني والصناعي عن طريق صحوة من رجال الأعمال ومد يدهم في مناطقهم الصناعية ببناء هذه المجموعة من التدريب المهني.

المستشار محمود غنيم/وزارة العدل:

بالنسبة لروح المشاركة ودورها في حالة غيابها قبل ٦٧ وعودتها في الفترة ما بين ٦٧ و٧٣ وكانت من ضمن الأسباب التي أدت للنصر المجيد الذي نعيش في أعز أمجاده. فترة انقضى عليها ٢٥ سنة أي ربع قرن، ولد فيه جيل لم يعاصر ٦٧ و٧٣: الشباب هو الذي سيقودنا غداً وبعد غد وسنركن نحن ونجلس ونستمع إليه، هذا الشباب غُيبت عنه تلك الروح تماماً، روح المشاركة ليست موجودة، فلدينا فئات من الشباب الآن موجودة ومطروحة، فئة منعمة في الترف، ناس لديهم غياب تام عن المشاركة ليس لديهم وعي، سواء بتقصير من الدولة أو من القائمين عليهم دون تحديد، فئة أخرى تكافح وتحارب في مستوى الدرك الأسفل تريد أن تصل لشيء لن تصل إليه في تقديرها، بعضها انحرف وسلم، والبعض الآخر بمقدوره، فئة وسط لا زال يوجد بصيص من الأمل من خلالها.

خلال حرب أكتوبر من وجهة نظري، من ضمن أسباب الانتصار، هي عودة روح إدارة الحرب بطريقة مشتركة، أي الإدارة المشتركة للأسلحة، كانت توجد روح واحدة، أسلحة مشتركة، وتوجد إدارة واحدة تجمعها، تلك الروح وهذا الأسلوب هو الأمثل، من وجهة نظري لثروتنا وهي شباب مصر بتآلف أو اجتماع أو تكامل عدة وزارات في توجيه هذا الشباب، الذي هو ثمرة اليوم وشجرة الغد التي ستطرح ثماراً، جيل سيلد ألف جيل بعده، وزارة التربية والتعليم، وزارة الشباب والرياضة، وزارة التخطيط، وزارة الإعلام، لو تكاتفت تلك الوزارات في منظومة أو تناغم إيجابي معين يجمع بينهم، يجمع هؤلاء الشباب في كل مجال في معهد دراسي من خلال وزارة الإعلام بوسائلها مقروءة ومسموعة ومرئية، من خلال وزارة التخطيط، الشباب والرياضة، النوادي، الساحات الشعبية، نستطيع أن نصنع روح المشاركة، نعطيهم حب الانتماء، نجعل منهم مثلاً أعلى.

د. سهير لطفي:

إثارة موضوع المخدرات أعتبره فرصة ثرية لمناقشة هذا الموضوع، لأني أعتقد أن كل المجهودات والأنشطة والبرامج مقصورة على مكافحة الشرطة للمخدرات فقط، فإذا تطرقنا لهذا الموضوع في هذا المؤتمر، فأنا أطالب بأن تكون هناك معالجة لهذا الموضوع على مستويين، **المستوى الأول** بلغة القانون، كأنها جريمة ، **المستوى الثاني** أطالب بحملة قومية للتوعية لكي نواجه هذه المشكلة ونحمي شباب مصر من هذا الخطر

الجسيم، فأنا أنتهز هذه الفرصة لكي أطالب بأن تكون من ضمن توصيات الندوة حملة قومية للوقاية من المخدرات وإعتبار المدمن كما هو موجود في التشريع إنساناً مريضاً وليس مجرماً، وهو الخطأ الشائع في هذا الخصوص وهو عدم التفرقة بين التاجر وبين من ساقته الظروف لكي يكون مدمناً للمخدرات.

د. ليلى الحمامصي:

تحدثنا كثيراً عن السلوكيات وتغيير القيم ومن ضمنها مشكلة الشباب المتعاطي للمخدرات وأنا كدارسة في علم الإنسان الذي يدرس الثقافات وتغيير القيم، فيجب أن نعرف أولاً الأساسيات، أولاً المنزل نفسه، كيف يعامل الطفل وكيف يربيه بالشكل الذي لا تتولد لديه الفردية؟ إيجاد ملاعب مناسبة أو ساحات شعبية للأطفال. ولهذا يجب دراسة المشكلة من جميع جوانبها.

المستشار أحمد نصار، مساعد المدعي الاشتراكي:

بالنسبة لقادة حرب أكتوبر الذين حققوا هذا النصر العظيم أتمنى أن تشمل التوصيات البحث عن صيغة للاستفادة من الخبرات العظيمة لهؤلاء القادة الذين ما زالت لديهم قدرة على العطاء.لدى كثير من الدول جهات استشارية نستطيع فيها الاستعانة بخبراتهم.

السيدة الوزيرة:

منذ عام مضى ونحن ننادي بالاستعانة بخبرات قادة القوات المسلحة السابقين وخاصة أنهم يحالون للمعاش مبكراً ومازالت لديهم قدرة كبيرة على العطاء، ولو بالاستعانة بهم في المدارس لضبط الإيقاع.

محمد حسن، قناة المعلومات المرئية، التليفزيون:

أضيف كلمة أخيرة حول موضوع المخدرات فقد سمعت أن هناك ضريبة تحصل من تجار المخدرات، وهذا يعطي لهذه التجارة شيئاً من المشروعية والمطلوب توصية بمنع تحصيل هذه الضريبة.

السيدة الوزيرة:

لا تحصل أي ضرائب من الدولة للمخدرات، هناك مصادرة لأموال المخدرات المضبوطة. أرجو إضافة مشكلة الإعلام المشوه إلى المشكلات الخطيرة فبقدر ما في استطاعة الإعلام أن يكون سلاحاً فاعلاً في تحسين أوضاعنا وخاصة العادات والتقاليد والروح المعنوية والتماثل بقدر ما يكون عكسها بالضبط.

الجلسة الثالثة:

إدارة حــــرب أكـتـوبر ١٩٧٣

الورقة الأولى :

دور المرأة قبل وبعد حرب أكتوبر

أ. سكينة فؤاد

عضو مجلس الشورى - كاتبة صحفية بجريدة الأهرام

١- دعيت لأشرف بتناول هذا المحور فى ندوة قواتنا المسلحة التى تنعقد كجزء من احتفالات مصر بمرور ربع قرن على انتصارها العظيم فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣. و قد عدت الى الدراسات التى تناولت نفس المحور التى تناولت نصف القوة البشرية عددا وما يتجاوز النصف عدة وعتادا و صناعة للحياة، فوجدتها تكاد تكون غائبة و وقفت أمام دراستين - الأولى للكاتبة الكبيرة الأستاذة أمينة السعيد أما الثانية فكانت لأستاذة الأعلام و الصحافة د. إجلال خليفة.

٢- و تستخلص الأستاذة أمينة من النصر أهم معانيه و هى أن قضيتنا مع إسرائيل قضية حضارية بالدرجة الأولى - وأن إسرائيل سخرت لتحقيق هذا الغرض بعد أن غلفت قضيتها بالمبررات المفتعلة بقصد إكساب دعواها شرعية مزعومة. لا تقوم قطعا على أي أساس من حق، ولكنها ببريقها الزائف كفيلة بتحريك قلب الرأي العام العالمي، وترى أن حرب أكتوبر جاءت لتزيل الغشاوة عن أبصارنا وتضعنا أمام الحقائق وجها لوجه وأصبح لزاما علينا أن نعيد النظر فى أمورنا لنتدارك ما فاتنا و نبدأ لفورنا فى خوض معركتنا بالسلاح الذي يتفوق به أعداؤنا علينا وهو الحضارة - وهى مهمة ليست بالهينة نظرا لضخامة المعوقات التى ظلت على مضى الزمن تباعد بيننا و بين التقدم - وتخلص الأستاذة إلى أن الإنسان هو جوهر عملية التنمية والتطوير لحياتنا العلمية والاقتصادية والزراعية والفنية وأنه يستحيل بلوغنا ما نرجو ما لم يكن الإنسان بشقيه الرجال والنساء عند قمة التمكن و التمكين- و إن كان الأمر بالنسبة لأوضاع المرأة أخطر وأشد قسوة، وتنتهي إلى أن الحالة العامة للمجموعة النسائية عندنا تشكل فى صورتها الراهنة المعوق الأكبر فى طريق تحضرنا.

٣- إذن هل غابت المرأة عن مشاركة فاعلة فى صنع وقائع النصر والإعداد لها رغم الاتفاق الكامل مع إحالة الصراع فى جانب أساسي منه إلى الأبعاد الحضارية وكذا الاتفاق مع ما رزحت وترزح تحته المرأة من أعباء للتراجع الفكري والحضاري شل الجانب الأكبر من قدراتها على العطاء والإبداع الإنساني، ولنعد إلى ما قبل ١٩٧٣ عميقا فى التاريخ وقريباً من الحدث الكبير لنجد لها حضوراً مادياً ومعنوياً مدهشاً يبلغ قمما شامخة فى جميع حلقات النضال الوطني ابتداء من السادس من أكتوبر الذي صنعه « أحمس

في طيبة » وأمه الملكة المصرية ترى استشهاد زوجها (سقنن - رع) في حرب التحرير دفاعا عن مصر ضد الهكسوس - فتدفع بابنها الأكبر « كامس » فيسقط أيضا في معركة التحرير فتدفع بابنها الثاني « أحمس » - شاب صغير لم يتجاوز الثامنة عشرة يدق أسوار « أواريس » فيخرج الهكسوس مطاردين إلى الحدود الشرقية من مصر، فيحاصرهم في « شاروهين » (منطقة جنوب غزة الحالية) ويحكم الحصار لمدة ثلاثة أعوام حتى يدك أسوار « شاروهين » ويقضي على الهكسوس ولا تقوم لها قائمة في التاريخ بعد -يحفظ التاريخ لهذه الملكة (أعح-حتب) صورة نادرة لإذكاء روح القتال و تلقى شهادة الزوج والابن الأكبر ببسالة والدفع بالأصغر « أحمس » ليواصل و يحقق نصر أكتوبر الأول من ١٦٥٠ ق.م - تتوالى مشاركات المرأة المصرية في لحظات النضال الملتهبة ومهما كان حجم الأثقال التي ترزح تحتها تتجلى في مقاومة الحملة الفرنسية في ثورتي القاهرة الأولى والثانية في محاولة حماية ظهر الثورة العرابية الذي كشفته الخيانة - تسجل ثورة ١٩١٩ ذروة المشاركة النسائية تنطلق بتمهيد فكري وبمساندة مفكرين وعلماء دين مستنيرين أسفرت عن وعي عميق بالحقوق الاجتماعية والسياسية والتحام طبقات النساء ومواجهة ثلاثية الفقر والجهل والمرض، واستقر لدى الطبقة المتوسطة عصب الحياة المصرية أن تعليم الفتيات والتنوير هو الطريق إلى الصعود والارتقاء وصناعة المستقبل المؤسس على القيم الصحيحة، و تواصل النضال وراء الحقوق حتى اعترفت ثورة ١٩٥٢ بحقوقها السياسية في إطار دستور ١٩٥٦ في نص تقريري رائع لكفاحها الطويل. لأن الحقوق التي اكتسبها الشعب بالثورة باشرتها المرأة أيضا كما باشرها الرجل، فقد وقفت المرأة مع الرجل جنبا إلى جنب طوال كفاحه المرير واستشهدت بعض نسائنا في سبيل الكفاح المشترك من أجل الحرية والحياة، وكما كافحت المرأة من اجل الحصول على حق الشعب فمن حقها أن تسترد حقوقها كاملة.

٤- وقد خاضت المعركة الانتخابية ١٩٥٧ خمس سيدات فازت من بينهن أول نائبتين في البرلمان المصرى - الأستاذة راوية عطية في حي الجيزة والأستاذة أمينة شكري بمدينة الإسكندرية.

٥- أسوق هذه الأمثلة لأدلل على المخزون الحضاري الذي ينتفض ويعلن عن نفسه في لحظات المواجهة الكبرى والذي وقف وراء ما حصلت عليه من مكاسب وما حققته من انتزاع للحقوق الاجتماعية والسياسية والذى كانت مشاركات المرأة في انتصارات ١٩٧٣ واحداً من أعظمها في التاريخ الحديث. إن النموذج الذي قدمته في السادس من أكتوبر يقتضي الإشارة ولو في عجالة إلى مشاركات نساء القناة ومدينة بورسعيد بالتحديد في معارك ١٩٥٦ - النموذج الأروع للنضال الشعبي وبورسعيد داخل الحصار معزولة عن الوطن وقد أغلقت منافذ عبور القوات النظامية إليها وقوات دولتين من اكبر الدول في ذلك الزمان - إنجلترا وفرنسا تدكها جواً وبحراً وعشر فرق شعبية للمقاومة الباسلة تجعل بقاء قوات العدو مستحيلاً - كانت الفرقة العاشرة من فرق المقاومة الشعبية البورسعيدية هي فريق النساء الذي كانت تقوده مدرسة صغيرة من بورسعيد اسمها « زينب الكفراوى ».

٦- لحظة من أطول وأعمق لحظات الظلام في تاريخنا... أشير إليها لماعشته وعايشته مع النساء بمختلف طبقاتهن ودرجات وعيهن ومواقعهن في العمل العام أو العمل الأهلي والتطوعي ربات بيوت متفرغات مع انتفاض للمخزون القيمي والحضاري وطاقات للأمل وإدراك للعزائم التي يحتاجها الإعداد للمعركة - فحرب الاستنزاف لم تدر رحاها على جبهات القتال وحدها، وإنما أيضا في جبهة الصمود الداخلي، والمشاركات النسائية تسفر عن تجلي الإدراك وكشوف الوعي الكامن بمعنى أن الوطن في خطر وبالإمكان قطع الزاد حتى يطلع النور وتنزاح الغمة -عبارات كنت اسمعها من على ألسنة سيدات ضاربات في عمق الزمن مثلن دائما للضمير المصرى قلب الحكمة وشفافية الرؤية، وعندما يعمر القلب المصرى بالإيمان وبالقدرة وينتظر واقعاً يتكافأ مع ما يعمر به القلب بالإيمان والذي مثل جوهراً من دروس النصر وأثبته ما

حدث في السادس من أكتوبر ويحدث دائماً عندما تتكافأ القوتان قوة ما في القلب وما لديه من مخزون حضاري كامن وقوة الإحياء والحفظ والإطلاق، كانت المرأة بطلة في معارك الصمود -ما سمعنا عنه ونشر في حينه وسجلته ورقة أ.د إجلال خليفة.

من منا لا يتذكر ما قامت به نساء مصر من التبرع بما لديهن من حلي ذهبية وترحال أم كلثوم إلى عواصم الوطن العربي وأوروبا لتجمع إيرادات حفلات غنائية أقامتها وتجمع التبرعات بالعملات المحلية والصعبة لتسليح الجيش، وحملت المرأة مسئولية إعادة تهجير أطفال ونساء وشيوخ منطقة القناة وسيناء إلى أماكن آمنة وتأمين حياتهم.

وزيارة جنودنا في جبهة القتال التي امتدت غرب قناة السويس لمعرفة قضاياهم المدنية والعمل على حلها وزيارة أسرهم والقيام بتأدية بعض الأعمال الخاصة التى كانت تحتاج لجهود جنودنا أثناء حياتهم المدنية، أضف إلى ذلك أن خروج المرأة إلى مجالات العمل المختلفة بعد كفاحها في مجال العلم بكافة ميادينه ونجاحها الساحق فيه سهل للمسئولين إحلال الفتاة محل الفتى في فروع الإنتاج على تباينها سواء في قطاع الزراعة الفنية والصناعة أو التجارة أو الإدارة والخدمات التعليمية والصحية والسياحية والمصرفية، وقد زاد عدد العاملات بأجر في حجم العمالة النسائية بكافة المستويات العلمية المختلفة عما كان عليه قبل ١٩٦٧ حتى وصل الى مليون و ٦٥٠ ألف الآن (أي عام ١٩٧٥)، وتستطرد أ.د. إجلال في الحديث عن قوى العمالة اليدوية بلا أجر، بينما تبلغ نسبة العمالة النسائية في قطاع الخدمات بأجر من حرب ١٩٦٧ وأثناء حرب ١٩٧٣ ٤٠ ٪وتبلغ ١٣ ٪في القطاع الصناعي واجتماع السيدة زوجة الرئيس «أنور السادات» بالقيادات النسائية في المركز الرئيسي للهلال الأحمر المصري بشارع رمسيس وتشكيل لجان لتنظيم جهود المرأة وتنظيم الجهود النسائية الرسمية والشعبية حتى تستمر الحياة الإنتاجية دون توقف ولا تتأثر بغياب الرجال في الجبهة وعاشت الطبيبة والصيدلية والممرضة والحكيمة في مكان عملها بالمستشفيات طوال أيام المعركة وبعدها ليقمن بالأعمال الطبية وإسعاف الجرحى من أبطالنا، كما امتلأت بهن المستشفيات ومراكز الإسعاف القائمة في ميدان القتال لتأدية الواجب هناك - وفي مجال الإنتاج الحربي وأبحاثه نجد جهود المرأة واضحة في المصانع الجديدة لا في الخدمات والأعمال الإدارية فحسب بل أمام الآلة ومواد الإنتاج والذخيرة ويعمل هناك خريجات الكليات العملية ومعاهد التدريب وما الى ذلك وكثير من اسطوات الخراطة واللحام من النساء وباحثات ومهندسات في الكيمياء والكهرباء وأعمال أخرى لم يحن التحدث عنها بعد - وقل نفس القول عن العالمات في أكاديمية البحث العلمي ومراكز البحوث - فهناك العشرات من كبار العالمات واصلن الليل بالنهار في عمل أبحاث على مستوى عال أفادت قواتنا المسلحة وهجرن منازلهن وأسرهن وسوف يأتي اليوم الذي يمكننا أن نذكر فيه ما قدمته أولئك العالمات لمصر في معارك تحريرها.

٧- وقد قمت بالبحث عن هذه الأوراق ولم أوفق في العثور عليها رغم أن الدعوة لاستيفاء هذا الجانب من مشاركات المرأة المصرية في انتصارات أكتوبر وما قبلها من حرب الاستنزاف تم قبل ثلاثة وعشرين عاما - لا أعرف هل لم تكتب حتى اليوم أو أنه ضيق الوقت المتاح لإعداد ورقة البحث لم تتح لي العثور عليها، وإن كنت أجدد الدعوة للشئون المعنوية بقواتنا المسلحة بتوثيق دور المرأة التاريخي في تغطية وقائع النصر وتسجيله وحفظه للأجيال بان تدعو كل صاحب دور من الرجال والنساء في حرب ١٩٧٣ ان يكتبوا ذكرياتهم وذكرياتهن مرفقة بما يمكن توثيقه وجمعها في ملفات ستضيء وتضيف الكثير لصناعة النصر وصانعاته على الجبهة الداخلية أما في وقائع المشاركة التي وردت في السياق السابق انه لولا تعليم وعمل المرأة ودورها الفاعل لاختلت منظومة الحياة على جبهة القتال وعلى الجبهة الداخلية.

وأترك ورقة د. إجلال خليفة لأسجل ملامح جبهة أخرى من جبهات الصمود التي أدارتها المرأة ببراعة فأرقام الميزانيات و خاصة الإيرادات ما بين ٦٧ -٧٣ تؤكد أن الشعب هو الذى قام بتمويل القوات المسلحة من موارد القطاع العام والضرائب ومنها ضريبة الاستهلاك والرسوم التي فرضت ورغم عدم وجود قطاع خاص وقطاعات ضخمة من المستثمرين وكانت أغلبية الشعب من أصحاب الدخول البسيطة والفقراء فان الاقتصاد اعتمد على الناس أنفسهم وتحمل المصريون تقودهم المرأة باعتبارها وزيرة الاقتصاد الفعلية للأسرة وللوطن - ما لم يتحمله إنسان من اجل العبور الاقتصادي إلى النصر، وتقررت ضرورة التنمية كأولوية لضرورات الحرب من اجل أن تسير التنمية جنباً إلى جنب مع أعمال الدفاع الوطني رؤى تحميل الشعب تضحيات إضافية تحملها ببسالة ودفع ضرائب للدفاع و الأمن القومي وزيادة بعض الرسوم وفروق أسعار بعض السلع الاستهلاكية والإعانة المفروضة لصالح المهجرين، وقدرت هذه المبالغ بـ٢٠٠ مليون جنيه سنويا - بأسعار الجنيه فى ٧٣ - وبترشيد وتدبير لا تستطيعه مثل المرأة المصرية التي أدارت حياتها واستعذبت التضحية وهي تدرك بفطرتها المثقفة وبمخزون النضال الموروث فى سلالتها معنى ربط الأحزمة على البطون ليتحرر تراب الوطن. وكيف تجوع الحرة ولا يدنس شرف وطن - وعندما قامت الحرب كانت الدولة تستورد ٧٥ ٪ من المواد الغذائية وخاصة من السلع الرئيسية وعندما عبر الجيش المصري معلناً بدء معارك تحرير سيناء تحولت السفن القادمة بالمواد الغذائية إلى موانئ آمنة بعيدة عن أخطار القتال وكان معروفاً انه إذا قامت المعركة يصبح الاستيراد مستحيلا لأربعة شهور وكان احتياطي الغذاء فى الصعيد لا يغطى فترة زمنية متوسطها ٤٥ يوما، وكان الرهان على الصلابة والصمود وقدرة التحمل والاعتزاز والكرامة التي تستطيع دواعيهم الحقيقية ووعظ الضمير الجمعي والتفافه حول الأهداف التي يؤمن بها تحفز وتستنفر أعلى طاقاته على إبداع الأداء الحياتي واحتمال تحدياته.

٨- جميع الأرقام تتواضع فى قياس القوة والقدرة للمرأة المصرية فى تحمل وإدارة اقتصاديات الحرب وإعادة بناء الجيش وتسليحه قياسا بأدوارها الاجتماعية والنفسية والتربوية وهي تتحمل مسئولية الحياة كاملة وما قبل وما بعد ٧ سنوات زوجة وأم لزوج وأب يرابط على جبهة القتال. تدلنا الأرقام على الأعداد الضخمة من المقاتلين النظاميين والمجندين والمتطوعين الذين كانوا على جبهات القتال. تحت ظلال الخطر واحتمالات المجهول كيف صنعت الأمان والتأمين والصلابة النفسية للأبناء.. إنها واحدة من اعظم إبداعاتها في الحرب والتي جمعت وثائقها الحية من أحاديث المقاتلين -أفاضوا في الكشف عن جبهة الأمن النفسي لرجل وراءه امرأة -رجال لا يعرفون كم سيتغيبون- وكيف سيرجعون إذا رجعوا- مقاتل تصنع صلابته وتسليحه النفس إلى جانب إيمانه وعشقه لتراب الوطن امرأة إذا غاب عنها حفظته وإذا ضعف حملته وإذا تمزق كانت عينه التي يرى بها وذراعه الذي انقطع وساقه وعزة كبريائه امرأة مصرية نادرة المثال لا تكف داخل المحنة والتحدي عن تجديد عقيدة إيزيس أول العقائد المصرية القديمة -ان تلد القوة والأحياء من رحم الحب والصلابة والإيمان كأنها أم الأرض مثل ما هي أم وصانعة الرجال.

٩- إنني لا اغني كلمات شاعرية إنما انقل نبض ونص حكايات مقاتلين يحكون كيف غابوا طويلاً وعادوا ليجدوا البيت راسياً ينتظرهم وصورة الأب البطل محفوظة في قلوب وعيون الأبناء أرضعتهم حليب البطولة ولا تكف عن غزل نسيجها البشري وإبداعها التاريخي في صناعة الأبطال -كان المقاتلون يفسرون سراً من أهم أسرار القتال البطولي الذي صنعوه في السادس من أكتوبر، ذلك القتال الذي وصفه الأعداء قبل الأصدقاء من المحللين-انهم بأسلحتهم المعلقة على أكتافهم يأكلون الدبابات. النصر جاء به عشرات الآلاف من الشهداء والمصابين ومعهم وورائهم وأمامهم عشرات الآلاف من النساء.

بحث آخر أدعو إليه لنعرف كيف خاضت المقاتلات على جبهة الحياة الداخلية معارك الصمود والوفاء والمساندة وبناء البشر وهي الأم والأب لأبناء الشهداء أو هي الأم الراعية لمن عاد مصابا وكيف أكملت بالحب والإعزاز ما عجز وانقطع.. في لقاءات متفرقة مع أمهات وزوجات الأبطال من عادوا ومن استشهد -لفتني ما يحفظه من مدخر مدهش من حكايات البطولة الشعبية المصرية- واشتركن كلهن في تلك الملامح التي تعطيها الصلابة والإيمان والإحساس العميق بالواجب والمسئولية والأمومة تجاه الأرض والوطن تتساوى مع أمومة البشر. انضم هذا التأسيس فى صناعة البطولة إلى جميع العناصر التي شاركت فى صناعة النصر من أخذ بالتخطيط العلمي المتقن وإحترام آدمية المقاتل وروح الأبوة والأخوة التي جمعته بقياداته.

كما حدثني كثير من المقاتلين البسطاء عن الانضباط، الجدية والكفاءة التي وفرتها التدريبات الشاقة والقدرة المصرية على استيعاب التكنولوجيا الحديثة واستيقاظ الضمير الجمعي وتعظيم المصلحة العامة والالتفاف حولها وتجلي حب المصريين للعمل وتقديسهم له وللطاقة البناءة للصبر والمغايرة لأشكاله السلبية والمبددة للقوى - تم الالتفات جيداً إلى جميع هذه العناصر وغيرها في تحليل عوامل صناعة النصر -وبدا لي غائباً حق المرأة ودورها ومشاركاتها ثم ذلك الدور التأسيسي باعتبارها زارعة اللبنات الأولى للشخصية في أخطر سنوات التكوين.

١٠- لقد حققت انتصارات أكتوبر إنجازا يحدث لأول مرة منذ نشأة إسرائيل وهو أن تترك أرضاً استولت عليها بالقوة العسكرية الأمريكية -من أصدق العبارات للدكتور «جمال حمدان» في كتابه- ٦ أكتوبر في الاستراتيجية العالمية إنها معركة مصرية أمريكية أكثر منها معركة مصرية إسرائيلية بمثل ما أسفرت انتصاراتنا عن سقوط أكبر عدد من مجنديهم ومقاتليهم منذ استقر الكيان الصهيوني في فلسطين - بينما كان أعظم دروسها لنا أن الصانع الأول للنصر هو استنهاض القوى الذاتية للرجال والنساء في مصر عند قمة القدرة والتمكن من العطاء- فهل كان استنهاضها رهناً بالحدث التاريخي أم استراتيجية بناء تعتمد على الإحياء والتواصل والامتداد ليظل للحياة على خطوطها الداخلية نفس التمكن والقدرات وكل ما أعطى الحرب إشراقات إنسانها وإبداعاته القتالية؟ لقد اعتبرت التنمية المتواصلة للثروات الطبيعية وعلى رأسها البشر قضية حياة أو موت ووضعت وأقرت في عام ١٩٧٣ سياسة قومية للسكان وتنظيم الأسرة كانت محاورها :

أ-رفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة.

ب-التعليم.

ج-تشغيل المرأة.

د-الميكنة الزراعية.

هـ تصنيع الريف.

ز-تخفيض معدل وفيات الأطفال.

ح-الضمان الاجتماعي.

ط-الإعلام والتوعية.

ي-نوعية الخدمات وتوفيرها.

١١- لقد كانت دلالات الأرقام قبل حرب أكتوبر تكشف هوة شاسعة بين ما تحقق على جبهة القتال وبين إشكاليات التنمية التي تعانيها الجبهة الداخلية - وفي إحصاء للجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء

أن نسبة الذين يعملون ويعولون غيرهم لا تزيد عن ٢٥٪ من تعداد السكان أي أن حوالي ٧٥٪ يعيشون على ما يكسبه ٢٥٪ منهم وإعتبرت من أعلى نسب الإعالة في العالم وبلغت قضايا النفقة للإعالة أربعين ألف قضية في نفس العام ١٩٧٠ دخل بسببها ٢٨٣٧ رجلاً السجن لعجزهم عن دفع إعالة زوجاتهم وأولادهم وذويهم بينما كانت أخطر الأرقام تلك التي تقول أن نسبة الأمية بين النساء تصل إلى ٧٨٪

١٢- تكشف السياسة القومية السكانية التي وضعت في نفس عام النصر عن ضرورة المواجهة العاجلة لما تكشف من احتياجات وفجوات اجتماعية وعن ضرورات وأولويات التعليم وتشغيل المرأة ووضعت على قمة الخطة مما يعيدنا إلى أن جميع مشروعات النهضة وبناء مصر الحديثة كان تعليم المرأة أساساً لمشروع تنموي اجتماعي واقتصادي متكاملاً... وبما لا يبقى تفجير المخزون الحضاري رهين اللحظات عالية التحدي لتحدث الاستجابة (نظرية توينبي) وليصبح درس أكتوبر الذي لا يقل أهمية عن النصر هو التنمية المستمرة لقوانا الذاتية وعلى رأسها القوى البشرية هذه القوة والقوى التي مثلت القاعدة الصلبة لفرض إرادتنا بالحرب ولتكون ظهير فرض إرادتنا بالسلام - التنمية كقضية حياة أو موت للقوى البشرية في مجموعها كهدف للتنمية وصناعها بينما أثبتت التجربة المصرية العريضة والعميقة في التاريخ أن المرأة هي قلب هذه القوة ونواتها المحركة ويمثل ما تجلى عطاؤها وسط أصعب الظروف ونضالها وسط صراع القوى المستنيرة التي تدرك قيمة معطيات علمها وتعليمها وعملها ومشاركاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل قيمها الأصيلة وبين التراجع والنكوص عن كل مكاسب تتحقق تتحالف فيه دائماً القوى الظلامية والرجعية التي لم يكن مدهشاً أن تتلاقى مع حرب المعتمد البريطاني في مطلع القرن في مصر ضد تعليم الفتيات وكانت حرب أكتوبر من أنصع عرائض الدفاع وأثبتت مقولة مؤرخين.. معاصرين تعيد حضارة القرن العشرين إلى قوتين - اختراع الكهرباء وإضاءة قلب المجتمع بتعليم وعمل ومشاركات المرأة.

١٣- لقد اصبح واضحاً ويقيناً أن معركة التنمية هي عبور مصر إلى القرن القادم الذي تقود جموع النساء إليه السيدة « سوزان مبارك » وهي تضيف إلى حلقات الريادة النسائية حلقة مضيئة مؤكدة لأهمية دور الدولة ودعمها وراء نهضة مجتمعية يتعاظم فيها دور المجتمع المدني ومؤسساته الأهلية من خلال حركة ولجنة قومية للمرأة تتجاوز الحزبية وتعبر تعبيراً صادقاً عن جموع النساء بمختلف التوجهات الفكرية والسياسية والانتماءات الحزبية وأن تمثل في اللجان الإقليمية المنتشرة في جميع محافظاتنا لتطبق إستراتيجية قومية للتنمية وتجارب وبرامج رائدة للتنمية الشاملة للمرأة والأسرة والمجتمع والخدمات يتبناها المجلس القومي للطفولة والأمومة، ولأول مرة تدرج أهداف وسياسات النهوض بالمرأة بالخطة الخمسية للدولة مستهدفة تحقيق معدلات أعلى للتنمية الشاملة، وانعقدت ثلاثة مؤتمرات قومية للمرأة أولها في يونيو ١٩٩٤ عن المرأة وتحديات القرن ٢١، والثاني في إبريل ١٩٩٦ حول سياسات تنمية المرأة للنهوض بالمجتمع، بينما انعقد الثالث في مارس ١٩٩٨ عن تنمية المرأة الريفية التي تمثل حوالي ربع سكان مصر، وتعتبر من أكبر القطاعات إنتاجية وأكثرها معاناة واختار المؤتمر أربعة محاور للمواجهة وهي: الأمية وتعليم المرأة وصحتها واقتصادياتها وحقوقها الاجتماعية والسياسية والقانونية. وآليات التنفيذ تتم في إطار الخطة الكلية لعمل الدولة وتقوم عليها إدارات المرأة المتخصصة في وزارات الشئون الاجتماعية والصحة والسكان والزراعة والإعلام يساندها دور فعال وتاريخي للعمل الأهلي والتطوعي. يتقدمها الإيمان المبدئي والموقف الحضاري والوعي التاريخي من القيادة السياسية بفاعليات مشاركة المرأة المصرية عبر التاريخ القديم والحديث يلفت النظر ما يعترض طريق التقدم والتنمية من صعود وهبوط يترجم

ويعكس صراع التقدم والتراجع الذي لم يتوقف أبداً وبما يجعل الصعود إلى الأهداف المرجوة يبدو بطيئاً إن لم يتوقف أحياناً ويبدو عاجزاً عن المواصلة، والنموذج يبدو واضحاً في قانونين هامين:

أ- القانون ١ لسنة ١٩٧٩ والذي خصص ٣٠ مقعداً للمرأة في مجلس الشعب أسوة بتخصيص مقاعد للعمال والفلاحين، ونتيجة لذلك ارتفعت نسبة مشاركة المرأة في البرلمان إلى حوالي ٩٪ خلال النصف الأول من الثمانينات، ولما أسقط هذا الحق بمن لا يفهمون حقوق المرأة حضارياً وإنسانياً ودينياً حقاً، أدى إلى انخفاض تمثيلها في البرلمان إلى ٢٪ منذ عام ١٩٩٠ وتداعت ارتدادات أخرى في المجالس المحلية على مستوى المحافظات والمراكز والمدن والأحياء فانخفضت نسبة تمثيلها من أكثر من ١١٪ عام ١٩٧٩ إلى ٢.١٪ عام ١٩٩٢.

ب- أما القانون الثاني، فهو رقم ٤٤ لسنة ١٩٧٩ للأحوال الشخصية الذي أعطى المرأة ضمانات ضد تعسف وسوء استخدام رخص الطلاق وتعدد الزوجات والحضانة وحقوق المسكن وكان القانون يمثل نقلة نوعية خلال أكثر من ٥٠ عاماً منذ صدور قانون ١٩٢٦ - وفي ضوء النظرة القاصرة عن إدراك التنمية الحضارية والدينية والاجتماعية لتمكينها وتأمينها - وعن قراءة صحيحة لذلك المشهد البطولي الإنساني للمشاركات النسائية التي تجلت دائماً وتجلوها نيران الألم والتحديات الوطنية أوقف القانون بإدعاء أسباب إجرائية وشكلية وحاولت الدولة استنقاذ بعضه بتقديم مشروع قانون آخر لمجلس الشعب وهو القانون ١٠٠ لسنة ١٩٨٥.

١٤- إن الاستهداء بنور ودروس الكفاح الطويل والمجيد للمرأة وبفهم عميق للبعد الاجتماعي للتنمية يضيء طريق حركتها في التسعينات. ومن أهم منجزات الحركة القومية للمرأة صدور أول قانون موحد للأمومة والطفولة والإعداد لقانون جديد يطلق قوى ويعظم مشاركات العمل الأهلي ومشروع قانون بتبسيط إجراءات التقاضي وإنشاء قضاء ومحكمة للأسرة وتعزيز مشاركة المرأة بفاعلية في مجالات العمل وتطوير المناهج التعليمية لتعزيز الرؤية المستنيرة للمرأة وصورتها في الإعلام وكذلك من أهم الإنجازات تكثيف دور شبكات الأمان الاجتماعي لحماية المرأة من الآثار السلبية المترتبة على عمليات الإصلاح الاقتصادي، وتمثل الفتيات من إجمالي التعليم الجامعي وما قبله نسبة ٤٣-٤٥٪ بالإضافة إلى تزايد نسبة الحاصلات على الدرجات الجامعية العليا وفي عام ١٩٩٦ وصلت نسبة الأمية إلى ٦.٣٨٪ وتزدهر أساليب مواجهة جديدة للأمية كمدارس الفصل الواحد ومدارس المجتمع لتوفير تعليم فعال لمن فاتهن قطار التعليم وتصل به إلى الفتيات والنساء في أقصى النجوع والقرى وأصغرها وأبعدها ويتزايد عدد الفصول والدراسات والإهتمام بأرقام تدل على إستيعاب المجتمع لقيمة التنمية بتعليم وعمل المرأة حيث ترتبط برامج محو الأمية بمراكز تدريب لتطوير قدراتها وزيادة دخلها، أن مؤشرات كثيرة تقول بدلالة الأرقام حجم المتغيرات التي حدثت فمشاركتها في قوة العمل تتراوح ما بين ٣٨٪ و٣١٪ أجهزة الإحصاء اختلفت في تحديد النسبة في مجال المشاركة السياسية بينما لم تتجاوز النسبة ٦,٢٪ من مجموع الناخبين في انتخابات عام ١٩٥٧ وبحلول عام ١٩٩٦ ارتفعت نسبة الناخبات إلى ٣٤,٠٤٪ أي أكثر من ثلث مجموع الناخبين المسجلين في جداول الانتخابات على مستوى الجمهورية بينما تتضاءل النسبة التي تشغلها المرأة من مقاعد البرلمان بمجلسيه فقد بلغ عدد النساء في انتخابات مجلس الشعب ١٩٩٥ خمس عضوات، وقام السيد رئيس الجمهورية بتعيين أربع سيدات أخريات - ليبلغ العدد الإجمالي تسع عضوات بنسبة ٢٪ من مجموع الأعضاء ويزداد العدد في مجلس الشورى ليصل إلى ١٥ سيدة بنسبة ٥,٧٪ بينما انخفضت نسبة مشاركتها في المجالس الشعبية المحلية إلى ١,١٨٪ عام ١٩٩٧ - بينما يتواصل دعم القرار السياسي لها في مواقع صنع القرار - ومنذ تعيين أول وزيرة عام

١٩٦٣ - د. حكمت أبو زيد وزيرة للشئون الاجتماعية - تولت سبع نساء وزارات مختلفة وحتى عام ١٩٩٧ ولكن يظل ما تشغله يمثل نسباً متواضعة قياساً إلى ما تتطلبه قضايا التنمية والتغيير الاجتماعي والمشاركات السياسية والأوضاع الاقتصادية - وحجم الأخطار المترتبة على الغياب وانكماش الدور في ظل تعاظم التحديات التي تطرح للمواجهة جبهات جديدة تؤكد أن الصراع الممتد وكما تؤكده الأحداث يتعاظم كل يوم.

١٥ - إن آخر ما شغلته من مناصب قيادية بعد معركة كفاح طويلة رغم سبق عديد من النساء في ٧ دول عربية شقيقة إليه هو منصة القضاء، وقد تولت في أغسطس ٩٨ المستشار «هند طنطاوي» مسئولية القضاء الإداري بعد أن كشفت المعركة عن كمون القوى التي مازالت عاجزة عن رؤية مصيرية لدورها في صناعة التاريخ وانتزاع النصر، لقد تدثرت المقاومة بالدين الحنيف كالمعتاد فلما أسقطت الحجة نسب إلى عجز قدراتها عن المهمة الشاقة رغم أنها معلمة القضاء في الجامعة وشغلت رئاسة اللجنة التشريعية بمجلس الشعب في دورته قبل الأخيرة -أ.د. فوزية عبد الستار - وتشغل الآن وكالة المجلس - أ.د. آمال عثمان، ولكنها معركة تحدث في منتصف ١٩٩٨ ونحن على مشارف الألفية الثالثة لتقدم نموذجا يثبت أن الكثير من الأنساق القيمية والفكرية المتقدمة والمستلهمة جذورنا وجوهر قيمنا الأصيلة لم نستطع أن نمدها إلى فعاليات الحياة -بينما يبرز رقم آخر لابد من الالتفات إليه جيدا وهو انه ما بين ١٨٪ و٢٢٪ من إجمالي الأسر المصرية تعولها النساء.

١٦ - إنها لدواعي الحرب حملت المسئولية وحدها وأبدعت في إدارة الحياة في إطار القيم الصحيحة التي مهدت للنصر وأسفر عنها السادس من أكتوبر لكن في ظل المتغيرات والصراع بين التقدم والتراجع والخلل الذي يعصف بالمنظومة الكونية ونحن جزء منها بالإضافة إلى همومنا ومشكلاتنا الخاصة والأدوار والمسئوليات التي تتزايد في الأدوار وضرورات التنمية هل تملك نفس الاستطاعة والنجاح الذي حققته وسط ورغم اختبار الحرب وهل يكفي الكمون الداخلي لقيم النصر في انتظار نازلة وتحدى تستدعي الاستجابة ومدى تأثر المخزون الحضاري بالعصف الكوني والقيمي والاقتصادي والاجتماعي.

١٧ - نحتاج من مراكزنا البحثية أن تستقصي لنا الواقع ومتغيراته، الأجيال ورؤاها، المعطيات الثقافية وثوابتها ومتغيراتها -صناعة التغير وأدواتها. الإعلام وكتاباته فوق الوجدان -التعليم وحصاد ربع قرن من التطوير ومضاعفة ميزانياته -نجتهد في أن نرى ونصيب ولكن وسط ثورة المعلومات واحدث تقنيات الاستقصاء والبحوث الميدانية نحتاج أن نستقصي ونحلل الدلالات الاجتماعية والمؤشرات.. نحتاج أن نستقصيها لنصحح ونعالج ونوفر المناخ الذي تحتاجه مشروعات البناء والتعمير الكبرى التي نتوجه إليها في سيناء وتوشكى وجنوب الوادي ومواجهة مشكلات الشباب والبطالة بتنمية الإنسان ركيزة والمرأة محوراً لها.

١٨ - ما أكثر ما تحدثنا عن روح أكتوبر وهي ليست اكثر من مجموع القيم الصائغة للنصر والمطلقة للمخزون الحضاري والمستوعبة لدروسه لمواصلة المستقبل بعناصر البناء التي احتشدت للمعركة والنتائج التي أسفرت عنها والمؤكدة على ضرورة بعث روح أكتوبر علما وتخطيطا وجدية وانضباطا واحتراما للقوانين ركيزة للديمقراطية واستنهاض للقيم الروحية وجوهر وفعل الإيمان الصحيح والتركيز على تنمية البشر ورفع كفاءة الإنسان وفتح بوابات الأمان في مضاعفة فرص العمل والتدريب وإعلاء المهارات الذهنية والعقلية واليدوية وتوفير جميع العوامل التي تجعله قادرا على أن يخوض المعارك الأكثر شراسة على جبهات التحديات مستندين إلى تطوير التعليم الذي اعتبره «الرئيس مبارك» مشروعا قوميا للعقد الأخير من القرن مع محو الأمية، بالإضافة إلى مواجهات حاسمة للأنساق البالية من المعطيات الثقافية

وفتوحات إعلامية تواجه بث السماوات المفتوحة تثبت الجذور وتتصل بالحداثة والجديد بوعي وقدرة على التقويم والاختيار وتعظيم الثروات البشرية والطبيعية واختبار أكفأ العناصر والتطوير الإداري وازدهار الحريات والمشاركة الشعبية وإحياء الضمير الجماعي الذي يجمع الأمة حول أهدافها الكبرى ويضيق الفروق ويسقط الحواجز المجتمعية وذلك التحول إلى جزر مغتربة تتشبث بالأنا وتتقوقع داخلها وتدافع عن مكاسبها الضيقة ، وكل ما أبدعنا به إدارة جهد القتال وروضنا ما أطلقوا عليه المستحيل واستدعينا به النصر .. فحدثت الاستجابات .. والمرأة جزء من الكل تعيد وتجدد وتؤكد عقيدة «إيزيس» الخالدة ولا يكفي أن تترك لتجمع أشلاء «أوزوريس» وسط الملمات يجب دعم حركتها التي تجعل العطاء متواصلا بقدر ما يمتلئ قلبها بالإيمانية والعلم والقدرة ويتاح لها أن ترتوي منهم لتطرحهم في أجيالها وفي مجمل الواقع الحياتي لبلادها اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ..إن نساء حرب أكتوبر حفيدات ما قبل النصر وأمهات «وجدات» ما جاء بعده قد أعدن وجددن وأكدن عقيدة «إيزيس» الخالدة «انهم يقولون عنك يا أوزوريس ولو انك ترحل إلا انك تستيقظ ثانية-ولو انك تموت إلا انك تبعث مرة ثانية.. قف.. انهض.. إيزيس تحبك».

وقد خلصت هذه الورقة إلى بعض التوصيات أجملها في الآتي:

١- معالجة القوانين التي تتناقض مع حقوقها الدستورية في المساواة كقانون الجنسية بالنسبة للأبناء وجميع الممارسات المجتمعية التي تدعم قهرها وتكرس الفاصل العميق بين الحقوق المقررة لها في الشريعة السمحاء وفي الدستور والقانون وبين الممارسات الفعلية والواقعية البعيدة عن جوهر وفاعليات هذه الحقوق.

٢- يبدو مشهداً مؤسفاً لا يتفق مع التنمية الحضارية المصرية والمواهب الكامنة لإنسانها وقيمة التمكين للرجال والنساء أن ندخل الألفية الثالثة بهذه النسبة من الأمية وأدعو اللجنة للتوصية بدعم وتكثيف البرامج القومية لمحو الأمية وتوسيع مشاركة القوات المسلحة في المواجهة والاستفادة بالبرامج الرائدة للتنمية الشاملة التي تقوم بها اللجنة القومية للمرأة المصرية في برامج محو الأمية ببرامج للتدريب ورفع كفاءة المرأة وزيادة النسب المقدرة لها من قروض الصندوق الاجتماعي وتذليل العقبات وإلغاء الشروط التي تشكل عقبات لاستفادتها بها ودعم شبكات الضمان والتأمين الاجتماعي القائمة، مع دعم القدرات والعمل والإنتاجية وإبقاء شبكات الأمان القائمة على المعونات في إطار الحالات الخاصة والعجز والشيخوخة.

٣- استكمال السجل القومي للمشاركات المدنية التي لعبت فيها المرأة الدور الأول والاهتمام بالدراما التسجيلية التي تصنع للأجيال القدوة والنموذج من بطولات حقيقية من مقاتلي ومقاتلات مصر على جميع الجبهات والاهتمام بالبرامج والدراما التاريخية التي تساهم في رفع وعي الرجل بقيمة مشاركة المرأة وكيف أنها شريكة النضال الوطني فكيف لا يدعم ويخدم نضالها الحياتي.

٤- دعم وعيها القانوني ومشاركتها السياسية وإعادة النظر في القوانين التي تدعم هذه المشاركة والتي تتجاوز إشكاليات المعطيات الثقافية المتخلفة والمشكلات التي تحبط العملية الإنمائية وتمثل عقبة أساسية بالنسبة لمشاركة المرأة.

٥- الأخذ بجدية لبرامج تكليف الفتيات مثل الشباب عقب التخرج في برامج محو الأمية وفي خبرات التمريض وسائر المهارات التي تجعلها قادرة على الوقوف و مواجهة أي حالة تتعرض لها.

الورقة الثانية :

دور الإعلام في حرب أكتوبر ١٩٧٣

أ.د. فاروق أبو زيد

عميد كلية الإعلام - جامعة القاهرة

١- كان للإعلام دور بارز في انتصار أكتوبر ١٩٧٣ م، كما كان لانتصار أكتوبر تأثير بالغ على مسيرة الإعلام في مصر، لذلك فإن دراسة العلاقة بين انتصار أكتوبر والإعلام، لابد وأن تعالج من خلال محورين رئيسيين، أولهما دور الإعلام في انتصار أكتوبر، والثاني تأثير انتصار أكتوبر على الإعلام المصري.

دور الإعلام في انتصار أكتوبر:

٢- في حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ م ظلم الجيش المصري، وظلم الإعلام المصري معه، فقد الإعلام مصداقيته بسبب ما اتهم به من مغالاة وتضخيم للوقائع وتجاهل الحقائق، وإذا كانت بعض هذه الاتهامات حقيقية بفعل هيمنة النزعة الخطابية والدعائية على إعلام تلك المرحلة والفترة التي سبقتها، إلا أن أكثر هذه الاتهامات كان أقرب إلى التجني منه إلى وصف الحقيقة، حيث لعب الإعلام المصري قبل حرب ١٩٦٧ دوراً كبيراً في تعميق الانتماء الوطني ونشر الوعي القومي، وفي تحدي الدعاية الصهيونية ومقاومة الاستعمار، والوقوف مع حركات التحرير الوطني في الوطن العربي والعالم الثالث كله، ولكن هزيمة يونيو ١٩٦٧، غطت على هذه الجهود، ونسي الجميع أو تناسوا الإيجابيات، ولم يتذكروا سوى السلبيات!

٣- وعقب نكسة يونيو بقليل، وبعد أن تلاشت الدهشة التي أعقبت صدمة الهزيمة، بدأت القوات المسلحة المصرية تستعيد ثقتها بقوتها وقدرتها على التصدي للعدو، وتم ذلك عبر معارك «رأس العش»، وتفجير المدمرة «إيلات» وبالكثير من البطولات الخارقة التي شهدتها حرب الاستنزاف، وترافق مع ذلك كله، عودة متدرجة للثقة في الإعلام المصري، توجت بدرجة عالية من المصداقية في الأداء الإعلامي خلال حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣م. واعترف العدو قبل الصديق، أنه في الوقت الذي التزم فيه الإعلام المصري بكافة وسائله : المقروءة والمسموعة والمرئية بالصدق والدقة الموضوعية، سقط إعلام العدو في مستنقع المغالاة وتضخيم الوقائع وتجاهل الحقائق، وهكذا تجرع إعلام العدو من نفس الكأس التي شربنا منها في يونيو ١٩٦٧!

٤- إن أي محاولة لتقييم الأدوار في انتصار أكتوبر ١٩٧٣م، لتقف بخشوع وإجلال لكل الشهداء

الأبطال الذين قدموا أرواحهم فداء للوطن، ثم تعترف بالتقدير والامتنان لجميع أفراد القوات المسلحة على الأداء البطولي الذي حقق النصر. ومن المهم التأكيد على أن الشعب المصري كله وقف وراء قواته المسلحة بالدعم والتأييد والمساندة.

٥- وكان للإعلام، شأنه في ذلك شأن بقية قطاعات الشعب المصري دور ملموس في انتصار أكتوبر، ويمكن أن نرصد بعض مظاهر هذا الدور في النقاط التالية:-

أ-العمل على استعادة ثقة الشعب بقدرة قواته المسلحة على تحقيق النصر، والتصدي للحرب النفسية التي حاولت استغلال نكسة يونيو ١٩٦٧ لإضعاف ثقة الشعب بقواته المسلحة، وكان هذا العمل بمثابة «البيئة التحتية» التي مهدت الطريق لانتصار أكتوبر، وذلك عن طريق كشف زيف الانتصارات الوهمية للعدو وإبراز بطولات القوات المسلحة في كبح غرور العدو، وخاصة في الفترة التي أعقبت ٥ يونيو ١٩٦٧.

ب-العمل على تحقيق الالتحام بين الشعب وقواته المسلحة، والإسهام في إعداد الشعب للمعركة عن طريق تعميق الانتماء الوطني وتحويل الشعب إلى قوة مؤثرة تدعم وتمد القوات المسلحة بالقوة البشرية والمادية اللازمة لمعركة التحرير.

ج-السعي إلى تعبئة الرأي العام الوطني وحشده لمساندة القيادة السياسية والقوات المسلحة، عن طريق التعريف المستمر بأبعاد الموقف السياسي والعسكري، والتوعية بمقتضيات الأمن القومي، وشرح أبعاد الصراع مع العدو ومتطلباته.

د-المواجهة المستمرة والنشطة لدعايات العدو وكشف أساليبه في الحرب النفسية وتحصين المواطن من تأثيراتها الضارة.

هـ-الإعداد النفسي للمواطنين للتعامل مع مقتضيات المعركة ومتطلباتها، مثل إزالة الرهبة من الحرب ودعوة المواطنين للالتزام بتعليمات الدفاع المدني والتوعية بأنماط السلوك المناسبة للمعركة، كترشيد الاستهلاك وزيادة الإنتاج ومحاربة الغلاء والارتفاع المفاجئ في الأسعار وعدم التزاحم على شراء السلع أو في وسائل المواصلات وغيرها من أنماط السلوك اللازمة في المعركة.

و-العمل على إقناع الرأي العام العربي والعالمي بعدالة الموقف المصري، وحق مصر في تحرير ترابها الوطني وطرد المحتل الأجنبي. وحشد التأييد العربي والدولي، إعلامياً وسياسياً ودبلوماسياً بما يدعم مواقف القيادة السياسية ويساند تحركات القوات المسلحة في أرض المعركة.

ز-العمل على الاستفادة من انتصار أكتوبر لتحسين صورة مصر في الخارج، حيث تعرضت مصر وخاصة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ لعمليات تشويه متعمدة لصورتها القومية وإنجازاتها الحضارية من قبل الكثير من وسائل الإعلام الغربية، التي كانت تعهد إلى قلب الحقائق وتحريف الأنباء.

وهناك صور متعددة لهذا التحريف والتشويه، مثال ذلك أن تحل الأخطاء أو الأكاذيب محل الحقائق الثابتة، أو عندما يضاف تفسير محرف إلى النبأ عن طريق استخدام صفات التحقير أو القوالب الجامدة، أو عندما تعطي أحداثاً لا تنطوي على أهمية حقيقية موضعاً بارزاً، أو عندما تمزج أموراً سطحية أو لا صلة لها بالموضوع مع حقائق ذات أهمية فعلية، أو عندما تجمع الأنباء من حقائق عشوائية وتقدم كحقيقة متكاملة، أو عندما تجمع الحقائق الجزئية لكي تعطي انطباعاً بأنها الحقيقة كاملة، أو عندما تعرض الحقائق مواتية لمصالح معينة، أو عندما تعرض الحقائق بطريقة تثير شكوكاً لا أساس لها من الصحة أو مبالغاً فيها بهدف التحكم في رد الفعل من جانب الأفراد أو حتى جماعات بأكملها أو حكومات، أو عند

الالتزام بالصمت إزاء حقائق وأحداث يفترض أنها تهم الشعب.
ولطالما ارتفعت الأصوات تطالب وسائل الإعلام الغربية بأن تلتزم بالمسئولية، وأن تعمل على تحري مزيد من الصدق والموضوعية في تغطية الأحداث المصرية والعربية، وجاءت حرب أكتوبر وتحقق الانتصار المصري، والذي كان أكبر من أن يستخدم فيه التحريف أو التشويه مما أرغم معظم وسائل الإعلام العالمية ومن بينها وسائل الإعلام الغربية على الاعتراف بالنصر الكبير الذي حققه الجيش المصري، وأكدت حرب أكتوبر حقيقة إعلامية هامة، وهي أن الواقع الظاهر والواضح، يمكن أن يستعصي على عملية التحريف والتشويه الإعلامي.

تأثير انتصار أكتوبر على الإعلام المصري

٦- في الفترة التي تمتد من ٥ يونيو ١٩٦٧م إلى ٦ أكتوبر ١٩٧٣م، ارتفع شعار «لا صوت يعلو على صوت المعركة»، وكان هذا الشعار يعني في جانبه الإعلامي أن تتوحد الآراء وأن تتكاتف المواقف الإعلامية نحو هدف واحد وهو إزالة آثار العدوان، لذلك كان من الطبيعي أن يعقب انتصار أكتوبر انفتاح سياسي نحو الديموقراطية، وانفتاح اقتصادي نحو اقتصاد السوق، ومع بداية عام ١٩٧٤م بدأت الدولة تتجه بالفعل نحو التعددية السياسية والاقتصادية، واتخذت خطوات جدية لتقليص دور القطاع العام في العملية الاقتصادية، وتنظيم دور القطاع الخاص كعنصر أساسي في عملية التنمية وإصلاح الهياكل التمويلية لشركات القطاع العام من خلال بيع بعضها إلى أصول بعضها إلى المستثمرين المصريين وغير المصريين، وتشجيع الاستثمار العربي والأجنبي في مصر من خلال إزالة المعوقات البشرية والإدارية، وإلغاء كافة القوانين والتشريعات المعوقة والمقيدة لحركة الاستثمار وتشجيع المنظمات غير الحكومية على القيام بدورها في إطار تنمية الجهود التطوعية في المجتمع وتدعيم النشاط الأهلي. وفي الجانب السياسي تم إلغاء التنظيم السياسي الواحد عن طريق السماح بوجود المنابر والتي سرعان ما سمح لها بأن تتحول إلى أحزاب سياسية.

٧- وقد ارتبط بالانفتاح السياسي والاقتصادي انفتاح إعلامي مواز، وحدثت تغييرات جذرية في كثير من المفاهيم الإعلامية وتطبيقاتها، فحصلت وسائل الإعلام المصرية على قدر من الحرية، أخذ يتزايد بالتدريج، بحيث تمكنت وسائل الإعلام من أن توائم أوضاعها الإعلامية مع طبيعة التطور السياسي والاقتصادي في المجتمع، فقد أدى ظهور المنابر ثم تحولها إلى أحزاب سياسية إلى السماح للأحزاب بإصدار الصحف التي تعبر عنها، فظهرت الصحف الحزبية بجوار الصحف القومية ووجد لأول مرة في مصر منذ أحداث مارس ١٩٥٤م، وبشكل شرعي الرأي والرأي الآخر تجسيداً لوجود الأغلبية والأقلية والحكومة والمعارضة في آن واحد.

٨- ومن الملاحظات الملفتة أنه بعد أربعة أشهر فقط من حرب أكتوبر ١٩٧٣م، رفعت الرقابة على الصحف، وذلك في ٩ فبراير ١٩٧٤م، كما تم إلغاء الرقابة على برقيات الصحفيين الأجانب في ٢٢ فبراير ١٩٧٤م، وتم أيضاً إلغاء الرقابة على جميع الصحف والمجلات الأجنبية في ١٨ مارس ١٩٧٤م. وقد عبرت «ورقة أكتوبر» التي صدرت في عام ١٩٧٤م كوثيقة فكرية عن المرحلة الجديدة، عن ذلك التطور الديموقراطي فذكر فيها: «أنه بعد انتصار أكتوبر وتأكيد وحدة الصف الوطني وارتفاع المسئولين إلى مستوى المسئولية، لابد من أن نؤكد معنى الحرية السياسية جنباً إلى جنب مع »الحرية الاجتماعية« ، وشهدت الفترة التي تبدأ مع نهاية عام ١٩٧٤م انفراجة في حرية التعبير، كما شهدت نفس الفترة عودة العديد من الكتاب والصحفيين الذين أبعدوا عن الكتابة منذ أحداث مارس ١٩٥٤م.

وعادت أبواب بريد القراء لتظهر في الصحافة المصرية من جديد، فظهر باب (إلى محرر الأخبار) في ١٧ يوليو ١٩٧٤م، وباب (عزيزتي أخبار اليوم) في ٨ يونيو ١٩٧٤، وباب (بريد الأهرام) في ٢٢ أغسطس ١٩٧٤م.

وفي ١١ مارس ١٩٧٥م صدر قرار بتشكيل المجلس الأعلى للصحافة، وكان من أهم اختصاصات المجلس وضع ميثاق الشرف الصحفي ومتابعة تنفيذه وضمان حقوق الصحفيين في التعبير.

٩- بعد تحويل التنظيمات السياسية (المنابر) إلى أحزاب في أول جلسة لمجلس الشعب في نوفمبر ١٩٧٦م إثر انتخابه في أكتوبر ١٩٧٦م، وافقت اللجنة التشريعية بالمجلس على إطلاق حق الأحزاب في إصدار الصحف في يناير ١٩٧٧م وقد أطلق هذا الحق دون قيد أو شرط، وعلى ضوء هذه الموافقة صدرت أول صحيفة حزبية وهي جريدة (مصر) الأسبوعية كلسان حال حزب مصر العربي الاشتراكي الذي كان يمثل الأغلبية وذلك في ٢٨ يونيو ١٩٧٧م. وقد توقفت الجريدة عن الصدور في ديسمبر ١٩٧٨م عقب انضمام حزب مصر جماعياً للحزب الوطني الديموقراطي الذي أعلن عن قيامه في ١٤ أغسطس ١٩٧٨م.

وصدرت جريدة (الأحرار) عن حزب الأحرار الاشتراكيين في يوم الاثنين ١٤ نوفمبر ١٩٧٧م، وصدرت جريدة الأهالي أسبوعية في أول فبراير ١٩٧٨ عن حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي.

وتم الإعلان عن حزب العمل في عام ١٩٧٨ وصدرت عنه جريدة الشعب في أول مايو ١٩٧٩م.

أما الحزب الوطني الديموقراطي، حزب الأغلبية الجديد فقد أصدر جريدة مايو ١٩٨١م، ثم توالى صدور الصحف الحزبية، وهناك أحزاب أصدرت أكثر من جريدة، وهناك جريدتان حزبيتان تصدران يومياً وهما الأحرار لسان حال حزب الأحرار وجريدة الوفد لسان حال حزب الوفد.

١٠- ومع اعترافنا بأن مساحة الحرية التي يتمتع بها الإعلام المقروء تزيد عن مثيلتها في الإعلام المسموع والإعلام المرئي، إلا أن الأنصاف يقتضي منا أن نؤكد بأن هذا الفارق يعود لمبررات موضوعية، منها أن الصحافة تخاطب الفئة المتعلمة في حين يخاطب الإعلام المسموع والمرئي فئات المتعلمين وغير المتعلمين، ولكن تبقى الحقيقة الناصعة وهي أن الإعلام المصري مقروءاً كان أو مسموعاً أو مرئياً يتمتع بمساحة من الحرية لا يتمتع بها إعلام آخر في منطقتنا العربية... وأن هذه الميزة ما كان لها أن تتحقق بدون انتصار أكتوبر.

■ تعقيب :

أ.د. ليلى الحمامصى

أستاذ علم الإنسان الاجتماعى بالجامعة الأمريكية

إن الورقتين موضوعين مختلفين فسأحاول الجمع بين الاثنين لأن الدكتورة «سكينة فؤاد» أعطتنا صورة مستوفاة للمرأة المصرية قبل وبعد حرب أكتوبر ولدورها التاريخي لحرب السادس من أكتوبر والمهم، ومما قرأت من الورقة هناك شئ لم تذكره هو عن الأستاذة «أمينة السعيد» والتي تقول بها : إن سلاح الحرب التى نخوضها حاليا وسنخوضها فى المستقبل مع العدو هو سلاح الحضارة وأنا أضيف عليها سلاح العلم والتكنولوجيا فليس السلاح الوحيد أن يكون هناك جيش مستعد، فهذا أمر مفروغ منه.

وقد تكلم الدكتور «فاروق أبو زيد» عن الدور الذى لعبه الإعلام المصري والفرق خصوصا بين ما قدمه الإعلام من تهويل فى حرب يونيو ١٩٦٧ وما قدمه من مصداقية خلال حرب ١٩٧٣ ويكمن الفرق لأن إحداهما كانت «نكسة» والثانية «نصراً» وتأثير الانتصار على الإعلام المصري مع الانفتاح السياسي والاقتصادي، وأشار إلى تعرض مصر وخاصة بعد ١٩٦٧ لعمليات تشويه متعمدة لصورتها القومية وإنجازاتها الحضارية من قبل وسائل الإعلام الغربية، فرأيت فى تعقيبي الجمع بين أهمية الإعلام الخارجي الدولي والمرأة فى هذا الإعلام الخارجي. إسرائيل كما قيل مهتمة بالتركيز على الإعلام الدولي الخارجي ليس فقط بالإعلام وما نقوله لشعبنا لتكسب من ورائه الكثير لتدعيم مواقفها وتهيأة الشعوب الأخرى لتقبل ما تقوم به أو تدعيه وكنت شخصيا بالصدفة فى أمريكا قبل اندلاع الأزمة بين مصر واسرائيل عام ١٩٦٧ بوقت قصير جدا وحضرت ما كان يقوله الإعلام الأمريكي، فلفت نظري الكم الهائل من البرامج الإذاعية والتليفزيونية والأنشطة والاحتفالات المختلفة فى شوارع نيويورك وفى كل مكان والتى تركز على اسرائيل وكنت أقول لأصدقائي من الأمريكيين أنني أشعر أنني في قلب إسرائيل وليس فى الولايات المتحدة ولا أسمع ولا أشاهد من إذاعة أو تليفزيون غير أنشطة عن إسرائيل وكنت أتساءل :هل تحضر اسرائيل الرأي العام العالمي لأمر ما ؟ وبعدها بأسبوع سمعت عن حشود قواتنا فى سيناء ومواقفهم فورا وكنت منزعجة وتأكدت ان اسرائيل كانت ترتب الجو بمدة قبل الحرب نفسها وبنفس الوقت قطعت رحلتي لأمريكا ورجعت مصر لأنني أحسست بشيء ما ويومين بعدها حدثت حرب ١٩٦٧ وكنت بالصدفة فى أمريكا يوم السادس من أكتوبر أيضا وعرفت خبر حدوث حرب من التليفزيون لكن الإعلام الأمريكي لم

يوضح ما قمنا به من انتصارات أول يوم وكنا نضطر للذهاب للأمم المتحدة لدى الدكتور «عصمت عبد المجيد» للسؤال عن الأخبار لأنها لا تأتى بسهولة من مصر وكنت متخوفة على عائلتي بمصر وأريد معرفة حقيقة الحاصل وكانوا معتمين بطريقة عجيبة الشكل حتى على هذه الحقائق ولكن هذه الحقائق ظهرت فيما بعد ولكنهم لهم تكتم شديد على الإعلام الخارجي خاصة فى الغرب والولايات المتحدة.

ونجد ان من أهم ما تركز عليه اسرائيل لتسود سياسيا وعسكريا فى معركتها بجانب ما تمارسه من ضغوط داخل أقوى دول العالم هو إقناع المجتمع الدولي بتقدمها الاجتماعي والسياسي والفني والثقافي واهتمامها بالإنجازات العلمية والتكنولوجية وتحاول إقناع العالم أنها هي منارة التقدم فى منطقة الشرق الأوسط، وهنا نأتي للمرأة فمن المواضيع التى تظهر بإستمرار فى الإعلام الخارجي هو مكانة المرأة فى البلاد العربية والإسلامية وباستمرار النواحي السلبية التي لا يتصورها أحد بشكل أنهم عند إيجاد أناس مثلنا يقولون أنني لا أمثل مصر أبدا فليس هناك أناس مثلكم ومؤخرا يتكلمون كثيرا عن أفغانستان وما تفعله طالبان بحبس الناس بالبيوت وما يظهر لنا بالتليفزيون من نساء فى الأصل مهندسة وطبيبة ولا تستطيع الخروج من بيتها فشئ من هذا القبيل.

وهنا يجب الاهتمام بالإعلام الخارجي من نواح كثيرة وليس وقت المعركة او شيئاً سياسياً كبيراً والشعب الأمريكى الغربى يهتم بمواضيع أخري وخاصة حقوق الإنسان ومن ضمنها المرأة باستمرار يتكلمون عنها فيجب الوصول للإعلام الخارجي بطرق مختلفة ومن ضمنها ان يكون هناك وجود للنساء الدبلوماسيات لأنني عندما كنت أقول أننا لدينا سفيرة باليابان وكأنها غيرت الصورة.

وكانت الخارجية بوقت من الأوقات لا تبعث نساء بالخارج فوجود سيدة متعلمة فى موقف أو مؤتمر أو أي مجال يجذب الأنظار فورا ويغير الصورة دون الاضطرار لذكر ان النساء لدينا كذا وكذا، ولابد من توصيل المعلومات بطرق مختلفة عن الفنانات وعلى مستويات المرأة العاملة هناك طرق لتغيير الصورة دون إخراج الكلام بشكل « بروباجاندا » واعتقد أن هذه هي النقطة وأظن أن المرأة وما نعمله لها يؤثر جدا على شكل ومكانة مصر من كل ناحية

تعقيب السيدة الوزيرة / ميرفت تلاوى:

شكرا للدكتورة «ليلى الحمامصى» ومن إحدى التوصيات التي سنضعها دور الإعلام وتأثيره كما تفضل الدكتور « فاروق أبو زيد » و رسم الصورة الخارجية ومن يسيطر على عناصر الإعلام العالمي الآن فلابد ان يكون لدينا الكوادر والاتصالات وال connection المضبوطة مع الإعلام العالمي لأن هناك قوى تسير عكس ما نتمناه لارتباطها بصورة سيئة عن الدين الإسلامي أو عن الإسلام والمرأة ظلما فى الدين الإسلامي تتطلب اهتماماً شديداً لتوضيح هذه الصورة.

وأمور كثيرة مثل محاولة تصوير وجود فتنة طائفية فى مصر فيجب الاستعداد لكل هذه الأمور بالقلم والصورة والفيلم والوثائق وبالحقائق لأنهم لا يذكرون بجانب الفتنة الطائفية ان هناك من أبنائنا الأقباط من لهم تاريخ ودور ومكانة عزيزة فى مصر ولهم شركات ومساهمات هامة، كذلك بالنسبة للمرأة فلا يقال أن الدين الإسلامي أعطاها ما لم يعطه أي دين آخر بكل صراحة وهذه حقيقة واقعة أن الدين الإسلامي دين متحيز للمرأة وإذا كان بعض المسلمين قد بدأوا يسلبونها هذه الحقوق التي منحها إياها الإسلام ويفرضون العادات والتقاليد على قواعد الدين والسنة فهذا وضع آخر فيجب تفهم كل ذلك وأن يكون لدينا وسائل الإعلام التي تصل بناإلى بر الأمان.

الورقة الثالثة :

العبور الإجتماعى

أ.د. زينب رضوان

عميد كلية دارالعلوم / جامعة القاهرة ـ فرع الفيوم

أولاً: حرب أكتوبر كنموذج للتحول الاجتماعي الشامل :

١- حسبما أكدت تقارير علمية وعسكرية عديدة على أن حرب أكتوبر شكلت بداية لتحولات شاملة على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية. حيث قدمت هذه الحرب برهاناً على أن الشعب الذي واجه هزيمة قادر على تجاوزها لتحقيق انتصار بنفس عمقها ومساحتها، ذلك لأنه قد أعد نفسه عن وعي لمشكلات المواجهة والحرب، وطور قدراته على التخطيط والإبداع والابتكار حتى تحقق الانتصار الذي شهد به العدو قبل الصديق.

٢- لعل أبرز نتائج هذه الحرب أنها استعادت ثقة الإنسان المصري بنفسه، حيث قدمت أكتوبر روحاً جديدة دبت في البشر وفي المجتمع، وفي هذه الإطار، نستطيع أن نستلهم منها دروساً مضيئة. فالإنسان المصري الذي حول الهزيمة إلى نصر، واليأس إلى جرأة وجسارة، والعشوائية إلى تخطيط وإبداع أذهلت العالم وهزت رواسخ في الفكر العسكري التقليدي. هذا الإنسان قادر بهذه الروح على تحقيق تحولات اجتماعية شاملة نواجه من خلالها مشكلاتنا وقضايانا الاجتماعية، حتى يلج مجتمعنا القرن الواحد والعشرين، كله حيوية وقدرة على مواجهة مشكلاته وتحديث وتطوير إمكانياته، في عصر العالم المفتوح، أو العولمة، حيث تتبارى الشعوب في إبراز قدراتها وإمكانياتها.

٣- فبإمكاننا أن نحقق التحول الاجتماعي الشامل -بنفس روح أكتوبر الوثابة- إذا نحن قد أدركنا المبادئ الأساسية التي شكلت أساساً لإستراتيجية هذه الحرب، وحاولنا الاستفادة منها في المجال الاجتماعي، حيث تواجهنا مشكلات عديدة يحتاج حلها إلى قدر كبير من الإبداع والابتكار.

ثانياً : أسس إستراتيجية التحول الاجتماعي الشامل :

من خلال تأملنا لأحداث حرب أكتوبر، فأنه باستطاعتنا استخلاص المبادئ التي شكلت أساس إستراتيجية الانتصار في هذه الحرب، ثم محاولة الاستفادة من هذه الإستراتيجية لتحقيق تحول اجتماعي شامل يخلص المجتمع من بعض مشكلاته، ليدخل القرن العشرين غير مثقل بهذه المشكلات التي قد

تعوق حركته. ونعرض فيما يلي أبرز مبادئ هذه الإستراتيجية:

التحديد الدقيق والموضوعي للمشكلة

٤- حيث يعتبر تحديد المشكلات التي يعاني منها المجتمع، وتحديد الأبعاد الأساسية لكل مشكلة من المشكلات، الخطوة الأولى في مواجهة مشكلات واقعنا الاجتماعي.

ويتطلب تحديد هذه المشكلات مراعاة عدة اعتبارات:

أ-ترتيب هذه المشكلات بحسب أولوياتها.

ب-تحديد حجم كل مشكلة وعمق كثافتها ومساحة انتشارها على واقع المجتمع المصري.

جـ-تحديد زاوية أو مدخل الاقتراب الأكثر ملاءمة لمواجهة هذه المشكلة.

د-تحديد المشكلة الفرعية المتصلة بهذه المشكلة والآثار الجانبية التي قد تظهر حين مواجهة أي من هذه المشكلات الفرعية.

٥- وذلك ما فعله العسكريون في حرب أكتوبر حينما قاموا بتحديد المشكلات الأساسية التي ينبغي حلها لتحقيق الانتصار، تحديداً موضوعياً ودقيقاً يسر لهم إبداع الحلول المبتكرة لمواجهة هذه المشكلات، بما ساعدهم على تجاوزها.

٦- ونستطيع أن نفعل نفس الشيء فيما يتعلق بمشكلاتنا الاجتماعية حيث نقوم بتحديد المشكلة، ومساحة انتشارها أو عمقها ثم أفضل زاوية أو مدخل للاقتراب من هذه المشكلة. فإذا استشهدنا بمشكلة الأمية كمثال، فمن غير المنطقي أن يدخل المجتمع المصري القرن الواحد والعشرين بنسبة أمية تتجاوز ٥٠ ٪ من سكانه. أمام هذه المشكلة فإنه من الضروري أن نحدد بدقة حجم هذه المشكلة، وما هي الفئات العمرية التي تعاني منها، بين الرجال والنساء وما هي الأطر الاجتماعية التي تنتشر فيها بدرجة أكثر (حضر، نصف حضر، ريف). وما هي زاوية الاقتراب، هل نواجهها في الريف أولاً أم في الحضر، هل نواجهها بين الشباب أو بين صغار السن أم بين الكبار أم كل هذه الفئات مجتمعه، حيث لكل زاوية أو مدخل للاقتراب منطقه وما يبرره.

تنمية الكوادر البشرية لمواجهة المشكلة:

٧- إذ ينبغي أن يؤهل البشر الذين يوكل إليهم مواجهة آية مشكلة اجتماعية لحلها. ونعني بالتنمية البشرية أو التأهيل تنظيم للقدرات الإنسانية بما يجعلها قادرة على التعامل الرشيد مع المشكلة موضع الاهتمام، ولتنمية البشر وتأهيلهم جوانب عديدة، إذ ينبغي تطوير وعي البشر وإدراكهم لحجم وحدود المشكلة حتى يتسنى لهم إبداع الحلول المبتكرة في المواقف المتغيرة، ومن ناحية ثانية التنمية البشرية وتأهيل البشر فنياً وتكنولوجياً حتى يكون في قدرتهم تطوير الأدوات والآليات الملائمة للتعامل مع المشكلة، ومن ناحية ثالثة تعنى التنمية البشرية تعظيم وعي الفرد بالآثار المحتملة للمشكلة على الفرد والمجتمع حتى نستثير حافزاً بينهم لمواجهة مشكلات المجتمع بروح جديدة.

٨- وإذا كانت التنمية البشرية لأفراد القوات المسلحة من حيث الوعي بالمشكلات التي تواجههم، كذلك تأهيلهم فنياً وتكنولوجياً، الأمر الذي يسر لهم مواجهة مشكلات الحرب ميدانياً بكفاءة، بل وإبداع الحلول البسيطة للمشكلات المستعصية وقبل انهيار خط بارليف بفعل خراطيم المياه الأمر الذي يسر تحقيق العبور العظيم.

٩- فإذا حاولنا الاستفادة من هذا المبدأ في مواجهة مشكلاتنا لأحداث التحول الاجتماعي فإننا فيما

يتعلق ببعض المشكلات الاجتماعية، لمشكلة الأمية على سبيل المثال، يمكن بتأهيل بعض فئات الشباب القادرين على مواجهة المشكلة، عن طريق تعميق وعيهم بحدود هذه المشكلة وآثارها على المجتمع، إضافة إلى تأهيلهم فنياً وتكنولوجياً للتعامل معها، كاستخدام أساليب ووسائل الإيضاح، بما يعظم قدراتهم على التعامل الفعال والعلمي مع المشكلة أو ييسر لهم إبداع الوسائل والأساليب البسيطة للتعامل مع المشكلة.

واقعية التخطيط ودقة التنفيذ:

١٠- يهتم التخطيط عادة بتحديد العناصر الأساسية للمشكلة ثم الأسلوب الأمثل للتعامل مع العناصر بما يجعلها تحرز نتائج إيجابية وليست آثاراً سلبية، هذا إلى جانب اهتمام التخطيط بتحديد المدخل الملائم للانتقال بالواقع الذي يعاني من المشكلة أو المشكلات، إلى مستقبل تنتفي فيه المشكلات، بالإضافة إلى ذلك يعني التخطيط تحديد الموارد المتوفرة... بينما يهتم التنفيذ بالتجسيد الواقعي الكامل والدقيق لكل ما ذهبت إليه الخطة من حيث توزيع الجهود والموارد على مختلف جوانب المشكلة، أو من حيث تتابع مراحل إنجاز الخطة حتى تحقيقها لأهدافها الرئيسية والفرعية والمرحلية والنهائية.

١١- وينبغي أن يركز التخطيط والتنفيذ الناجح لأي مشكلة على المعرفة الدقيقة بالمشكلة، وأيضاً الموارد المحلية المتاحة لحل هذه المشكلة، ثم بالظروف التي يمكن أن تعظم فاعلية هذه الموارد بما يساعد على حل المشكلة.

١٢- ونحن إذا تأملنا حرب أكتوبر سوف نجد أن محور النجاح فيها تمثل في التخطيط والتنفيذ الناجح، من حيث تحديد الخطة المحكمة التي حددت بدقة أهدافها، والمراحل المتتابعة لتحقيق هذه الأهداف ثم الاستفادة من الموارد المحلية المتاحة بوفرة لتحقيق الانتصار إضافة إلى الالتزام الكامل بمقتضيات الخطة واحتياجات التنفيذ.

١٣- وفي محاولة تطبيق هذا المبدأ لحل مشكلاتنا الاجتماعية، بالتطبيق على مشكلة الأمية. يعني التخطيط تحديد الوجهة التي تتجه إليها الجهود الرئيسية كالتأكيد على منع التسرب التعليمي للصغار، والاتجاه إلى تعليم الشباب، وإلى مواجهة الأمية في القرية باعتبار القرية مصدراً أساسياً للتفريغ السكاني وإطاراً لوجود مشكلة الأمية بكثافة عالية. هذا إلى جانب تحديد الموارد المحلية المتاحة لحل المشكلة، كالاستعانة بالخريجين والخريجات الذين لم يعينوا بعد، وينتمون إلى هذه المناطق أو القرى، وأيضاً بالإمكانيات المحلية، كالمدارس في الساعات الليلية أو المساجد وبموارد محلية كالتبرعات مثلاً، كذلك ضرورة تحديد الخطة لمراحل إلغاء الأمية بالقرية، ثم تأكيد التزام الأفراد بأداء مهامهم وتوجيه جهودهم نحو تحقيق الأهداف المختلفة التي توكل إليهم في نطاق تحقيق الهدف العام.

تعبئة الموارد المحلية المتاحة لتحقيق التحول الاجتماعي:

١٤- ونقصد التعبئة بالمعنى الواسع للكلمة. فإن جانب الموارد البشرية التي ينبغي تعبئتها، من حيث توفيرها وتأهيلها وخلق الحافزية لديها لتوجيه جهودها لحل المشكلة، هناك الموارد المادية والتكنولوجية التي يمكن توفيرها من البيئة المحلية، أو حث البيئة على توفيرها. يضاف إلى ذلك التعبئة المعنوية، وذلك بتأسيس قناعة وإيمان لدى الإنسان بأهمية توجيه لحل المشكلات التي تحيط به، إذا كانت الأيديولوجيات في المرحلة الماضية هي التي كانت تقوم بالدور التعبوي لاستثارة الجهود، فإننا يمكن أن نستند من أجل التعبئة المعنوية إلى منظومة تتداخل فيها القيم الدينية والوطنية، بحيث تشكل هذه

المنظومة الإيمان الذي يدفع الإنسان إلى إنجاز المهام المختلفة التي توكل إليه بمستويات كفاءة عالية.

١٥- وفي ذلك نتذكر الدور الذي لعبته التعبئة في حرب أكتوبر حيث تعبئة البشر، والإمكانيات المادية، ثم التعبئة المعنوية التي تحققت للأفراد، مما جعلهم يتغلبون على عديد من المشكلات والمواقف وينتزعون الانتصار.

١٦- فإذا طبقنا ذلك على المشكلات الاجتماعية، اعتبرنا مشكلة الأمية مثالاً على ذلك. فإنه من الضروري أن تتحقق التعبئة على المستوى البشري، بتوفير العناصر البشرية التي يمكن أن تقوم بجهود محو الأمية، سواء كانوا من خريجي الجامعة أم من أبناء القرى أو المثقفين في هذه القرى أو التجمعات الحضرية في فترات العطلات الصيفية مثلاً. إضافة إلى الاستفادة من كل ما هو متاح في البيئة كالمدارس والكتاتيب والمساجد، والأماكن التي قد يتبرع بها البعض، كذلك الأدوات والوسائل من التبرعات.

١٧- هذا إلى جانب التأكيد على التعبئة المعنوية من خلال عقد دورات تدريبية للشباب الذين يقومون بهذا العمل لتأهيلهم معنوياً بحيث ينظرون إلى هذا العمل باعتباره رسالة وطنية وأخلاقية ودينية ذات طبيعة إيثارية ،لكونها تسعى إلى الارتقاء بأوضاع المجتمع.

المرونة في التصرف حسب مقتضيات الموقف :

١٨- ذلك أن تنفيذ أي إستراتيجية أو تخطيط بعيد المدى يحتاج إلى درجة عالية من المرونة باعتبار أن الواقع متغير أبداً، الأمر الذي يفرض ملاءمة جهود الموارد المختلفة لمختلف جوانب المشكلة بما يساعد على تقديم الحلول الملائمة وإنجازها في المواقف المتغيرة حسب الإطار الاجتماعي التي توجد فيه.

١٩- وإذا نظرنا إلى حرب أكتوبر نجدها قد أكدت على هذا المبدأ، من حيث التوقيت التي تمت في إطاره، كذلك المرونة في الاستفادة من الموارد المحلية المتاحة لحل المشكلات بأسلوب إبداعي لم يكن متوقعاً، كذلك منح القادة الثقة والمبادأة للتصرف حسب احتياجات الموقف، مادام ذلك في إطار الخطة أو الإستراتيجية العامة.

٢٠- وفي محاولة تطبيق هذا المبدأ على المشكلات الاجتماعية وأخذنا مشكلة الأمية كمثال. فإن أعمال مبدأ المرونة يتطلب إصدار القرار الملائم الذي يصل بين الموارد واحتياجات حل المشكلة، في الأطر الحضرية يمكن أن تستغل المدارس والأندية، بينما في القرى قد تستغل المدارس والكتاتيب والمساجد، أو حتى الأرض الفضاء، وتقتضي المرونة تعليم الناس في أوقات فراغهم، كذلك قد نبدأ بتعليم الذكور أولاً أو الشباب، أو قد نبدأ بالإناث والذكور في نفس الوقت، فإتاحة درجة عالية من المرونة والاستقلال في اتخاذ القرار بالنسبة للقائمين على العمل من شأنه أن يساعد على تحقيق نتائج عالية.

التنسيق بين الجهود والتأكيد على تآزرها :

٢١- تتطلب أي إستراتيجية ناجحة للتحول الاجتماعي، التنسيق بين الجهود المختلفة لمواجهة حل المشكلات أو مشكلة معينة. ذلك أن أي مشكلة اجتماعية لا تتصل بجانب واحد من جوانب المجتمع وإنما نجد في العادة عواملها وأسبابها في جوانب أخرى من المجتمع، نظراً لأن أي قطاع من قطاعات المجتمع يقع في نطاق اهتمام إحدى الجهات الرسمية، ومن ثم فإنه لكي نتناول مشكلاتنا بنجاح فإنه من الضروري التنسيق بين هذه الجهود، وذلك حتى نتجنب تكرار الجهد، ومن ثم نقلل من الفاقد الاجتماعي، وأيضاً حتى نرفع من قيمة المنفعة الحدية لإنفاق الطاقات والقدرات لمواجهة أي مشكلة من المشكلات.

٢٢- ونستطيع أن نستخلص هذا المبدأ من دروس حرب أكتوبر حيث قامت درجة عالية من التنسيق بين أسلحة الجيش المختلفة، وكذلك بين جهود الجيش وبعض القطاعات المدنية، بحيث ساعد ذلك على تعبئة الجهد العسكري تعبئة كاملة ساعد على تحقيق النصر.

٢٣- ويمكن أن يحدث نفس الأمر بالنسبة لمواجهة مشكلاتنا الاجتماعية بهدف إحداث التحول الاجتماعي الشامل، ففي إطار مواجهة مشكلة الأمية مثلاً يمكن أن تتضافر جهود وزارة الشئون الاجتماعية مع وزارة التربية والتعليم أو التعليم العالي ومع المجلس الأعلى لرعاية الشباب والرياضة، ومع الصندوق الاجتماعي مع بعض الهيئات الدولية أو المنظمات الأهلية حيث يمكن تأسيس التكامل بين الإمكانيات والإسهامات التي يمكن أن تقدمها كل منها، حتى يمكن تعظيم الأساس الموجه إلى حل هذه المشكلة وتعميق فعاليته.

الأخذ بنظام متماسك من المكافآت والجزاءات :

٢٤- لاشك أن هذا المبدأ من المبادئ الهامة لأية إستراتيجية للتحول الشامل

أ- لأنه يضمن أداء مجموعة المبادئ السابقة بمستوياتها المثالية.

ب- يساعد على دعم الجوانب الإيجابية في هذه الإستراتيجية والتخلص من الجوانب أو العناصر ذات الآثار السلبية ، حيث يحتاج أي جهد إنساني إلى معايير ضبطية تلتزم بإتباع الصواب وتجنب الخطأ.

٢٥- وليست بنا حاجة إلى التذكير بفاعلية نظام الضبط في تنظيم الأداء في المجال العسكري، هذا الضبط الذي يضمن دائماً درجة عالية من الفاعلية والانضباط، التي تمكن الجيوش عادة من تحقيق إنجازات عالية المستوى مقارنة بالقطاعات المدنية المناظرة، ولا شك أن حضور هذا العنصر في الإستراتيجية العسكرية يساهم عادة في التنفيذ الدقيق لخطط الإستراتيجية العسكرية.

٢٦- فإذا انتقلنا بهذا المبدأ لإحداث التحول الاجتماعي الشامل ومواجهة مشكلاتنا الاجتماعية فإنه أثناء تنظيم وإنجاز الجهود لحل مشكلة كمشكلة الأمية، فسوف تبرز بعض العناصر التي كان لها أداؤها الرفيع والمتميز، في مقابل بعض العناصر ذات الفاعلية المنخفضة أو المنحرفة، وفي هذه الحالة لابد من إثابة العناصر ذات الإنجاز الإيجابي ومجازاة العناصر ذات الأداء السلبي... حتى نعظم من فاعلية الجهود الإيجابية، ونقلص من الأداء السلبي، الأمر الذي يساعد في النهاية على المواجهة الجادة والفعالة للمشكلات.

٢٧- ويستند إعمال نظام المكافآت والجزاءات إلى أهمية وجود نظام لتقييم أداء العناصر المختلفة المشاركة في مواجهة أية مشكلة من المشكلات، وإذا أخذنا من مشكلة الأمية مثالاً، فإننا يمكن أن نمنح العناصر التي بذلت جهود عالية وحققت إنجازات واضحة في محو أمية الأفراد، بعض المكافآت المعنوية والمادية، بما يجعل من سلوكها مثالاً تحتذيه العناصر الأخرى.

ثالثاً : نماذج لبعض المشكلات الاجتماعية :

نعرض في هذه الفقرة لبعض المشكلات الاجتماعية التي أصبحت لها آثارها السلبية الواضحة على بناء المجتمع المصري ، بحيث تؤدي مواجهتها إلى أحداث تحول اجتماعي شاملاً ، ومن ثم دخول مجتمعنا القرن الواحد والعشرين بدرجة عالية من العافية والقدرة...

ونذكر منها ما يلي :

مشكلة الأمية :

٢٨- من المتوقع أن يصل حجم مشكلة الأمية في مصر إلى ما يتجاوز ٥٠٪ من السكان أو ترتفع بين الإناث عنها بين الذكور وفي الريف عنها في الحضر وفي الكبار والشباب عنها بين الصغار. وتعتبر الأمية حاجزاً يعوق الفرد عن التواصل مع مجتمعه، كما تحرمه من إدراك الاتجاه الذي يسير فيه المجتمع، ومن ثم تسطح انتماء الفرد للمجتمع. الأمر الذي يعوق المجتمع ويعجزه عن تعبئة جهود أفراده لمواجهة تحديات معينة، ومن الطبيعي أن تشكل أمية الكتابة والقراءة قاعدة لصفوف أخرى من الأمية كالأمية الثقافية، والأمية التكنولوجية، والأمية السياسية، ومن الطبيعي أن يؤدي القضاء على هذه المشكلة زيادة وعي البشر وقدرتهم على الإدراك، ومن ثم تنظيم قدراتهم وإمكانياتهم لتنمية مجتمعهم وتحديثه.

مشكلة الأسرة المستهلكة :

٢٩- حيث أصبحت الأسرة المصرية وغالبها الآن في الريف أو في الحضر أسر مستهلكة، ومن شأن ذلك أن يشكل مشكلة اجتماعية لأنها تثقل كاهل المجتمع بأعباء اقتصادية لا طاقة له بها، فمثلاً أصبحت الأسرة الريفية التي كانت تنتج معيشتها تعتمد الآن على المدينة في عناصر معيشتها، كذلك الأسرة المصرية في الأحياء الشعبية. ونحتاج في هذا الصدد إلى إستراتيجية تعيد إلينا الأسرة الريفية المنتجة لمنتجات اللحوم والألبان والتي كانت تصدر فائضها إلى المدينة، كذلك يمكن أن تتحول الأسرة في الأحياء الشعبية المصرية، خاصة الأسر الفقيرة، إلى إنتاج المشغولات وأعمال التطريز، والأعمال اليدوية الأخرى التي يمكن أن تجد لها سوقاً في مجتمع يدعو لازدهار السياحة فيه والتي يمكن أن تزيد من دخل هذه الأسر كذلك ويمكن أن تتآزر جهود وزارة الشئون الاجتماعية والصناعة والتموين والصندوق الاجتماعي في هذا الصدد.

التدريب الحرفي لحل مشكلة البطالة :

٣٠- ذلك إننا إذ تأملنا واقع الحياة الاجتماعية التي نعيشها سوف نواجه العنصرين التاليين:

أ- زيادة حدة مشكلة البطالة بين الشباب من المستويات التعليمية والعمرية المختلفة.

ب- نقص الحرفيين في بعض الحرف التي أصبحت تكاليفها عالية الآن على الدخول المصرية كحرف السباكة والنجارة والكهرباء والنقاشة والبناء وتركيب السيراميك وغير ذلك من الحرف، وفي هذا الإطار يمكن تعاون جهود وزارة الشئون الاجتماعية مع وزارة الصناعة والصندوق الاجتماعي وبعض جهات المعونة الدولية، وبعض المنظمات الأهلية المحلية، في تنظيم هذه الدورات التدريبية الحرفية للشباب، بل ومساعدتهم في فتح مراكز لهذه الخدمات بما يساعد في حل مشكلة البطالة وتوفير احتياجات المجتمع.

٣١- ووفقاً لذلك يمكن أن نعدد كثيراً من المشكلات التي تؤدي المواجهة الجادة لها بالحلول الملائمة والواقعية إلى العبور بمجتمعنا إلى القرن الواحد والعشرين من خلال أحداث التحول الاجتماعي الشامل والفعال.

الورقة الرابعة:

من الإنتصار العسكرى إلى الإصلاح الإقتصادى إلى استراتيجية للبحث الإجتماعى تعزز الأمن الإجتماعى

أد. سهير لطفى

مديرة المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية

كانت حرب أكتوبر، نصراً عسكرياً حاسماً بكل المقاييس الاستراتيجية (تخطيطاً وتنفيذاً ومتابعة) كما كانت «انتصاراً اجتماعياً» قابلاً للاستمرار والتجدد فى الوقت ذاته: لذلك فإن نتائجها الباهرة لا تقتصر على مجال دون الآخر، كما أن آثارها على عملية التنمية الشاملة لم تقتصر على فترة زمنية محددة ومحدودة وإنما طالت تاريخنا القومي طوال ربع القرن الأخير، وربما مازالت قادرة على الدخول بنا إلى القرن الحادي والعشرين.

وبمناسبة اليوبيل الفضي لنصر أكتوبر يسعى المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية إلى إعداد استراتيجية بحثية للأمن الاجتماعي تضم هذه الاستراتيجية عدداً من الدراسات الأساسية التي تتركز بشكل مباشر حول النتائج الاجتماعية ويؤكد هذا السعي من جانب المركز حرصه على التفاعل الخلاق بين «الاهتمام» الأكاديمي للباحثين والمهام «التنفيذية للمسئولين وصانعي القرار» و«الهموم» اليومية للمواطنين، فضلاً عن المشاركة الفعالة بين المركز والهيئات العلمية المصرية والعالمية وخاصة الجامعات ومنظمة الأمم المتحدة.

وعلى الرغم من تعدد الجوانب الاجتماعية لنصر أكتوبر إلا أن العديد منها مازال فى حاجة إلى مزيد من البحث للتعرف على النتائج الأكثر تأثيراً فى المجال الاجتماعي، وأهمها ما يلي:

أولاً: تحرير سيناء وضرورة الخروج من الوادي الضيق:

لقد كانت عودة سيناء حرباً ومفاوضة بعد طول غياب لا تعني فقط استعادة مصر لسيادتها على كامل ترابها الوطني وإنما تعني ضرورة تعزيز هذه السيادة من خلال الإدماج الاجتماعي المدروس بين سكان الوادي القديم وبين سكان البوادي الصحراوية فى سيناء كما كانت تعنى كذلك توافر الإمكانية لكسر القانون التاريخي الذى كان يعطى النيل القدرة على التحكم فى توزيع السكان داخل الوادي

القديم الذى ضاق بهم ولخلق واقع جديد يسمح بالتحكم -لأول مرة- فى مجرى النيل وتحويله إلى مناطق جديدة قابلة للاستثمار وتعظيم العائد الاجتماعي وتوزيع سكاني أفضل.

وما أن أعلنت الدولة هدفها لدخول القرن القادم بالخروج من الوادي القديم إلى سيناء وجنوب الوادي «توشكى» حتى بادر المركز بدراسة الاحتمالات المتاحة لتحقيق هذا الهدف وبحث الآثار الاجتماعية التي يمكن ان تترتب عليه، بما يمكن أن نطلق عليه «بحثا وقائياً» لتلافي الآثار السلبية المحتملة. وفى هذا السياق اهتم المركز بدراسة السياسة السكانية لسيناء بهدف وضع سياسة سكانية ملائمة تكون بمثابة دليل عمل للمشروعات الاستثمارية فى سيناء بما يساعد على خلق مجتمع متكامل يحقق الاستغلال الكفء لثروات المنطقة ويوفر ظروف عيش كريمة وعادلة لسكانها وبالتالي يجعلها منطقة جذب لأعداد كبيرة نسبيا من سكان الوادي والدلتا بما يؤدى أولاً إلى تخفيف الضغط السكاني عليهما وثانياً إلى تقوية الجبهة الشمالية الشرقية لمصر فى وجه أى عدوان خارجي ولم يكن ذلك ممكنا أيضاً لولا نصر أكتوبر العظيم.

كما إهتم المركز بدراسة الضبط الاجتماعي والمشكلات المرتبطة بالتفاعلات الاجتماعية وأنماط السلوك فى سيناء بهدف التعرف على أشكال الضبط الاجتماعي السائدة فيها وأنواع المشكلات الناتجة عن التفاعلات الاجتماعية بين وحدات المجتمع السيناوي، وأنماط السلوك المألوفة بين أفراده وذلك من أجل اقتراح سياسات تشريعية واجتماعية لتحقيق التكامل بين التقاليد والأعراف المحلية فى سيناء والقوانين القومية فى مصر الكبرى بما يسمح بزيادة درجة إندماج سكان سيناء فى المجتمع المصري وتيسير التفاعل الاجتماعي بينهم وبين المهاجرين من الوادي والدلتا ، وكذلك بينهم وبين السائحين المصريين والأجانب حيث أدت عودة سيناء إلى التنشيط السياحي لشواطئها البحرية (جنوباً وشمالاً) ولجبالها الصحراوية ولأماكنها الدينية.

ثانياً: مشروع توشكى:

وإذا كان نصر أكتوبر قد سمح للبحث الاجتماعي بأن يقوم بدوره فى دراسة الآثار الاجتماعية الناتجة عنه فى سيناء المحررة فإنه قد سمح له أيضاً بمتابعة المشروعات القومية الكبرى في جنوب الوادي «توشكى» ولولا نصر أكتوبر الذى سمح بالتقاط الأنفاس والتركيز على الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي لم يكن لمثل هذه المشروعات أن تتم ولا أن تدرس وفى هذا الإطار اهتم المركز بدراسة الأهداف والأبعاد الاجتماعية التي يمكن أن يحققها مشروع توشكى من حيث مساهمته فى معالجة الأزمات الهيكلية التي يعانى منها الوادي القديم مثل: الفقر والبطالة وارتفاع الكثافة السكانية وسوء توزيعها والاختناقات الإسكانية الناتجة عنها كما اهتم أيضاً بدراسة الآثار الاجتماعية الناتجة عن محاولة توطين مجموعات من سكان الوادي القديم تتميز بطرق معينة فى السلوك وأنماط فى التفكير لا تتلاءم مع بيئة صحراوية وتحديات غير مألوفة مثل التي تنتظرها في جنوب الوادي بما يضمن عدم توفير دعائم اجتماعية تشكل الشرط الضروري لأي نجاح اقتصادي أو سياسي فى هذه المنطقة.

كما اهتم المركز أيضاً بالتعرف على احتياجات المشروعات المستهدف تنفيذها فى جنوب الوادي من حيث القدرات والطاقات البشرية اللازمة لها وكذلك التعرف على المؤسسات الخاصة بإعداد مثل هذه الطاقات والقدرات البشرية والطرق والمناهج المتبعة وأشكال إدارتها ومستوى العاملين فيها من اجل تقييم مستوى أدائها ومدى ملاءمته لاحتياجات المشاريع المزمع تنفيذها فى جنوب الوادي واقتراح

بدائل وتطويرات اكثر إيجابية لتنمية طاقات وقدرات البشر بما يعزز فرص نجاح المشاريع التنموية.
إن هذه الدراسات الخاصة بمشروع توشكى هي استكمال لتقصى النتائج الاجتماعية لحرب أكتوبر العظيمة.

ثالثاً: التركيز على ضرورة الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي بعد النصر العسكري:

إن انخفاض درجة حرارة القضية الوطنية بفعل إنتصار أكتوبر العظيم لصالح القضية الاجتماعية قد أدى إلى ضرورة إحداث تغيرات هامة فى النموذج التنموي السائد الذى كان يعتمد على تدخل الدولة وقيادتها للقطاع الاقتصادي لضمان عدالة التوزيع لصالح نموذج تنموي إلى نموذج تنموى آخر يركز بشكل أساسي على رفع الكفاءة الإنتاجية بقيادة القطاع الخاص بما يستدعيه ذلك من تعديلات فى الهياكل التشريعية والسياسية والتحالفات الاجتماعية القادرة على إضفاء الشرعية على مثل هذا التحول ... ولقد اهتم المركز بدراسة الآثار الاجتماعية الناتجة عن هذا التحول من نموذج تنموي آخر واقتراح بدائل وحلول تقلل -إلى أدنى حد- من الفاقد الاجتماعي الذى يصاحب فترات التحول ويعزز من النتائج الاجتماعية لنصر أكتوبر فى المجال الاجتماعي حيث شرع المركز فى دراسة «الخريطة الاجتماعية لمصر» بهدف اقتراح تصنيف للطبقات الاجتماعية الأساسية فى مصر والآليات التي تؤثر فى تشكيلها وتبلورها، والعوامل المحددة لحركتها ووعيها الاجتماعي والوزن النسبي لمشاركتها السياسية ودرجة فاعليتها فى توجيه حركة المجتمع، بما يساعد على ترشيد القرار السياسي توخياً للعدل فى توزيع فرص الحياة وبالتالي تحقيقا للإستقرار الاجتماعي واستكمالا للاستقرار العسكري والسياسي الخارجي الذى حققه نصر أكتوبر.

وفى هذا الإطار أيضاً فقد اهتم المركز باستطلاع رأي النخبة فى سياسة الخصخصة للتعرف على مدى قدرتها -كنموذج تنموي بديل- على تحقيق الكفاءة الاقتصادية وتعزيز الميزات التنافسية للمنتج المصري فى السوق العالمي، وفي الوقت ذاته اهتم المركز بالتعرف على الجوانب الاجتماعية لمثل هذه السياسة الاقتصادية من حيث آثارها على ارتفاع معدلات البطالة والمشكلات الناتجة عنها ومدى تأثيرها على العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني بما يساعد على إدارة التحول الاجتماعي بطريقة فعالة ورشيدة تأخذ فى إعتبارها الآثار بعيدة المدى على البنية الاجتماعية.

وفى الوقت ذاته إهتم المركز بوضع استراتيجية قومية لمكافحة الفقر سواء كان متركزاً فى أماكن محددة مثل العشوائيات أو كان ممتدا فى النسيج الاجتماعي للشرائح الدنيا من المجتمع المصري بهدف إحداث توازن بين الكفاءة الإنتاجية والاقتصادية المستهدفة وبين العدالة التوزيعية التي تصبح المهمة الأساسية للدولة فى فترات التحول الاجتماعي خاصة وأن الاحتراف العسكري المتنامي للجيش المصري بعد إنتصار أكتوبر المجيد قد أتاح للدولة فرصة كبيرة للتخفف من أعبائها العسكرية الاستثنائية بما يساعد على تعزيز دورها الاجتماعي وتحقيق انتصارات جديدة فى هذا المجال الهام تمثل الضمان الحقيقي لاستمرارية النتائج الاجتماعية والعسكرية والسياسية لنصر أكتوبر.

رابعاً: بحوث الفئات الاجتماعية الأولى بالاهتمام:

لقد أكد نصر أكتوبر العظيم أن المجهود الحربي والدعم الاجتماعي الذى عزز الطاقة المعنوية للمحاربين يجب أن يوازيه فى الوقت ذاته مجهودا اجتماعيا لصالح الفئات الاجتماعية الأولى بالرعاية (الأطفال ، الشباب ، المرأة ، المسنون) بإعتبارها الفئات التي عانت أكثر من غيرها من التحولات

الاقتصادية والاجتماعية التي أعقبت حرب أكتوبر والتي كانت ضرورية لتحقيق الكفاءة الإنتاجية وفي هذا الإطار فقد أكد المركز اهتماماً خاصاً لهذه الفئات المستضعفة حيث درس بعناية حقوق الطفل في العشوائيات وعمالة الطفل في الريف وأوضاع أطفال الشوارع والأحداث واضعاً نصب عينيه أن طفل اليوم هو محارب المستقبل وأن نشأته غير السوية تعنى خسارة مؤجلة سيدفعها مجتمع الغد كما اهتم المركز أيضاً بدراسة أوضاع المرأة وتأثير التحولات الجارية في سوق العمل على فرصها في الحصول على فرصة عمل منتظمة ذات عائد كاف واحتمالات تطوير القطاع غير الرسمي من أجل استيعاب فائض العمالة النسوية والشبابية لتخفيف حد معدلات البطالة في هاتين الشريحتين وخلق فرص حقيقية لتطوير قدراتهما وتحويلهما إلى عناصر نشطة إجتماعياً وذات قدرة على المشاركة الإيجابية في تسيير شئون المجتمع.

وقد حاز المسنون (محاربو الأمس) الذين تتزايد أعدادهم بإطراد في وقت تتراجع فيه المؤسسات التقليدية لرعايتهم على اهتمام خاص من جانب المركز في دراسة أوضاعهم الاجتماعية والنفسية فضلا عن دراسة أوضاع المؤسسات البديلة التي تستهدف الإهتمام بهم واقتراح سبل تطويرها وتعزيز دورها الاجتماعي.

خامساً: البعد الاجتماعي التنمية الشاملة:

لقد كان البعد الذي يمكن لمسه -حتى بالأصابع- في التخطيط والتنفيذ لحرب أكتوبر موضوعاً لاهتمام خاص من جانب المركز حيث باشر المركز دراسات حول التنمية الاجتماعية الشاملة مؤكدا على أن البعد الإجتماعي ليس مرحلة لاحقة لعملية التنمية الاقتصادية ولكنه أحد العناصر الأساسية والحاكمة للتنمية الشاملة في كل مراحلها المختلفة تخطيطاً وتنفيذاً ومتابعة وكما كان البعد الاجتماعي سببا مباشرا في انتصار أكتوبر العظيم فإننا اليوم ونحن نحتفل باليوبيل الفضي لهذا النصر نؤكد مرة أخرى أن البعد الاجتماعي هو انتصار اليوم الذى نسعى من خلاله إلى تأكيد استمرارية نصر أكتوبر في المجال الاجتماعي كما نؤكد أيضاً ان نصر أكتوبر سواء في المجال العسكري أو في المجال الاجتماعي يدفعنا اليوم إلى التأمل بدقة في الدور المجتمعي للبحث الاجتماعي في مصر من أجل التفاعل الخلاق بين إهتماماتنا الأكاديمية كباحثين والمهام الإدارية للتنفيذيين وصناع القرار والهموم اليومية للمواطنين أن هذا التفاعل الذى تجلى بوضوح بالغ في إدارة حرب أكتوبر نحو هذا النصر العظيم والمتجدد يوميا هو ما نسعى إليه اليوم من اجل تعظيم دور البحث الاجتماعي في التصدي للمشكلات الإجتماعية الأكثر حدة وتقديم نتائج أعمالنا كمشورة عملية لصناع الحاضر وصناع المستقبل.

نؤكد حرص المركز على إعداد استراتيجية للبحث الاجتماعي في مصر تهدف إلى تعزيز الأمن الاجتماعي وتؤكد فيها على أهمية البعد الاجتماعي بإعتباره السبب الرئيسي لإنتصار أكتوبر العظيم الذى يدفعنا اليوم إلى التأمل بدقة في الدور المجتمعي للبحث الاجتماعي في مصر الذى يسعى إلى التفاعل الخلاق بين الأكاديمي والباحث وصانع القرار.

فتحية لانتصارات أكتوبر التي تعلمنا منها كل هذا وتحية لشهداء مصر الذين دافعوا عن حق مصر في حياة اكثر عدلا واكثر عزة.

الورقة الخامسة :

البعد الاجتماعي - ٢٥ عاما على حرب أكتوبر

أ.د. سوسن عثمان

رئيس قسم تنظيم المجتمع
بالمعهد العالي للخدمة الإجتماعية

المقدمة:

انطلقت في تمام الساعة الثانية وخمس دقائق يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣، الشرارة نحو جهاز التفجير ليشتعل كل شئ لإسرائيل على ضفة السويس الشرقية محطماً أسطورة خط بارليف المحصن والنقط الحصينة مدمراً كل شئ فيها، ويعبر المقاتل المصري إلى مكان الجندي الإسرائيلي ليلقنه أحدث فنون القتال بالمواجهة.

وحرب أكتوبر بداية مرحلة جديدة في الصراع الإسرائيلي اتسمت بالعنف والضراوة وطول أمد الصدام المسلح وقد بدأت فصول هذه المعركة التاريخية المجيدة في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ انتهت يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

ولاحت الفرصة التي تمنتها وعملت لها وانتظرتها أمة بأسرها من الخليج إلى المحيط. على الجبهة المصرية تلاحقت عواصف النار، ضربة الطيران، ثم قصفة مدفعية ثم إنزال إلى قناة السويس ألف قارب مطاطي تقل ثمانية آلاف مقاتل هم الموجة الأولى من موجات العبور وكان وراء هذا الحشد المهيب كله، جيش المليون مقاتل، وعندما أرتفع الآذان لصلاة المغرب في ذلك العاشر من رمضان، كانت مصر واحدة من أمجد ساعات عمرها وكان ذلك إيذاناً بتصادم استراتيجيتين متباينتين ومفهومين مختلفين فعلى الجانب العربي قوة مسلحة تحريرية تعتمد على إيمانها هدف التحرير، على حين تقف على الجانب الإسرائيلي قوة جمع على تفوقها المادي والتكنولوجي ومن المفيد هنا دراسة بعض نصوص الفكر الإجتماعي الذي تناول حرب أكتوبر بالتحليل والتفسير والإستنتاج لتبين لنا مدى الإنجاز الذي حققه المواطن المصري.

في هذه الورقة سنتناول البعد الإجتماعي لحرب أكتوبر من ناحية الإعداد والتخطيط للحرب إلى ما بعد الحرب من تنمية شاملة والسلام والأمن الاجتماعي إلى نموذج ناجح لحل الكثير من المشكلات الحياتية المتعلقة بالتنمية.

١- الملامح الرئيسية للتخطيط الاجتماعي لحرب أكتوبر:

تمثلت الملامح الرئيسية للتخطيط الاجتماعي لحرب أكتوبر من خلال عدة محاور أساسية هي:

أ- الآثار الاجتماعية الناجمة على هزيمة ١٩٦٧ وكيفية تخطيط القيادة السياسية والعسكرية لمواجهة هذه الآثار.

في صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧. شنت إسرائيل حرباً خاطفة غادرة على مصر، أمتد لهيبها إلى سوريا والأردن، وتمكنت إسرائيل من التقدم في الأراضي العربية.

وقد أثرت هزيمة يونيو ١٩٦٧ على المجتمع المصري بكافة طوائفه وفئاته فتأثرت الشخصية للمواطن المصري والعربي بالهزيمة.

(١) حيث كان يسود الشعور الشعبي العام في هذه الأيام الاكتئاب والمرارة.

(٢) ساد المجتمع المصري حالة من الانهيار التام.

(٣) فقدان الثقة في (الذات- قدرة المقاتل المصري- القيادة العسكرية- القيادة السياسية- في تحرير الأرض المحتلة مستقبلاً).

(٤) هجرة سكان ثلاث مدن رئيسية بالقناة (بور سعيد -الإسماعيلية -السويس) إلى المحافظات القريبة منها الأمر الذي ترتب عليه آثار اجتماعية عديدة منها:

(أ) إشاعة جو من الخوف والرهبة وعدم الثقة في مستقبل أفضل.

(ب) تدمير البنية الأساسية والمنازل والمحلات والمصانع وغيرها في هذه المدن .

(ج) الإحساس بعدم الشعور بالأمن والأمان والاستقرار.

(د) عدم استطاعة رب الأسرة القيام بالواجبات الأساسية وأهمها توفير المأوى والمسكن المناسب لحياة آدمية.

(هـ)أثرت الهجرة على عملية التنشئة الاجتماعية السليمة نتيجة عدم توافر بيئة اجتماعية صالحة لتربية أبنائهم.

(و) صعوبة استخدام الضبط الإجتماعي من الوالدين في تربية الأبناء.

كما تأثر المجتمع المصري بالطقوس والعادات الإجتماعية وإنخفضت معدلات الزواج في حين زادت معدلات الطلاق.

كل هذه التأثيرات الاجتماعية الخطيرة أدت إلى إهمال وإيقاف عملية التنمية الاجتماعية والتنمية الشاملة وأصابت حركة التقدم والتطور بالشكل التام، ومثلت هذه المرحلة عبئاً نفسياً كبيراً على المواطن المصري وكانت أصعب فترات التاريخ الحديث في حياة الشعب المصري والعربي.

وبعد ٥ يونيو ١٩٦٧ م كان لابد من العمل بأقصى قدر من الطاقة والإحساس نحو توفير المناخ الصحي الثوري لحرب التحرير وإمتلاك أسلحتها الاستراتيجية وهنا ذكاء القيادة السياسية والعسكرية في حشد كافة الطاقات والإمكانيات المتاحة في المجتمع وخاصة الشباب وتعميق الروح الوطنية كما حرصت القيادة السياسية على اكتساب ثقة الشعب وبوادر ذلك كانت الإجراءات التالية:

- القضاء على مراكز القوى في ثورة التصحيح عام ١٩٧١.
- الإفراج عن المعتقلين السياسيين في السجون المصرية.
- إعادة بناء الجيش وتحديثه.
- توحيد القوى الوطنية (قوى الشعب).
- القضاء على الفتنة الطائفية التي حاول البعض بذر بذورها بين أبناء المجتمع الواحد.

وسوف نتناول بشيء من التفصيل بعض من هذه الإجراءات ضمن تخطيط إدارة معركة ٦أكتوبر.

ب- تطوير القوات المسلحة المصرية:

هذا وقد طورت مصر قواتها المسلحة طبقاً للأسس الآتية :

(١) تحديد المهام والتنظيم والتخطيط:

(أ) تحديد حجم القوات المسلحة على أساس مهمة واحدة هي القتال مع التفرغ تفرغاً كاملاً وطبقاً للإمكانيات الموجودة وقوة العدو.

(ب) الضغط على أهمية الدفاع الجوي باعتباره المهمة الاستراتيجية الأولى.

(ج) اعتماد هيكل تنظيمي جديد يحقق توحيد خط القيادة والسيطرة ودفع العناصر الشابة المثقفة إلى مراكز القيادة لكي تتحمل المسئولية عن طريق العلم والتمرس في القيادة.

(د) اعتماد الشورى والمناقشة في التفكير والتخطيط ضمن مجالس حرب خاصة بحق القيادات في التصرف الفردي في ظروف القتال.

(٢) مبادئ الاختيار والإعداد:

(أ)تجنيد الشباب المؤهل علمياً لأداء الخدمة الوطنية الإجبارية.

(ب)اعتماد العلم والجهد والخبرة وحدها أساساً للترقية وأيضاً للمناصب القيادية.

(ج)التركيز على الوحدة العنصرية للوحدة المقاتلة وهي الضابط وجنوده والمعدة والسلاح.

جـ- الشحن المعنوي الداخلي والخارجي ونجاح إدارة المعركة الاجتماعية الشعور بالخطر الإسرائيلي عاماً لدى جميع الشعوب والحكومات العربية وأن يسود كل دولة عربية اعتقاد راسخ بأن إسرائيل ليست سوى قاعدة عسكرية ضخمة للاستعمار تهدد الكيان العربي وتقف حائلاً دون أن يتحقق للوطن العربي أمانيه فى الحرية والتقدم والوحدة وأن هدف إسرائيل النهائي هو السيطرة على العالم وستكون الأمة العربية أول من تفكر فيه إسرائيل فى طريقهم الهدام للوصول حسب اعتقادهم الخاطئ إلى السيطرة ولتهيئة هذا الشعور عند المواطن العربي حتى يتبين عن اقتناع الوسائل الآتية:

(١) فى الداخل:

(أ)إدخال دراسة جديدة فى جميع المدارس العربية ضمن برامج التربية القومية على أسس علمية موحدة توضح خطر إسرائيل على العالم عامة وعلى الدول العربية ومصر خاصة وتوفر فى ذهن الطالب أن السلام فى الشرق الأوسط أو الاطمئنان لحياة أي مواطن فيه لن يتحققا طالما بقيت إسرائيل مغروسة في قلبه.

(ب)التوسع في وسائل الدعاية الصحفية والإذاعية، وطبع الكتيبات الصغيرة وتوزيعها بأسعار زهيدة تركز على خطر اليهود والصهيونية وأطماعها الاستعمارية في الدول العربية.

(ج)أصبحت الإذاعة والتليفزيون أداة هامة من أدوات الدعاية التي يتعين أن يوليها العرب اهتماماً خاصاً.

(٢) في الخارج:

فتح باب الإذاعة الأجنبية والتليفزيونية وهو ميدان جديد وإن كانت إسرائيل سبقتنا إليه وسلطانها عليه كبير.

هناك كثير من الكتاب والمفكرين الأجانب يقفون من الصهيونية (إسرائيل) موقف العداء وكان البحث عن هؤلاء واحتضانهم ودعوتهم إلى بلادنا وتكريمهم والاحتفاء بهم وتنسيق العمل معهم.

(أ) متابعة مكاتبنا وسفارتنا في الخارج الدعاية الصهيونية لإسرائيل أولاً بأول وأن تواجهها وتقرعها بالحجة السليمة والمنطق الصادق وفي عدالة مطالبنا ويعلو صوتنا.
(ب) تعاون المكاتب التي ننشئها للدعاية في الخارج مع جمعيات الصداقة العربية المنشأة في الخارج وألا نغفل دور الجاليات العربية مع البلاد الأجنبية وهي جاليات لها وضعها وقدرها.
(ج) الإستفادة من مجهود الطلاب الذين يتلقون العلم في هذه البلاد ولا يجوز أن نغفل ما للمؤتمر من المؤتمرات الدولية من أثر كبير.
(د) إنماء وتوطيد الصلة مع دول الكتلة الشرقية الصديقة للعرب والعمل على عدم عودة العلاقات السياسية بينها وبين إسرائيل.
(هـ) توثق الروابط مع دول عدم الانحياز والدول الأفريقية والأسيوية تلك الدول التي أبدت عطفها وتأييدها للدول العربية.

كما سعت القيادة السياسية فى التخطيط الاجتماعى لحرب أكتوبر على ما يلى:
(أ)إعداد المواطن الصالح وتكوين الشخصية المصرية الواعية الناضجة التي تثق في نفسها وقادتها.
(ب)الوحدة الوطنية وتلاحم الأديان في ملحمة مصرية ووحدة وطنية رائعة لم يعرف فيها المسلم من المسيحي انصهرت في بوتقة واحدة وهدف واحد وإصرار القيادة السياسية والمواطنين على الوجود وإثبات قدرة الإنسان المصري.
(ج)التكافؤ الإجتماعي بين أفراد الشعب وطوائفه والتعاون بين القيادة السياسية والمواطنين.
(د)استثمار الطاقات والإمكانات سواء (البشرية -المادية -الطبيعية) لصالح المعركة ففي حرب أكتوبر ظهرت براعة وكفاءة الإنسان المصري في التعامل مع التكنولوجيا الحديثة-والابتكار والتحليل وحدثت إبتكارات عديدة للعقل المصري سواء كان في الجانب العسكري من إنشاء الكباري في وقت قصير وتدمير خط بارليف الحصين الذي لا يقهر بأساليب ذاتية تطوير كافة أنواع الأسلحة ذاتياً أضافتا إلى تكتيكيات واستراتيجيات جديدة في إدارة الحرب الحديثة بجانب ظهور ابتكارات خلال فترة الإعداد للحرب.
هذا بالإضافة إلى توحيد الموقف العربي بشكل متكامل وتشكيل الجبهة الثلاثية المكونة من مصر وسوريا والأردن وتشكيل القيادة السياسية والعسكرية الموحدة.

(٣) نتائج حرب أكتوبر والتنمية الاجتماعية:
(أ)أدت حرب أكتوبر إلى إثبات وجود تغيير في صورة المقاتل المصري وقدراته.
(ب)غيرت حرب أكتوبر لسنوات قادمة ميزان القوى في الشرق الأوسط.
(ج)أظهرت الحرب أن العرب قادرون على تشغيل الأسلحة الحديثة والإلكترونيات القدرة في ميدان القتال ومن ذلك استخدام القوات المصرية للصواريخ بكفاءة.
(د)أثبتت حرب أكتوبر كما أعلن الخبراء العسكريون أن استخدام الصواريخ بأنواعها المختلفة، قد غير استراتيجية القتال التي سادت منذ الحرب العالمية الثانية، وحد من فاعلية أسلحة الطيران والدبابات.
(هـ)كشفت هذه الحرب بفضل مهارة جندي المشاة المصري أنه يمكن التغلب على الدبابات من جانب المشاة المسلحة تسليحاً مكثفاً بالأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات.

(و)كما حدث عند تدمير القوة المدرعة بالكامل الذي كان يقودها العقيد عساف ياجوري.
(ز)كان لاستخدام سلاح الضغط البترولي العربي أثره الفعال الذي يتضح من خلال موضوع عن حرب البترول تناولته صحيفة التايمز اللندنية في افتتاحيتها يوم ١٣ أكتوبر سنة ١٩٧٣م جاء فيه:
«إن قطع الإمدادات البترولية العربية عن أوربا الغربية وأمريكا الشمالية واليابان سيحقق وضعاً خطيراً وسيؤدي بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى تولد ضغط معين على الولايات المتحدة من جانب حلفائها لتضغط بدورها على إسرائيل حتى تتبنى موقفاً معتدلاً.
كان للحصار البحري الذي ضربه الأسطول البحري المصري على مضيق باب المندب على جنوب البحر الأحمر أثره الفعال في القضاء على حجة إسرائيل في استراتيجية (شرم الشيخ) كما ساعد إحكام الحصار على وقف الواردات الإسرائيلية مثل:
النفط الوارد من إيران الذي عرقل الإنتاج في مناجم النحاس الإسرائيلية.

قضت مقاطعة الدول الإفريقية لإسرائيل على الأحلام الإسرائيلية في استنزاف ثروات القارة واستغلال أسواقها لتسويق الإنتاج الإسرائيلي.

وتعتبر حرب أكتوبر من حيث مدتها في جملتها (فلسفة للتنمية ذات وجه إنساني) وإذا كان هذا هو الاصطلاح العالمي الذي يطلق على الجهود التي تعتبر الإنسان غايتها الأولى فإن روح أكتوبر لم تتردد في النظر إلى الإنسان (رصيدها الأساسي) على حد تعبيرها وتعتبر الممثل للمستوى الحضاري من جهة ومستوى التقدم الوطني من جهة أخرى.
عندما تؤكد روح أكتوبر أنه (لابد أن تلقى التنمية الاجتماعية نصيبها الحق في استراتيجية الحضارة الشاملة) وأن (الحضارة الشاملة لا يمكن أن تكون فنية -اقتصادية -خالصة بل لابد أن تكون اجتماعية في نفس الوقت) فإن استيعاب أوجه الحكمة في هذا الإصرار وفيما طرحته الورقة كأهداف للتنمية الاجتماعية يقتضينا استعراض بعض الجوانب الخلفية . ونحن في هذا لن نعود إلى بعيد إذ يكفي أن نلاحظ أننا في خلال العشرين عاماً الأخيرة كنا منهمكين في عمليتين أساسيتين أولاهما التحرر من السيطرة، وثانيهما بناء الإقتصاد الوطني ولقد كانت هاتان العمليتان في مقدمة ما ركز عليه الميثاق في مبادئه كما أنه من الإنصاف أن نعترف بأنه كان هناك تطوير دون ريب في هذين الاتجاهين أتاح تكوين قاعدة السيطرة على دعائمها الفكر المصري والإرادة المصرية.
كان الجيل الحاضر يعمل لنفسه بمشروعات قصيرة الأجل سريعة العائد من جهة ويرسم خط النمو للجيل التالي بمشروعات طويلة الأجل تؤتي أكلها بعد حين من جهة أخرى وأما من حيث تحقيق آمال المستقبل بالمشروعات طويلة الأجل، فصوت ما يقال هو أنه كانت هناك جهود وتضحيات قابلتها الجماهير بأمل فلسفي وصبر جميل
كانت هناك مشروعات الحديد والصلب والسد العالي وإستكشاف البترول واستصلاح الأراضي ومجمعات الصناعات الثقيلة ومراكز ومؤسسات الإنتاج الغذائي والكسائي والترفيهي، وكانت أهداف هذه المشروعات ليس فقط التنمية الاقتصادية بل التنمية الاجتماعية بالدرجة الأولى.
السلام والتنمية كانت لمنع نشوب حرب جديدة من خلال استعراضها السابق يتبين أهمية الجانب الاجتماعي سواء في الإعداد للمعركة أو أثناءها أو بعد انتهائها وأي تجاهل للجانب الاجتماعي يكون له أثر سلبي على تقدم وتطور المجتمع.

وتأتي مرحلة جديدة بعد حرب السادس من أكتوبر والإتجاه نحو السلام في منطقة الشرق الأوسط وفي ظل هذه الظروف التي تسود المنطقة هناك خمسة تصورات لمستقبل الوطن العربي:

الأول: فشل المفاوضات بين إسرائيل والعرب.

الثاني: بقاء الولايات المتحدة كقوة عظمى في النظام العالمي وبالتالي ستتمكن من إيجاد الحلول لبعض الخلافات بين الدول الكبرى في المنطقة.

الثالث: هو أنه سيتم توقيع بعض الاتفاقات السياسية والعربية دون أي نوع من الوساطة الغربية وسيكون لذلك أثر على التكوين الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة.

الرابع: ستجتمع القوى الغربية والمؤسسات المدنية والهيئات غير الحكومية مع الحكومات في مفاوضات التوصل إلى حلول ذات طابع إنساني.

الخامس: تعديل مشروع الاتحاد الأوربي ليتوافق مع منطقة الشرق الأوسط.

وكما هو واضح فإن الحل الأول سينتج عنه دمار شامل للمنطقة وقد يكون الخوف من ذلك حافزاً على عملية السلام ولكنه أمر غير مرغوب فيه أن الاحتمالين الثاني والثالث ملائمان تماماً لهذه المرحلة أما الحلان الرابع والخامس فسوف يقودان إلى ما يسمى بالعالم المفضل وهو الذي ستختفي فيه كل الصراعات وتفض جميع المشاكل السياسية والعرقية والإجتماعية وتحقق المساواة على جميع المستويات لتشمل الرجل والمرأة وتطبق اتفاقية عدم التسلح.

ويجب في المرحلة القادمة أن يكون توجه المنطقة إلى الإنسان بصفته الاجتماعية، فيجب على عملية السلام أن تكون من أجل مجتمعات المنطقة وليس مجتمعاً بعينه وقد كانت الأيديولوجية السائدة من قبل هي توحيد بعض العناصر العرقية أو اللغوية أو الدينية واستبعاد العناصر الباقية.

ونخرج من حرب أكتوبر بفائدتها على المستوى العالمي بأنها بمثابة الإرهاصة التي أدت إلى سقوط نظام عالمي وبعدها إنهار الاتحاد السوفيتي بعد انتهاء الحرب الباردة وأنها فتحت المجال إلى السلام في المنطقة بعد فترة حروب طويلة.

إن أفضل وسيلة لمنع الحروب مستقبلاً هو:

السلام وما يصاحبه من تنمية شاملة ونهضة حضارية لكافة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية... إلخ.

وخطة التنافس الحر والتعاون الدولي والتقارب بين المجتمعات وإزالة العداء تجاه الشعوب وتوفير العدالة الاجتماعية واحترام حقوق المواطنين والمساواة بينهم في منطقة الشرق الأوسط ولهذا فإن التقدم والتنمية هما أفضل وسيلة للسلام ومنع الحروب بين الشعوب.

والتنمية الشاملة للمجتمع المصري يمكن أن تحققها روح أكتوبر وتساعد على النجاح في مجالات الحياة المختلفة وحل المشكلات التي تعترض المجتمع المصري وذلك إذا توافرت المقومات الأساسية الآتية:

١- نجاح مفاوضات السلام بين إسرائيل ومصر والعرب وإستقرار المنطقة العربية من التوترات والمشاحنات الدائرة.

٢- تنمية القطاعات المختلفة (الإقتصادية- الثقافية- الإجتماعية... إلخ) فيما يعرف بالتنمية الشاملة.

٣- استخدام روح أكتوبر في مكافحة الأمية والارتقاء بمستوى التعليم الأساسي والعالي في المجتمع

المصري.

٤- الانفتاح على دول العالم المتقدم والإلمام بكل ما هو جديد في عالم التكنولوجيا.

٥- تطوير الفكر الإداري بكافة مستوياته (من الدنيا حتى القيادات العليا) مع التركيز على تنمية المهارات الإدارية للشباب.

٦- الارتقاء بالعنصر البشري وإعداد الكوادر اللازمة لكافة قطاعات التنمية من خلال التدريب والتنقيب والتشجيع المحفز والمستمر.

٧- مساعدة الشباب على التعرف على أساليب إدارة المشروعات الصغيرة والتي في مجملها تساهم في خطة الإصلاح الاقتصادي والتنمية الشاملة.

٨- تدريب الأفراد على مهارات جديدة يحتاجها السوق العالمي والداخلي لرفع مستوى المعيشة وزيادة الدخل.

٩- تفهم عملية ترشيد الإستهلاك.

١٠- مشاركة المواطنين وخاصة الشباب في وضع خطط التنمية قصيرة ، ومتوسطة ، وطويلة الأجل.

١١- الإهتمام بدور المرأة في تنمية المجتمع.

ونخلص مما تقدم أن روح أكتوبر يمكن أن تكون مثالاً ناجحاً للتخطيط، والتغلب على الكثير من الصعوبات والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، يحتذى بها في عملية التنمية الشاملة التي تؤدي إلى تقدم المجتمع وازدهاره.

والله ولي التوفيق،،،

■ تعقيب :

أ.د. مصطفى علوى

الأستاذ بكلية الإقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

لدى ثلاث نقاط أساسية فيما يتعلق بموضوع النتائج الاجتماعية لحرب أكتوبر وأعتقد أن هذه النقاط تتمثل فى التأثير الذي أحدثته حرب أكتوبر على الفكر الاجتماعي السياسي المصري وخاصة فيما يتعلق بنظرته للعلاقة بين الأمن والتنمية أو بين التنمية والأمن بالأحرى والنقطة الثانية تتعلق بتأثير حرب أكتوبر على بنية القيم الإجتماعية فى المجتمع المصري والنقطة الثالثة تدور حول تأثير حرب أكتوبر على قضية التطور الجيلى والعلاقة بين الأجيال.

١- أنا اعتقد أن حرب أكتوبر دشنت مرحلة جديدة فى تطور الفكر الاجتماعي السياسي المصري وبصفة خاصة كما قلت فى نظرته لمسألة العلاقة بين الأمن والتنمية، فبعد ١٩٧٣ فى مرحلة ما بعد حرب أكتوبر أصبحت النظرة إلى قضية الأمن أوسع مما كانت عليه قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣، فلم يعد التعامل مع مسألة الأمن على أنها مسألة عسكرية وليس مفهوم الأمن القومي من الضيق بحيث يقتصر فقط على أبعاده العسكرية وإنما أصبحت نظرة المجتمع المصري والفكر الاجتماعي السياسي المصري لمفهوم الأمن نظرة أكثر رحابة تضم بجانب الأبعاد العسكرية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وفى هذا الصدد أشير بإيجاز إلى ما أحدثته أكتوبر، من عودة جزء من الأرض « سيناء المحتلة» إلى الوطن الأم ولأول مرة فى تاريخ مصر، كما أعتقد لم تعد سيناء أرضا مهجورة بل عادت إلى اللحمة الاجتماعية السياسية المصرية بتأثير من حرب أكتوبر ١٩٧٣ ثم تحرير بقية الأرض بفضل مسيرة التسوية السلمية فيما بعد، ودخلت الخدمات المصرية التي تقدمها الحكومة إلى أي بقعة في الوادي والدلتا إلى سيناء وليس فقط الخدمات وإنما مشروعات تنموية هامة شديدة التأثير على تطور ليس فقط منطقة سيناء وإنما على مصر كلها.

أيضا فى هذا الصدد عاد مهجرو مدن القناة الثلاث الرئيسية الذين قضوا ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٣ مهجرين، حقيقة أنه كان هناك قدر هائل من التلاحم بين أبناء الوادي والدلتا وبين أبناء مدن القناة خلال هذه السنوات الست، ولكن لو إفترضنا جدلا أن هذه المدة الزمنية التي أقام فيها المهجرون فى مدن الدلتا وقراها ووادي النيل طالت إلى حد كبير لكان من الممكن أن يحدث ذلك نوعا من التمزقات الإجتماعية غير المحمودة ومن ثم عودة هؤلاء المهجرين إلى مدنهم الأصلية وإعادة بناء هذه المدن وإعادة تعميرها وتدشين مشروعات تنموية كبرى لفت النظر إلى فكر جديد فى مجال التنمية وفى مجال الأمن أيضاً، وهنا أود التأكيد على نقطة أساسية تتمثل فى أن من الآثار الأساسية لحرب أكتوبر على تطور الفكر الاجتماعي السياسي المصري في قضية التنمية وعلاقتها بالأمن، أن المجتمع المصري بدا لأول مرة يدرك أهمية أن يعيد التوزيع المكاني للسكان بحيث يشغل المناطق التي كانت تاريخياً وتقليدياً مناطق غير مأهولة أو مناطق خفيفة السكان وبصفة خاصة المناطق الطرفية فى الحيز المصري وهو ما كان يمثل تحديا بل ومصدرا للتهديد للأمن القومي المصري، بتعمير سيناء ومشروعاتها الكبرى إنتهاء بمشروع ترعة السلام واستهداف زراعة ٤٠٠ ألف فدان فى سيناء وبتعمير منطقة القناة ومشروعاتها التنموية الكبرى ثم بمشروعات التنمية الكبرى فى نهاية عقد التسعينيات: توشكي - شرق العوينات - شمال خليج السويس- شرق بور سعيد.

كل هذه المشروعات سيكون لها تأثير مباشر ليس فقط على الفكر الأمني التنموي وإنما أيضا على الحركة فى مجال الأمن والتنمية فى مصر بشكل يؤدى إلى موضوعية أمنية وتنموية أفضل للمجتمع المصري.

٢- متعلقة بالقيم الإجتماعية، دار حديث كثير خلال اليوم حول التأثير الإيجابي لأكتوبر على القيم الاجتماعية ولكنى أستطيع أن أوجز هذا التأثير الإيجابي في ثلاثة أمور أساسية:

أ- علمية التخطيط والتنفيذ، وربما يكون التحدي أكبر في وضع الخطط موضع التنفيذ بنفس الأسلوب العلمي الذي وضعت به الخطط، مما تحقق في أكتوبر هو خطط علمية تم تنفيذها أيضا على أرض المعركة وفى المجتمع في المجالات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة.

ب- العمل بروح الفريق ، ومن المعلوم أننا نشكو جميعا من إفتقاد المصريين والطابع المصري للعمل بروح الفريق، هناك إبداع فردى لا شك فيه من جانب الفرد المصري ولكن حين يوضع هذا الفرد في إطار فريق عمل فإن الروح الإبداعية تقل إلى حد كبير وهذا لم يكن الحال أثناء حرب أكتوبر لا على مستوى المقاتل المصري ولا على مستوى النخبة ولا على مستوى أفراد المجتمع العاديين في مصر.

ج- في مجال التأثير على القيم الاجتماعية (روح التحدي والإنجاز) ، حجم الصعوبات كان هائلاً وطبيعتها كانت تصل بها إلى حد المستحيل، كان تقريبا من المستحيل أن يتم ما تم في حرب أكتوبر ولسنا هنا في موضع التفصيل لها ، ثم في مجال الإنجاز العسكري بل والإدارة السياسية للحرب وللأزمة، لحرب أكتوبر كأزمة سياسية إقليمية ودولية.

التساؤل الذي اطرحه هو أن هذا التأثير العظيم على بنية القيم الاجتماعية في مصر الذي أحدثته حرب أكتوبر قد بدأ يخفت تدريجياً، الأمر الذي وصل ببنية القيم الاجتماعية الآن في وضعها الراهن إلى وضع لا يشابه أو لا يماثل ما كان عليه الأمر في حرب أكتوبر.

وتدور في ذهن الباحث أسئلة متعددة ، هل هذه القيم الاجتماعية الإيجابية والعظيمة التي تدفع

مسيرة الحركة الوطنية في مصر هي قيم لصيقة بأوقات الأزمات وبمواقف الشدة والحرب فقط، أم أنه يمكن أن تكون هناك آليات تؤدى إلى سحب هذه المنظومات من القيم الاجتماعية الإيجابية إلى الفرد المصري والمجتمع المصري في سعيه نحو التنمية ونحو حماية الأمن في الأوقات العادية وليس فقط في مستوى الأزمات ؟

التساؤل الثاني أنه من الملاحظ أن هذه المنظومات من القيم الاجتماعية والإيجابية هي الأكثر ظهوراً وترسخاً داخل المؤسسة العسكرية والقوات المسلحة المصرية، إذا قورنت بوضع هذه القيم ذاتها في المؤسسات المدنية للدولة والمجتمع أيضا في مصر ومن ثم يجب أن تخضع تجربة القوات المسلحة المصرية في إطار استنهاض هذه القيم الاجتماعية الإيجابية لدراسة علمية مطولة حتى يمكن أن نسحب منها النتائج التي تفيدنا في إستلهام نفس هذه القيم على مستوى العمل المدني وأيضا في أوقات الأزمات والشدة والطوارئ والحروب.

٣- هي المتعلقة بتأثير أكتوبر على التطور الجيلي والعلاقة بين الأجيال.

هذه من أبرز إيجابيات حرب أكتوبر في نتائجها الإجتماعية لأن حرب أكتوبر أفرزت جيلا جديدا شارك في إستلام مقاليد السلطة وفى وضع القرار وصنعه وفى تنفيذ برنامج العمل الوطني هو جيل أكتوبر ، شارك جنبا إلى جنب مع الجيل السابق عليه فأصبح لدينا جيلان، جيل يوليو وجيل أكتوبر.

وجاء جيل أكتوبر ليطور مسيرة العمل الوطني ويصحح ما وقع من أخطاء على يد جيل يوليو، وهذا أمر مطلوب وواجب وطني على الأجيال المستجدة في المجتمع حتى يمكن أن ينهض المجتمع بمسئولياته سواء في مجالات التنمية أو الأمن أو خلاف ذلك من المجالات ثم مضت فترة بعد أكتوبر لم يظهر فيها جيل ثالث يكمل هذه المنظومة من التطور الجيلى الإيجابى الذى به قدر كبير من الإنسجام فيما بين الأجيال، فليس هناك جيل جديد بنفس الحجم ونفس القدرة على إنجاز ما أداه الجيلان السابقان.

لكن لدينا طاقة أو احتمال لظهور جيل جديد وبصفة خاصة مع مشروعات التنمية الكبرى إن أحسن التخطيط لها وأحسن دراستها وتنفيذها مثل: توشكي وشرق العوينات وغيرها، فيمكن أن يكون هناك جيل جديد لتوشكي يطور ما قام به جيل أكتوبر يبنى عليه ويطوره وربما يعيد تصحيح الأوضاع التي اختلت في بعض المجالات الاجتماعية وبصفة خاصة ينجح في عبور الفجوة الجيلية التي قامت بين جيل أكتوبر والأجيال الشابة التي لا تجد صلة عضوية وثيقة مع هذا الجيل في اللحظة الراهنة.

■ تعقيب :

أ.د. نادر فرجـــانـى

مدير مركز المشكاة والبحث فى مجال الإجتماعيات

أتصور أن حرب أكتوبر وانتصارها حدث أكبر من أن يعظم وأجل من التمجيد وفى تقديري أن الاحتفال الذى يليق بهذا الحدث التاريخي بحق ليس فى مسائل الفخر أو الزهو ولكن فى محاولة التأسي بالحدث الفريد فى أن نتسامى وصولا لقدره فى كل مجالات الوجود وعلى الدوام السؤال فى تقديري الذى يجب طرحه فى هذه الندوة هو: هل نرقى نحن المصريين فى نهاية القرن العشرين إلى جلال إنجاز أكتوبر ١٩٧٣؟

وأتصور الإجابة ليست مؤكدة فى نظري على الأقل ، من المهم الإشارة إلى انه إعمال النظر فى الأحداث التاريخية الكبرى تستدعى اتساع مجال النظر فى المكان والزمان لابد أن ننظر كيف يتغير العالم من حولنا وما هو موقعنا به حتى فى المنظور المجتمعي ولابد أيضا الأخذ بالاعتبار الماضى والمستقبل مثلما أشار الدكتور «إبراهيم بدران» إلى ضرورة إعمال النظر فى المستقبل وإذا كان لي أن أعلق سريعا على بعض ما قيل مع إعجابي بما جاء فى ورقة الدكتورة «زينب رضوان» حين نتكلم عن الأمية من أى منظور أن يتمكن الشخص من مجرد إمضاء اسمه فى نهاية القرن العشرين أو نتكلم من منظور مناسب للربع الأول من القرن الواحد والعشرين وبالتالي فى حقيقة الأمر يجب الإشارة إلى مجموعة من الأحداث الضخمة التي تؤثر على المنظور المجتمعي لمصر فى ربع القرن الذى مضى منذ عبور أكتوبر ١٩٧٣ هناك تغيرات عالمية هامة أهمها فى تقديري «التسارع عمدا» المسألة أنه هناك شيئاً يحدث ، بل يحدث بسرعة متلاحقة ،بعضنا لا يستطيع حتى أن يلاحق التفكير أو القراءة عنها.

التطور الثانى فى العالم والذي له انعكاس على المجتمع المصري كبير جدا هو تبلور العالم وحيد القطب بعد الانهيار الذى أصاب الاتحاد السوفيتي وانتصار الرأسمالية على صعيد العالم فكرة العولمة أو الكوكبة إنها الرأسمالية تفرض الآن كشكل مهيمن للتنظيم المجتمعي يقوم على حرية السوق وتبنى حافز الربح باعتباره المحرك الأساسي للنمو الاقتصادي أصبح حتى النمو الاقتصادي بالمعنى الضيق يعتبر التقدم وهذا خطأ كبير وهنا أود طرح ثلاث تبعات على المجتمع المصري فى غاية الأهمية تشترك فيها مع مجموعة من الدول النامية.

أولاً: إن التنظيم الرأسمالي للمجتمع ليست مسألة إقتصادية فقط بل تحمل أبعاد اجتماعية وسياسية مباشرة وقوية ولا فكاك منها سواء على مستوى البلد الذى يتبناها أو بين البلدان بأشكال مختلفة، السوق الحر بطبيعته يحابى الأقوياء ولا يهتم بالضعفاء ولذلك فى المجتمعات الرأسمالية الناضجة تقوم آليات كفؤة بضبط نشاط الأسواق لحماية المصلحة العامة وحماية الضعفاء ولتقويتهم ليشاركوا بما يمكن أن يأتي به التنظيم الرأسمالي من كفاءة. الدولة تتولى ما يسمى بالعدالة التوزيعية فى المجتمع وهذا دور لا جدال فيه ، كل المنظمات المالية الدولية بما فيها البنك الدولي وبما فيها صندوق النقد الدولي يركزان على أن دور الدولة هو ضمان التعليم الأساسي والرعاية الصحية الراقية للجميع دون أى تكلفة. آليات العدالة التوزيعية لا تقوم بكفاءة فى الدول النامية ولا تقوم للآسف على صعيد العالم ككل. لذلك فى البلدان النامية التي تتحول إلى نسق الرأسمالية ومنها مصر يترتب على ما يسمى برامج « التكيف الهيكلي » آثار سلبية متفق عليها أشارت إلى بعضها الدكتورة « زينب رضوان » كزيادة فى البطالة ، انتشار الفقر وأهم من كل ذلك فى تقديري هو تفاقم التفاوت فى توزيع الدخل والثروة لأن تفاقم التوزيع يؤثر فى هيكل القوة وبالتالي نصل إلى مسألة إضعاف الضعفاء وتقوية الأقوياء وينتج عن ذلك قيام فئة صغيرة من أباطرة الثراء والقوة وبذلك تندرج غالبية الناس فى عداد الضعفاء ومن خلال:

أ -معوقات نجاح النظام الرأسمالي فى الكفاءة الاقتصادية وفى النمو الاقتصادي فى حد ذاته هى وجود فقر وسوء توزيع للدخل حيث لا يتم نمو اقتصادي ولا تتم كفاءة إقتصادية .

ب- الخبرة الدولية فى أفريقيا وفى أمريكا اللاتينية وفى البلاد العربية إلى حد كبير إن ما يقوم من برامج بهدف التخفيف من هذه الآثار السلبية لا يكفى ولا يحقق النتائج المرجوة منه وهذه المشاكل تنعكس أيضا على صعيد العالم فتقارير الأمم المتحدة تؤكد أنه منذ السبعينات منذ بدء انتشار الرأسمالية كنسق عالمي فإن سوء توزيع الثروة والدخل بين دول العالم يتفاقم. فى مصر لسنا بعيدين عن كل ذلك هذه النقطة الأولى.

ثانيا: مسألة بناء القدرات البشرية، احتلال موقع متميز فى العالم الجديد مجرد الوجود الكريم يقتضي أن تكون هناك قدرة عالية ودائمة التنامي فى المعرفة ونحن من هذا بعيدين حتى الآن كما يجب وجود كفاءة إنتاجية مرتفعة ودائمة الترقي فى مجالات الإنسان كافة وهنا يجب الإشارة إلى أن المحك الأساسي هو ليس كيف تطورنا بل ما يحدث من حولنا فى العالم فى القطاعات المتقدمة والدول الناهضة. هناك تركيز على أهمية رأس المال البشرى أشرت إليها: المعرفة، المهارات، التوجهات الاجتماعية البناءة وهذا يقتضي بوجه خاص ملكات النقد والتعلم الذاتي والإبداع ومن الهام أيضا التركيز على ما يسمى « رأس المال الاجتماعي » لأن البشر ذوو الكفاءات الفردية المرتفعة ينتظمون فى تنظيمات اجتماعية وإنتاجية وسياسية تقوم على مبادئ الكفاءة والمشاركة الحية ولا أقصد مشاركة شكلية والمساءلة الفعالة للمسئولين فى هذه التنظيمات، رقى رأس المال الاجتماعي يتطلب على وجه الخصوص (كما أشارت الدكتورة زينب رضوان) ما أسميه «نسق الحوافز المجتمعية» يعلن قيم المعرفة والاجتهاد والإتقان وخدمة المجموع إلى غير ذلك من التوجهات الاجتماعية المواتية للنهضة ويكافئها بسخاء. أهم دروس حرب أكتوبر أعتقد فى تقديري أن المصريين بالفعل بشر مصر، فمصر ثرية ببشر كانوا قادرين، مبدعين، منظومين فى تنظيمات بهذا الشكل.

المسائل المتعلقة بكيفية تغير العالم منذ حرب أكتوبر، فى تقديري أن مرور الزمن وتغير الكون من حولنا أصاب بعضا من الآثار الإيجابية لحرب أكتوبر بالضعف، ويمكن ذكر مجالين المجال الأول هو السلام بالطبع بعد استعادة مثالب العدوان كان من أهم نتائج حرب أكتوبر وأهم غاياتها لكن الوضع الحالي الآن

أنه وكلنا نعلم بالرغم من معاهدة السلام مصر لا يمكن أن تنعم بسلام حقيقي والمنطقة كلها على فوهة بركان، الطرف الإسرائيلي يغتصب حقوقاً عربية ويتعامل بصلف تزينه له قوة غاشمة وضعف العرب عموما ومساندة غير مشروطة من قيادة العالم الجديد.

ثالثا: أشير مرارا إلى زيادة أسعار البترول بعد حرب أكتوبر نتيجة الموقف العربي الموحد القيمة الحقيقية للنفط الآن اقل من خمس قيمته بعد تصحيح عام ١٩٧٩ الحقيقة قيمة النفط الآن توازى قيمته فى نهاية الأربعينات، إذن لابد أن ننظر إلى كل هذه التغيرات ونرى ما يجب تطبيقه فى مصر. فى مصر نقطتي الجوهرية هي انه لدينا فى المجال المجتمعي ،ولا أقصد الاجتماعي بمعناه المحدود بل المجتمع ككل اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، هناك موجبات للتحلي بروح أكتوبر لا زال أمامنا وقد يستغرب البعض مثلث (الفقر- الجهل- المرض) ربما ليست بالصورة التى كنا عليها ولكن بمعايير القرن ال ٢١ بعد ٥٠٠ يوم فقط والجميع يعلم عن مقياس التنمية البشرية الذى يقوم بإعداده برنامج الأمم المتحدة للإنماء مصر فى هذا المقياس فى عام ١٩٩٨ كان يتقدم عليها ١١٠ بلد فى العالم منهم ١٢ دولة عربية ،فالمقياس يأخذ فى الاعتبار مؤشرات بسيطة للغاية : التعليم، الصحة، والدخل،وإذا أخذنا معايير أكثر دلالة فى تقديري أؤكد على مسألة التعامل مع التقنيات الحديثة وتطبيقها وفكرة الاستقطاب الاجتماعي المتعاظم فى مصر الذى ينوء بأعبائه غالبية الشباب يشكل جزءاً محورياً فى حالة الاستعصاء الموجودة حاليا فى اتجاه التقدم فالنقطة أن هناك حرباً مطلوبة ضد التخلف وهذه الحرب شاقة طويلة ومعاركها متشابكة وعديدة والمطلوب فعلا روحية وكفاءة أكتوبر من المؤكد أن هناك جهوداً على الساحة المصرية فى جميع مجالات المجتمع المصري أى العمل المجتمعي لكن بالنتائج المحققة حتى الآن ومقارنة بالأمم المتقدمة والناهضة فى العالم ومتطلبات العصر فإن الفرق مازال كبيرا بين الإنجاز المحقق من ناحية وبين ما نتمنى لمصر وبين ما يقدر عليه المصريون وما يستحقون من ناحية أخرى.

التقدير أن إنجازنا المجتمعي سواء على الجانب المصري أو العربي منذ عبور القناة وتحطيم خط بارليف لم يرق حتى الآن إلى مستوى التحديات التي نواجهها وإذا كان هناك (وأعتقد هذه نقطة هامة أشار إليها الدكتور مصطفى علوي) هناك مجموعة من القيم والممارسات التي أنجبت نصر أكتوبر كلنا متفقون عليها فأنا أود الإشارة إلى شقين هامين:

الأول: التعامل مع الواقع كما هو دون تهويل من العدو أو التحديات وأعتقد أن هذا مختلف عما يحدث الآن.

الثاني: تطابق الإدعاء مع الإنجاز الفعلي دون تجميل واعتقد أيضا نحن بحاجة لتغيير فى هذا المجال لأنه هذا ما حدث فى ١٩٧٣ أى تطابق الإدعاء مع الإنجاز الفعلي والذى فرض على الجميع الاعتراف بهذا الإنجاز.

نقطة الختام:

-هل حقا أن كل المميزات العظيمة التي صنعت نصر أكتوبر الجليل كانت استثناء لأنه ليس مسالة مجموعة فقط ولكن مسألة اندماجها فى تناغم أنها أصبحت منظومة العقد الفريد فى شكل واضح وقوى وفعال، على أي حال إن كان هذا هو السؤال فيجب ألا يؤرقنا قليلا أو كثيرا. المؤكد أننا فى حاجة إلى استعادة هذه المنظومة بكاملها وبدرجة كفاءتها فى حرب مجتمعية ونتذكر فى النهاية أن النصر فى الحرب المجتمعية هو أساس متين لمنع أى حرب فى المستقبل وهو فى الواقع أساس الانتصار فى أى حرب إذا قامت رغم حرصنا على السلام.

■ المناقشات:

السيدة الوزيرة / ميرفت تلاوى

أضيف نقطة بسيطة لما قاله الدكتور «مصطفى علوي» و «نادر فرجاني» أنه ليس فقط فى مصر -وليس فقط تعقيباً على حرب أكتوبر- أن مفهوم الأمن والتنمية تغير فى كل العالم فلم تعد الحرب هي الأساس والتى يمكن أن تهدد البلد فى أمنها من الداخل وليس بالضرورى من عدو خارجي فإن التهديد يأتى من الفقر، من الأمية، من الإرهاب، من العنف بين الطبقات وهكذا فإن هذا المفهوم اصبح سائداً الآن فى الأمم المتحدة أولويات حماية الأمن تغيرت وبالتالي علومنا ودروسنا وخططنا وإستراتيجياتنا يجب أن تتغير حتى منها الدفاع المدني فمن الممكن أن يكون الشعب بخير في أوضاعه الاقتصادية والتعليمية لكن يحدث زلزال أو كوارث طبيعية أى شئ ليس من صنع الإنسان فهذه الأمور التي يجب التخطيط لها.

إذن مفهوم تهديد أمن وسلامة المجتمعات أصبح مختلفاً عما كنا نعرفه منذ عدة سنوات، أشير كذلك إلى تنمية سيناء وهى فى الحقيقة الفعلية الجانب الشرقي من مصر نقطة تميز بالنسبة لجغرافية المكان وتنميته تنمية سليمة يعطى مصر عدة ميزات فكان التفكير فى إنشاء كوبري فوق قناة السويس لنقل البشر والإنتاج والزراعة..الخ. فكانوا رافضين لهذه الفكرة حينما أثرتها معهم فى البداية على أساس أن هناك دراسة تم إعدادها فى مصر عن حركة المرور والانتقال وأشارت إلى عدد بسيط من السيارات فكانت حجة لهم لرفض إنشاء مثل هذا الكوبري المكلف طالما أن حركة الانتقال والتنمية بها ضعيفة، فكان ردهم أن هذا التقرير كان قبل خطة تنمية سيناء وعودتها والتحامها مع الوادي واليوم أصبحت العبارات مشكلة كبيرة تتلف الإنتاج فكان لابد أن تكون تقاريرنا يومية لأنها يعتمد عليها ويعتد بها وتظهر صورة مصر دائما معتمدة على بعض تقارير من الجائز أن يكون تاريخها

قديماً وعند معرفتهم بخطة زراعة ما يقرب من ٤٠٠ - ٥٠٠ ألف فدان وانتقال ما يقرب من أكثر من ثلاثة ملايين نسمة إلى هناك وافق اليابانيون على بناء الكوبري بالفعل.
ونقطة الدكتور « نادر فرجاني » في القيم لدينا ، وكيف لنا أن نقول الحقائق وندرسها دراسة جيدة كي تتفق مع كل ما قيل في هذه الندوة وعن استلهام نصر أكتوبر، لكن كيفية التعاون في القطاع المدني والتنسيق والتخطيط لنصل إلى حل في مشكلة ما ؟
فالأمية لازالت معنا منذ ٤٠ عاماً نحاول حلها ، الإسكان بقينا معه منذ سنوات من عمر الدكتور « ميلاد حنا » وهكذا كيف استطعنا من هذا التجمع العظيم من المفكرين الوصول إلى أسلوب تنسيق وتعاون وإزالة الحساسيات بين الجهات المختلفة فهذه هي المعضلة الحقيقية أي أن استلهام روح ونصر أكتوبر بسيط ويمكن تحليله لوضوح المعالم به فكل فرد له الدور المحدد لا يتعداه فهذه هي المعضلة الحقيقية في القطاع المدني.

الدكتور / طه عبد العليم طه

-النقطة الأولى:

حول كلام الدكتور « نادر فرجاني » أن الرأسمالية تُفرض ،وتقديري أن تحول اقتصاد السوق ضرورة وليس هناك اقتصاد سوق دون رأسماليين دون رجال أعمال يمتلكون شركات هذه نقطة ولكن في جميع الأحوال ونحن نتحدث عن تحول اقتصاد السوق علينا أن نسأل أنفسنا هل كان التحول إلى اقتصاد السوق والإصلاح الاقتصادي ضرورة؟ الإجابة لدى «نعم» وهل يمكن التحول إلى اقتصاد السوق من إجراء إصلاح اقتصادي دون ثمن؟ الإجابة لدى «لا»، لابد من ثمن والمسألة هنا تتوقف على إدارة برنامج الإصلاح الاقتصادي وأزعم أن الإدارة بالذات لبرنامج الإصلاح المالي والنقدي لأشياء كثيرة هنا في مصر كانت تكلفتها أقل من بلدان أخري، لكن يبقى في النهاية الحساب بالناتج النهائي أي أن معيار المفاضلة بين نظام اقتصادي وآخر هو الكفاءة الاقتصادية بقدر ما تتحقق الكفاءة ترتفع الإنتاجية وتزيد الرفاهة الاجتماعية، وتتحقق التنمية البشرية بقدر ما ندافع عن هذا النظام الاقتصادي أو ذاك.

النقطة الثانية :

خاصة بالبنية الاجتماعية للمجتمع المصري مع تحول اقتصاد السوق وبأشكال مختلفة ولأسباب مختلفة تغيرت البنية الاجتماعية فصار لدينا فئة من رجال الأعمال ، إلى أي مدى الفكر الاجتماعي المصري معنى بدراسة ما يسمى بال « stick holders » متأثرين بنشاطهم من مورد إلى مستهلك إلى زميل آخر للمجتمع إلى آخره فأنا أعتقد أن هذه القضية تحتاج إلى دراسة والفكر الاجتماعي المصري في حاجة إلى التأمل الجيد في ما يسمى اقتصاد السوق الاجتماعي المعنى باعتبارات الكفاءة الاقتصادية جنبا إلى جنب مع اعتبارات عدالة اجتماعية ودرس نجاح كلينتون في الانتخابات ونجاح «تونى بلير » في بريطانيا و«شراودر» في ألمانيا درس ملهم للغاية لأنه يستحيل أن تتجاهل العدالة الاجتماعية في نفس الوقت الذى نتكلم فيه عن اقتصاد سوق لكن اعتقد أننا بحاجة لإعادة النظر في مفهومنا للعدالة الاجتماعية ومتفق مع الدكتور « نادر فرجاني » إذا كان استشهاده بتقرير التنمية البشرية يعكس قناعة فكرية لأنها بالفعل القضية الأساسية اليوم هي تكافؤ الفرص وليست التقسيم العادل لثروة بائسة.
والكلمة الأخيرة خاصة بتدهور أسعار النفط أو التعنت الإسرائيلي، ففي النهاية الأمم حيثما تضع

نفسها ما دمنا متأثرين سندفع الثمن فى شكل التهميش وفى شكل صفاقة من إسرائيل من نتنياهو أو من غيره.

السيدة الوزيرة / ميرفت تلاوى

فى الحقيقة يا ليت المثقفين هنا يهتمون فى الفترة القادمة بالجبهة الداخلية أساسا حتى نخرج من المعوقات الاجتماعية والاقتصادية ونحمد الله لأنه ثبت أننا نستطيع تحقيق نجاحات وهذا يتضح فى المجال الاقتصادي ونرجو التركيز عليه لأنه يعطينا القوة الحقيقية أمام أى شئ خارجي يريد كسر قدراتنا.

الدكتور / نادر فرجاني

أود تسجيل اختلافي مع كلمة الدكتور «طه عبد العليم» من ناحيتين.

النقطة الأولى:

مسألة أن التحول فى السوق المصري تم بدون ثمن كبير لا بل الثمن فادح ويزداد فداحة ولدى ما يكفى من مؤشرات.

النقطة الثانية:

أنا لم أتحدث عن العدالة الاجتماعية بل عن شئ مفهوم علمي دقيق جدا هو العدالة التوزيعية وليس مجرد توزيع الثروة لأنه لا يمكن التحدث عن أمريكا وإنجلترا ونقول نفس الشيء فى مصر، فمصر مجتمع نام لازالت به إشكاليات بناء الإنسان وبناء المجتمع وبالتالي مفهوم العدالة الاجتماعية الذى يأتي فى إطار اقتصاديات رأسمالية ناضجة لا يكفى و لا يصلح، فهنا الدولة عليها دور جوهري فى بناء أسس النهضة الاجتماعية والاقتصادية وهذا أمر مختلف فى العالم أما النقطة الجوهرية حقاً فهي دور العدالة التوزيعية للدولة فى مجتمع يبنى النهضة ويحارب التخلف وهو دور مختلف تماما والأمر يحتاج إلى نقاش أوسع.

السيدة الوزيرة / ميرفت تلاوى

على أى حال هذا لا يعنى أن نطمئن وألا نفعل أكثر وهذا هو الحاصل الآن التوجه السياسي، الاهتمام بالعشوائيات، الأمية، الاهتمام بالبطاقات الضمانية فنحن نتكلم حالياً عن أهمية زيادة مصادر بند الضمان الاجتماعي فى وزارة الشئون للفئات المحتاجة والإعاقة وأطفال الشوارع والمتسولين والمسنين وكل هذه الفئات، وننبه ان هناك ١٤ نوعاً من الخدمات الاجتماعية المطلوبة إلى جانب التعليم والصحة. وهذه بنود هامة فى ميزانية الدولة وتحتاج إلى دعم وإلى زيادة الدعم المفيد.

الجلسة الرابعة:

نتائج حرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما

الورقة الأولى :

أثر حرب أكتوبر على الشخصية المصرية

أ.د. صوفى أبو طالب

رئيس مجلس الشعب الأسبق وعضو المجالس القومية المتخصصة

١- نحتفل اليوم باليوبيل الفضي لحرب أكتوبر التي غيرت آثارها كثيرا من الأوضاع ليس فى مصر وحدها بل فى المنطقة العربية كلها، سواء فى علاقات دولها ببعضها أم فى علاقاتها بالعالم الخارجي. كما أن النصر الذى حققته القوات المصرية فى معركة غير متكافئة بين مصر وإسرائيل أدى إلى تغيير مفهوم كثير من الأفكار العسكرية. وما ننعم به اليوم من تقدم فى المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية هو أثر مباشر لنصر أكتوبر المجيد. فمن أبرز آثاره انه مكن الشعب المصري من التخلص من الآثار السلبية التي نجمت عن حرب ١٩٦٧، وإعادة بناء المجتمع المصري على أسس سليمة. فإذا كانت حرب ١٩٦٧ قد وصفت فى حينها بأنها نكسة عسكرية، إلا ان حقيقة الأمر أنها نكسة فى جميع المجالات مازلنا نعاني من بعض آثارها فى حياتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فقد عانى المجتمع المصري بعد هذه الحرب المشئومة من التمزق والبلبلة الفكرية واستشرت روح الانهزامية وعدم المبالاة فى جو اللاحرب واللاسلم، وتفاقمت الأزمات الاقتصادية بعد انهيار الاقتصاد المصري فى الوقت الذى تحتل فيه إسرائيل أرض سيناء وأجزاء أخرى من الوطن العربي، وتزايد النفوذ السوفيتي. وكل ذلك فى إطار حكم شمولي تسلطت فيه مراكز القوى على مقدرات الشعب وكممت أفواهه بكسرة خبز لا تسمن ولا تغنى من جوع. ومن المعروف ان الإنسان الخائف مسلوب الإرادة والإنسان الجائع لا أمان له، وكلاهما ينعدم لديه الإحساس بالانتماء لوطنه والولاء لقومه.

٢- وكان من أبرز آثار حرب أكتوبر أنها مكنت الشعب المصري من القضاء على السلبيات سالفة الذكر، ومهدت لها ثورة التصحيح فى ٧ مايو ١٩٧١. وبالإضافة إلى القضاء على السلبيات فإن حرب أكتوبر فتحت الباب أمام تجديد شباب المجتمع المصري وتهيئة الظروف للإصلاحات السياسية

والاقتصادية، كما أنها فتحت الباب أمام المفاوضات للوصول إلى تسوية شاملة تقوم على استرداد الأرض المحتلة عقب حرب ١٩٦٧ وإقامة دولة للشعب الفلسطيني، وأسفرت المفاوضات عن توقيع اتفاق إطار عام للسلام هو ما يعرف باتفاقية «كامب ديفيد» ١٩٧٨، ومن بعده معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩، وبمقتضاها تحررت سيناء وتخلصت من دنس الاستعمار الإسرائيلي، ومن بعدها اتفاقية السلام بين الأردن وإسرائيل، ثم اتفاقية أوسلو بين الفلسطينيين وإسرائيل، ومازال تنفيذها متعثرا حتى الآن. وسنعرض بإيجاز لأثر حرب أكتوبر على الشخصية المصرية من منظور سياسي وقانوني.

تصحيح ما لحق بالشخصية المصرية من خلل:

عناصر الشخصية المصرية:

٣- تتميز الأمم والشعوب عن بعضها بعدة سمات وصفات تكونت عبر السنين والقرون نتيجة للمعيشة المشتركة في بيئة جغرافية معينة وفي ظل نظم اجتماعية ودينية وأخلاقية وسياسية. ومن مجمل هذه العناصر تتكون شخصية الشعب وتميزه عن غيره من الشعوب. وهذه العناصر تربط أبناء الشعب ببعضهم وتوثق عرى التضامن بينهم وتدفعهم إلى العمل في سبيل تقدمهم ورفاهيتهم وتحرك وعيهم القومي وتغذيه. ومنها ما يتصل بتقاليد الجماعة الموروثة من لغة ودين وأخلاق... إلخ مما يؤدي إلى تواصل الأجيال وهي تنصف بقدر كبير من الثبات، ومنها ما يتصل بحاضر الأمة، أي مصلحتها، وهو ما يحقق لها وجودها وتقدمها سواء في علاقة أفرادها ببعضهم البعض، أم في علاقاتها بغيرها من الأمم مثل النظم القانونية والسياسية والاقتصادية، وهذه النظم تحظى بقدر من الثبات النسبي وإن كانت قابلة للتغيير. ومنها ما يتعلق بمستقبل الأمة وآمالها ونمو العلاقات الدولية وتقدم وسائل الإعلام وتطور وسائل المواصلات بما يؤدي إلى تغيير بعض السمات القومية وتقاربها من بعضها. وقد يتم ذلك بصورة تلقائية نتيجة تطور بطئ، وقد يفرض على الأمة فرضاً. والتأثر ينجم عادة في الجانب المادي للحضارة، أما الجانب الثقافي والفكري فمن النادر أن تقبله أمة عن طواعية واختيار، فإن فعلت قضت على نفسها بنفسها. وهذا لا يحدث إلا في فترات ضعف الأمة.

٤- تكونت الشخصية المصرية عبر آلاف السنين واستقرت في شكلها المعروف عقب الفتح الإسلامي لها. فالشعب المصري فرعوني الأصل والنشأة، إفريقي الموقع والجوار، عربي اللغة والبيان، إسلامي الحضارة والكيان، إذ صهر الإسلام كل ذلك في بوتقته في تناسق وانسجام.

خصائص الشخصية المصرية:

٥- توحدت صفوف الشعب المصري منذ فجر التاريخ وأقام نظمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على أساس التآخي والمساواة والتسامح الديني، لذلك خلا تاريخه الطويل من الحروب القبلية والإقليمية والطائفية والعنصرية. وهو شعب متحضر أصيل منفتح على العالم الخارجي، يعطي ويأخذ ويطوع أوضاعه لضرورات التقدم دون تعصب أعمى، ولكنه لا يقبل الضيم ويرفض السيطرة الأجنبية والنفوذ الأجنبي بشتى صوره، وهو شعب «وسطي» ينكر التطرف بكافة صوره وينبذ الصراع الدموي والصراع الطبقي والصراع الطائفي والعقائدي، ولذلك يراعى فيما يضعه من نظم تحقيق التوازن بين نوازع النفس البشرية دون طغيان لجانب على آخر. كما يغلب على تفكيره تحقيق التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، ولذلك كان الدين من أهم سبل تحقيق التوازن النفسي للفرد وللجماعة: توازن

بين الجانبين المادي والروحي، تكامل بين العلم والإيمان، تكامل بين الحياة الدنيا والآخرة، الاعتراف بحرية العقيدة وإقامة الشعائر الدينية. وبذلك يؤدي الدين إلى تحقيق السلام الاجتماعي، فضلاً عن تدعيم الأخلاق الفاضلة بما يدعو إليه من مثل عليا. ويتم تحقيق التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة بعدة سبل أهمها: تحقيق التكامل العضوي بين الحرية السياسية (الديموقراطية السياسية) والحرية الاجتماعية (الديموقراطية الاجتماعية) بإقامة نظام للحكم يرتكز على الديموقراطية والتضامن الاجتماعي ويضمن للإنسان حريته وكرامته ويمكنه من حق التملك وحق العمل ويحمل الفرد بواجبات لصالح الجماعة، الأمر الذي يقتضي تدخل الدولة في النشاط الاجتماعي والاقتصادي بما يحقق حماية الضعفاء اجتماعياً واقتصادياً وضمان الحاجات الأساسية للأفراد، وبذلك يشارك المواطن في القرارات المصيرية ويكون آمناً على نفسه وذويه في يومه وغده، وتتاح له فرصة إثبات ذاته وإظهار قدراته الخلاقة، وكل ذلك ينمي لديه الانتماء لوطنه والولاء لمجتمعه وأمنه. والمواطن المصري يؤمن إيماناً راسخاً بالوحدة العربية فهي ملاذه وأمانه في مواجهة التكتلات الاقتصادية والسياسية الكبرى التي انجرف إليها العالم المعاصر، وهي طوق النجاة في مواجهة نظام «العولمة» الذي بدأ يسود العالم.

بعض مظاهر الخلل في الشخصية المصرية:

٦- تعرضت الشخصية المصرية بل وأكثر البلاد العربية للمسخ والتشويه بعد وقوعها في براثن الاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر الميلادي إذ فتحت إنجلترا أبواب مصر على مصراعيها أمام الأجانب وأغدقوا عليهم العديد من الامتيازات الاجتماعية والاقتصادية كما أنها استقطبت عدداً من المصريين أجرت عليهم الأرزاق بسخاء ومكنتهم من تبوؤ أعلى المناصب لكي يتخذونهم عوناً لهم وظهيراً وزرعت في نفوس المصريين عقدة الشعور بالنقص وفقدان الثقة في النفس ورسخت في عقولهم أن التمسك بتقاليد الأجداد من سمات التخلف والانحطاط وأن سبيل الإصلاح والتقدم ينحصر في الأخذ بأساليب الحضارة الأوربية قلباً وقالباً، فزرعت في مصر نظماً قانونية وسياسية واقتصادية منقولة عن الحضارة الأوربية وأنشأت هيئات ومؤسسات وجمعيات للترويج لهذه النظم فضلاً عن نشر القيم الحضارية الأوروبية فقام صراع بين الحضارتين العربية الإسلامية والحضارة الغربية، فقد انبهر بعض المصريين بذلك وروج له ورفض البعض الآخر رفضاً باتاً الأخذ بالأساليب الأوربية وتمكن فريق ثالث من التأليف والتوفيق بين القيم الحضارية الأوربية والقيم الحضارية العربية الإسلامية وهكذا تفسخت الشخصية المصرية، وزاد الأمر سوءاً بإنقطاع سبل الاتصال الحضاري بين العرب بعد تجزئة العالم العربي بين الدول المستعمرة. وعبأت مصر كل قواها للتخلص من الاستعمار الأجنبي، فقامت ثورة ١٩١٩. وكانت ثمرتها الحصول على الاستقلال السياسي مقيداً ببعض القيود زال أكثرها بمعاهدة الاستقلال عام ١٩٣٦، وإلغاء الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧، والأخذ بالنظام البرلماني كأساس للحكم وقيام تقارب بين الدول العربية المستقلة، من أبرز مظاهره قيام جامعة الدول العربية، وتقدم اقتصادي شارك فيه المصريون إلى حد كبير. كل هذه التطورات وإن كانت خففت من آثار النفوذ الأجنبي إلا أنها ربطت النظام السياسي والنظم الاقتصادية بعجلة الحضارة الغربية على حساب الحضارة العربية الإسلامية، كما تسربت كثير من القيم والتقاليد الأوروبية إلى الشخصية المصرية ثم قامت ثورة يوليو فأعلنت مبادئها الستة المعروفة وحققت نجاحاً كبيراً في تنفيذها وكانت أكبر انتصاراتها في عقد الخمسينات. فقد حققت لمصر استقلالها السياسي وقضت على الاستعمار وأعوانه وتصدت لمحاربة مناطق النفوذ وأسهمت في إقامة مجموعة عدم الانحياز حفاظاً على

الاستقلال.

كما قضت على الإقطاع والاحتكار وخلصت الحكم من سيطرة رأس المال، وقطعت شوطاً كبيراً في تحقيق العدالة الاجتماعية وأسهمت في تحقيق استقلال بعض الدول العربية فتمهد السبيل للوحدة العربية ولكنها عجزت عن تحقيق الديموقراطية السياسية لأسباب خارجة عن إرادتها أو لأخطاء وقعت فيها. وفي بداية عصر الستينات بدأت تنحرف عن مسارها وصاغت فلسفة جديدة صدر بها ميثاق العمل الوطني عام ١٩٦٢ وتبلورت أهداف الثورة في ثلاثة مبادئ: الحرية، الاشتراكية، والوحدة. وقد تأثرت هذه الفلسفة بالنموذج السوفيتي الماركسي مما أتاح الفرصة لتسلط مراكز القوى على الحكم فتحول إلى نظام حكم شمولي كمم الأفواه وصادر الحريات والممتلكات، فقد تم إلغاء الملكية الفردية لأدوات الإنتاج، وسيطرت الدولة على النشاط الاقتصادي بإقامة قطاع عام كبير يقود الاقتصاد ويحقق العدالة الاجتماعية، وتضخم حجمه حتى أصبح يحتكر معظم أوجه النشاط الاقتصادي (الصناعي والتجاري) بعد صدور قوانين التأميمات الواسعة عام ١٩٦١، كما أصبح الجزء الأكبر من خطة التنمية يقع على عاتقه، وضيقت القوانين نطاق نشاط القطاع الخاص المصري والعربي والأجنبي وفرضت عليه رقابة صارمة مما دفعه إلى ممارسة أنشطة طفيلية على هامش الاقتصاد، الأمر الذي أدى إلى تناقص نمو الدخل القومي منذ منتصف الستينات حتى أصبح سالباً في بعض السنوات فانهار الاقتصاد المصري. والخطأ الكبير الذي وقعنا فيه هو الخلط بين الاستقلال الاقتصادي والاكتفاء الذاتي في عصر سادته التكتلات الاقتصادية وتشابكت المصالح فتحول الوضع من نظام اشتراكي إلى نظام رأسمالية الدولة ووقعنا في فخ التبعية الاقتصادية للاتحاد السوفيتي وتسربت كثير من القيم والأفكار الماركسية إلى الشخصية المصرية.

٧- والنجاح الكبير الذي حققته ثورة يوليو في مجال الوحدة العربية سواء في بعث القومية العربية أم في مساعدة الدول العربية في الحصول على استقلالها وتحقيق وحدة سياسية مع سوريا انتكست بعد فشل الوحدة معها. وهذا الفشل زرع بذور الشك في كل محاولات الوحدة وأوجد تباعداً بين الدول العربية وانقسامها إلى محاور متصارعة بعد أن أخذت بعضها بالنموذج السوفيتي وحافظ بعضها الآخر على نظمه.

٨- وفي ظل النظام الشمولي المصري- المنقول عن النظام السوفيتي- حيث سيطرت الدولة على النشاط الاقتصادي وحيث يتضاءل مجال الحرية السياسية وحيث تسود الشرعية الثورية شاع الخوف والرهبة في النفوس وتفشت السلبية والبيروقراطية وتركزت السلطة في يد مراكز القوى فسلبت اختصاصات كافة السلطات والمؤسسات فأصبحت مجرد واجهات بدون مضمون وانتهى الأمر بسيادة الرأي الواحد وانعدام الرقابة على السلطة فكثرت الأخطاء، ولا تجد من يكشفها ويصححها. وكان من أخطر نتائج هذا الوضع على الشخصية المصرية:

أ-تلاشت بالتدريج مشاركة الجماهير في الحكم ورقابتها لهم فركنوا إلى الحاكم فكان صلاحهم بصلاحه وفسادهم بفساده.

ب-تركيز وسائل الإعلام- وهي ملك للدولة - على تكوين رأي عام بصورة تبتعد به عن الدين تطبيقاً لأسس الاشتراكية.

ج-انعدام الولاء للوطن لأي فريق من الناس وضعف الانتماء لدى فريق ثان، والتمس بعض أفراد الفريقين سبيلاً إلى أوطان وبلاد أخرى والتمس البعض الآخر الأيديولوجيات الأجنبية.

د-قيام صراع فكري داخل المجتمع بين من يوصفون بالرجعية ومن يوصفون بالتقدمية. وقد امتد هذا الصراع إلى كل أبناء الوطن العربي- صراع بين الأصالة والمعاصرة.

الآثار الإيجابية لانتصارات أكتوبر:

٩- كان من أهم نتائج انتصارات أكتوبر تصحيح مسار الشخصية المصرية وما لحقها من خلل، إذ ربت جيلاً هو «جيل أكتوبر» مدركاً لأوضاع أمته في ظل المتغيرات الدولية السريعة، متمسكاً بطابعه القومي وأهدافه القومية في إطار توازن دقيق بين تقاليد الأمة ومصالحها ومشاكلها الحاضرة وآمالها التي تصبو إلى تحقيقها في المستقبل. ومن أهم الوثائق التي يعتمد عليها في تحديد معالم الشخصية المصرية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ هي دستور سبتمبر ١٩٧١ الذي صدر بعد ثورة مايو ١٩٧١، وما لحقه من تعديلات، والقوانين العديدة التي صدرت تطبيقاً له. وهذه الوثائق أخذت أحكامها من القيم الحضارية العربية الإسلامية التي تناسب روح العصر، وما أسفر عنه التطبيق العملي لأفكار ومبادئ ثورة يوليو ١٩٥٢، بعض الأفكار المعاصرة التي تتفق مع قيمنا الحضارية وتلائم ظروفنا.

التأكيد على القيم الدينية والروحية:

١٠- إن من أهم خصائص الشخصية المصرية عبر كل العصور التمسك بالقيم الدينية والروحية، فالشعب المصري لا يقف من الدين موقفاً سلبياً ويتركه لدخيلة النفوس كما تفعل الشعوب الغربية ولا يقف منه موقفاً معادياً كما يفعل الفكر الماركسي، بل يعتبره من المقومات الأساسية للفرد وللمجتمع، ومن هنا نص الدستور على اعتباره مادة أساسية فى مناهج التعليم. والواقع ان الدين يرقى بالنفس البشرية إلى درجة الكمال الأخلاقي ويؤلف بين القلوب وينمى الإحساس بالانتماء إلى الجماعة ويسهم فى تحقيق السلام الاجتماعي والوحدة الوطنية. فاستنهاض الهمم عن طريق الدين افضل وأجدى من استنهاضها عن طريق الحق الطبقي أو الأثرة والأنانية، ولا يقتصر دور الدين عندنا على العبادات بل يمتد إلى كل القيم الأخلاقية والحضارية، ولذلك نص الدستور على أن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، وهو ما أكدته المحكمة الدستورية العليا فى كثير من أحكامها ، وبذلك أصبحت كل القوانين التي تصدر فى مصر بعد العمل بدستور ١٩٧١ مأخوذة من الشريعة الإسلامية، فإذا خالفتها طعن فيها بعدم الدستورية، كما ان الدولة عدلت بعض القوانين الأساسية مثل القانون البحري بما يتفق مع الشريعة. ومن جهة أخرى لا تبخل الدولة لا بالمال ولا بالرجال لتدعيم الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف، وكذلك الحال بالنسبة للهيئات ودور العبادة غير الإسلامية، ويحضر رئيس الدولة بنفسه أو من ينوب عنه اكثر الاحتفالات الدينية، والشعب المصري لا يتعصب لدين ضد آخر، ولذلك نص الدستور على حرية العقيدة وإقامة الشعائر الدينية. والقوانين المصرية تقضى بتطبيق قوانين الدين أو الملة فى مسائل الأحوال الشخصية مثل الزواج والطلاق...إلخ.

وهكذا استردت مصر وجهها الإسلامي، وهو مطلب شعبي جارف منذ القرن الماضي، قرن الغزو الثقافي الأوروبي.

الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي:

١١- يقوم نظامنا الاجتماعي حسبما ورد في الدستور على الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي،

وكلاهما يكمل الآخر. والوحدة الوطنية تقتضي عدم زعزعة كيان الأمة وبث الفرقة بين طوائفها وإثارة الكراهية بين فئاتها واستخدام العنف. والسلام الاجتماعي يهدف إلى تطوير المجتمع بأسلوب ديموقراطي ويعتمد على التضامن الاجتماعي. وكل ذلك يترجم طبيعة الشعب المصري المسالمة التي تنبذ التطرف والتعصب والعنف وترفض حكم الطبقة الذي تسرب إلينا مع الفكر الماركسي وحكم الصفوة الغنية الذي فرضه الاستعمار الأوروبي. وكانت حرب أكتوبر مناسبة تاريخية لإظهار هذه المعاني، فقد اختلطت دماء كل أبناء الشعب بمختلف طوائفه وتكاتفوا في استرداد الأرض المسلوبة.

الوحدة العربية:

١٢- إن الوحدة العربية الشاملة أمل يتطلع إليه الشعب المصري والشعوب العربية منذ الانفصال عن الدولة العثمانية في أوائل القرن العشرين وهو طوق النجاة بالنسبة للعرب في ظل التكتلات السياسية الكبرى والتكتلات الاقتصادية العالمية، وأصبحت أكثر إلحاحاً بعد انتشار نظام العولمة الذي تفرضه أمريكا على العالم عن طريق «ذهب المعز وسيفه» لأن العولمة في نظرها تعني تخلي الشعوب عن حضاراتها وقيمها والاندماج كلية في القيم الحضارية الأمريكية. ولا يغيب عن بالنا ما نشاهده اليوم من انتشار القيم الأمريكية في أعقاب الغزو الثقافي الذي تبثه وسائل الإعلام الأمريكية من سينما وتليفزيون وصحافة في ظل ثورة المعلومات المعاصرة التي تتحكم فيها أمريكا، وفي ظل الشركات الاقتصادية الكبرى ذات الجنسيات المتعددة، وهي أيضاً تتحكم فيها أمريكا. ويزداد الأمر سوءاً بعد تنفيذ اتفاقيات التجارة الحرة سواء في السلع (الجات) أو الخدمات (جاتس) أو الدواء (تربس).

١٣- وقد بلغ المد القومي العربي مداه الكبير في الخمسينات وفي ظله تحققت الوحدة بين مصر وسوريا. ولكن انتكاس هذه الوحدة وتبني مصر وبعض الدول العربية للأفكار والنظم الماركسية في الستينات باعدت بين الدول العربية وقسمتها إلى محاور متصارعة وعادت الفكرة القومية إلى قوتها في حرب أكتوبر إذ وقفت الدول العربية بجانب مصر وساندتها بكل ما تملك من رجال وعتاد ومال، بل وصل الأمر ببعضها إلى شهر سلاح البترول في وجه العالم الغربي حينما انحاز إلى إسرائيل، كما ظهر التضامن العربي إبان الحرب العراقية الإيرانية عامي ١٩٧٨ و١٩٧٩ فقد وقف العرب بجانب العراق وأمدوه بكل ما يملكون... غير أن المد القومي العربي أصيب بنكسة بعد اتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩، إذ قاطعتها الدول العربية ونقلت مقر الجامعة العربية من مصر. وبعد قرابة عشر سنوات من القطيعة عادت الأمور إلى طبيعتها وعادت الجامعة إلى مصر. ولكن حرب الخليج العراقية الكويتية أصابت المد القومي العربي بنكسة ما زلنا نعاني آثارها حتى الآن.

١٤- وبالرغم من تأرجح مسلك الدول العربية من فكرة القومية العربية والوحدة العربية، إلا أنها ظلت ملحة تفرض نفسها على الحكام العرب تلبية لرغبة الشعوب العربية التي لم تتنكر في يوم من الأيام للوحدة العربية. وآية ذلك أن كل الدساتير العربية تنص عليها وتعتبرها على رأس التطلعات القومية، وإذا كانت الوحدة العربية الفورية بعيدة المنال الآن في ظل الظروف الدولية إلا أن ذلك لا يمنع من إيجاد قدر من التنسيق والتكامل بين الدول العربية في مجال السياسة الخارجية والأنشطة الاقتصادية، ولعلنا ننجح في إحياء السوق العربية المشتركة والتضامن العربي. فالعرب مازال مصيرهم واحداً وثقافتهم واحدة وآمالهم وتطلعاتهم القومية تكاد تكون متطابقة. ولا محل للإصغاء للنغمات الناشزة التي تطفو على السطح من جانب شريحة ضئيلة العدد تطالب بالابتعاد عن الحرب

وإحياء نزعات قومية موغلة في القدم مثل الفرعونية في مصر، والبربرية أو الأمازيغية في المغرب العربي أو الفينيقية في بلاد الشام...إلخ.

ديموقراطية الحكم:

١٥- إن الصورة المثلى لنظام الحكم في أي مجتمع تقوم على مشاركة الجماهير في القرارات المصيرية وكفالة حصول كل فرد على نصيب عادل من ثروة بلاده وضمان ممارسة كل فرد لحقوقه وأداء واجباته في حدود القانون. والنظام الديموقراطي هو الذي يحقق كل ذلك، وتطبيقه تطبيقاً سليماً هو خير دافع لمشاركة المواطنين في السلطة بصورة فعالة. والتطبيق السليم يقتضي وجود أحزاب قوية تتداول السلطة فيما بينها. والنظام الديموقراطي يتشابه في كثير من الوجوه مع نظام الشورى الإسلامي. وقد أخذت مصر بالنظا
م الديموقراطي بالصورة المعروفة في البلاد الغربية منذ القرن التاسع عشر، غير أن تطبيقه تعثر في معظم فترات تاريخنا السياسي. وهو أحد المبادئ الستة التي نادت بها ثورة يوليو، غير أنه تعثر في التطبيق وانتهى به الأمر بعد التحول الاشتراكي في الستينات إلى حصر السلطة في يد أفراد معدودين كونوا مراكز القوى وانحازوا إلى الأسلوب الماركسي، فأصبحت «الشرعية الثورية» هي أساس الحكم.

١٦- ومن أبرز ثمرات حرب أكتوبر إقامة نظام للحكم يعتمد على المبدأ الديموقراطي، حيث ساد مبدأ «الشرعية الدستورية». ونظم الدستور والقوانين اللاحقة أسس نظام الحكم، فأصبحت الأمة مصدر السلطات، ونظمت الحقوق والحريات العامة، وتحددت اختصاصات مؤسسات الدولة بما يضمن عدم تركيزها في يد شخص واحد أو فئة قليلة. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل صدر قانون يسمح بقيام الأحزاب السياسية التى يبلغ عددها الآن ثلاثة عشر حزباً وبذلك انفسح المجال أمام إمكانية تداول السلطة. وخضعت كل تصرفات السلطة للرقابة القضائية وعلى رأسها رقابة المحكمة الدستورية التي أنشئت عام ١٩٧٨. كما خضعت للرقابة السياسية متمثلة في الرقابة البرلمانية ورقابة الرأي العام. ونظمت الصحافة بما يضمن حريتها واستغلالها وأصبحت سلطة شعبية مستقلة بجانب سلطات الدولة الثلاث بعد تعديل الدستور عام ١٩٨٠.

١٧- وهكذا تهيأت الظروف لفتح باب الحرية السياسية على مصراعيه، وأصبح تقدم المجتمع رهناً بإرادة المجتمع وحسن ممارسته لحقوقه والالتزام بأداء واجباته ولا يترك أموره العامة لحكامه يستبدون برأيهم دون رقيب. وهذا التطور السياسي يؤدي بالتدريج إلى ترسيخ الحرية السياسية في نسيج الشخصية المصرية.

التضامن الاجتماعي :

١٨- إن مبدأ التضامن الاجتماعي من الأصول الثابتة التي تقوم عليها حضارتنا العربية الإسلامية ونص عليه دستورنا وصدرت بتطبيقه العديد من القوانين. ولذلك يعتبر من خصائص الشخصية المصرية. ومن هنا تختلف الشخصية المصرية عن الشخصية الغربية التي تؤمن بالمنفعة الفردية والأثرة والأنانية، وعن الشخصية الماركسية التي تؤمن بالصراع الطبقي والثورة الدموية والحقد الطبقي. وبالنظر لتفاوت الناس فى ملكاتهم وقدراتهم فإن تطبيق مبدأ المساواة بين الناس من الناحية النظرية فحسب يؤدى إلى استغلال الأقوياء للضعفاء، وتطبيق المساواة الفعلية السائد فى الفكر الشيوعي

يؤدى إلى نوع من ظلم الضعفاء للأقوياء. ومبدأ التضامن الاجتماعي يتوسط بين المذهبين السابقين فهو يقر بمبدأ المساواة أمام القانون ولكنه يلزم الدولة بالتدخل لتقريب الفوارق الفعلية بين الدخول. ومن هنا ظهرت فكرة العدالة الاجتماعية وأصبحت -فى ظل الشرعية الدستورية- البديل الشرعي لوسائل التأميم والحراسة والمصادرة التي تسود فى ظل الشرعية الثورية، كما أصبحت وسيلة فعالة لتحقيق السلام الاجتماعي.

١٩- وتستهدف العدالة الاجتماعية تقريب الفوارق بين الدخول مع احترام الكسب المشروع وسبيلها إلى ذلك: وضع حد أعلى للملكية والدخل بصفة عامة، التزام العدالة الاجتماعية فى فرض الضرائب، ضمان حد أدنى للأجور، التوسع فى الخدمات العامة ذات الطابع الاجتماعي مثل التعليم المجاني، خدمات التأمين الاجتماعي والرعاية الصحية، رعاية الأسرة، توفير فرص عمل للمواطنين، دعم السلع الأساسية وبيعها بسعر يناسب محدودي الدخل، توفير الخدمات العامة بسعر مناسب، مثل النقل والمواصلات...إلخ .

٢٠- وقد قطعت ثورة يوليو شوطا بعيدا فى تحقيق العدالة الاجتماعية، ولكن يؤخذ عليها أنها طبقته بصورة قريبة من النظم الشيوعية، إذ كانت المصادرة والتأميم وملكية أدوات الإنتاج من أهم أدوات تحقيقه. وبعد حرب أكتوبر توسعت الدولة فى العدالة الاجتماعية فتضاعفت عدة مرات ميزانية الخدمات ذات الطابع الاجتماعي من تعليم وصحة وتأمينات اجتماعية، وعالجت آثار المصادرة والتأميم، وتوسعت الملكية الفردية، وأعيد النظر فى قوانين الإسكان وتأجير الأراضي الزراعية والتسعير الجبري، وبذلك توفر الحافز الفردي للناس لاستخدام مدخراتهم فى الأنشطة الاقتصادية بدلا من تبديدها فى استهلاك ترفى أو اكتنازها خوفا من مصادرتها أو تأميمها، كما استطاع الفرد الحصول على نصيب عادل من الدخل القومي.

٢١- وهكذا يصبح التضامن الاجتماعي أحد أسباب قوة الأمة ومنعتها ويجعلها بمثابة الجسد الواحد يتداعى لبعضه عند النوازل والخطوب سائر الأعضاء دون مَن أو أذى.

النشاط الاقتصادي :

٢٢- كان تنظيم النشاط الاقتصادي بصورة جديدة من أبرز ثمار حرب أكتوبر وأكثرها وضوحاً فى الشخصية المصرية بجانب التطور الذي حدث فى نظام الحكم. فقد أخذت مصر بالنظام شبه الرأسمالي فى مرحلة ما قبل ثورة يوليو، وبالاقتصاد المختلط فى مرحلة ما بعد الثورة حتى مرحلة التأميمات، وفى تلك المرحلة حققت مصر نمواً اقتصادياً مقبولاً إذ ارتفع معدل الادخار إلى أكثر من ١٤٪ وبلغ متوسط نمو الدخل القومي إلى اكثر من ٥ ٪. ومنذ مرحلة التأميمات -حيث سيطرت الدولة سيطرة كاملة على النشاط الاقتصادي وقيام القطاع العام وخنق القطاع الخاص- حتى حرب أكتوبر تدنى مستوى الادخار كما تدنى الدخل القومي بدرجة تقل عن نسبة تزايد السكان مما أدى إلى انهيار الاقتصاد المصري وتعثر تنفيذ الخطة الاقتصادية. وفى هذه المرحلة تضخم القطاع العام دون مقتضى بسبب ضم بعض المشروعات الصغيرة إليه وكذلك بعض مشروعات الخدمات، وتسللت إليه أمراض البيروقراطية الإدارية مما أعاق حركته وأدى إلى تخلفه عن ركب التقدم العلمي والتكنولوجي. وقد قام القطاع العام بدورين أساسيين: تحقيق التقدم الاقتصادي وتحقيق العدالة الاجتماعية. وقد نجح نجاحاً كبيراً فى تحقيق العدالة الاجتماعية ولكنه فشل فشلاً ذريعاً فى تحقيق التقدم الاقتصادي إذ تراكمت خسائره وانهار الاقتصاد المصري.

٢٣- وقد ساعد الاستقرار السياسي والاجتماعي والمناخ الديمقراطي الذى تحقق بنصر أكتوبر على انتهاج أسلوب جديد فى تنظيم الاقتصاد المصري وهو ما عرف بسياسة الانفتاح الاقتصادي مما أدى بالتدريج إلى الارتفاع بنسبة الادخار إلى قرابة ١٥ ٪ والارتفاع بنسبة نمو الدخل القومي إلى أكثر من ٥ ٪. وحدث ذلك نتيجة لتخفيف القيود على القطاع الخاص وتعاظم دوره فى تمويل الخطة، وتخلى القطاع العام عن المشروعات الصغيرة، وتخليص القطاع العام مما يقيد حركته من معوقات بيروقراطية، تطوير فن الإنتاج وتكنولوجيا الصناعة الحديثة والأخذ بالأساليب الحديثة فى الإدارة، مع توسيع الملكية الفردية وتمليك الأراضي المستولى عليها لصغار الفلاحين، وتطبيق ذات السياسة على العقارات المبنية المملوكة للدولة، ووضع نظام جديد للأراضي المستصلحة بتمليكها للأفراد أو بتأجيرها بعقود طويلة الأمد لشركات كبيرة.

٢٤- وكانت المرحلة الأخيرة التي بدأت فى منتصف الثمانينات حيث تم الإصلاح المالي والإصلاح النقدي بنجاح كبير، وبرأ الاقتصاد المصري من أمراضه بإنشاء قطاع الأعمال وتقليص الدور الاقتصادي للقطاع العام وبيع شركاته بالتدريج بما يعرف «بالخصخصة» وبما يؤدى إلى توسيع قاعدة الملكية الفردية، ومضاعفة دور القطاع الخاص فى تمويل الخطة بأسلوب جديد يقوم على توجيه رأس المال الخاص نحو مشروعات التنمية الداخلة فى الخطة عن طريق السياسة النقدية والسياسة السعرية والسياسة الضريبية.

٢٥- وبالإضافة إلى ذلك اقر الدستور بضمان الملكية الخاصة فمنع تأميمها أو مصادرتها أو فرض الحراسة عليها إلا فى حدود القانون وتحقيقا للصالح العام. وهذا الأسلوب الجديد أدى إلى نجاح الاقتصاد المصري فى تجاوز محنته بشهادة صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وكل الهيئات الدولية الاقتصادية، إذ ارتفعت نسبة الاستثمارات ونسبة الادخار وزاد الدخل القومي بمعدلات عالية تزيد على ٦ ٪.

٢٦- وهذا التطور أدى إلى القضاء على التواكل والانفلات والتسيب والاعتماد على الدولة فى كل شئ، وهى صفات لم يعرفها الشعب المصري إلا منذ الستينات. ويجب أن ننبه إلى أن انطلاق القطاع الخاص لا يعنى بحال من الأحوال تخلى الدولة عن دورها الاجتماعي ولا عن توجيه القطاع الخاص ولكنه يظل قائما بأساليب جديدة، سبق أن أوضحناها، لا تقضى على المبادرات الفردية ولا تترك لها الحبل على الغارب. فقد ولى وانقضى عهد «الدولة الحارسة»، وسقط عهد «الدولة الشمولية» بسقوط حائط برلين، ولا تقبل الشعوب المتحضرة نظام «الدولة البوليسية» ولم يعد مقبولا من الشعوب سوى نظام «الدولة الراشدة» توجه وترشد وتتدخل بقدر لتحقيق الصالح العام والسلام الاجتماعي.

■ تعقيب :

السيدة الوزيرة ميرفت تلاوى

وزيرة التأمينات والشئون الاجتماعية

على جزئية في ورقة الدكتور صوفي أبو طالب جاءت بأن هناك فترة معينة تراجع فيها المد أو الوجود الإسلامي فى مصر ويسمح لي ويغفر لي أن اعترض على هذا ، فمصر دولة دينية فى المقام الأول وكانت دائما حامية للإسلام وحامية لفلسفة الإسلام وتواجد الأزهر منذ اكثر من ألف عام وأشاع المد الإسلامي فى ربوع المعمورة، كذلك مصر دعمت الدين المسيحي بحيث أصبحت الكنيسة القبطية رئيسة كنائس الشرق الأرثوذكسية، وعليه فإنني أرى أنني لا أستطيع، وقد يتفق معي الدكتور صوفي أبو طالب أنني أكثر تديناً أو هو أكثر تديناً من أبويه لا أستطيع أن أقول ذلك، إن التمسك أو ظهور الإسلام أو تمسكنا به من بعد أكتوبر لا ادعى إنني اكثر إيمانا بديني عن والدي. القوانين والتشريعات المصرية منذ القديم الدين والسنة والشريعة الإسلامية مصدراً لوضع هذه القوانين ...

الورقة الثانية :

تغيرات فى معالم الشخصية المصرية

أ.د. على السمان

رئيس لجنة الأزهر لحوار الأديان

المقدمة:

١- تمر الشعوب عامة بأحداث ومحن وهزائم وانتصارات تغير من سلوك أفرادها . ففي فرنسا وهى إمبراطورية تمتد إلى حدود الصين وأعماق إفريقيا انهارت جيوشها بين يوم وليلة أمام ألمانيا في أوائل يونيو ١٩٤٠ ... ثم وقفت على أقدامها بعد أربعة أعوام لتساهم مع الحلفاء فى مقاومة العدو وهزيمته فى معركة تحرير «إقليم النورماندى» في يونيو١٩٤٤ ثم منطقة «الإلزاس».

٢- وكانت مصر أحسن حظاً منها لأن فرنسا بعد هزيمتها حكمها العدو حكماً شبه مباشر حينما فرض عليها المارشال «بيتان» حاكما لها ، وكنا أيضا أحسن حظا لأن تحرير أراضى فرنسا لم يكن شرف القيام به مثلنا لأبنائها فقط بل قاسمها فيه الحلفاء جميعا من أمريكان وإنجليز... ومازال هذا الواقع يترك بصماته وعلاماته وجروحه على الشخصية الفرنسية حتى يومنا هذا.

٣- أما أمريكا العظمى فقد انهار كبرياؤها بعد الغارات اليابانية المفاجئة على ميناء «بيرل هاربور» عاصمة البحرية الأمريكية في ١٩٤١ ،وأن تفقد بين يوم وليلة حوالي ثلث سلاحها البحري، ولم تهزم اليابان إلا بعد أربعة أعوام بعد إلقاء القنبلة الذرية على «ناجازاكى» في أغسطس١٩٤٥ . وانهارت روسيا رغم وجود حاكمها القوي ستالين أمام قوات النازي ولم تستعد قوتها قبل أربعة أعوام .

٤- ولكن المثل الذي يقترب منا كان إنجلترا التي استمرت الغارات تدك «لندن» منذ ١٩٤٠ حتى١٩٤٤ وصهرت شخصية وروح المقاومة داخل المخابئ تحت الأرض لمواطني إنجلترا... كما صهرت وصقلت شخصية شباب مصر فى المخابئ العسكرية على طول القنال وهى تتلقى قنابل العدو أثناء حرب الاستنزاف من هزيمة يونيو ١٩٦٧ حتى انتصار أكتوبر ١٩٧٣.

٥- إذا كنت قد أضفت كعنوان لكلمتي تغيرات فى معالم الشخصية المصرية قبل حرب أكتوبر لأنني من الذين يربطون ربطا عضويا بين حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر فى إعداد الشخصية المصرية لعقلية رفض الأمر الواقع للهزيمة.

٦- حينما نقول قبل حرب أكتوبر فإن الشخصية المصرية أعدت نفسها وأعد لها منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ ... والحمد لله أن العقل المصري تقبل كلمة هزيمة بكل معنى الكلمة بدلاً من التعبير الإعلامي الذى تكلم

عن النكسة فقط. لولا الاعتراف بكلمة هزيمة لما تكلمنا شعبا وقيادة عن ضرورة التغيير الجذري فى سلوك الإنسان المصري.

٧- الإحساس بالهزيمة بمعنى الكلمة هي التي ولدت لدى هذا الشعب إرادة رفض الأمر الواقع. ان العدو يملك كل شئ للسيطرة على مقدراتنا، وأننا لا نملك أى شيء إلا الخنوع أمام طموحات العدو.

٨- بعد صدمة الهزيمة وهول المفاجأة وانهيار الأحلام لم يمر اكثر من عام حتى اكتشف الشعب المنهزم وقيادته إرادة المقاومة لاحتلال العدو لأرض هي قدس الأقداس.

تغيرات فى معالم الشخصية المصرية قبل حرب أكتوبر

٩- بعد الهزيمة ونظرة الإنسان المصري إلى نفسه أمام مرآة هزيمة لا يستحقها -لأنه لم يشارك على أى مستوى من المستويات فى القرارات المؤثرة التي أدت للهزيمة- تولدت عدة ردود أفعال:

أ-الرغبة فى المشاركة فى المسئولية والتعبير عن الرأي، البعض من الشباب على طريقته التي يفرضها سنه يعبر عن رأيه مثلا بأن ينفجر غضبه ممثلاً فى مظاهرات تطالب بمحاكمة المسئولين عن الهزيمة.

ولكن الإنسان المصري منذ خمسة آلاف عام وهو يبني... وعلى ذلك ذهب نفس هؤلاء إلى الخدمة العسكرية... إلى خنادق القتال إلى مدة لا يعرفون نهايتها إلا بعد تحرير الأرض، وقبل الشباب المسئولية والمشاركة وأن ينصهر داخل هذه الخنادق، المتعلم وغير المتعلم وأن يتعلموا سوياً وهم يتلقون قنابل العدو التي لا ترحم -أن حب الوطن ليس صيحة غضب فقط وليس أغنية ولكنه تدريب وتخطيط ومعاناة وصبر.

ب-تميزت الشخصية المصرية بعد الهزيمة بالعطش غير العادي للجدية والحقيقة:

والترجمة العملية لهذه الكلمة هي كما يقول أخي وصديقي المستشار «فتحي نجيب»: رفض الإنسان المصري بعد هزيمة ٦٧ أسلوب الشطارة وهو ما يسميه أولاد البلد «أسلوب الفهلوة».

وبأسلوب الجدية ورفض الشطارة بحثت الشخصية المصرية -والكلام مازال للمستشار فتحي نجيب- عن إعادة تقييم العدو بإيجابياته وسلبياته بحثا عن الحجم الحقيقي للعدو.. لأن الإعلام المرئي والمكتوب أعطى صورة هزلية للعدو أمام قواتنا (قبل٦٧) التى قالوا عنها أنها أكبر قوة ضاربة فى الشرق الأوسط قبل المفاجأة والصدمة فى ٥ يونيو.

ومن خلال التقديم الموضوعي لحجم العدو، فهم الإنسان المصري أن المعركة ستكون شرسة وطويلة، فقبل التحدي وساهم بعطائه فى دفع ثمن المعركة.

معالم الشخصية المصرية أثناء حرب أكتوبر:

١٠- كان من الطبيعي بعد هزيمة يونيو ٦٧ ان يزيد حجم الإيمانية لدى الإنسان المصري وان يستعين بالله المقتدر الجبار فى أن يساعده فى الرد على محاولات إلغاء وجود مصر ودورها فى المنطقة، ولكن الإنسان المصري لم يأخذ الاستعانة بالله كحجة للتواكل بل مزجها مزجاً عبقرياً مع إرادة العمل والعطاء والتفاني وان تتفجر أرض مصر ليخرج من بطنها أبناء قادرين على إعادة تنظيم البيت والتخطيط للتصدي للعدو.

١١- قدرة الإنسان المصري والقيادة المصرية على أن تتخيل مشروعا قويا لحرب تحرير الأرض كان عبقريا فى أسلوبه ودخل ضمن خداع العدو. وحينما جاءت بشائر النصر عادت الثقة إلى الإنسان المصري فى قدرته على التخيل والإبداع.

١٢- وعاشت الشخصية المصرية أثناء حرب أكتوبر لأول مرة تجربة عمل الجماعة Team Work بين الذين يواجهون التحدي العسكري لكسر حائط الخوف والذين يواجهون التحدي السياسي لاستعادة ثقة الشعب فى قياداته والتحدي الاقتصادي لتواجه معركة باقتصاد تحت الصفر.

١٣- والتحدي الاجتماعي ليشعر كل الشعب أن المعركة معركته وان الإنسان العادي وصاحب الوساطة

والنفوذ سويا على الجبهة، والمسلم والمسيحي تجتمع دماؤهما على أرض سيناء.. وأن القادة مع قاعدة المقاتلين جنبا إلى جنب فى معركة المصير.

معالم الشخصية المصرية بعد حرب أكتوبر:

١٤- بعد النصر فى أكتوبر تحرر جزء من الأرض بقوة السلاح وصمود المقاتلين.. فرد إلى الجيش المصري كرامته.

أ-سجل العالم أن الشخصية المصرية وهى تلتحم بالعدو أثناء المعركة وتدمر وتسيطر على جزء من قواعده لم تنتقم من الأسرى الإسرائيليين الذين وقعوا فى أيدي القوات المصرية ولم يعملوا مثل ما عمل فى تاريخ الحروب فى العالم فيقتلوا الجنود وهم معتقلين ويشوهوا أجسادهم .. لأن المحارب المصري الذى نبت على أرض الإسلام والأديان السماوية يعرف الرحمة ، كما أن المحارب الذى علم وتعلم فنون الحرب خلال قرون قاد حرب أكتوبر بشرف وإيمانية الجندي المثالي.

ب-بعد المعركة العسكرية وتحرير جزء هام من الأرض دخلت الشخصية المصرية فى تحدٍ سمى بمعركة السلام والمعركة الدبلوماسية التي بدأت بزيارة القدس وباتفاقية كامب ديفيد.

هذه المعارك الصعبة جدا مثل صعوبة مشروع الحرب خاضها الإنسان المصري بشخصية جديدة تشعر بالاطمئنان .أن جيش وأبناء مصر استردوا كرامتهم بالعبور وتحطيم خط بارليف.. وشعروا بالثقة فى النفس وانهم على مستوى المسئولية والقدرة على مواجهة العدو الذى اعتقدنا جميعا أنه لا يقهر.

وسجلت الشخصية المصرية لأول مرة فى تاريخ تحرير الأراضي المحتلة أنه يمكن بجهود السلام والعقل الذكي الخلاق للدبلوماسية أن تتحرر بقية الأرض حتى آخر شبر من أراضيها دون طلقة واحدة.

وبذلك جمعت الشخصية المصرية بين جسارة المحارب ليتحقق جزء هام من الهدف وعقل وذكاء وعبقرية من خاضوا معركة السلام والدبلوماسية لتحرير بقية الأرض. لقاء تاريخي بين العقل العسكري والمدني فى هدف قومي واحد.

ج-كان من الطبيعي أن تتجه عقلية الشخصية المصرية بعد انتصار أكتوبر إلى طموح مجتمع جديد يطلب مزيداً من الحرية والديموقراطية والتنمية .. وكعادة الإنسان المصري لكي تتحقق هذه الأهداف كان لابد أن يتقدم خطوة خطوة وأن يصلح أخطاء كل خطوة فى الخطوة التالية.

الخلاصة:

١٥- من خلال هذه الكلمة أتوجه إلى كل من له مهمة كتابة تاريخ مصر أن يعلموا بعض الحقائق البسيطة:

أ-أن تاريخ مصر كل لا يتجزأ ولا يمكن أن تلغى مرحلة المراحل السابقة لها.

ب-أننا لسنا فى احتياج حين نريد أن نمجد مرحلة بأعمالها وقياداتها أن نحطم كل قيمة فى المرحلة السابقة أو اللاحقة.

ج-جاء الوقت ليكون لنا النضج لنقول لكل مرحلة ظروفها ومحيطها ورجالها وأن نطمئن إلى أن مصر تستطيع دائما فى كل مرحلة أن تخرج من بطنها من هم قادرون على التأقلم على الظروف المحيطة بها.

١٦- ونصيحة أخيرة فى مجال العمل الوطني أن نتردد مائة مرة قبل أن يشكك بعض الأطراف فى وطنية الأطراف الأخرى.

دعوة إلى الاعتدال والموضوعية فى تقييم مصر وتاريخها ورجالها.

■ تعقيب :

أ.د.ميلاد حنا

عضو المجلس الأعلى للثقافة

السيدة الوزيرة رئيسة الجلسة -هذا الحفل الكريم العظيم- أعضاء هذه الندوة الاستراتيجية الهامة التي أرى أنها ستضع إن شاء الله من مجمل ما يقال ومن مناقشات حصيلة تقدم رؤية مستقبلية ذلك إننا نتدارس الماضي ليس لكي نقف عنده وإنما هو سبيلنا للعبور إلى المستقبل فى هذا الإطار تحدث الدكتور صوفي أبو طالب عن الشخصية المصرية وعن اثر أكتوبر على الشخصية المصرية وحقيقة الأمر هي أن الشخصية المصرية كانت وستظل إلى الأبد محل دراسة وتجديد واجتهاد.

ذلك لأنها شخصية ثرية غنية ويأتي هذا الثراء من كونها متأثرة كشخصية بالزمان والمكان فعبر الزمان تكونت لدى المصري رقائق من الحضارات الأربع يندر أن تتوافر لشعب آخر وهذه الرقائق الأربع هى:

١- الحقبة الفرعونية وهى حقبة ضخمة وكبيرة.

٢- يليها حقبة رقيقة صغيرة هي الحقبة اليونانية الرومانية والتي كان لها أثرها على التركيبة المصرية حتى الآن ويظهر ذلك فى الإسكندرية.

٣- الرقيقة القبطية المسيحية أي المصرية وهى متواجدة فى مصر ولها فعاليتها الثقافية.

٤- ثم الرقيقة الإسلامية وهى تشتمل أيضا على رقائق مختلفة.

هذا من الناحية التاريخية أما من ناحية المكان ومن ناحية الجغرافيا فمصر قلب الأمة العربية، وأنا أشبه العالم العربي بأنه مثل الخيمة وان مصر هي العمود الذي يحمل هذه الخيمة.

والذي حدث تاريخيا إن هذه الخيمة دون هذا العامود قد صارت كيانا هشا كما وأن هذا العمود دون هذه الخيمة يصبح فى مهب الريح ومن هنا كانت أهمية الانتماء العربي لمصر.

ثم هناك جغرافياً وحضارياً وثقافياً انتماء مصر إلى حضارة حوض البحر الأبيض المتوسط Medi- terranean Sea وهو أمر اهتم به كثيرون عبر التاريخ القديم و الحديث وفى الحقبة التاريخية الحديثة تغنى به الخديوي إسماعيل وهو موضع تفكير من العديد من المثقفين والمفكرين ورموز مصر المختلفة.

وأخيرا هناك العمود الأفريقي وأراه عموداً هاماً ذلك لأنني أرى مستقبل مصر سيكون بالضرورة مرتبطاً بأفريقيا في قضايا التنمية والأمن وفى هذا الإطار واستطرادا لما قاله أخي العزيز الأكبر د/ صوفي أبو طالب أقول بان ثورة ١٩ قد أكدت مفاهيم الوحدة الوطنية فى مصر وطرحت شعارات الدين لله والوطن للجميع وعاش الهلال مع الصليب وشاءت الأقدار انه فى يوم العبور العظيم فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ أن عبر جند مصر كلهم يهتفون الله اكبر.

ثم شاء العلي القدير أن يكون من أوائل الذين رفعوا علم مصر على الضفة الشرقية هو العميد/ فؤاد عزيز غالى والذي صار فيما بعد فريقاً والذي فيما اعتقد كان يتحدث من هذه المنصة أمس.

ومن هنا فإنني أقول تحية لفؤاد عزيز غالى بان هذا اليوم كان مالكا لفؤادي وصار أيضا يوما عزيزا وغاليا على كل أهل مصر.

ولذا فإذا كانت ثورة ١٩١٩ قد وضعت الأسس للوحدة الوطنية فقد جاءت حرب أكتوبر لكي تمزج الدماء المصرية على التراب المصري فى حرب التحرير العظيمة.

ونأمل أن تكون آخر الحروب وهذا أيضا أمر يحتاج إلى تخطيط وسنناقشه فى اللجان المختلفة فى هذا المساء لأنه إذا كنا قد خططنا للحرب تخطيطا رائعا من اجل العبور فى يوم ٦ أكتوبر فإذا رغبنا فى أن نكسب أيضا معركة السلام فإننا نحتاج إلى أن نخطط وندرس، فلا عملاً إيجابياً دون تخطيط علمي.

دعني إذن وفى تلغرافات بسيطة أعقب على ما استمعنا إليه فى المحور الاجتماعي أمس ولكي يكون موضع نظر هذه الندوة الاستراتيجية العظيمة ذلك لأننا بالأمس وفى إطار المحور الاجتماعي تحدثنا عن اثر حرب أكتوبر . كانت البداية لمرحلة تاريخية طويلة سرنا خلالها ٢٥ عاما وتم فيها ما تم وكان الانفتاح الاقتصادي ثم كان التغيير فى الفلسفة الاقتصادية وغير ذلك من أمور فى هذا الإطار وكان هناك بالأمس فى الحديث عن تزايد الفجوة بين الأثرياء والفقراء.

كما كان هناك حديث بالأمس عن أن هناك خطراً فى بنية الهرم الاجتماعي فى مصر وهو ضمور دور الطبقة الوسطى ، فى هذا الإطار دعني اقترح كمثقف مصري أننا فى جميع العالم نرى أن هناك أنواعاً من الضرائب أنا اعلم أن الحديث عن الضرائب غير محبوب ولكن فى مثل هذه الندوات لابد لنا أن نتحدث بصراحة وأنا لست مسئولا فى الوزارة أو الحكومة ولكنني أتحدث كمفكر مصري.

يوجد فى أمريكا ضريبة تسمى Capital gain tax أي أنها ضريبة على زيادة رأس المال وأنا أرى الآن أن ربنا فتح على الأغنياء وربنا يزيدهم أكثر فأكثر ولكنى أرى أيضا أن هناك ثروات رهيبة تتكون من خلال المضاربة فى الأراضي من خلال بيع وشراء العمارات والشقق السكنية ومن ثم تكونت ثروات ومكاسب خرافية نحن لسنا أغنى من أمريكا ونحن لسنا أغنى رأسمالية من أمريكا وأمريكا تضع قيودا واضحة على ما يسمى الزيادة فى رأس المال.

فإذا كنت قد اشتريت أرضا بمليون جنيه وفى خلال أربع أو خمس سنوات قد صار ثمنها ١٠ ملايين جنيه ينبغي أن الفارق بين المليون والعشرة يكون خاضعا لضريبة قد تكون ١٠ ٪أو ٢٠٪ أيا ما يكون الأمر.

فى هذا الإطار، هذه الضريبة مشروعة وأنا أرى أنها معقولة وأنه ينبغي على من يحصل على ثروات كبيرة هابطة عليه دون تعب كبير أن يساهم فى بناء هذا الوطن.

فى هذا الإطار فإنني أرى أن هذا الأمر هو حصيلة هذه الضريبة هناك تفاصيل كثيرة جدا فيما يسمى Short term &Long term.

هناك بعض الناس يدخلون البورصة ويكسبون فى اليوم الواحد نقودا كثيرة كما تخسر أيضا الكثير فى يوم آخر، ولكن هذه المكاسب الكبيرة دون جهد ينبغي أن نضع جانبا من هذا الثراء الهابط فى خزانة الدولة لكي يقدم مزيدا من الخدمات ولكي ترفع مستوى المعيشة لأنني لا أكاد أنام لكي أتصور أسرة مكونة من فردين أو ثلاثة أو أربعة ودخلهم فى حدود ٢٠٠ أو ٣٠٠ أو ٤٠٠ جنيه فى الشهر ولديهم سكن بإيجار قديم كيف يعيشون وكيف يوزعون هذا الدخل على جوانب الحياة المختلفة ولهذا السبب أرى أن رفع الحد الأدنى للأجور بما لا يتعارض مع وجود تضخم فى مصر، قضية جديدة فى إطار المحور الاجتماعي جديرة بالتفكير.

وتوجد الآن ضريبة معترف بها فى مصر وتسمى ضريبة المبيعات وموجودة فى كل أنحاء العالم وأنا أرى أن الأمر يدعو إلى النظر فى تغيير فئة هذه الضريبة لكي لا تكون موحدة على كل مصر، ومن وجهة نظري أرى أن هذه الضريبة ينبغي أن تكون فى القاهرة والجيزة ١٨ ٪، وارى أيضا أن ترفع أسعار البترول فى القاهرة والجيزة فقط لكي تقلل من حركة المرور، وان كل مواطن عندما يدرك أن مشواره سيكلفه نقودا كثيرة تقل الحركة بعض الشيء.

وأنا اعلم أنني سأهاجم بسبب هذا الموضوع بشدة فى الجرائد غداً ولكنني عودت نفسي أن أبوح بما فى صدري ورزقي على الله.

وان تكون الضريبة ١٦ ٪ فى الإسكندرية و١٤ ٪ فى بورسعيد والمنصورة وطنطا وأسيوط و١٢ ٪ فى كل بنادر وعواصم المحافظات و١٠ ٪ فى كافة مدن مصر و٥ ٪ فى الريف المصري وأن تلغى الضريبة تماما فى المحافظات الفقيرة مثل محافظات الصعيد وبعض المحافظات الطاردة لأهلها إلى القاهرة.

ولأننا فى إطار المحور الاجتماعي دعني أقول أن بعد حرب أكتوبر، كما تفضل الأخ العزيز صوفي أبو طالب وتحدث عن الديمقراطية وكان الرئيس السادات شجاعا وجعل موضوع المنابر ثم الأحزاب السياسية وأرى أن دور الأحزاب السياسية فى مصر اصبح هامشيا وضامرا وكذلك دور النقابات المهنية وغيرها وفى هذا الإطار أرى أن البديل للمشاركة الشعبية المنطقية هو زيادة وتنشيط حجم الجمعيات الأهلية لأنه من غير الممكن أن الحكومة ستتحمل كل الأعباء لخدمة الشعب المصري، هذا أمر غير ممكن ولكن دعنا ندعو الشعب المصري إلى أن يقوم ويشارك من خلال الجمعيات الأهلية والعمل التطوعي ويساهم فى حل مشاكله.

وعلى سبيل المثال أنا أرى وكما ذكرت بالأمس أن وزارة الشئون الاجتماعية تتحول لكي تكون وزارة

الأمن الاجتماعي Social Security حيث أنها تهتم بقضايا مثل الإسكان العشوائي وصيانة المباني، التنمية الريفية، قضايا المرأة وأنا أتصور أن قضايا المرأة فى حاجة إلى وزارة ولكن ربما أن يكون هذا الأمر مبكراً قليلا ولكن ينبغي أن يكون فى وزارة الشئون الإجتماعية وكالة وزارة خاصة بشئون المرأة والطفل.

فى هذا الإطار أرى أن نظام الوقف القديم كان نظاماً رائعاً وجميلاً وجيداً وينبغي أن نثيره ونفتح الشهية له لأغراض ثقافية ولأغراض اجتماعية ولتنمية التعليم ولتنمية القضايا الاجتماعية

وهناك العديد من المشاكل الاجتماعية وعلى سبيل المثال:

ارتفاع سن الزواج، انتشار الزواج العرفي، تعدد الزواج، زيادة حالات الاغتصاب، قضايا البطالة والإسكان...الخ.

وأنا أرى أنها كلها فى حاجة إلى منظومة من القيم الجديدة ووزارة الشئون أو وزارة الأمن الاجتماعي قادرة على أن تحلها.

وأقول أن هذه الندوة العظيمة لا تدرس فقط قضية أكتوبر وما أثرته في الشخصية المصرية وما دفعته من التفاؤل بدلا من التشاؤم وانتهى الإحباط ولكنا أيضا نتطلع إلى جملة أفكار جديدة من هذه الندوة التي أتمنى أن تعقد كل سنتين أو ثلاث أو اكثر حتى نتابع ماذا يجرى لأننا نتطلع إلى مجتمع جديد بنصر أكتوبر يحل مشاكل بسطاء الناس ويجعل مصر فى مصاف الدول المتوسطة التي تسير على طريق التنمية وهى جديرة فى إطار تراثها بان تحتل مركزا أعلى من ذلك بين دول العالم.

الورقة الثالثة :

مصـــر وصمـــودها بعـــــــــد ١٩٦٧

أ.د. أحمــد هيــكل

وزير الثقافة الأسبق

قد يختلف المحللون والمؤرخون حول أسباب نكسة يونيو ٦٧ كما قد يختلفون حول من تقع عليه مسئولية هذه النكسة، وهل هو صاحب القرار السياسي أم صاحب القرار العسكري.. كذلك قد يختلفون حول دور الاتحاد السوفيتي، وهل أخلص قواده لنا حينذاك أم تآمروا علينا، أم - فى أقل تقدير -قصروا فى حقنا.. كل هذه أمور قد اختلف فى شأنها المؤرخون والمحللون، وما زالوا فى أمرها يختلفون..

ولكن الذى لا خلاف عليه أمران، الأمر الأول أن النكسة كانت أليمة وموجعة وشديدة القسوة. بل كانت -في رأيي- من الكوارث القومية التي أصابت مصر -جيشاً ونظاماً وشعباً- بصدمة مروعة أشبه بزلزال رهيب مفاجئ، داهم بلداً وثق من ثبات كيانه وصلابة بنيانه، واطمئن إلى أنه محصن ضد الكوارث ومن كل المخاطر، ولكنه فجأةً وجد أن كل ما اطمأن إليه كان وهماً، وأن كل ما وثق منه كان حلماً، وأن الحقيقة المرة أنه أصبح يواجه نكبةً لم يتوقعها، ومحنةً لم يحسب حساباً لها.. والأمر الثاني الذى لا خلاف عليه فى شأن هذه النكسة، هو أنه بقدر ما كان حجم الصدمة رهيباً، كان صمود مصر أمامها عجيباً، بل إن هذا الصمود وما تبعه من نهوض كان من الأمور التي تدخل فى إطار المعجزات..

وذلك أن النكسة التي حدثت قد كسرت جيشاً كبيراً، عرف جنوده بالمواقف البطولية، كما عرف قواده بالبسالة وبالروح الوطنية.. كما أن تلك النكسة قد زعزعت نظاماً ثورياً، قدم الكثير من الإيجابيات لشعبه، وحقق العديد من الإنجازات لأمته.. وأخيراً صدمت تلك النكسة شعباً طيباً، وثق بنظامه وجيشه، وعلق عليهما الآمال الكبار فى أمن الوطن وتحقيق أحلامه الكبرى بقهر العدو المعتدي، وكسر شوكة الخصم المتغطرس الباغي.. وكان من شأن كسر الجيش القوي -لو لم يكن جيش مصر- أن يظل على انكساره، فلا تقوم له قائمة بعد التشرذم والشتات، وفقد الكثير من الرجال والأسلحة والمعدات.. كما كان من شأن زلزلة النظام الثوري -لو لم يكن الأمر يتعلق بمصر- أن يتصدع هذا النظام بسبب ما أصابه، بل أن يتهاوى من جراء ما لحق به.. كذلك كان من شأن صدمة الشعب -لو لم يكن شعب مصر- الذى أعطى ثقته لنظامه كما علق الآمال على جيشه؛ أن ينفض من حول النظام، وأن يسحب ثقته من الجيش. وتكون النتيجة تهاوياً لكل شئ، بل تردياً لكل شئ، وأقل مظاهر تلك النتيجة هزيمة شاملة،

تأتي على كل مكاسب البلاد، وتحطم حاضرها وتشيع الظلام فى مستقبلها، وقد يصل الأمر إلى تخلف مؤلم، تحتاج معه مصر إلى سنوات لكي تنهض من جديد كما بدأت منذ أوائل القرن وتظل تكافح -إن استطاعت- حتى يكون لها مرةً أخرى جيش قوي، ونظام سوي وشعب ناهض..

أجل، لو لم يكن الأمر يتصل بمصر، لكان مختلفاً تمام الاختلاف، ولكانت نكسة يونيو ضربة قاضية لا يمكن النهوض منها إلا بعد سنوات طوال، إن صح أن النهوض من مثل هذه الضربة ممكن أصلاً..

ولكن العجيبة التى تدخل نظام الخوارق، أن مصر -رغم فداحة النكسة- قد صمدت أمام ما حدث، وسرعان ما قامت تنفض الغبار عن جبهتها الشامخة، وتجفف الدموع من عيونها المتطلعة، وراحت ترمم ما تصدع، وتصلح ما تحطم، وتعيد بناء ما تهدم.. وقامت تفعل ذلك بقوة خارقة وعزيمة جبارة وسرعة سبقت كل المقاييس.. واتخذت مصر ما حدث عبرة، واستنبطت مما كان درساً تعبر منه إلى ما ينبغي أن يكون..

أما الجيش ما جمعت شتاته وأعادت تسليحه وتدريبه، بل وكلفته بمهام جديدة عسيرة، لكي ترد إليه ثقته بنفسه، ولكي تمهد بانتصاره فى تلك المهام الجزئية، لانتصاره الحاسم فى مهمته المرتقبة الكلية، التي يتحقق بها ما تنتظره البلاد من انتصار يقضي على عقدة الانكسار، ويرد إلى مصر حقوقها السليبة، ويعيد رفع أعلامها على سيناء الغالية الحبيبة.. وكان من نماذج تلك المهام التي أثبت فيها الجيش جدارته وحقق بداية نصره، ما حدث من صموده وبسالته فى معركة «رأس العش» ثم ما حدث من ضربه للمدمرة الإسرائيلية «إيلات» بصاروخٍ من زورقٍ مصري فى مياه بورسعيد، ثم ما تم من أعمال بطولية قامت بها القوات الخاصة وراء خطوط العدو فى سيناء، وأخيراً ما كان من عمليات مجيدة فى مرحلة حرب الاستنزاف، التي أرقت العدو من جانب، وشحذت الروح المعنوية وأعلنت القدرات القتالية لجيش مصر الناهض من جانب آخر.. وقد توجت تلك الجهود المتعلقة بالجيش المصري، بهذا الاستعداد العلمي الدقيق للمعركة الفاصلة، حيث دربت قوات مصر المسلحة على أحدث أساليب القتال، وخاصةَ ما يتعلق بالقتال المرتقب الذى له طبيعة خاصة، وتكتنفه عوائق وموانع رهيبة، واحتياجه إلى عبور أوسع مانع مائي وأعلى ساتر ترابي وأشد حصن حربي، ثم توقعه لخوض معارك ضارية فى سيناء يستعد لها العدو بقوات كثيفة وأسلحة متطورة وخبرات عالية ومساندة غربية باغية ومنقطعة النظير..

أجل، كان مما يشبه الخوارق أن يتم إعداد الجيش المصري وتأهيله لخوض معركته الرائعة فى أكتوبر المجيد فى مدة قياسية، هي بضع سنوات لا تزيد كثيراً على عدد أصابع اليد الواحدة. وهذا إنجاز غير مسبوق، يذكر لمصر العظيمة وصمودها المذهل، الذى حولته من صبر جميل إلى نهوض أجمل، ثم إلى انتصار استردت به الحق السليب وأعادت الأرض المغتصبة وداوت الجراح النازفة وأعادت الشموخ إلى جبهتها الباذخة..

وأما النظام الذى زلزلته النكسة، فقد احتوى الصدمة وأسرع إلى إعادة تنظيمه، وإصلاح أخطائه وتصحيح مسيرته؛ فنحى ما ثبت إخفاقه وضم من له القدرة على إعادة البناء وتصحيح الأخطاء، بل وصل الأمر بالنظام إلى إدانة من مسهم الاتهام حتى من الأصدقاء والخلصاء، وقدم إلى المحاكمة من وصلت أخطاؤه إلى حد التجاوز الذى لا يمكن السكوت عليه أو الجرم الذى لا يمكن التسامح فيه.. وهكذا طهر النظام نفسه، وأصلح خلله، وأعد عدته للمعركة الفاصلة، حتى يخوضها قوي الأركان سليم البنيان، جديراً بأن يحقق الأمل ويعوض ما سبق من فشل..

وكان من أعظم ما حققه النظام من إنجاز بعد نكسة ٦٧ العمل على حشد القوى العربية والإفريقية؛ لتكون سنداً فى المعركة المرتقبة؛ ثم توظيف كل الإمكانيات التي لدى هذه القوى، لتمثل عوامل فاعلة

حين تكون الساعة الفاصلة.. وهكذا عاد التواصل بين مصر وأمتها العربية، وتضاعف التعاون بينها وبين شقيقاتها الأفريقية، بل تجاوز الأمر ذلك إلى توثيق الروابط بين مصر وكثير من الدول الآسيوية والأوروبية ودول أمريكا اللاتينية؛ كل ذلك لكي تكون هذه الدول ظهيراً لمصر في معركتها التي تعد نفسها لخوضها، والتي تحشد من أجلها كل الإمكانيات وشتى الوسائل والأدوات..

وأما الشعب الطيب الذي صدمته النكسة، فإنه - رغم الحزن العميق والمرارة التي ملأت الحلوق -ما لبث أن آزر نظامه، وأرجع النكسة إلى ما كان من تآمر القوى الاستعمارية المؤازرة للعدو الباغي.. ومن هنا رفض الشعب تنحي زعيمه وأصر على بقائه في موقعه ليواصل المسيرة ويحقق النصر. واعتبر الشعب ما كان خسارة معركة لا هزيمة حرب، أو عثرة عابرة، لا نهايةً قد انتهى معها كل شئ وتحطم كل أمل..

كذلك تعاطف الشعب مع جيشه، وعذره فيما كان، وأرجع ما حدث للجيش في يونيو ١٩٦٧، إلى خلل في بعض القيادات، لا إلى ضعف أو خذلان في القوات، كل ذلك علاوة على ما حدث من تآمر القوى المساندة للعدو، ومن تقصير من القوة التي كان الشعب يعلق على مساندتها لمصر آمالاً أكبر، وهي الاتحاد السوفيتي، الذي كانت أفعاله غير مطابقة لوعوده وأقواله..

لهذا كله وقف الشعب إلى جانب جيشه الذي يعاد بناؤه ويتم إعداده على أعلى مستوى، ليخوض معركته القادمة المحوطة بآمال النصر.. من أجل هذا رضي الشعب بالتقشف، لكي يوفر لجيشه كل ما يحتاج إليه من سلاح وعتاد، وتقبل -عن طيب خاطر- شعار «لا صوت يعلو على صوت المعركة»، وصبر وتحمل الكثير، وهو ينتظر اليوم الذي يرد إليه جيشه كرامته ويعلي فيه من جديد على سيناء رايته..

وقد أثمر كل ذلك في إعادة الروح إلى الجيش العظيم، وملأه تشوقاً إلى المعركة الفاصلة، وتلهفاً إلى النصر المبين. فحسن الإعداد الذي أولته الحكومة للجيش من جانب، ومؤازرة الشعب لهذا الجيش من جانب آخر؛ ثم الإحساس من جانب الجيش بالمسئولية، وحماسته الشديدة لإثبات جدارته وتحقيق براءته والأخذ بثأر أمته؛ كل ذلك جعل الجيش على أعلى مستوى من الروح المعنوية والقدرة القتالية والاستعدادات العسكرية، والانتظار على أحر من الجمر ليوم يتحقق فيه النصر..

وقد عايشت ذلك بنفسي، حين دعتني إدارة الشئون المعنوية بالقوات المسلحة إلى حضور ندوة فكرية في معسكر الجلاء بالإسماعيلية -قبل حرب أكتوبر بشهور قليلة- وكان يشارك في هذه الندوة، الأساتذة عبد المنعم الصاوي، ويوسف إدريس، وصلاح عبد الصبور -رحمهم الله - ثم الأستاذ ثروت أباظة وكاتب هذه السطور.. وفي هذا اللقاء الكبير، الذي حضره جمع غفير من الضباط والجنود، أحسست بأن هؤلاء المقاتلين يتلهفون على اليوم الذي يلاقون فيه عدوهم ليثبتوا جدارتهم بالانتساب إلى جيشهم وشعبهم وأمتهم، وليؤكدوا براءتهم من نكسة سابقة لم يكن لهم فيها أي ذنب.. وقد تحدثنا إلى هؤلاء الضباط والجنود في أمور كثيرة، ولكن الأمر الذي كان يتصدر أحاديثهم هم، هو السؤال عن يوم القتال، والتصريح الواضح بالضيق الشديد من طول الانتظار ليوم الانتصار.. وكنا كلما حاولنا تحويل الحديث إلى أمور تتصل بالثقافة أو الأدب أو الفن، غلبنا حديثهم عن تمام استعدادهم وعظيم تلهفهم إلى المعركة التي يرفعون فيها رأس بلدهم ويعلون راية أمتهم.. وكم حملونا أمانة تبليغ رغبتهم إلى المسئولين ما سمحت لنا الظروف وتهيأت الأسباب، وهي رغبة واحدة يجمع عليها كل الضباط والجنود، وهي التعجيل بالمعركة التي أعدوا أنفسهم لها، ولم يعد أمامهم أمل إلا أن يخوضوها منتصرين أو مستشهدين..

هذا ما كان من ظاهرة الصمود المصري بعد يونيو ١٩٦٧، وما كان من إنجاز يصل إلى حد الإعجاز، من أمة أصيبت بكارثة مدمرة كان من شأنها أن تقضي عليها؛ فإذا بها تتجاوزها وتعلو فوقها، وتنهض

أقوى ما تكون صلابةً واستعداداً ، لكي تحول الهزيمة إلى نصر ، والحزن الغائر إلى فرح غامر ، ونكسة يونيو الحزين إلى نصر أكتوبر المبين..

وإذا كان الشعر يتخذ أحياناً وثائق للتاريخ؛ فإن لدي قصيدة من الشعر الذى كتب بعد نكسة ٦٧ معبراً عن واقع مصر حينذاك، فى صمودها أمام ما حدث من حدثٍ أليم، فى إصرارها على تجاوز هذا الحدث إلى النصر العظيم.. وهذه القصيدة التي نشرت فى مجلة المجلّة فى أعقاب النكسة، أقول فيها مصوراً شعور الشعب المصري كله فى ذلك الوقت:

ليس منا من استكان وذلا   ما انحنينا وإن بكينا كثكلى ونحنا
قد بكينا على العدالة تغتال   على المبادئ قتلى
عليم الله ما بخلنا بروح   فتراب الأوطان أسمى وأغلى
ما وردنا الصحراء نزهة صيف   فلقاء العدا ألذ وأحلى
غير أن العدا تدلى ستاراً   يختفي خلفه التآمر نذلا
وعلى كفه الدمار لشعب   قام يحمي حمىً ويطرح غلا
كل أيامه كفاح وصبر   وإباء ينهاه أن يستغلا
لم يكن ما جرى صراعاً وحرباً   يتبارى فيه الفوارسُ بذلا
إنما كان غاية الغدر واللؤم   ولسنا للغدر واللؤم أهلا
ما طعنا وإنما طعن الحق   فأغفى يضم فى القلب نصلا
ما ضربنا وإنما ضرب السلم   فصارت رباه قفراً وقحلا

* * *   * * *

كان ما كان ، ليس ينفع نوح   وغداً يبصر التآمر هولا
كل ما ضاع جولة، ولنا النصر   فأهلاً بجولة الثأر أهلا
قسماً بالشهيد وسد قفرا   تاركاً خلفه عروساً وطفلاًيندي
قسماً بالدم المراق على البيد   حصى ويصبغ رملا
قسماً بالأسير كبل حراً   بعد ما أحسن القتال وأبلى
قسماً بالدموع تنزف نزفاً   من قلوب على الأحبة تبكي
سنحيل الأحزان صبراً وعزماً   وانتصاراً ونتبع القول فعلا
سنزيل العدوان عن كل شبر   ونعيد البناء أقوى وأعلى
سنحل العدا قبوراً وإلاّ   فظلام القبور بالعرب أولى
سنعيد الحياة فوق ثرانا   جنةً للسلوم تبسط ظلا
وحقولاً تموج بالأمل الأخضر   تجنى وفراً وتقسم عدلا
وألوفاً من المصانع تمضي   فى سباق الرخاء تهدر عجلى
وجباهاً شماء لا تنحني الدهر   لغير الإله عز وجلا
قد دعوناه أن يقود خطانا   وهو عن قاصديه لن يتخلى

الورقة الرابعة:

من حرب الاستنزاف إلى حرب أكتوبر

بروز الجوانب الإيجابية للشخصية المصرية

أ. سيد يسين

مستشار مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام

المقدمة:

خمسة وعشرون عاماً على حرب أكتوبر ١٩٧٣ تحدي المستحيل، هل حقاً مرت خمسة وعشرون عاماً على حرب أكتوبر ١٩٧٣؟ ما أسرع ما يمضي الزمن! غير أن مرور الزمن لا يمكن أن يضيع دلالة هذا الحدث التاريخي الذي قلب الموازين ليس على مستوى الشرق الأوسط فقط، بل على نطاق العالم كله على اتساعه.

وبداية يمكن القول أن إسرائيل قد أساءت قراءة هزيمة يونيو ١٩٦٧، وعجزت عن فهم التاريخ الفريد للشعب المصري. وبالرغم من أنه عقب توقف إطلاق النار مباشرة، كانت هناك علامات واضحة الدلالة على أن القوات المسلحة المصرية لا تسلم أبداً بأن الهزيمة هي النهاية، وورائها الشعب الذي رفض الهزيمة وتظاهر بالملايين مطالباً الرئيس جمال عبد الناصر بالبقاء في موقعه.

وأبرز هذه العلامات هي معركة رأس العش والتي استطاعت فيها قوة مصرية صغيرة أن توقف الانتشار الإسرائيلي في منطقة قناة السويس، وإغراق السفينة الحربية الإسرائيلية إيلات بصاروخ بحري، وهو ما أصبح في ذاته علامة على التحول في إستراتيجية الحرب البحرية.

ثملت إسرائيل بخمر النصر، وعكف العلماء الاجتماعيون الإسرائيليون على صياغة نظريات تهدف إلى تشويه الشخصية العربية، وتؤكد أن هزيمة يونيو هي فصل الختام بالنسبة للقوة العربية، بل وأكثر من ذلك بالغ أحدهم وهو الباحث «شاؤول فريد لاندر» في كتابه الصادر بالفرنسية «تأملات في مستقبل إسرائيل» وقرر أن العرب تحولوا إلى جثة هامدة، وأن إسرائيل تستطيع أن تقطع في الجسد العربي كما تشاء، آمنة من أي رد فعل، ومن ناحية أخرى ساد إدراك جامد لدى المخططين الإستراتيجيين الإسرائيليين بأن مصر لن تتجاسر لا هي ولا أي دولة عربية أخرى على شن حرب على

إسرائيل.

حرب الاستنزاف المجيدة:

ولم تتوان القيادات السياسية المصرية عقب إعلان الهزيمة مباشرة، وبعد كل ما صاحبها من محاكمات عسكرية ومظاهرات شعبية، وما أحدثته من جراح عميقة في الكبرياء الوطني، عن إعادة بناء القوات المسلحة المصرية وفق نظام صارم، وفي ضوء قواعد جديدة. وقد اتخذ القرار وأشرف على تنفيذه بنفسه لدرجة الإلمام بالنشاط اليومي للقوات المسلحة الرئيس جمال عبد الناصر، وقام بالدور الأساسي في التنفيذ الفريق أول محمد فوزي ومعه نخبة من أفضل ضباط القوات المسلحة.

وسرعان ما شنت حرب الاستنزاف والتي يعتبرها المؤرخون العسكريون الإسرائيليون حرباً مصرية إسرائيلية قائمة بذاتها، في سلسلة الحروب الإسرائيلية العربية.

لقد كانت هذه الحرب، هي المقدمة الضرورية لحرب أكتوبر ١٩٧٣، فمن خلال معاركها تخضب المقاتلون المصريون بالدم واستردوا ثقتهم، وأعادوا الاحترام إلي شرفهم العسكري الذي استبيح نتيجة الأخطاء الجسيمة في عملية اتخاذ القرار السياسي، وأوجه التقصير الفاضحة في إعداد الدولة للحرب، وعدم كفاءة القيادات العسكرية في إدارة الحرب. حرب الاستنزاف ملحمة بطولية للقوات المسلحة من جانب، والشعب من جانب آخر. فقد وقف الشعب في منطقة القناة وراء قواته المسلحة بالدعم والتأييد والإسناد. ومن هنا فحين يحاول بعض الكتاب - نتيجة لغلبة التحيز والأهواء على رؤيتهم - أن يصوروا حرب الاستنزاف بأنها كانت خسارة خالصة، ولم تدفع المجهود الحربي إلى الأمام، فإنهم في الواقع يجافون الحقيقة، ويتجاهلون حتميتها وضرورياتها كمقدمة أساسية لشن حرب التحرير.

القرار التاريخي:

برحيل جمال عبد الناصر وتولي الرئيس أنور السادات مسئولية رئاسة الجمهورية انتقل إليه العبء الثقيل، المتمثل في استكمال بناء القوات المسلحة، واتخاذ قرار الحرب في الوقت المناسب، والحقيقة أن الكثيرين ومنهم مواطنون مصريون شككوا في قدرة مصر على شن الحرب. وهؤلاء سواء كانوا من الأجانب أو من المصريين أنفسهم قد أساءوا قراءة التاريخ المصري. وهذا التاريخ تبرز فيه ظاهرتان أساسيتان : قيم الحركة الوطنية المصرية في النضال ضد الاحتلال والتقاليد الرفيعة للعسكرية المصرية في الذود عن حياض الوطن، والاستشهاد في سبيل الدفاع عن ترابه المقدس، ولم يكن يستطيع أنور السادات، وهو ابن الحركة الوطنية المصرية، أن يتجاهل قراءة التاريخ المصري، ولا أن يصم آذانه عن سماع هدير الشعب الذي تظاهر أكثر من مرة مطالباً بالقتال وبالبدء في معركة التحرير، لقد استمع السادات إلى نداء الشعب، وأعد البلاد بدأب وصبر وحنكة سياسية، وتخطيط متقن، انتظارا للحظة المناسبة. وفي السادس من أكتوبر ١٩٧٣ أصدر الرئيس قراره التاريخي بالعبور، وانطلقت قوات مصر المسلحة لتبدأ معركة من أمجد معاركها العسكرية، والتي تعيد إلى الأذهان إنجازاتها التاريخية السابقة. وسوف يقف المؤرخون في المستقبل طويلاً لتحليل هذا القرار التاريخي، فقد أعتبر في وقته مغامرة غير محسوبة من شأنها سحق القوات المسلحة المصرية في ساعات. ولم يكن ذلك التفسير عجيباً، فقد كنا - في هذا الوقت - نعيش عصر الخرافة الكبرى التي تزعم أن إسرائيل قوة لا تقهر، وأن ذراعها الطويلة يمكن أن تطول أي بقعة في الوطن العربي. وذهب آخرون - كرد فعل مباشر لسماع النبأ - إلى أن هذا القرار فعل من أفعال اليأس اتخذ دون رؤية وبغير تحسب للنتائج

وقد أثبت التاريخ أن قرار العبور كان هو القرار الصائب، والذي اتخذ في التوقيت المناسب. ودارت المعارك الضارية، بعد أن انهدمت أسطورة خط بارليف، واشتبكت المدرعات المصرية في معارك تصادمية بالغة الحدة والعنف مع القوات الإسرائيلية، وكبدتها خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات. ولن تذهب من الذاكرة التاريخية للشعب المصري صور الأسرى الإسرائيليين وإعدادهم التى تجاوزت المئات بعد أن سقطوا في الميدان صرعى الهزيمة.

انقلبت الموازين، وأسرعت الولايات المتحدة بالتدخل لنجدة إسرائيل بعدما تراخت في الأيام الأولى، ظانة أن التاريخ سيعيد نفسه. وأن الهزيمة ستلحق في ساعات بالقوات المصرية.

حرب أكتوبر في المنظور العالمي:

لم يتوقف تأثير حرب أكتوبر على تغيير الموازين في الشرق الأوسط، ولكنها أدت إلى نتائج بالغة الأهمية على المستوى العالمي. وإذا تركنا جانباً الإنجازات العسكرية المصرية الباهرة، والتي أدت إلى سقوط عديد من النظريات العسكرية المستقرة، واستحداث نظريات جديدة على مستوى الإستراتيجية والتكتيك، فإن النتائج السياسية لا تقل أهمية عما حدث في هذا المجال، فقد استخلصت القوى العظمى نتيجة أساسية مفادها أن دولة متوسطة القوة مثل مصر، استطاعت أن تتجاوز كل القيود التي وضعت حولها لمنعها من الحركة، ولكي يفرض عليها الاستسلام النهائي، وأن تفاجئ العالم كله بشن الحرب، ضد إرادة القوى العظمى المسيطرة. استطاعت مصر بقرار تاريخي، استنهضت فيه همتها، واستعانت بتراثها الوطني الزاخر، واستلهمت تقاليد العسكرية المصرية، أن تقطع سلسلة الحتمية التاريخية، وأن تقضي على واقع الاحتلال الإسرائيلي الكئيب، وأن تنشئ واقعاً جديداً، أدى في النهاية إلى تحرير كامل للتراب الوطني من دنس الاحتلال، ورفع العلم المصري عالياً في سماء مصر الحرة المستقلة. لقد أدت حرب أكتوبر إلى أن تعيد كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية النظر في إستراتيجيتها إزاء مصر والوطن العربي ككل، فقد أيقنت إسرائيل أنها لم تعد في مأمن كما كان الحال في الماضي. وأن مصر بعد أن تحررت يمكن أن تمثل خطراً داهماً على الأمن الإسرائيلي، وأن دعاوي إسرائيل بأنها الدولة العظمى الإقليمية ليس أمامها فرصة للتطبيق، وأن أيدلوجية إسرائيل الكبرى آن لها أن تنحسر ويعاد صياغتها في ضوء الواقع الجديد.

تحت ضغط النتائج العسكرية لحرب أكتوبر، قبلت إسرائيل في اتفاقيات كامب ديفيد أن تنسحب من كامل التراب المصري، ما عدا طابا التي ما طلت في تسليمها، إلى أن انتزعتها مصر نتيجة جهود أبنائها الخلاقة في عملية التحكيم الشاقة. وأكثر من ذلك، وجدت إسرائيل أن عقد معاهدة سلام مع مصر هو الحد الأدنى الذي يضمن الأمن القومي الإسرائيلي. وبتوقيع معاهدة السلام، نشأ واقع جديد في المنطقة بعد أن طبعت العلاقات بين مصر وإسرائيل.

وفي تقديرنا أن حرب أكتوبر على مستوى تحديد الأهداف الإستراتيجية والتخطيط والتنفيذ تصلح نموذجاً حضارياً يقتدي به في عملية تحديث المجتمع المصري.

ثلاثية التقدم في العالم المعاصر

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هو ما هي الرؤية التي ينبغي أن تتبناها عن التقدم حتى نقوم بعملية تحديث المجتمع المصري بفاعلية وكفاءة حتى نستطيع مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين؟ من الأهمية بمكان الكشف عن رؤية القيادة السياسية في هذا الصدد. ونستطيع أن نجد مرجعاً أصيلاً

لهذه الرؤية في خطاب الرئيس محمد حسني مبارك بمناسبة البدء في إجراءات الحوار الوطني الذي دار عام ١٩٩٤.

إن الهدف من هذا الحوار التاريخي - كما قرر السيد الرئيس - إعداد مصر لدخول القرن الحادي والعشرين، من خلال السعي لتحقيق مجموعة مترابطة من الأهداف تتمثل في أننا «نسعى للاستقرار في عالم يسوده الاضطراب والعنف ومنطق القوة، ونجاهد لبناء اقتصاد قوي مزدهر، في عالم ترتفع فيه معدلات التضخم والبطالة والكساد، ونختار لأنفسنا منهاجاً صحيحاً من التطبيق والممارسة الديمقراطية، في عالم يدعو للدفاع عن الحريات، ويرتكب من الممارسات صباح مساء ما يناقضها ويفقد الثقة في مصداقيتها، ونحرص على أن نعيد للإنسان المصري أمنه واستقراره، ونوفر له رزقه وقوت يومه، في وقت تتحالف قوى غير مقدسة من الأشرار والقتلة والعملاء لضرب الإنسان المصري في حياته ورزقه واستقراره».

وقد اشتمل خطاب الرئيس على قراءة ثاقبة للتحولات العالمية. ولعل من أبرز عناصر هذه القراءة أن تتفاعل أمام أبصارنا في الوقت الراهن - على المستوى العالمي - متغيرات معقدة ومتشابكة بعضها ينحو صوب التكامل والتكتل، من خلال عملية تشكل مجتمع كوني جديد يتجاوز بآفاقه الحدود التقليدية للدول، ويعبر بحكم اتساع نطاقه الثقافات الإنسانية المتعددة، وبعضها الآخر ينزع إلى التفكيك، ونعني تفكيك الوحدات السياسية القائمة والدول في مقدمتها، من خلال ثورة الأعراق والقوميات، والتي تأخذ أحياناً أشكالاً بالغة الوحشية مثلما يحدث في البوسنة والهرسك.

أما العمليات التي تنحو للتكامل فهي تأخذ في أبرز صورها - شكل التكتلات الإقليمية، وذلك تحت تأثير التحول الحاسم من الجغرافيا السياسية إلى الجغرافية الاقتصادية. ونحن نعرف أنه في ظل سيادة الجغرافية السياسية كان ينظر عادة إلى دول الجوار باعتبارها أعداء محتملين، في حين أنه في ضوء اعتبارات الجغرافيا الاقتصادية عادة ما ينظر إلى دول الجوار باعتبارها شركاء محتملين ينبغي السعي إلى التعاون معها في سبيل تحقيق التنمية الاقتصادية وتدعيم التفاعل الثقافي.

ومن ناحية أخرى - وفقاً لقراءة استشرافية دقيقة لبنية المجتمع الكوني الجديد - فإنه ينتظر العالم في العقود القادمة ظواهر متعددة للتفكك، حيث ينتظر - تحت وطأة الحاجة للتعبير عن الهوية الثقافية - انشقاقات ودعوات للانفصال في إطار الدول القوية القائمة، بالإضافة إلى نزاعات قد تتصاعد وتأخذ شكل حروب سافرة بين بعض الدول وبعضها الآخر، أو في أقاليم معينة.

ثلاثية التقدم :

وفي تقديرنا ان خطاب الرئيس استطاع ان يضع يده علي ثلاثية التقدم في العالم المعاصر حين ركز علي ثلاثة مقومات رئيسية لاغني عنها لقوة الأمم والأوطان وهي:

- التماسك القومي والاجتماعي.
- والقوة الاقتصادية والمادية.
- والتقدم العلمي والحضاري .

والواقع ان هذه الفترة تعكس فهما عميق بالغ الدقة لتغير المعادلة التقليدية لقوة الدولة في الوقت الراهن. في الماضي كانت القوة العسكرية القادرة علي الردع لها الأسبقية في معادلة قوة الدولة، وقد ترتبت علي هذا نتائج بالغة الخطورة علي التنمية الاقتصادية وخصوصا في العالم الثالث. فقد أدي

التركيز المبالغ فيه علي القوة العسكرية إلى الانغماس في شراء السلاح وتكديسه، والذي غالبا يفي الغرض منه سواء بعدم استخدامه، أو بحكم تقادم طرزه التكنولوجية، بحكم التقدم المذهل في صناعة السلاح، والتي كانت تدفع بالدول إلى ان تلهث للحاق به ، وهكذا أصبحت الدول في مجال سباق التسلح تدور في حلقة مفرغة، وتهدر بالتالي الملايين من مواردها المالية، التي لو أنفقت علي التنمية البشرية لغيرت جوهرها.

وهكذا يمكن القول بأن التركيز علي التماسك القومي الاجتماعي أصبحت له الأولوية، خصوصا في ضوء ما أشرنا إليه من بروز متغيرات متشابكة تندفع في تفاعلاتها المعقدة في اتجاه التفكيك. ومن هنا يمكن القول - بدون أدني مبالغة -انه بغير الحفاظ علي التماسك القومي والاجتماعي، فأن مستقبل أي مجتمع إنساني معاصر سيكون معرضاً لخطر بالغ، لان وجوده المادي ذاته قد يتآكل مما يؤدي إلى الانقراض. وها نحن نشهد تأثير الحروب الأهلية البشعة الدائرة الآن في بعض بلاد أمريكا اللاتينية نتيجة لغلبة عوامل الفرقة والانقسام، علي حياة البشر، حيث يتساقط كل يوم عشرات الألوف من القتلى في صراعات أهلية مدمرة.

وهذا التماسك القومي والاجتماعي لا يمكن تحقيقه إلا بتفعيل العناصر الإيجابية في الشخصية المصرية حتى تصبح قادرة علي خوض معركة تحديث المجتمع المصري.

وإذا انتقلنا إلى المقوم الثاني وهو القوة الاقتصادية والمادية، فنحن هنا بصدد التحول الحاسم الذي حدث في مجال سياسات الدول وفي ميدان الوعي الجماهيري العام علي السواء. انتهي عهد الشعارات الأيدلوجية الزاعقة والفارغة من أي مضمون حقيقي، وسادت القناعة بأن شرعية أي نظام سياسي لابد ان ينهض أولا وقبل كل شيء من خلال قدرته علي إشباع الحاجات الأساسية للجماهير. وقد أذنت بالمغيب الاتجاهات التي كانت تدعو لمقايضة الحرية بلقمة العيش وأثبتت الخبرة التاريخية ان النظم الشمولية والسلطوية التي رفعت هذا الشعار، لم ترفعه إلا دفاعا عن الممارسات الاستبدادية، ولصالح نخب سياسية حاكمة منحرفة، أرادت ان تستأثر بالحكم وميزاته التي لا تحدها حدود إلى الأبد. غير ان إشباع الحاجات الأساسية ليس سوي بعد واحد من أبعاد قوة الدولة الاقتصادية، لأنه لابد أن نضيف إلى ذلك أهمية رفع مستوى نوعية الحياة للجماهير، فى عالم أصبحت تشغله و تؤرقه قضية البيئة، و ما تمثله من خطر دائم ليس فقط على صحة الإنسان و إنما على مستقبل البشرية ذاتها.

و يبقى المقوم الثالث و هو التقدم العلمي والحضاري. و فى هذا المجال يمكن القول بأن أحد مؤشرات قوة الدولة الجديدة سيكون هو الحاجة إلى التقدم العلمي فى الدولة. وذلك لأننا بكل بساطة نعيش فى عصر الثورة العلمية والتكنولوجية بكل أبعادها وآفاقها ووعودها من أجل حل مشكلات الإنسان المعاصر. والتقدم العلمي فى حد ذاته دليل على أن المجتمع قد حسم أمره، وتخلص من أسر الفكر الخرافي الذى يسود فى المجتمعات المتخلفة، وقطع العلاقة مع الفكر الخيالي الذى ساد فى بعض المجتمعات والذى كان يبشر بخلق عوالم إنسانية مثالية يختفي فيها الشر تماما على وجه الأرض.

التقدم العلمي يعنى تطبيق المنهج العلمي تطبيقا دقيقا لحل مشكلات المجتمع المادية والمعنوية، وهو إشارة إلى احتفال المجتمع بالعلم كقيمة أساسية فى سلم القيم السائدة فى المجتمع، واهتمامه بتوفير كافة الشروط المادية و المعنوية للباحثين العلميين حتى يتفرغوا للإبداع العلمي، والذي لا يمكن ان يظن المجتمع أنه مقصود لذاته، بل بغرض حل مشكلات الإنسان المعاصر.

وربما يثار تساؤل : ما هي نقطة البداية فى عملية التحديث ؟ وردا على التساؤل نقول فى البدء كانت الشخصية القومية. ومن هنا لابد أن نركز على تحليل نقدي لمكونات الشخصية المصرية، حتى نكشف عن مكوناتها الفاعلة.

الدراسة العلمية للشخصيات القومية

يشير الحديث عن الشخصيات القومية مشكلات نظرية ومنهجية، دار حولها الجدل بين العلماء الاجتماعيين، حين تعرضوا لدراسة أنماط محددة من بينها، كالشخصية الألمانية واليابانية والروسية والعربية. و يمكن القول أن الشخصية القومية، إذا ما أردنا تعريفها بوجه عام هي: «السمات النفسية والاجتماعية والحضارية لأمة ما، التي تتسم بثبات نسبى والتي يمكن عن طريقها التمييز بين هذه الأمة وغيرها من الأمم» و لقد كان للمعلومات المتعددة التي جمعها الباحثون فى الانثربولوجيا الاجتماعية عن المجتمعات غير الغربية، أثر كبير فى إمداد الباحثين برؤية أوسع عن مدى الفروق التي توجد بين الشعوب فى مسائل عديدة منها:

* الطريقة التي يدرك بها أفراد كل شعب البيئة الطبيعية و الاجتماعية المحيطة بهم، وكذلك وسائل اكتسابهم المعرفة.
* ا ختلاف أساليب التفكير.
* طريقة اتخاذ القرارات فى المواقف الاجتماعية و القومية المختلفة.
* طرق تحمل المسئولية، وأنماط السلطة بمستوياتها المتعددة.
* الأنماط المختلفة للتعبير عن النفس، وطرق إخفاء المشاعر والأحاسيس.
* اختلاف القيم، والتباين فى النظرة الأخلاقية لضروب السلوك الاجتماعي المختلفة.

بيد أن الباحثين العلميين لم يقنعوا بالوقوف عند مستوى دراسة المجتمعات غير الغربية -التي لفتت نظرهم بشدة نظرا لاختلافها الجوهري عن مجتمعاتهم- وإنما حاولوا ان يطبقوا المناهج والأساليب التي استخدموها فى دراسة الشخصيات القومية للمجتمعات الغربية ذاتها.

وقد تعددت هذه المناهج، و لعل من أبرزها المنهج التاريخي، الذى يتعقب الأصول الأولى التي نبعت منها الشخصية القومية محل البحث، و التطورات التي لحقت بها، حتى وصلت إلى مرحلة تطورها الراهنة. وهناك أيضا المناهج الاجتماعية والسيكولوجية التي تعتمد على الدراسة الميدانية المباشرة كتطبيق اختبارات الذكاء، وقياس الاتجاهات ودراسات الحالة، والملاحظة المباشرة. ونجد أخيرا أسلوب تحليل المضمون CONTENT ANALYSIS الذى يستخدم -فى بعض الأحيان- لدراسة التراث الأدبي والفني لشعب من الشعوب، سعيا وراء فهم نسق القيم الأساسي الذى يصدر عنه، كما يعكسه الأدب الذى هو -حسب القول الشائع- بمثابة المرآة التي تعكس المجتمع، أو الفن الذى عادة ما ينبض بروح الأمة إذا ما كان فنا أصيلا حقا.

وإذا ما تفحصنا التراث الخصب والواسع المدى فى ميدان دراسة وبحث الشخصيات القومية، فيمكننا القول أن ثمة نتائج أساسية نظرية ومنهجية يمكن استخلاصها، و ينبغي لنا حين التعرض للشخصية المصرية على وجه الخصوص- أن نركز عليها:

أولى هذه النتائج، أن دراسات الشخصية القومية، قد ألقت بظلال الشك على السمات «العامة والثابتة» التي كانت تضفي على الطبيعة النفسية للإنسان، وعلى العناصر الأساسية لحياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. بعبارة أخرى حل النسبي محل المطلق، وأصبح سائدا الاعتراف

بنسبية الثقافة بما تتضمنه من قيم و معايير، بحيث أصبح مرفوضا إطلاق أحكام «التقدم» و «التخلف» على الحضارات، على أساس أن لكل حضارة منطقها الخاص، المرتبط بأنماط الإنتاج السائدة فيها، و درجة التطور التاريخي التي تمر بها.

ثاني هذه النتائج، أن دراسات الشخصية القومية، استخدمت أحياناً -بطريقة غير علمية- لتمجيد بعض الشعوب، أو الانتقاص من قدر بعض الشعوب الأخرى، و ذلك في لحظات الصراع الحضاري والسياسي والعسكري بين شعب وشعب آخر. ومن هنا لا يطمئن بعض العلماء الاجتماعيين لهذه الدراسات على أساس أنها غالباً ما تكون محملة بالتحيز، حافلة بالهوى والغرض.

ثالث هذه النتائج، أنه من الخطورة بمكان الحديث عن السمات القومية لشعب ما، في انعزال عن مقارنتها بسمات شعوب أخرى. وبعبارة أخرى لكفالة موضوعية دراسات الشخصية القومية، يتعين أن تتم - كما يذهب عالم النفس الإنجليزي المعروف إيزنك - في إطار حضاري مقارن. إذا تحدثنا عن السمات الحضارية للشعب الألماني مثلا، من يدرينا أنها لا تميز أيضاً الشعب الفرنسي، أو الإنجليزي؟ من هنا أهمية النظرة الحضارية المقارنة.

ولعله قد آن الأوان -بعد هذه المقدمة النظرية الضرورية- أن ننتقل إلى الحديث عن الشخصية المصرية.

الشخصية المصرية بين الانقطاع والاتصال

تمثل دراسة الشخصية المصرية تحدياً حقيقياً أمام الباحث العلمي. فهي شخصية بالغة العراقة تضرب بجذورها في التاريخ، وترتد إلى ماض سحيق يقاس بآلاف السنين. كيف ندري الشخصية المصرية الحاضرة إن لم نعد بأبصارنا إلى الشخصية الفرعونية المرهفة، التي منحت العالم كله الطابع الإنساني الأصيل، بما مثلته من قيم سامية، وإبداع حقيقي في مجالات العلم والفكر والدين والفلسفة. وكيف نستطيع أن نتحدث -بأي قدر من اليقين- بغير أن نحلل أبعاد الشخصية المصرية المسيحية المناضلة، التي قامت على أنقاض الوثنية القديمة، وآمنت بالمسيح، وقاومت طغيان الرومان، دفاعاً عن حرية العقيدة، وعن تراب الوطن. وكيف نتحدث عن المصرين في الوقت الراهن، بغير تعمق في الشخصية المصرية العربية الإسلامية الأصيلة التي نشأت من خلال عملية انصهار حضاري خلاقة، نجم عنها وحدة السلالة العربية -التي هبطت إلى أرض مصر مع الفتح الإسلامي- مع السلالة المصرية.

إن الشخصية المصرية الحاضرة، تحمل ولاشك، بصمات هذه المراحل التاريخية الثلاث المتميزة: الفرعونية، والمسيحية، والعربية الإسلامية.

ترى كيف تم التحول من مرحلة إلى مرحلة أخرى، ماذا بقى وماذا ضاع عبر الزمن؟ ما هو الثابت وما هو المتغير، إن صح أن هناك ثباتاً في الشخصية القومية؟ كل هذه أسئلة لا يستطيع أن يجيب عنها سوى المؤرخ المدقق. غير أنه ليس هناك مؤرخ واحد يسمح علمه أو يسمح له تدريبه الأكاديمي أن يجوس في جميع ردهات ودهاليز تاريخ مصر القديم والوسيط والحديث. نحن هنا في الواقع بإزاء صعوبة علمية وعملية تتحدى -بالقطع- قدرة الباحث الفرد. هذه مهمة لا يمكن أن يقوم بها سوى أولى العزم من عشرات الباحثين المتخصصين في مراحل تاريخ مصر المختلفة.

لكل هذه الاعتبارات، لا نعتبر دراستنا هذه بحثاً في صميم أبعاد الشخصية المصرية، بقدر ما هي محاولة للرد على عدد من الأسئلة الجوهرية، وهذه الأمثلة يمكن إيجازها فيما يلي:

١- كيف نرى أنفسنا؟ بعبارة أخرى، ما هي صورة الذات Self Concept التي نحملها كمصريين عن سماتنا الإيجابية والسلبية؟ وما مدى موضوعية هذه الرؤية؟

٢- ومن ناحية أخرى كيف يرانا الإسرائيليون؟ إن أهمية هذا السؤال تبدو فى الصراع الحضاري الذى نديره الآن مع إسرائيل، ومن هنا يكفى معرفة الذات، ولكن من الضروري معرفتها أيضا من خلال نظرة الآخر.

٣- وأخيرا كيف كان سلوكنا القومي - الذى هو حصيلة تفاعل شخصيتنا القومية مع موقف محدد هو الحرب مع إسرائيل - فى الفترة من يونيو ١٩٦٧ حين وقعت الهزيمة حتى أكتوبر ١٩٧٣ حين ظهرت بوادر النصر وبشائره؟

وتحاول الدراسة الإجابة على هذه الأسئلة الثلاثة.

أولاً: كيف نرى أنفسنا ؟

فى لحظات التحول التاريخي لشعب من الشعوب عادة ما تثار أسئلة جوهرية، تتعلق هوية هذا الشعب، وعلاقته بباقي الشعوب. ولعل من أهم هذه اللحظات التاريخية بالنسبة لنا اللقاء العاصف الذى تم بين الحضارات الأوروبية المتقدمة التي كشفت عن نفسها النقاب مع الحملة الفرنسية التي هبطت إلى مصر، والحضارات المصرية المختلفة التي تركت السيطرة العثمانية عليها آثارها المدمرة، وقام فريق من المثقفين الرواد الذين اسهموا في نشوء اليقظة القومية العربية بطرح عدد من الأسئلة الجوهرية، يوجزها المفكر المغربي عبد الله العروي، في كتابه «الأيدلوجية العربية المعاصرة» في أربع مشكلات رئيسية:

١- مشكلة الأصالة: ويعني بها مشكلة تحديد الهوية أو تعريف الذات، وبما أن كل تعريف هو نفي في حد ذاته، بمعنى أنه في مواجهة «الأنا» يوجد «الآخر»، أو بعبارة أخرى أنه بالنظر إلى «الآخر» نستطيع - كعرب- أن نعرف أنفسنا، فإنه كان يتعين أن نحدد موقفنا من «الآخر» الذي كان هو الغرب.

٢- مشكلة الاستمارية :ويعنى بها علاقة العرب فى ماضيهم، بعبارة أخرى ما هي المعاني والدلالات، التي نعطيها نحن العرب للتاريخ العربي الطويل، المزدحم بالنجاحات والاخفاقات على السواء، إن هذه المشكلة كان لابد لنا أن تجيء مباشرة بعد مشكلة الأصالة، ذلك لأن الماضى عادة ما يعبأ لكي يعطى للذات اتساقا ويمنحها الثقة فى المستقبل.

٣- مشكلة المنهج الفكري العام: ويثير هذه المشكلة المنحى الذى سيتيح للعرب أن يكتسبوا المعرفة أو أن يمارسوا التفكير، ويتضمن ذلك السؤال الجوهري الذى يتعلق بصلة العقل العربي بالعقل العالمي -إن صح التعبير- أى قضية التفرد والعمومية بمعناها الواسع.

٤- مشكلة أدوات التعبير: والتساؤل هنا يدور حول أنسب أدوات التعبير التي تتيح للعرب أن يعبروا بواسطتها عن مرحلة تطورهم الراهنة.

إذا كانت هذه هي المشكلات الكبرى التي طرحها المثقفون العرب بعد الصدمة الحضارية التي أصابت المجتمع العربي من احتكاكه مع الحضارة الغربية فى القرن التاسع عشر، وقد يبدوا أمرا مثيرا لدهشة -لأول وهلة- أن يتساءل المثقفون العرب، من نحن، وما هي علاقتنا بماضينا، كيف نفهم الكون والمجتمع والإنسان ، وأخيرا كيف نعبر عن أنفسنا؟

غير أن الدهشة التي قد تنتابنا، يمكن لها أن تزول إذا ما أدركنا أن الحوار حول هذه المشكلات الكبرى لم ينقطع بين المثقفين العرب وأن الصراع الذي لم يتوقف بين الاتجاهات الأيديولوجية الأساسية فى الفكر العربي المعاصر.

بيد أنه ينبغي أن نعترف أن ا لهزيمة فى عام ١٩٦٧ أعطت لهذه الأسئلة أهمية بالغة، بحكم أن الإجابات عليها من شأنها -أيا كانت وجهتها- أن تشكل وعى الشعب، بصورة تؤدى إلى اليأس والقنوط والاستسلام، أو بطريقة تثبت عزيمته، وتدفع به مرة أخرى إلى ميدان القتال والنضال والكفاح.

وهذا هو الذى يفسر فى الواقع كل المناقشات والمقالات والدراسات التي دارت بشكل مركز حول الشخصية المصرية بوجه خاص والشخصية العربية بوجه عام عقب هزيمة يونيو ,١٩٦٧

لقد كان الشعب العربي يحاول الاستنجاد بأصالته حتى تنكشف من أمامه ظلمات الهزيمة، التي لم يتح أن تتبدد إلا مع اليوم السادس من أكتوبر ,١٩٧٣

ونكاد ان نكون الآن -بعد أن اكتملت ملامح الصورة، وانتقلنا من الهزيمة إلى النصر- أن نكون فى موقف علمي موضوعي يسمح لنا بتقييم الأحكام المتعددة التي صيغت عن الشخصية المصرية.غير أننا نريد قبل أن نعرض لتصنيف هذه الأحكام أن نشير إلى انه من الخطورة بمكان الاندفاع في التنظير عن الشخصيات القومية، فى لحظات الهزيمة من ناحية، وفى أوقات النصر فى ناحية أخرى.

إن مناخ الهزيمة -بما يحمله من ألام نفسية لا تطاق على مستوى الصفوة وعلى مستوى الجماهير على السواء- قد يؤدى كما حدث فعلاً، إلى المغالاة فى تجريح الذات القومية وفى الحط من شأن الشعب الذى تكشف عجزه عن النصر فى الميدان، مما يؤدى فى النهاية إلى طمس إيجابيات الشخصية القومية وتمجيدها، مما يجعل الستار يسدل على السلبيات الكامنة فى هذه الشخصية. كلا الموقعين بعيد عن الموضوعية العلمية، ومن شأنه ان يخلق وعياً زائفا لدى الشعب، مما قد يؤدى إلى آثار مدمرة، سواء ظهرت فى صورة احتقار الذات، أو شكل تضخم الذات.

ويمكننا القول ان غالبية الأحكام التي صيغت عن الشخصية المصرية عقب الهزيمة كانت وحيدة البعد. ونعنى بذلك، أنها إما ركزت على الإيجابيات أو أبرزت السلبيات، ويندر أن رسمت صورة متوازنة عن الشخصية المصرية، بسلبياتها وإيجابيات، وأندر من ذلك، هذه الدراسات التي حاولت ان تؤصل منشأ الإيجابيات وأسباب السلبيات.

ترى لو حاولنا أن نفحص التيار الأول الذى يركز على إيجابيات الشخصية المصرية فماذا سنجد ؟

لعل خير من عبر عن هذا التيار بدر الدين أبو غازي فى مقالة عن « الشخصية المصرية المعاصرة ».

وهو يرى أن ثمة سمات أصيلة تميز الشخصية المصرية من أهمها: السماحة: وهى حضارية، نبعت من الديانات التي اعتنقتها مصر، وينبغي للمصريين المعاصرين أن يتمسكوا بها، حتى لا يقعوا فى هاوية المادية الغالبة على الخلق الغربي. ونجد أيضا سمة التوسط والاتزان والتعقل. وكذلك تقديس العمل وغلبة النظرة العلمية إلى الحياة، كما يتحلى المصريون أيضا بالصبر ويتميزون باحتمال المشقة، ويرجع ذلك إلى ممارساتهم الزراعية أجيالا طويلة.

وفى الشخصية المصرية أيضا -كما يرى أبو غازي- وفاق بين المثالية والواقعية، ووئام بين القيم الدينية والقيم العلمانية، وقد تعايشت هذه القيم فى أعماقهم.

وفى المصري كذلك تطلع أصيل إلى الكمال ويتجلى ذلك فى كل الإنجازات الحضارية المصرية. أما العقلية المصرية فمن سماتها القدرة والإحكام والترابط. وأخيرا يركز أبو غازي على قدرة الشخصية المصرية على التكيف، التي هي من أسرار عبقرية مصر، وعلى نقيض هذه القائمة الباهرة من السمات

الأصيلة، يقدم لنا الدكتور ملاك جرجس فى مقالته: «الشخصية المصرية المعاصرة: وجهة نظر وتساؤلات حول الجوانب السلبية وأثارها على التنمية»، «الشخصية المصرية المعاصرة : الجوانب السلبية»، قائمة مضادة تركز على السلبيات، وهو يشير إلى أنه تعمد ذلك لأن هناك دراسات قنعت بالتركيز على إيجابيات الشخصية المصرية، أو حاولت الدفاع عن بعض سلبياتها أو تبريرها.

يرى ملاك جرجس انه من مخلفات العقلية القبلية والفكر الإقطاعي الزراعي، تحقيرا للعمل المكتبي مازال سائدا فى مصر الآن، بالرغم من ان الدول العصرية تقوم على أساس الخبرة الفنية الصناعية والإدارية.

ومن ناحية أخرى تتميز العقلية المصرية الحالية بسيادة التفكير التقليدي الذى يقدس النصوص أو الكلمة المكتوبة، وهى بالتالي تفتقر إلى التفكير الإبداعي الخلاق.

وهناك سمات سلبية أخرى هي: التواكلية والروحانية الخرافية (البعيدة عن جوهر الأديان) والصبر السلبي والقناعة، كل ذلك بالإضافة إلى سيادة التفكير الخرافي فى المجتمع المصري. ومن ناحية أخرى فالمصريون لا يحافظون على مواعيدهم ويفتقرون إلى الانضباط، ونجد أخيرا أن هناك سمة سائدة هي الخوف من المستقبل.

إن هذين المثلين - مقالتي أبو غازي وملاك جرجس - مجرد عينة ممثلة لكلا التيارين اللذين يسيطران على النظر إلى الشخصية المصرية: التيار الذى يركز على الإيجابيات، والآخر الذى يركز على السلبيات.

والحقيقة أن كل تيار منهما أصاب جزءاً من الحقيقة، ولكن كلا منهما بمفرده يقصر عن الإحاطة الشاملة بأبعاد الشخصية المصرية البالغة الثراء والشديدة التعقيد. وفى نظرنا انه لا يمكن الحديث بأي قدر من العملية عن الشخصية المصرية: سماتها وأبعادها، نشأتها وتطوراتها، وضعها الراهن ومستقبلها، بغير التركيز على البعد التاريخي. فبغير مناقشة مستفيضة للسياق التاريخي الذى نشأت فيه الشخصية المصرية، وللتغييرات الجسيمة التي لحقت بها، لا يمكن لنا أن نفهم أصول الإيجابيات فى الشخصية المصرية، ولا أسباب السلبيات.

وخلاصة رأينا فى هذا الصدد ان الشخصية المصرية تضم عددا من السمات السلبية التي يمكن ردها إلى جذور أساسية ثلاثة هي:

١-تخلف أنماط الإنتاج.

٢- بقايا السيطرة الاستعمارية القديمة.

٣-أثر العلاقات الاستغلالية للصفوة المستغلة.

تخلف أنماط الإنتاج

من المعروف أن مصر بلد زراعي منذ أقدم العصور، وهناك حقيقة علمية لا يختلف بشأنها الباحثون، هي ان نمط الإنتاج غالبا ما يشكل وعى الأفراد الذين يعملون فى ظله، ويصوغ بالتالي عقلياتهم وأنماط تفكيرهم. ومن هنا يمكن الحديث عن «عقلية زراعية» تتشابه سماتها العامة فى كل مكان، بالرغم من الفروق النوعية التي قد نجدها بين شعب وآخر. ومن ناحية أخرى يمكن القول ان هناك «عقلية صناعية» تتشابه مكوناتها فى كل المجتمعات الصناعية، آخذين فى الاعتبار الفروق بين مجتمع وآخر. «العقلية الزراعية» من سماتها عدم الاعتداد بقيمة «الوقت» وهذا راجع إلى أن الفلاح يحرث الأرض ويزرعها، ويظل يخدمها، وينتظر إلى أن ينضج المحصول ويحين وقت الحصاد، ولذلك

فإيقاع الزمن بطئ في الريف. ومن ناحية أخرى فهذه العقلية -بحكم شكل الإنتاج- غالبا ما تعلى من اعتبارات القرابة، ويغلب عليها التفكير القدري، والخرافي، أما «العقلية الصناعية» فتعتد اعتدادا كبيرا بالوقت، ولذلك يترك الإيقاع السريع للزمن بصماته على الشخصية في المجتمعات الصناعية: انضباطا ودقة ووعيا مرهفا، وتيقظا دائما.

كما انه غالبا ما يسود فيها التفكير العلمي، وكذلك يغلب الاعتماد على معايير الكفاءة والإنجاز لا على معايير القرابة والمجاملة. كل ذلك بالإضافة إلى تقسيم واضح ومحدد للأدوار، على عكس المجتمعات الريفية، التي تختلط فيها الأدوار، وتشيع فيها المسئولية، حيث يذوب الفرد في الجماعة (أسرة ممتدة كانت أو قبلية) أما في المجتمعات الصناعية فتبرز شخصية الفرد المستقل عن تأثيرات الجماعة، ومن هنا تتحدد مسئوليته ويصبح أكثر قدرة على الاستقلال في إصدار القرارات التي تحدد مصيره ومستقبله.

ونمط الإنتاج الزراعي في المجتمعات التقليدية، يعد متخلفاً إذا ما قورن بنمط الإنتاج الصناعي حتى في نفس هذه المجتمعات. من هذا يمكن تفسير عديد من السلبيات في الشخصية المصرية التي يشير إليها الباحثون، مردها إلى تخلف أنماط الإنتاج، التي يمتد تأثيرها السيئ حتى إلى المدينة، عن طريق الهجرة الداخلية غير المخططة من الريف إلى المدينة من ناحية، وبتأثير عدم تعمق تقاليد الحضارة الصناعية من ناحية أخرى، إذا كان المجتمع التقليدي مازال في مرحلة بدايات التصنيع الذي لم يأخذ طابعاً شمولياً بعد.

بقايا السيطرة الاستعمارية القديمة :

يضاف إلى تخلف أنماط الإنتاج بقايا السيطرة الاستعمارية القديمة. وفي يقيني أن الحكم العثماني الجهول قد أصاب الشخصية المصرية في الصميم، وترك آثاره المدمرة عليها، هذا الحكم الذي عمق من آثاره السلبية إمتداده قروناً طويلة من الزمان. وعندما قارب المصريون على الانعتاق من أسره، إذا بهم يصابون بكارثة الاستعمار الأجنبي، الفرنسي أولاً ثم الإنجليزي، وقد استطاع الاستعمار أن يضع الشخصية المصرية في قوالب جامدة وأن يمنعها من الانطلاق، فقد فرض على المصريين نظاماً تعليمياً، صمم لكي يخدم أهداف المستعمر، وذلك بتسخيره لتخريج مجموعات من الموظفين الذين ينهضون بأعباء الإدارة، ومن هنا كان هذا التعليم شكلياً، يركز على تربية عقليات حافظة، لا عقليات إبداعية خلاقة. ومن ناحية أخرى حاول الاستعمار بث الخلافات بين أبناء الأمة المصرية وأصطنع لنفسه عملاء من بين ضعاف النفوس وساعد على تدعيم الطبقة الأرستقراطية والبرجوازية، التي قامت باستغلال جموع الشعب، ومن خلال هذه العملية، تمت محاولات مستمرة ومركزة لفرض الخنوع على جماهير المصريين.

أثر العلاقات الاستغلالية للصفوة المصرية المستغلة

إن الصفوة المصرية المستغلة التي ترعرعت في رحاب المستعمر الأجنبي، كان لها تأثير مدمر على الشخصية المصرية، وذلك لأنها من خلال العلاقات الإنتاجية الاستقلالية التي فرضتها على جماهير المصريين في الريف والمدن، حاولت مستميتة أن تطمس إيجابيات متعددة في الشخصية المصرية، عن طريق القهر، كانت هذه الطبقات المستغلة تحاول فرض إرادتها الاقتصادية والسياسية، ولذلك كانت تمارس القمع الواسع المدى لمجابهة أي هبة جماهيرية تطالب بتحقيق العدالة الاجتماعية. ومن هنا

حدثت الفجوة الواسعة المدى بين السلطة والصفوة المصرية كأثر من آثار هذه العلاقات الاستغلالية ، لقد كانت السلطة في مصر - لفترة طويلة من الزمن - تمثل القمع والقهر والاستغلال.

إيجابيات الشخصية المصرية

ومن ناحية أخرى نجد إيجابيات متعددة في الشخصية المصرية، نجد تفسيرها في كونها محصلة تاريخ عريق، يتميز بالانفتاح على حضارات إنسانية متعددة، وعلى أديان شتى تعاقبت على مصر. هذا التعاقب الحضاري - إن صح التعبير - أدى إلى اتساع منظور المصري وسماحته، وأصالته، ومن ناحية أخرى هي ميراث الأجيال المصرية المناضلة المتعاقبة، التي كافحت بشرف وسخاء ضد المحتل الأجنبي والتي رفضت - بالرغم من الصعوبات الشاقة التي مارست فيها نضالها - أن تفرط في شبر واحد من التراب الوطني. ولم يقف كفاح الأجيال المصرية عند حدود النضال الوطني، بل مارست الجماهير الشعبية النضال الطبقي ضد المستغلين بكافة فئاتهم. إن الفلاحين المصريين - الذين اتهموا زوراً بالخضوع - ثاروا أكثر من مرة في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر وفي القرن العشرين ضد الاستغلال والإقطاع. وحين ظهرت بوادر الصناعة فى مصر فهم الذين ما لبثوا أن خاضوا معارك شتى ضد الرأسماليين المستغلين ولم يختلف المثقفون المصريون عن قيادة النضال الوطني والطبقي فى الفترات الحاسمة من تاريخ مصر، هؤلاء المثقفون الذين أنجبهم الشعب المصري عبر مراحل نموه وتطوره الممتدة .إذا وضعنا فى الاعتبار كل هذه الحقائق يمكننا القول أن الشخصية المصرية جديرة بنظرة علمية متوازنة لا تسقط فى هوة اليأس القاتل بالتركيز على السلبيات ولا تغامر بالمبالغة الفجة حول الإيجابيات ، أننا شعب نحاول أن نعيد صياغة شخصيتنا القومية وسط معركة دولية وحضارية ضارية عن طريق تجديد مؤسساتنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية سعيا وراء التقدم الإنساني المستنير والعصرية التي تشبع احتياجات الإنسان وفى خضم ذلك كله نتناول بصورة جلية دائمة سلبياتنا وإيجابياتنا ومحك إبداعنا الحقيقي هو كيف نخطط للتغيير بصورة عقلانية وعلى ضوء حضارتنا الأصيلة ذات الجذور الراسخة فى تكويننا النفسي والاجتماعي .

ثانيا : كيف يرانا الإسرائيليون ؟

من الحقائق التي ينبغي إبرازها أن رؤية الإسرائيليين للشخصية العربية بوجه عام وللشخصية المصرية بوجه خاص لا تنفصل عن الرؤية الغربية المتحيزة هذه الرؤية المتحيزة لها جذور تاريخية تمتد إلى الغزو الإسلامي لأوروبا وللحرب الصليبية وللحقبة التي سيطر فيها الاستعمار الأوروبي على العالم العربي وإذا كانت الرؤية الإسرائيلية للشخصية المصرية قد لونتها إلى حد ما الظروف الخاصة للصراع العربي الإسرائيلي ووضعيته الخاصة إلا انه مما لا شك فيه أنها تستمد فى مجموعها أصولها من النظرة الغربية للعرب.

ويمكن القول إن هذه النظرة تركز على عدة سمات سلبية ترى أنها تميز الشخصية العربية أو العقل العربي كما يطلق عليها هذا الاسم العالم الاجتماعي الإسرائيلي « رفائيل بتاى » فى كتابه عن « العقل العربي » الذي ظهر فى الولايات المتحدة الأمريكية فى أواخر عام ,١٩٧٣

والآن ما هي سمات الشخصية العربية المصرية من وجهة النظر الغربية الإسرائيلية؟ هناك سمتان أساسيتان: *الفردية، والاتجاه السلبي نحو الحقيقة والواقع* *أما الفردية* التي هي فى عرف هذه النظرة سمة غالبة على الشخصية العربية المصرية فمردها إلى إحساس عميق بأن كل فرد عليه أن يحارب

معركته فى الحياة بمفرده وذلك نتيجة لتفتت المجتمع وضعف الصلات بين أفراده ويرى من يتبنون هذه النظرة إن هذه السمة لا تظهر عند العربي فقط باعتباره فردا مادام يمتلك نفس القدرات والمواهب التي يمتلكها غيره من الناس ولكنها ترد إلى ضعف جماعي أو حضاري ضارب بجذوره فى أرضية العلاقة بين الفرد تجاه مواطنيه وتجاه مجتمعه.

أما السمة الثانية فهي اتجاه سلبي يسود بين العرب إزاء الحقيقة والواقع ويظهر ذلك فى غلبة الكذب والتزييف بين العرب ، وهذا الكذب فى نظر أنصار هذا الاتجاه وليد العداوة بين أعضاء المجتمع العربي الذي يتسم بان كل عضو من أعضاء المجتمع يشك فى الآخر .

إن هذا التحليل الغربي - الإسرائيلي المتحيز ضد الشخصية العربية المصرية وجد فرصته الذهبية فى الهزيمة العربية الجسيمة عام ١٩٦٧والذي انطلق دعاته يحللون أسباب الهزيمة ويردونها ما أطلقوا عليه « العيوب الجسيمة فى الشخصية العربية » لقد حاولت الحرب النفسية الإسرائيلية التي وجهت بصورة شاملة ضد الأمة العربية أن تبعث باليأس المميت فى نفوس العرب مصورة لهم أن شخصيتهم القومية تزخر بعديد من السمات السلبية « الغريزية » التي لن يستطيعوا البرء منها إلا بعد أجيال وأجيال من السنين.

وكان الهدف الجوهري من هذه الحملة كلها ــالتي نجحت إسرائيل فى إقناع الدول الغربية والرأي العام الغربي بها ــإثبات أن العرب عاجزون عن شن أي حرب ضد إسرائيل، وان مصيرهم هو الاستسلام لإرادة إسرائيل المطلقة حتى ولو أنكروا ذلك بلسانهم.

غير أن حرب أكتوبر ١٩٧٣ تكفلت بما انطوت عليه من أداء بطولي للقوات المسلحة العربية بتقويض دعائم هذه النظرية المزيفة عن الشخصية العربية، ففي مقابل الفردية المزعومة ظهرت الجماعية الرائعة التي ترجمت نفسها بصور شتى زاخرة بالحيوية سواء على مستوى المجتمعات العربية المحاربة، أو على مستوى الجيوش التي سادتها روح الفريق النضالية أو أخيرا على مستوى تعاون الدول العربية جميعا. وفى مقابل سمة الكذب المدعاة أديرت المعركة الإعلامية العربية على أساس من الصدق الموضوعي الذي سرعان ما كشف أكاذيب إسرائيل وزيف بلاغاتها العسكرية.

ومع ذلك لم يستطع التيار العنصري الكائن فى صميم الحضارة الغربية أن يقبل الحقائق البارزة التى كشفت عنها حرب أكتوبر والتي تؤكد أن المقاتل العربي إذا أتيحت له الظروف المواتية فانه يكشف عن المعدن الحقيقي للإنسان العربي وقد تكشف هذا الستار فى عدد من الدراسات الأمريكية التي أجريت عن تأثير حرب أكتوبر على الشخصية العربية من أبرزها دراسة الدكتور « بويربل» الأستاذ بمعهد «دراسات الحرب والسلام» بجامعة كولومبيا وعنوانها « الشخصية القومية والاستراتيجية العسكرية : التجربة المصرية أكتوبر ١٩٧٣.

فى صدر هذه الدراسة نجد تلخيصا سطحيا لكل الدعاوى الغربية الإسرائيلية العنصرية التقليدية عن جوانب الضعف الجسيمة فى الشخصية العربية والتي تجلت بشكل خاص فى حرب ١٩٦٧. ولكن كيف يفسر هذا الأستاذ »العبقري« حرب أكتوبر ١٩٧٣ الذي لا يستطيع إنسان عاقل أن يتجاهل الانتصارات العربية البارزة فيها فقد تفتق ذهنه عن تفسير بالغ البساطة والسطحية فى نفس الوقت. فقد ذهب إلى أن المصريين ليسوا عربا بل هم فلاحون أساسا. والفلاحون يمتازون-عن غيرهم- بالجمود وعدم القدرة على الابتكار، ولكن بالقدرة على الصمود أيضا. ومن هنا -ففي رأيه- إن المخططين المصريين وضعوا خطة عسكرية تتفق تماما مع الخصائص الأصيلة فى الشخصية المصرية.

ولذلك اختاروا أن يحاربوا معركة دفاعية ، تخندقوا فيها ودافعوا عن مواقعهم تحت مظلة الصواريخ ولذلك خسر الإسرائيليون خسارة جسيمة في المعارك الأولى فى الحرب ولم يسأل السيد« بوير بل» نفسه، وهل كان عبور القنال وتحطيم خط بارليف والمعارك التصادمية البالغة العنف التي قادتها ببسالة نادرة القوات المصرية، معركة دفاعية؟

أن هذا المثل يؤكد انه لم يكن أمام العقل الغربي ــ الإسرائيلي فى مواجهة الحقائق التى لا يمكن إنكارها إلا ابتكار تفسيرات غير علمية يحاول فيها الحفاظ على الأساطير التي روجها عن الشخصية العربية.

إن الصراع بيننا وبين إسرائيل ليس مجرد صراع عسكري ولكنه صراع حضاري بالغ الضراوة أيضا ومن هنا كان لابد من التركيز على سمات الشخصية القومية ونوعية البناء الاجتماعي لدى كل طرف من أطراف الصراع ، وإذا كانت هزيمة يونيو ١٩٦٧ قد أتاحت الفرصة لتضخم الذات الإسرائيلية فان حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد صححت الميزان ، وفرضت على إسرائيل أن ترتد إلى حجمها الطبيعي من غير تهوين أو تهويل.

ثالثا : السلوك القومي المصري : يونيو ١٩٦٧ أكتوبر ١٩٧٣

السلوك القومي كما سبق لنا إن عرفناه هو تفاعل الشخصية القومية مع موقف محدد وأمامنا موقفان تاريخيان يمكن بتحليلهما الكشف عن سمات هذا السلوك فيهما وهما : موقف الهزيمة فى يونيو ١٩٦٧ وحرب أكتوبر ١٩٧٣.

ترى كيف كانت ردود فعل الشعب المصري إزاء الهزيمة ؟

يمكن القول انه خليط من ردود الفعل السلبية والإيجابية التي لوحظت فى الفترة التي أعقبت الهزيمة. فقد حدثت مبالغة فى نقد الذات القومية بل وتجريحها والحط من شأنها وقد صاحب ذلك تضخيم من شأن العدو وتهوين من شأننا على كافة المستويات العسكرية والاجتماعية والسياسية والحضارية. وبرزت نظريات عديدة تتحدث عن الهوة التكنولوجية بيننا وبين إسرائيل وعن التخلف عندنا والتقدم عندهم. ومن السلبيات التي برزت أيضا الارتداد إلى تفسير ميتافيزيقي ساذج لتبرير الهزيمة والاندفاع فى تيار واضح من التدين الظاهر كان بمثابة إعلان المجتمع عن رغبته العارمة فى التكفير عن »الجريمة« التي ارتكبت عام ١٩٦٧ .

غير انه فى نفس الوقت كانت هناك ردود فعل إيجابية بالغة الوضوح لعل أهمها هبة الشعب فى ٩، ١٠ يونو ١٩٦٧ معلنا رفض الاستسلام والإصرار على النضال والتقت القيادة السياسية المصرية مع هذا التيار الشعبي الجارف وشرعت بجد شديد فى إعادة بناء القوات المسلحة المصرية والإعداد للمعركة القادمة. لقد كشف الشعب المصري فى هذه السنوات عن تراثه النضالي الأصيل الذي يرتد إلى أجيال وأجيال ، والذي تمثل فى رفض الهزيمة وعدم التفريط فى شبر واحد من التراب الوطني. وبالرغم من ان الفترة بين يونيو ١٩٦٧ وأكتوبر ١٩٧٣، حفلت بأحداث جسام، وتذبذب فيها ترمومتر الروح المعنوية المصرية مرات عديدة، حسب تغير المواقف العسكرية والسياسية إلا أنه يمكن القول - بكل موضوعية وتجرد - إن حرب أكتوبر تمثل ذروة الإيجابية فى الشخصية المصرية، لقد استنهض الشعب المصري -ممثلا فى قيادته السياسية- كل قدراته الخلاقة الكامنة، ووظفها جميعا فى خدمة هدف واحد هو المعركة الفاصلة مع العدو المحتل. إن ذاكرة الشعب المصري حافلة بالذكريات النضالية المجيدة ضد المحتلين، والقدرة العلمية للشعب المصري التي لها جذور راسخة، عادت لكي تتألق وهى

تعد للمعركة فى كتمان وهدوء ، والجماعية المصرية الأصيلة ، برزت حين انطلقت شرارة المعركة، وذابت فيها الفوارق بين الفلاحين والعمال والمثقفين، فإذا بهم ينطلقون بفدائية نادرة سيظل يذكرها التاريخ المصري فى أمجد صفحاته ، لكي يدكوا حصون الأعداء ويشتتوا قواتهم.
من خلال المعركة، وعلى ضوء لهيبها ، تهاوت دعاوى الانهزاميين عن عدم قدرة الشعب على شن معركة فاصلة ضد إسرائيل، وسقطت النظريات العنصرية عن الشخصية المصرية، وظهر وجه مصر الحقيقي.
لقد كشفت حرب أكتوبر عن مجموعة متماسكة من القيم أبرزها :
* أهمية التخطيط العلمي المتقن الذى يضع فى اعتباره كل الاحتمالات.
* أثر الجدية فى السلوك - التي تمثلت فى التدريب الشاق المتواصل للقوات المسلحة - فى تحقيق معدلات عالية من الإنجاز.
* القدرة الخارقة للمواطن المصري على التكيف مع أعقد المبتكرات التكنولوجية.
* الجسارة فى مواجهة المجهول وفى تحمل المخاطر.
* الجماعية فى التخطيط وفى التنفيذ، وسيادة روح الفريق، التي كانت وراء كل الانتصارات العسكرية.
*رشد السلوك الجماعي للجماهير، الذى تمثل فى انضباطها وانتظامها، ووقوفها وراء قواتها المسلحة.

إن هذه القيم جميعا قيم أكتوبر لو عممت من الميدان العسكري ، ولو استخلصت من إطار المعركة لكي تطبق وتدعم فى الميدان المدني ، حيث تنتظرنا أعمال جسيمة فى التعمير، وفى التنمية ، وفى النهضة الحضارية بكل معانيها ، فإن ذلك كفيل بأن يجعلنا نقفز مراحل تاريخية كاملة ، ونقترب من مجال الدول العصرية المتقدمة.
ترى هل نستطيع ان نمسك باللحظة التاريخية التي تجلت فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ حتى لا تفلت منا ؟ هل نستطيع - بعزيمتنا ونضالنا وكفاحنا - ان نحول جلال اللحظة إلى تيار دائم متدفق مندفع كالشلال؟
أم تصبح أيام أكتوبر لحظة تاريخية عارضة برقت فجأة وكشفت عن المعدن الحقيقي للشعب، ثم سرعان ما هبت عليها وغطتها السمات السلبية فى شخصيتنا القومية ؟
ذلك هو التحدي الحقيقي أمامنا، وليس يخامرنا أدنى شك فى ان جماهير الشعب وقياداته قادرة على مواجهة التحدي، ومصممة على الحفاظ على روح أكتوبر شعلة مضيئة فى طريق النضال الطويل.

خاتمة

النموذج الحضاري لحرب أكتوبر

نحن نحتاج إلى مراجعة أحكامنا عن السمات السلبية والإيجابية فى الشخصية المصرية، لأن غالبية هذه الأحكام صيغت إما بناء على تأملات انطباعية، أو ملاحظات ميدانية لم تصغ بشكل منهجي، أو أخيرا بدراسة الخبرة المصرية من وجهة النظر التاريخية.
ومراجعة الأحكام السائدة عن الشخصية المصرية لن تتم بغير إجراء الدراسات الأمبيريقية الموسعة بشكل خلاق. وفى هذا الصدد لابد من الإشارة إلى الدراسة الأمبيريقية الهامة التي أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، وصدرت فى كتاب حرره الدكتور احمد زايد بعنوان « المصري

المعاصر : مقاربة نظرية وامبيريقية لبعض أبعاد الشخصية المصرية»، والذي صدر فى منشورات المركز عام ١٩٩٠.

وقد ركز الدكتور «أحمد زايد» فى عرضه لنتائج الدراسة فى خاتمتها على عدد من سمات الشخصية المصرية أبرزها:

التناقض والازدواجية، والشك والتوجس، والتعلق بالأشخاص، والميل التبريرى، والسلبية، والصبر، والفكاهة، والمرح، والتواكل.

ومما يلفت النظر فى هذا العرض ان الدراسة توصلت إلى مراجعات نقدية هامة للأحكام الشائعة فى التراث فيما يتعلق بهذه الأبعاد. ولا يسمح لنا المجال بمناقشتها بصورة نقدية.

والكتاب يعتبر إضافة حقيقية لتراث دراسات الشخصية المصرية، لأنه حصيلة ميدانية، تمت بصورة منهجية دقيقة.

إذا كنا قد أشرنا إلى الملامح العامة لعملية التخطيط السياسي والعسكري لحرب أكتوبر، وقمنا بالإشارة الموجزة للإنجازات العسكرية المصرية الباهرة على المستوى الإستراتيجي والتكتيكي، فإن هذا فى حد ذاته لا يكفى لاستخلاص الملامح المحددة للنموذج الحضاري لحرب أكتوبر، والذي يصلح فى رأينا للتطبيق الخلاق فى عملية تحديث المجتمع المصري تحديثا شاملا.

ونحن نقترح ان يشكل فريق من العلماء الاجتماعيين فى مختلف التخصصات السياسية والاجتماعية والثقافية والنفسية، ومعهم فريق من الخبراء العسكرين لتحليل الوثائق الخاصة بإعداد الدولة للحرب والتخطيط السياسي والعسكري للمعركة، والإنجاز الفعلي فى الميدان. بناء على هذه الدراسات المتعمقة يمكن ان نستخلص بدقة النموذج الحضاري لحرب أكتوبر، والذي كشف ، بدون أدنى جدال، عن الجوهر الحقيقي للشخصية المصرية التي قررت بقرار العبور تحدى المستقبل.

مراجع الدراسة

1-TERHUNE , K., FROM NATIONAL CHARACTER TO NATIONAL BEHAVIOUR,A REFORMULATION, THE JOURNAL OF CONFLICT RESOULOTION VOL., XIV NO. 2,JUNE 1978, 203-263.

٢- فؤاد زكريا ، شخصيتنا القومية : محاولة فى النقد الذاتي ، الفكر المعاصر ، عدد ، ٥٠ أبريل / ١٩٦٩ ، ٤-١١.

٣- السيد يسن ، الطابع القومي للشخصية ، الفكر المعاصر ، عدد ٥٠ ، أبريل ١٩٦٩ ، ١٢-٢٧.

٤- السيد يسن ، الشخصية العربية بين المفهوم الإسرائيلي والمفهوم العربي ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، مؤسسة الأهرام ، ١٩٧٤.

٥- السيد يسن ، حرب أكتوبر والنظرة العلمية للشخصية المصرية ، الأهرام.

٦- بريستد ، فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن ، القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٥٦.

٧- رأفت عبد الحميد ، ملامح الشخصية المصرية فى العصر المسيحي ، القاهرة : كتاب روزاليوسف يناير ١٩٧٤.

٨- جمال الدين الشيال ، تكوين الشعب المصري الجديد بعد الفتح العربي ، الثقافة مجلد ٢ ،

.١٩٤٠
٩- صبحي وحيدة ، فى أصول المسألة المصرية ، القاهرة : الأنجلو المصرية ، ١٩٥٠.
١٠- حسين فوزي ، سندباد مصري ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦١.
١١- بدر الدين أبو غازي ، الشخصية المصرية المعاصرة ، المدير العربي ، عدد ٣٨ ، أبريل ١٩٧٢ ، ٧-٩.
١٢- ملاك جرجس ، الشخصية المصرية المعاصرة : وجهة نظر وتساؤلات حول الجوانب السلبية وأثرها على التنمية ، المدير العربي ، عدد ٤٢ ، فبراير ١٩٧٣ ، ٤٤-٥٥.
١٣- ملاك جرجس ، الشخصية المصرية المعاصرة ، الجوانب السلبية ، المدير العربي ، عدد ٤٣ ، مايو ١٩٧٣ ، ١٧-٢٦.
14-Patai, r., the arab mind, new york: charles scriber's sons, 1974 .
15_ Bell, j.b national character and military strategy: the-Egyptian experience , october 1973 , (memo)

الورقة الخامسة :

أبعاد العمل الإجتماعى قبل وأثناء وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣

الوزيرة / ميرفت تلاوى

وزيرة التأمينات والشئون الاجتماعية

المقدمة:

عرفت مصر منذ أمد بعيد ، المسئولية الاجتماعية إزاء مواطنيها فى الحرب والسلم خاصة من خلال تجربتها فى أعقاب الحرب العالمية الأولى والتي تمثلت فى تأهيل عدد من المتأثرين والمصابين و الجرحى عن طريق تقديم الخدمة الطبية اللازمة لتضميد جراحهم و العمل على تأهيل مشوهي الحرب والمعوقين بسبب العمليات العسكرية ، حيث أنشئ بمصر وبتمويل من الولايات المتحدة أول مركز للتأهيل المهني سنة ١٩٢٠ تولى تأهيل المعوقين الذين فى سن العمل والذين تبشر حالاتهم باحتمالات قوية للنجاح ، وذلك من منطلق اقتصادي بحت ، وليس بقصد تحقيق الراحة النفسية أو إعادة التكيف والتوافق النفسي والاجتماعي للمعوق مع المجتمع ، وهو المفهوم الذى أصبح ضرورة حيوية فيما بعد ومنطلقاً لأهداف التأهيل الاجتماعي الذى تبنته المنظمات الأهلية والحكومية مؤخراً .

كما استفادت مصر من رصيدها الضخم المكتسب من خلال التجربة الإنسانية التي مارستها فى إعانة المنكوبين من الكوارث والنكبات العامة كالفيضانات ، السيول ، الحرائق وغيرها ، حيث قامت على إغاثة هؤلاء المنكوبين وفق إجراءات محددة اختصت بها فى البداية وزارة الشئون الاجتماعية ووزارة الداخلية ، ومع تطور الحركة الاجتماعية فى مصر أسندت مهام الإغاثة بصفة أساسية وقت السلم لوزارة الشئون الاجتماعية على أن تعاونها وزارة الداخلية والوزارات الأخرى. وذلك وفق ما جاء في ديباجة المرسوم الملكي القاضي بإنشاء وزارة الشئون الاجتماعية والصادر في ٢٠ أغسطس ١٩٣٩م (والمرفق صورته) . . . حيث أشار إلى ضرورات مواجهة الأخطار المختلفة التي يتعرض لها المجتمع وعدم تركها لحكم الصدفة. *

أولاً :الإغاثة:

الإغاثة وقت السلم:

وقد اعتمدت جهود الإغاثة وقت السلم على ما يلي :

١- الجهود الرسمية:

تبليغ الجهات المعنية بوزارتي الداخلية والشئون الاجتماعية بالحادثة ، مع سرعة تدبير المأوى لمن هدمت

مساكنهم بما فى ذلك إقامة الخيام الإيوائية، وصرف مساعدات المنكوبين من الشئون الاجتماعية فى نفس يوم الحادث، على ان تشكل لجنة للإغاثة المحلية تقوم بتحديد المساعدات النقدية اللازمة لسد نفقات الطعام لمدة خمسة أيام تالية، مع تدبير أماكن لبيع المواد الغذائية، كما تحدد اللجنة تعويضات الإغاثة العاجلة التي ترى منحها فى حالة الخسائر فى الأرواح كنفقات دفن الموتى وغيرها، تقوم اللجنة فى مدة أقصاها ثمانية أيام بعد وقوع الحادث بحصر الخسائر فى الأرواح والأموال تمهيداً لصرفها طبقاً لقانون الضمان الاجتماعي.

٢- الجهود الأهلية:

يؤكد تاريخ العمل الاجتماعي .. ان محور الإغاثة الأول فى مواجهة الكوارث والنكبات العامة فى القرى والأحياء الشعبية بالمدن يقع على الأهالي ومن ورائهم الجمعيات الأهلية المحلية الذين يبادرون بالتكاتف والتضامن للتغلب على هذه الكوارث بجهودهم الذاتية. بينما يعتمد أهل المدن بدرجة اكبر فى مثل هذه الحالات على جهود الدولة.

وفى الريف المصري لا تزال صورة الإغاثة العامة تشير إلى قيام بعض الرجال الأشداء والشباب بإنقاذ المحاصرين فى الحادث، و يقوم غيرهم بنقل ما فى المنزل أو المنازل من مواشي أو غلال أو أمتعه إلى مكان بعيد عن مكان الحادث، وتقوم النساء بنقل المياه في حالة الحريق، والرجال الذين يجيدون العوم والغطس بالغطس لإنقاذ المواطنين فى حالة غرق معدية أو سيارة، وإذا كان الحادث سيلاً فإنهم يقيمون السدود ويقاومون المياه، ويستمر العمل هكذا حتى تخف آثار النكبة ويتعاون فيها القادرون مع المنكوبون مع تضافر حكومى وأهلي لتجاوز المحنة.

الإغاثة فى الحرب:

أما فى زمن الحرب، حيث تقوم الدولة بإعداد خطتها مقدماً لمواجهة الاحتمالات التي قد تحل بالمدنيين نتيجة للحرب المتوقعة، تضع كل وزارة خطتها التفصيلية انطلاقاً من مسئولياتها القطاعية وبالتعاون مع الوزارات المعنية بهدف حماية الجبهة الداخلية وتعبئة الموارد والحفاظ عليها بالمجهود الحربي، ونشير فى هذا الصدد إلى ما يلي:

أ- اشتملت دائماً خطة وزارة الشئون الاجتماعية على تعبئة جهود الجمعيات الأهلية فى نجاح البرامج المعاونة لوقاية المدنيين من آثار الحرب بتنظيم وتفعيل وسائل الدفاع المدني من ذلك:-

*المشاركة فى إعداد المخابئ والخنادق التي يأوي إليها المدنيون وحماية المرافق العامة كمحطات توليد الكهرباء ومحطات مياه الشرب وشبكات المياه وأماكن تجمع الجماهير بإقامة سياج من الرمل يحيط بها وتدعيم وسائل الإنقاذ بالقوى البشرية الكافية والمدربة وتوعية الناس بما يجب عليهم عمله لحماية أنفسهم من الغارات.

ب-انفراد الوزارة خطة إخلاء المحافظات والمدن فى الجبهة ، والتي استهدفت:

*تقليل الكثافة السكانية فى الأماكن المعرضة للهجوم و تقليل الخسائر فى الأرواح و تخفيف الضغط على المرافق العامة بتوفير الإمكانات للمجهود الحربي والأمن الداخلي ، واشتملت هذه الخطة على برامج الرعاية الآتية:

(١) إعداد مراكز لإيواء الذين يتقرر إجلاؤهم.

(٢) إعداد وسائل النقل الكافية لهم.

(٣) إعداد المواد التموينية الضرورية لمعيشتهم.
(٤) تقديم وسائل الرعاية الصحية لهم.
(٥) تقديم مساعدات الإغاثة لهم طول مدة إقامتهم.
(٦) إعداد وسائل الترفيه وشغل أوقات فراغهم.
(٧) تقديم وسائل الرعاية الاجتماعية وحل كل ما يعترضهم من مشاكل.
(٨) توفير الأعمال والوظائف المناسبة للقادرين منهم على العمل.
(٩) الاستعداد بالعناصر البشرية التي تنفذ هذه الخطة و تأهيلها لذلك.
(١٠) تدبير التكاليف المالية اللازمة للتنفيذ.

ج- وقد اشتملت دائماً خطة الوزارة على المشاركة فى أعمال الإغاثة .. فى كافة المراحل مثل الإغاثة فى حالة الغارات الجوية حيث:
(١) يبلغ مندوب مديرية الشئون الاجتماعية بغرفة العمليات بالمحافظة نوبتجية مدربة لتكون على استعداد للتوجه إلى موقع الغارة الجوية واستقبال المحتاجين للإيواء.
(٢) تبلغ مديرية الشئون الاجتماعية مراكز الإيواء لتكون مستعدة لاستقبال المحتاجين للإيواء.
(٣) بعد انتهاء الغارة يبلغ المندوب المديرية بمكان الغارة ومداها وعدد الجرحى والقتلى وكذلك المباني التي تهدمت والمباني الآيلة للسقوط.

د -خطط الإخلاء الإجباري والذي يتم بناء على طلب السلطات المسئولة ويجرى تنفيذه وفق مراحل محددة تشتمل على ما يلي:
(١) تنشئ مديرية الشئون الاجتماعية بالمحافظة مكانا يتجمع فيه المواطنون المطلوب إجلاؤهم.
(٢) يتم حصرهم وتصنيفهم إلى أسر كاملة - نساء فقط - أطفال مع أمهاتهم - أطفال فقط - شيوخ وشبان.
(٣) يقدم لهم بأماكن التجمع أغذية جافة.
(٤) تبدأ عملية الترحيل حسب التصنيف بترحيل الأطفال مع أمهاتهم ثم الأطفال فقط ثم النساء بدون الأطفال ثم العجزة ثم المسنين ، ثم المرضى ... وهكذا.

هـ-خطة النقل إلى مراكز الإيواء:
يبدأ بنقل الأسر التي تهدمت مساكنها أو آلت للسقوط إلى مراكز الإيواء ثم الذين تقرر إجلاءهم بوسائل النقل التي تمدها المديرية . ثم استقبال الأسر التي نقلت إلى مراكز الإيواء وتسكينهم.

و-خطة حصر الخسائر ولجنة الإغاثة بمديريات الشئون الإجتماعية حيث تتولى:
حصر الخسائر فى الأرواح والأموال وإعداد بيان بأسماء المتوفين تمهيداً لصرف إعانة الوفاة لذويهم وحصر الخسائر فى الأموال والأرواح حصراً نهائياً مع الاستعانة بمحاضر الشرطة.

ز- خطة التهجير والتي تجمع فى إطارها خططاً تفصيلية أخرى.. تتم حسب المراحل الآتية:
(١) النقل : حيث ينقل المواطنون على أفواج من مراكز التجمع فى (محافظات الترحيل) بالقطار أو بالسيارات مع مرافق لهم يقوم بتسليمهم لمراكز الاستقبال التي أعدت بالمحافظات الأخرى (محافظات الإيواء).
(٢) تستقبل مراكز الاستقبال المهجرين ويتم تصنيفهم حسب درجات القرابة والسن والجيرة وينقلون إلى مراكز الإيواء بعد ذلك.

(٣) وفى مراكز الإيواء يتم استقبالهم وتسكينهم وتجرى لهم البحوث الاجتماعية للوقوف على مدى احتياجاتهم للخدمات المختلفة وصرف بطاقة لكل شخص يزيد عمره على خمسة أعوام إذا كان بدون أسرة، يصرف له بمقتضاها التغذية والإعانات ثم يتم إعداد سجل بحصر المهجرين وله صوره بالمديرية.
(٤) ويجرى صرف مساعدات الإغاثة التي تقرر لكل أسرة ليس لها دخل وتختلف قيمتها تبعاً لعدد الأسرة.
(٥) يتم صرف المساعدات التعويضية عن الخسائر، فتصرف معاشات شهرية لأسر الشهداء وكذلك المصابين بعجز كلى كما تصرف تعويض عن الخسائر فى الأموال مساو لقيمة الخسائر الفعلية.

ثانياً: أمثلة تاريخية لدور الوزارة فى الظروف الاستثنائية:

١-تهجير مواطني بور سعيد عام ١٩٥٦م:
وهى أول تجربه تخوضها الوزارة وأجهزتها الرسمية فى ميدان التهجير الجماعي حيث لم يكن هناك تشريع قائم يعمل على ضوئه المسئولون باستثناء القرارات الوزارية المنظمة لحالات الإغاثة فى النكبات العامة إلا إن العمل إزاء هذه المهمة الوطنية قد سار على احسن وجه وتضمن نقل الواطنين إلى مراكز إيواء أقيمت لهم وفق جهودهم الخاصة وبالسرعة المطلوبة و تقدير الإعانات للمهجرين حسب الحاجة الفعلية مع تحديد القواعد الكفيلة لصرفها، ورعايتهم أثناء تواجدهم فى مراكز الإيواء إلى ان تم إعادتهم إلى بور سعيد مرة أخرى بعد فتره وجيزة ،واشتملت هذه العملية أيضا على تحديد قواعد للتعويض عن أضرار الحرب لأول مرة حيث لم تتوفر لدى الوزارة خبرات سابقة محلية أو دولية فى هذا الشأن، ولهذا تم تشكيل لجان للنظر فى التعويضات وقد صرفت التعويضات على قسطين: الأول بنسبة ٢٠٪ منه والثاني بعد إتمام حصر المبالغ المستحقة.

٢-تهجير أهالي النوبة سنة ١٩٦٣م:

فمنذ التفكير فى بناء السد العالي سنة ١٩٥٩بدأت وزارة الشئون الاجتماعية دراسة الاحتمالات للقيام بدورها المحدد لها حيث شاركت فى إصدار القانون رقم ٦٧ لسنة ١٩٦٢ بشأن نزع ملكية الأراضي التي تغمرها مياه السد العالي وتحديد قواعد التعويض النقدي والعيني عن ممتلكات الأهالي، وأصدرت القرار الوزاري رقم ١٠٦ لسنة ١٩٦٢ متضمناً هذه القواعد.

٣-هجرة منطقة القناة وسيناء سنة (١٩٦٧):

تعتبر هذه الهجرة من الأعمال الهامة التي أدتها وزارة الشئون الاجتماعية فى ظروف الطوارئ حيث واجهت الدولة بشكل مفاجئ آثار حرب ١٩٦٧ غير المتوقعة ولم تكن هناك خطة موضوعة لاستيعاب المهجرين الذى بلغ عددهم ثلاثة أرباع المليون نظراً إلى أن الدعاية التي سبقت هذه الحرب بأيام والتي صاحبت إعلانها يوم ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ أوحت للجميع بأن جيش مصر منتصر لا محالة، وحين تبين العكس كانت المفاجأة الكبرى.
مع ذلك تمكنت الوزارة من نقل المهجرين إلى مراكز الإيواء، وتدبير إعاشة لكل أسرة تأثر دخلها بالعدوان، وقامت بكافة أوجه الرعاية السابق الإشارة إليها وأنشئت بوزارة الشئون الاجتماعية وكالة الوزارة للطوارئ التي ضمت إدارات مختلفة تعنى بوضع برامج الرعاية الملائمة للمهجرين والعمل على تنفيذها.
ولا ننسى هذا الدور الذى قامت به الجمعيات الأهلية فى مجال الطوارئ والأعمال الجليلة التفصيلية التي

كان لها أثر كبير في تخفيف الضغط على ميزانية الدولة من ذلك نذكر ما يلي:
أ- تخلت الجمعيات عن الكثير من مبانيها لإيواء المهجرين.
ب- ساعدت فى عمليات الحصر والترحيل والاستقبال والإيواء بدون مقابل مادي.
ج- أسهمت بكثير من أموالها فى حالات تأخر ورود الاعتمادات المطلوبة.
د- أسهمت بكثير من أموالها فى إعانات المهجرين وخاصة الإعانات العينية.
هـ-جهودها الملموسة وفرت الكثير من النفقات التي تتحملها ميزانية الدولة.
و-تعبئة معظم أنشطتها لمواجهة حالات الطوارئ.

ثالثاً:الرعاية الاجتماعية لأسر المهجرين:

عندما قامت معركة سنة (١٩٦٧) بين إسرائيل ومصر ، لم يميز العدو بين الأهداف المدنية والأهداف العسكرية فأصاب المواطنين فى منطقة القناة وسيناء بكثير من الخسائر فى الأرواح والأموال، وأصبحوا مهددين فى أرواحهم وأرزاقهم، وبدأ كثير منهم فى الهجرة إلى المحافظات الأخرى، وقد بدأت الهجرة اختيارية وجزئيه فى بادئ الأمر فى ١٩٦٧، ثم إجبارية وجماعية حفاظاً على الأرواح حيث هجرت أهالي سيناء وقطاع غزة يوم ١٠ يوليه سنة ١٩٦٧، وهجرت مدينة بورسعيد فى إبريل سنة ١٩٦٩ والتي كانت منظمة وتحت إشراف الشئون الاجتماعية وأجهزة الدولة الأخرى.

مفهوم التهجير:

يقصد بالتهجير بصفة عامه نقل مجموعة من الأفراد من مكان إلى مكان آخر بسبب قلة الموارد الطبيعية فى مكانهم الأصلي .. إلى مكان آخر يؤمن احتياجات هؤلاء الأفراد، أو بسبب تعرض منطقتهم لظروف تجعلها غير صالحة مادياً واجتماعياً لاستمرار حياتهم. وقد يترتب على التهجير تغيير نمط الحياة إلى نمط آخر أفضل منه أو مشابه له - ولا شك ان التهجير الإجباري للظروف الخارجة عن إرادة الفرد أو الجماعات تعرض أصحابه بلا شك إلى القلق والألم النفسي والذي يحتاج إلى مواجهة علمية مدروسة.
مجهودات وزارة الشئون الاجتماعية فى عملية التهجير:

* نقل المهجرين إلى المحافظات المختلفة حتى يكونوا أكثر أمناً.
* تجهيز أماكن لإيواء لمن لا مأوى لهم.
* صرف مساعدات إعاشة للأسر التي تأثرت دخولها بالعدوان.
* تقديم وسائل الرعاية الأخرى لدعم استقرارهم فى الموقع الجديد.

الأبعاد التي قامت عليها رعاية المهجرين:

١- البعد السياسي:

حماية الجبهة الداخلية التي كانت ممزقة بعد هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ بنقل ما يزيد عن ٧٢٧ ألف مواطن من مناطق الجبهة إلى المناطق الداخلية.

٢-البعد العسكري:

تهيئة المناخ الملائم للقوات المسلحة لتعيد تنظيم صفوفها ، وذلك بإخلاء مسرح العمليات أمامها ، والعمل على معاونة الدولة فى التغلب على مشكلة المهجرين حتى تتفرغ للمشكلة القتالية مع العدو.

٣- البعد الاجتماعي:

أ-فرعاية المهجرين تعتبر أحد أوجه الضمان الاجتماعي بمعناه العام الذى يهدف إلى تأمين حياه كريمة للفرد ، وخاصة إذا ما تعرضت حياته لظروف تجعله غير قادر على الكسب ، كما يتضمن هذا البعد النظر إلى ما حل بالمهجرين باعتباره إحدى الكوارث والنكبات العامة ، التي تستوجب ان تضامن المجتمع كله فى تحمل أعبائها .

ب- والمعالجة النفسية والاجتماعية للمهجرين الذين تركوا ديارهم ، وأقاموا فى مجتمعات محلية أخرى مخالفة لمجتمعاتهم الأصلية التي كانوا يعيشون فيها .

كما قامت الوزارة إلى جانب صرف الإعاشة بتوعيتهم وإذكاء الروح الوطنية بينهم من خلال المحاضرات التثقيفية والتوعية الوطنية والتأكد على إصرار القوات المسلحة على خوض حرب التحرير لاستعادة الأرض وتطهيرها وعودتهم إلى مواطنهم الأصلية.

ج-وقد قامت وزارة الشئون الاجتماعية بدورها الكبير فى رعاية المهجرين وذلك على أساس:

(١) أنها الوزارة المسئولة عن الإغاثة فى السلم والحرب.

(٢) أنها وزارة المجتمع المسئولة عن كل طوائفه وخاصة الذين يتعرضون لظروف تجعلهم فى حاجه ماسة للمساعدة.

(٣) ان دورها فى الحرب لا يقل عنه فى السلم ، وهى لذلك تضع جميع إمكانياتها ، وإمكانيات الجمعيات الأهلية التي تشرف عليها فى رعاية هؤلاء المهجرين.

(٤) وإيماناً من الوزارة بأن أبناء سيناء والقناة قدموا الكثير من التضحيات، وأن لهم على الدولة واجب الرعاية الكاملة وفاء لحقهم، وتعويضاً عن تضحياتهم. لذا فقد وضعت الوزارة كل إمكانياتها المادية، وجندت كل طاقاتها البشرية فى تعاون تام واتساق كامل مع الأجهزة التنفيذية والسياسية سواء على المستوى المركزي أو المحلى عملاً على تحقيق كل ما يكفل للمهجرين الراحة والطمأنينة والاستقرار، مما كان له الأثر الواضح فى تماسك وصمود الجبهة الداخلية وذلك فيما يلي:

أ-الخدمات المباشرة التي قدمتها وزارة الشئون الاجتماعية:

(١) تنظيم استقبال ونقل المهجرين:

(أ)استقبلت أجهزة الوزارة بمنطقة القناة على امتداد أيام المعركة وما بعدها أفواج المهاجرين فى مراكز تجمع، وهيأت لهم ضرورات الرعاية مع إعدادهم نفسياً توطئة لتهجيرهم، كما قدمت الرعاية ذاتها لأفراد القوات المسلحة العائدين من شرق القناة، وتم توفير وسائل النقل المختلفة وتنظيم عملية سفر المهجرين وأمتعتهم وصرفت إعانة لمواجهة أعباء الترحيل.

(ب)تم إعداد مراكز الاستقبال فى المحافظات المضيفة وكانت هذه المراكز تتولى استقبال المهجرين وتوزيعهم على مراكز الإقامة التي أعدت لهم. ولقد روعي تجميع الأسر التي تربطها صلات قرابة فى مركز إقامة واحد، أو مراكز إقامة متقاربة بقدر الإمكان.

(ج)ولقد كان استقبال المهجرين بالقرى المصرية استقبالاً حافلاً لتكريمهم وضيافتهم من إخوانهم المواطنين حيث تم تقديم المساعدات المادية والعينية لهم، مما كان له أكبر الأثر فى التخفيف عن الآثار النفسية السلبية لهم.

(١) إعداد مراكز الإقامة :

(أ)قامت الوزارة بإعداد أماكن إقامة المهجرين بالمدارس والوحدات المجمعة والوحدات الاجتماعية والجمعيات والمضايف وغيرها وذلك على مستوى محافظات الجمهورية ومدها بكل ما يلزمها من وسائل الإقامة المناسبة من مفروشات وأغطية ، وقد بلغ عددها عام ١٩٧٤م (١٣٤٨) مركزاً وزعت على محافظات المنوفية - بنى سويف - الدقهلية - الغربية - الفيوم - كفر الشيخ -أسيوط - القليوبية-الشرقية - البحيرة - المنيا - سوهاج - الإسكندرية أما باقي المحافظات فإن المهجرين يقيمون بها فى مساكن يستأجزونها أو مع أقاربهم الذين يقيمون أصلاً فى هذه المحافظات.

(ب)والجدير بالذكر أن ما يقرب من نصف مهجري سيناء أقاموا فى داخل مراكز الإقامة فى مديرية التحرير محافظة البحيرة حيث شغلوا مساكن تابعة لشركة جنوب التحرير الزراعية وكانت هذه المساكن معدة أصلاً لسكنى الفلاحين الذين سيجرى توطينهم بالمنطقة لاستزراع الأراضي.

وقد شغل المهجرون عدة قرى فى مديرية التحرير ، وقد أعتبرت كل قرية بمنازلها ومرافقها مركز إقامة أو معسكراً - وهو الإسم الذى شاع على هذه الأماكن فى ذلك الوقت - ثم تغيرت التسمية لعدم مطابقة كلمة معسكر عليها إلى مراكز إيواء ، وعدلت كذلك لعدم مناسبة الإيواء أيضاً عليها ، واستقر الأمر على تسميتها مراكز إقامة على اختلاف أنواعها ، سواء كانت هذه المراكز بالمدن أو القرى ، بالوحدات الحكومية أو جمعيات أهلية.

وظهرت بعض المشكلات فى بعض مراكز الإقامة حيث لم تكن هذه المراكز معدة أصلاً للإقامة الدائمة لمثل هذه الأعداد الكبيرة ، وقد تم عمل فواصل لتخصيص حجرات مستقلة لكل أسرة حرصاً على العلاقات الاجتماعية والأسرية ، كما تم القيام بالترميمات لبعض المراكز وصيانة المرافق وإنشاءات دورات مياه جديدة لها .

(٣) إعانات شهرية للأسر:

تصرف إعانة شهرية للأسر طبقاً لعدد أفرادها ، وتختلف بمعدلات الإعاشة طبقاً للجهة المهجرة منها ، حيث تزيد هذه المعدلات بالنسبة للمهجرين من شـرق القناة (سيناء وغـزه) عن المهجرين من غرب القناة (بور سعيد - الإسماعيلية - السويس) لاعتبارات سياسية واجتماعية وذلك وفق الجدول التالي :

القيمة بالجنيه/شهر

حجم الأسرة	الجهة المهجرة منها	
	غرب القناة	شرق القناة
١	٤٠٠٠	٤٠٠٠
٢	٥٢٥٠	٦٠٠٠
٣	٦٠٠٠	٩٠٠٠
٤	٧٥٠٠	١٢٠٠٠
٥	٩٠٠٠	١٥٠٠٠
٦	١٠٥٠٠	١٥٠٠٠
٧	١٢٠٠٠	١٥٠٠٠
٨	١٢٢٥٠	١٥٠٠٠
٩	١٣٥٥٠	١٥٠٠٠
١٠	١٤٢٥٠	١٥٠٠٠
١١	١٥٠٠٠	١٥٠٠٠

(٤) الإعانات الإضافية :
بجانب مساعدات الإعاشة تصرف أيضا إعانات للأسر المهجرة تتراوح من ١٥ جنيهاً إلى ٥٠ جنيهاً لمساعدتها على مجابهة الظروف الطارئة مثل حالات زواج الابنة (١٥ جنيهاً) أو حالة وفاة رب الأسرة (١٠ جنيهات) أو مواجهة تكاليف العمليات الجراحية (٥٠ جنيهاً) .

(٥) إعانات الطلبة :
مراعاة للظروف الاقتصادية للمهجرين وحتى لا تقف الهجرة عقبة فى سبيل تعليم أبنائهم فقد أولت وزارة الشئون الاجتماعية اهتماماً خاصاً بأبنائهم الطلبة وصرفت لهم:
(أ) إعانات شهرية حسب المراحل التعليمية والتي تتراوح من ٣ - ٥ جنيهات شهريه لطلبة الجامعات وجنيه واحد لطالب المرحلة الثانوية المقيم مع أسرته .
(ب) صرف إعانات دفعة واحدة لطلبة الجامعات والمعاهد العليا فى أول العام الدراسي لشراء الكتب تتراوح من ٥ - ١٠ جنيهات تختلف باختلاف نوع الكلية (عمليه / نظريه) .
(ج) قامت الوزارة بسداد الرسوم المطلوبة للكليات المدنية والعسكرية والمعاهد العالية الحكومية والخاصة كما قامت بسداد قيمة الزي المطلوب للكليات العسكرية ومعاهد التربية الرياضية وأبناء الشرطة وكافة المعاهد ذات الزي الموحد.
(د) صرف مساعدات فى أول العام الدراسي للطلبة للمساهمة فى شراء الملابس اللازمة لهم تتراوح من ١-٣ جنيهات حسب المرحلة التعليمية.
(هـ) صرف مكافأة للطلبة المتفوقين فى امتحانات الشهادة العامة تتراوح من ٥-١٥ جنيهاً حسب الشهادة الحاصل عليها.
(و) صرف استمارات سفر مجانية للطلبة من مقار إقامة أسرهم إلى معاهدهم ومدارسهم عند بدء ونهاية العام الدراسي وكذلك فى الأعياد والمناسبات.
(ز) تحملت الوزارة بقيمة المصروفات المقررة للمدارس الخاصة ولفصول الخدمات.

(٦) إعانة التعطل:
وقد صرفت للذين تقرر استبقاؤهم بمدن القناة خلال فترة التهجير لخدمة المرافق العامة وأفراد المقاومة.

(٧) المساعدات العينية:
تقوم الوزارة بتوزيع معونات عينية ترد إليها كهدايا من بعض الدول الصديقة وتتمثل فى الملابس والأغطية والمعلبات والأغذية.

(٨) الخدمات المتنوعة والتنمية الاجتماعية:
كفلت الوزارة للمهجرين أولوية الحصول على الخدمات المتنوعة التي تقدمها للمواطنين سواء كانت هذه الخدمات حكومية أو أهلية عن طريق الهيئات والجمعيات والمؤسسات وذلك فى مجال رعاية الأسرة والطفولة والتأهيل الاجتماعي للمعوقين والتدريب المهني ومشروعات الأسر المنتجة ومكاتب تحفيظ القرآن وفصول محو الأمية ورعاية الشباب وغيرها ، وتشير إحصاءات الوزارة إلى انتشار هذه الخدمات واتساع قاعدة المستفيدين منها كما يتضح من البيان التالي :

نوع الخدمة	دور حضانة	مشاغل فتيات	مراكز التدريب المهني	أندية اجتماعية	مكاتب تحفيظ قرآن	فصول محو الأمية	مشروعات الأسر المنتجة	مراكز تنظيم الأسرة
عدد المستفيدين	٩٨٧٩	٦٨٢٥	٣١٦٩	٧١٤٩	٣٦٢٦	٩٥٠١	٣٣٢٨٨	١٧٧٢٠

برنامج جمع شمل الأسر:

نفذ بالتنسيق مع هيئة اتصال الأمم المتحدة بالقوات المسلحة والصليب الأحمر الدولي والأجهزة الأخرى المعنية وقد طبق فقط على مواطني سيناء وغزة.

وقد بلغ حجم الإنفاق على رعاية المهجرين منذ التهجير حتى نهاية عام (١٩٨٤) حوالي ١٦٤ مليون جنيه موزعة على النحو التالي :-

	مليون جنيه
الإعاشة الشهرية	**١٢٦,٤**
الإعانات الإضافية	**٤,٦**
إعانات التعطل	**١,٣**
إعانات الطلبة	**١٥,٢**
برامج الرعاية المختلفة والتنمية الاجتماعية	**١,٣**
تجهيزات مراكز الإقامة والمصروفات	**١٥,٢**

هذا إضافة إلى مبلغ ٣ مليون جنيه تم صرفها من « معونة الشتاء ».

ب- خدمات غير مباشرة قدمتها الوزارة للمهجرين مثل:

(١) مقابل التهجير:

حيث يصرف للعاملين بالحكومة والقطاع العام مقابل للتهجير بنسبة ١٠%، ٢٥% من مرتباتهم، وتتولى جهات عملهم صرف هذا المقابل.

(٢) تشغيل أبناء المهجرين:

حيث تولت الوزارة منذ بدء التهجير استثناء الخريجين من أبناء المهجرين من الدور فى التعيين عن طريق القوى العاملة ومنحهم الأولوية فى التوظيف فتقوم باستخراج شهادة الهجرة اللازمة لهم كمستند أساسي للاستثناء ثم يجرى تجميع الأوراق ومراجعتها وتصنيفها، وإرسالها إلى وزارة القوى العاملة لاتخاذ إجراءات توزيعهم على جبهات العمل.

وقد بلغ جملة الذين تم تعيينهم من عام ٦٩ حتى ١٩٧٥ من حملة المؤهلات العليا ٤٠٥٢٠ خريج و ٢٠٦٢٠ من حملة المؤهلات المتوسطة.

رابعاً:الرعاية الاجتماعية لأسر المقاتلين:

جاء الاهتمام بأسرة الجندي المقاتل فى فترة متأخرة نسبياً وعقب نكسة ١٩٦٧ حيث اقتصرت الرعاية فيما سبق على الجند أنفسهم من خلال إجراءات التنظيم العسكري والميداني لهم دونما نظر لأسرته، والأعباء التي كان يتحملها قبل دخوله الخدمة العسكرية الإلزامية. ولقد ارتبطت رعاية اسر المقاتلين بالحرب وبفئة المجندين الذين تأثرت سلبياً حالات أسرهم الاقتصادية والاجتماعية نتيجة التجنيد مثل انخفاض دخلها وتأثير ذلك على معنوية ومشاعر المقاتل على الجبهة.

١-الأهداف:

ويمكن إيجاز الأهداف التي تتحقق من رعاية اسر المقاتل فى توفير الرعاية المتكاملة فيما يلي:

أ-توفير المناخ النفسي الملائم لأفراد القوات المسلحة الأمر الذى يؤدى إلى رفع كفاءة وفاعلية القوات المقاتلة.

ب-تأكيد التماسك والتلاحم الإيجابي بين عناصر الجبهة الداخلية والمقاتلين على الجبهة القتالية.

ج-توفير الرعاية الكافية لفئة فى أشد الحاجة إليها.. وهى أسر المقاتل.

لهذا أنشأت الوزارة وفقا للقرار الوزاري رقم ٤٨ لسنة ١٩٦٩ إدارة لرعاية أسر المقاتلين تستهدف ما يلي:

وضع الأولوية فى الخدمات المختلفة فى المجالين والحكومي والأهلي لأسر المجندين ورعايتهم والإشراف على تنفيذها.

(١) متابعة تنفيذ الطلبات التي ترد عن طريق القوات المسلحة أو تلك التي ترد من الأفراد مباشرة.

(٢) دراسة ما يرد إليها من مقترحات من هيئة التنظيم والإدارة للقوات المسلحة.

* كما كان من آليات تنفيذ هذه الأهداف تشكيل مجلس أعلى لرعاية اسر المقاتلين، وكذلك لجنة تنفيذ برئاسة وكيل الوزارة لشئون التهجير، وتبع ذلك تشكيل لجان إقليمية بالمحافظات وعواصم المراكز والقرى.

* وقد صدرت عدة قرارات وزارية تعرف المقاتل وأسرته ومن يعولهم وقد اشتمل ذلك على المجندين بفرع الأمن بوزارة الداخلية.

٢-الفئات التي تشملها رعاية أسر المجندين:

وذلك وفقاً لأحكام القرار رقم ٣٠٥ لسنة ١٩٧٣ وهى:

أ- أسرة المقاتل المكونة من زوجه وأولاده.

ب- أسرة والد المقاتل المكونة من والده وزوجته وأولاده.

ج- الأسرة المكونة من والدة المقاتل المطلقة وأولادها أشقاء المقاتل.

د- أخوة المقاتل العاجزين عن العمل عجزاً كلياً ممن لا ينطبق عليهم تعريف الأولاد.

هـ- أخوات المقاتل اللاتي لم يتزوجن أو المطلقات أو الأرامل منهن فى حالة وفاة الوالدين أو وفاة أحدهما مع سجن الأخر أو إيداعه إحدى المؤسسات أو وفاة الوالد وزواج الأم.

٣-أنواع الخدمات:

وقد تنوعت المساعدات لأسر المقاتلين لتأخذ أشكال مختلفة منها:

أ-المساعدات الشهرية:

تمنح المساعدة الشهرية وفق المقررات الموضحة بالجدول التالي:

حجم الأسرة	أسرة مقاتل		الإعالة الكاملة		الاشتراك فى الإعالة	
	مليم	جنيه	مليم	جنيه	مليم	جنيه
١	٠٠٠	٦	٠٠٠	٥	٠٠٠	٤
٢	٠٠٠	٧	٥٠٠	٥	٥٠٠	٤
٣	٠٠٠	٨	٠٠٠	٦	٠٠٠	٥
٤	٠٠٠	٩	٥٠٠	٦	٥٠٠	٥

ورغم ما قد تبين من ضآلة قيمة المساعدة إلا أنها تتكلف على المستوى القومي مبالغ طائلة فقد تطورت من سنة ١٩٦٩ حيث كانت تبلغ ١٧٩.٠٠٠ جنيه إلى ما يزيد عن (١٠) مليونا من الجنيهات فى عام ٨٣/٨٤ لرعاية اسر المقاتلين وحدهم بخلاف المساعدات الأخرى والحالات المجملة والمنح التي تمنح لهم من معونة الشتاء وجمعية الوفاء والأمل فى المناسبات والأعياد القومية ويجرى زيادة هذه الفئات وفقاً للتغييرات السريعة فى المجتمع وارتفاع الأسعار.

ب-الحالات المجملة والحالات الملحة:

وهى الحالات القادرة على العمل من خلال مشروع يدر لها دخلاً ، فتصرف لها الاستحقاقات مجمدة ودفعه واحدة تم يخصص لها أحد مشروعات الأسر المنتجه وقد بلغ عدد الحالات المستفيدة عام ٨٢/٨٤ (٦٥٨٢) أسرة صرف لها مبلغ ١٣٧ ألف جنيه تقريباً.

بينما الحالات الملحة ..هي الحالات التي تتعرض لطارئ ما ولا تقوى على مواجهته مادياً ويتم مساعدتها. وقد بلغ عدد هذه الحالات ٣٤٦٨ أسرة صرف لها ٨٣ ألف جنيه فى نفس العام.

ونذكر هنا أن التعديلات التي أدخلت على مساعدة أسر المقاتلين تشمل فرق الأمن وقد استفاد منها ٣٣٣٥٤ حاله صرف لها حوالي ٢ مليون جنيه بينما الذى صرف لأفراد القوات المسلحة ٩ مليون جنيه استفاد منها ١٣٣٢٢٣ أسرة مقاتل.

ج-منحة عيد الأضحى المبارك وعيد العمال:

وقد استفاد منها ٣٠٦١٤٤ حاله فى المناسبتين (٨٣/١٩٨٤) بلغت قيمتها معاً ٦.١ مليون جنيه بحد أدنى ٣ جنيهات فى عيد الأضحى و ٥ جنيهات فى عيد العمال للحالة الواحدة.

د-مساعدة المقاتلين نزلاء المستشفيات:

حيث يتم تقديم الهدايا عند زيارة المرضى من المقاتلين فى المستشفيات وذلك خصماً من معونة الشتاء.

خامساً:الرعاية الاجتماعية لأسر الشهداء (التعويضات):

أعقب عدوان ١٩٦٧ تمكن العدو الإسرائيلي من احتلال سيناء ، وكانت حرب الاستنزاف وما ترتب عليها من تدمير معظم مدن القناة فى بورسعيد - الإسماعيلية - السويس، واضطرت الحكومة إلى تهجير معظم الأهالي بهذه المدن بالإضافة إلى بعض أهالي غزه وسيناء إلى المحافظات الأخرى بالجمهورية ، وكان طبيعياً أن تفكر الدولة فى تعويض الأهالي عن الخسائر والأضرار التي لحقت بهم فى النفس والمال أسوة بما حدث عام ١٩٥٦ ، لهذا سارعت وزارة الشئون الاجتماعية باستصدار القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٦٧ بشأن

تقرير معاشات أو إعانات أو قروض عن الخسائر فى النفس والمال نتيجة الأعمال الحربية.
وإذا كانت هذه التعويضات تصرف كحق لهذه الحالات إلا أنها تعكس أيضاً نوعاً من أنواع الرعاية الاجتماعية الضرورية والحاسمة لتخفيف الآثار التي لحقت بهم قدر الإمكان، كما ساهمت هذه التعويضات في تماسك الجبهة الداخلية.

ولهذا أنشئت الإدارة العامة للتعويضات بالوزارة عام ١٩٧٠م.

١- مجالات التعويضات :
أ- خسائر المال : تصرف إعانة مالية مساويه لقيمة الخسائر التي تلحق بالمال بحد أقصى عشرين ألف جنيه وفق القانون المشار إليه ٤٤ لسنة ١٩٦٧ والقرارات المعدلة له وإذا زادت الخسائر عن هذا الحد صرفت الزيادة كقرض يسدد خلال مدة أقصاها (١٥) عاما بدون فائدة.
ب- تصرف إعانة تعويضية شهريه بسبب التعطل عن العمل نتيجة الأعمال الحربية وذلك خلال فترة التعطل.
ج- خسائر النفس : يتم صرف معاشات شهرية تتراوح بين ٦ : ١٢ جنيه للأسرة وكذلك إعانات تعويضية فى حالات الوفاة والفقد والعجز الجزئي، فضلا عن تقديم الإعانات العاجلة كما هو الحال فى الإغاثات:
(١) يصرف (٥٠) جنيهاً عن كل شهيد أو مفقود للأسرة.
(٢) يصرف (١٠) جنيهات لكل مصاب يتقرر علاجه داخلياً بالمستشفيات.
(٣) يصرف (٥) جنيهات لكل مصاب يتقرر علاجه خارج المستشفيات لمدة لا تقل عن عشرة أيام ولوزير الشئون الاجتماعية حق مضاعفة الإعانات المشار إليها كما يجوز له تقرير إعانات عاجله أخرى.

٢-أوجه الرعاية التي نفذتها وزارة الشئون فى مجال التعويضات:
بالرغم من أن التعويضات حق من حقوق الإنسان إلا انه فى رأينا ان كفالة الحق لأهله ووصوله إليه يعتبر نوعاً من الرعاية التي كفلتها الدولة وتقوم عليها الأجهزة والمؤسسات. ونعرض هنا لما تم إنجازه فى هذا المجال فى عامي ١٩٨٤/٨٣ م:
أ-خسائر المال:
وقد صرفت إلى ٩٠٠٧ حاله موزعه على محافظات السويس والإسماعيلية وبور سعيد وشمال وجنوب سيناء وبلغت جملة ما صرف لهم عام ٨٤/٨٣ (١٦٠١ مليون جنيه) وقد قدر ما صرف من تعويضات عن خسائر المال خلال الفترة من ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣ مبلغ ٧٥٧.١٣ مليون جنيه.
ب -خسائر النفس:
وقد بلغت عدد الحالات التي صرفت تعويض (٨٤) حالة فى ٨٣/٨٢ وجملة المنصرف لها ١٤ ألف جنيه بينما يقدر مجموع ما صرف عن خسائر النفس خلال الفترة من ١٩٧٤ حتى ١٩٨٤ م (٣٨٣ ألف جنيه لـ ٨٩٨ حالة).

ج-أوجه أخرى للرعاية:
(١) منحة عيد الفطر المبارك :
يتم منح كل أسرة بهذه المناسبة (٥) جنيهات وبلغت جملة الحالات فى ٨٣/٨٢ (١٤٣٧) صرف لها مبلغ

٧١٨٥ جنيهاً.

(٢) تكريم أبناء أسر الشهداء المتفوقين (مدنيين وعسكريين) :

تقوم الوزارة بتشجيع المتفوقين من أبناء أسر الشهداء الذين استشهدوا بسبب العمليات العسكرية من المدنيين أو العسكريين على حد سواء فضلاً عن التيسيرات التي تمنح لهم فى الشهادات العامة حيث يمنح لهم ٥٪ من الدرجات.

المعسكرات الصيفية:

لم تدخر الوزارة وسعاً فى سبيل تحقيق الراحة النفسية لأسر الشهداء والترويح عنهم وإتاحة الفرصة لهم للاستجمام فى المصايف كل عام حيث تنظم لهم (٤) أفواج لقرية المهجرين والذي تم بناؤها خصيصاً لذلك بسيدي بشر بالإسكندرية وتتكلف الوزارة إقامتهم وإعاشتهم طوال مدة الفوج فضلاً عما يتخلل مدة الإقامة من برامج توعية وتوفير الأنشطة المختلفة لهم لمزاولتها أثناء مدة المصيف والتي تتراوح بين (١٠ - ١٢) يوماً ويبلغ حجم الفوج ١٥٠ فرداً بتكلفة إجمالية ٢٠ ألف جنيه للعام.

د- الحفل السنوي يوم العاشر من رمضان كل عام:

تقيم الوزارة حفلاً سنوياً لتكريم أسر الشهداء من المدنيين والعسكريين ومازالت حيث يخصص (١٠٠) أسرة من أسر الشهداء العسكريين والباقي من الشهداء المدنيين ويتم تجميعهم بمعرفة المديريات وبالتنسيق مع إدارة الشئون الشخصية بالقوات المسلحة.

هـ-بطاقة الخدمات:

تمنح لهم للحصول على الأولوية فى جميع الخدمات التي تقدمها الوزارة مباشرة أو عن طريق الهيئات والجمعيات التي تشرف عليها وكذلك أجهزة الخدمات.

و -مساعدة أسر الشهداء:

هذا وتقوم الجمعيات الأهلية خاصة العاملة منها فى مجال المساعدات بمساعدة أسر الشهداء، والمصابين فى الظروف الطارئ ،كما تقوم لجنة معونة الشتاء بصرف المساعدات لهم فى حالة المرض أو الزواج وغيرها.

سادساً:الرعاية الاجتماعية فى مجال التوطين:

وتهدف الرعاية فى مجال التوطين إلى تحقيق التكيف الاجتماعي للمستوطنين الجدد فى المجتمعات المستحدثة عن طريق توفير الاستقرار لهم ورعايتهم فى البيئات المختلفة، وسوف نقصر حديثنا عن الرعاية فى هذا المجال على ما يتعلق بعودة المهجرين إلى مواطنهم الأصلية والتي أعيد تعميرها بعد الحرب لتتمكن من استقبالهم وذلك فيما يتعلق بمدن القناة أو تلك الأراضي التي تم تحريرها وعودة المهجرين لها أو إفساح الفرصة أمام الصامدين والذين ظلوا بها تحت الاحتلال الإسرائيلي وهما على وجه التحديد محافظتي شمال وجنوب سيناء.

وتقوم الرعاية الاجتماعية فى مجال التوطين على الآتي:

أ- دراسة الاحتياجات للمجتمعات التي تأثرت بالحرب ووضع خطط تدبير هذه الاحتياجات بالتعاون مع الأجهزة الفنية المختلفة لتوفير الخدمات اللازمة حتى يتسنى للعائدين من المهجرين إليها أو الصامدين بها

الاستقرار والتكيف واستثناء النشاطات التي يقومون بها.

ب- دراسة أحوال المستوطنين في مجتمعهم الذي أعيد بناؤه والتعرف على المشاكل التي تواجههم والتخطيط لمشروعات التنمية والرعاية.

ج- دراسة أحوال البدو في محافظتي سيناء والعوامل التي تجعل من سيناء منطقة جذب للسكان.

د- إعادة توزيع الكثافة السكانية بمصر وذلك بنقل السكان من الوادي حيث الكثافة السكانية العالية إلى سيناء حيث الكثافة السكانية المنخفضة.

هـ-استصلاح الأراضي الصحراوية وجعلها صالحة للزراعة لتحقيق الأمن الغذائي للبلاد.

ولقد اهتمت وزارة الشئون الاجتماعية بالتوطين ،ونظراً لحاجة مقار التوطين الجديدة إلى الخدمات المتنوعة على ضوء ما أظهرته الدراسات ،قامت بتشكيل لجان مركزية للتوطين برئاسة السيد المحافظ على أن يكون مقرر اللجنة مدير عام الشئون الاجتماعية بكل محافظة بهدف تحقيق الأهداف العامة للتوطين سواء ما يتعلق فيها بالمدن الجديدة بمحافظته أو خارجها.

إحـــــــصـــــــاءات

جدول رقم (١)

توزيع مراكز الإقامة على المحافظات المضيفة منذ بدء التهجير حتى نهاية عام ١٩٧٦

م	المحافظة	عدد مراكز الإقامة منذ بدء التهجير حتى عام ١٩٧٤	عدد مراكز الإقامة المشغولة بالمهجرين		
			عام ١٩٧٥	في نهاية ١٩٧٦	في عام ١٩٨٤
١	المنوفية	٣٦٣	١٣٧	٩٤	٣٤
٢	بني سويف	٢٣٢	٢١٩	١٠٨	٣٥
٣	الدقهلية	٢١١	٥٤	٣٥	٣
٤	الغربية	١٦٢	٩٩	٥١	٣٥
٥	الفيوم	١٠٩	٤٠	١٨	٣
٦	كفر الشيخ	٩٣	٤٩	٣٣	٢١
٧	اسيوط	٦٩	٤٥	٣٩	٤
٨	القليوبية	٤٢	١٢	٤	٠
٩	الشرقية	٣٢	٢	٢	٠
١٠	الجيزة	٢٠	١٩	٣	٠
١١	المنيا	١٧	١٣	١٠	٦
١٢	مديرية التحرير	١٢	١٢	١٢	٨
١٣	البحيرة	١٣	١	٠	٠
١٤	سوهاج	٧	٧	٠	٠
١٥	الإسكندرية	٣	٣	٣	٠
	المجموع	**١٣٨٥**	**٧١٢**	**٤١٢**	**١٤٩**

مراكز الإقامة قد تكون في المدارس ، الوحدات الزراعية والبيطرية ، والوحـــدات المجمعـــة والوحدات الاجتماعية القروية، مراكز الشباب، المضايف، والدواوير.

جدول رقم (٢)

تطور المساعدات الشهرية لأسر المقاتلين

من (١٩٦٩ - ١٩٨٤)

(بالمليون جنيه)

السنوات	القيمة
٦٩ - ١٩٧٢	٢,٩٦٠
٧٦ - ١٩٧٣	٢٩,١٦٤
٧٧ - ١٩٨٠	٣٨,٩٧٨
٨١ - ١٩٨٤	٤٧,٩٢٦
المجموع	١١٩,٠٢٨

جدول (٣)

تعويضات خسائر المال نتيجة الحرب المنصرفة

خلال الفترة من ٧٤ - ١٩٨٤

حسب المحافظات

(بالمليون جنية)

م	المحافظة	عدد الحالات	المبالغ المنصرفة
١	السويس	٣٢٤٩٨	١٠,٠٦٩
٢	الإسماعيلية	٦٨٧٢١	١٠,٣٣٣
٣	بور سعيد	١٨٥٧٤	١,٩٦٣
٤	شمال سيناء	٥٠١٧٠	٩,٤٧٣
٥	جنوب سيناء (٨٠-٨٤)	٠٥١٤٤	٠,٩٢٠
	الإجمالي	١٧٥١٠٧	٣٢,٧٥٨

جدول رقم (٤)
تعويضات خسائر النفس المنصرفة
خلال الفترة من ١٩٧٤ - ١٩٨٤

(بالألف جنيه)

السنة	عدد الحالات	المبالغ المنصرفة
١٩٧٤	٢٢٠	١٠٧
١٩٧٥	٢٣٥	١٠٦
١٩٧٦	٨٨	٤٢
١٩٧٧	٥٤	٢٣
١٩٧٨	٢٣	٩
١٩٧٩	٣١	١٣
١٩٨٠	٢٠	٨
١٩٨١	٨٤	٤٨
١٩٨٢	١١	٨
١٩٨٣	٥٣	٩
١٩٨٤	٧٩	١٠
المجموع	٨٩٨	٣٨٣

الفرد والأسرة.

*وبما أن ذلك كله يقتضي إنشاء وزارة تقوم على تلك الشئون تجمع أشتاتها وتنسق وحداتها وتبلغ بها ما ترجوه البلاد من خير ورقي.

*وبعد الاطلاع على المادة ٤٤ من الدستور،

*وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء، وموافقة رأي المجلس المذكور،

رسمنا بما هو آت:

مادة ١:

إنشاء وزارة الشئون الاجتماعية يتولى إدارتها وزيز يعاونه وكيل وزارة وتقوم على الشئون والمصالح الآتي بيانها:

١- مصلحة السجون والمعاهد والمستعمرات المختلفة لتقويم المجرمين والأحداث وإصلاحهم، وملاجئ الأيتام والعجزة والفقراء وذوي العاهات والمتسولين.

٢- المسارح ودور السينما والنوادي والجمعيات- المهرجانات والموالد.

٣- بوليس الآداب- الاتجار بالنساء والأطفال.

٤- الجمعيات التعاونية والتعاون بمختلف صوره.

٥- أعمال البر والإحسان.

٦- مصلحة العمل- تحسين أحوال العامل والفلاح ورفع مستوى المعيشة لهما- استحداث أسباب الترفيه في أوقات الفراغ.

٧- الخدمات الاجتماعية- الإرشاد والدعاية- المحاضرات العامة للتثقيف والتهذيب- المعاهد الليلية- الإذاعة اللاسلكية.

٨- تحسين النسل- حماية الطفولة- حماية الأسرة.

٩- المسابقات الرياضية.

١٠- مسألة التعطيل عن العمل.. إلخ.

مادة٢:

على رئيس مجلس الوزراء ووزارة الداخلية والمعارف العمومية والمواصلات والمالية والصحة العمومية والتجارة والصناعة والأوقاف تنفيذ هذا المرسوم ويعمل به من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية.

صدر بسراي المنتزة في ٤ رجب سنة ١٣٥٨ هـ (٢٠ أغسطس سنة ١٩٣٩).

فاروق

أمر حضرة صاحب الجلالة

كلمة

السيدة سوزان مبارك

قرينة رئيس الجمهورية

أكتوبر فى خاطرى

بسم الله الرحمن الرحيم

السيدات ..... والسادة

تكتب الأحداث العظيمة في حياة الشعوب والأفراد بحروف من النور، وتطبع على شريط الذاكرة لتضئ الأيام وتملأ النفس بالاعتزاز والكبرياء، بل ربما يصبح العمر بأكمله حصيلة لهذه المجموعة من الأحداث.

من يصدق أنه قد انقضى ٢٥ عاما منذ حققت قواتنا الباسلة انتصارها العظيم في السادس من أكتوبر ١٩٧٣، ومازال كل ما حدث وبأدق التفاصيل حياً ودافئاً وماثلاً في العين وفي القلب، كأنه حدث بالأمس وبجميع ما امتلأ به من ألم وفرحة.. من انكسار وانتصار.. من ترقب ولهفة.. من مخاوف ومن إيمان بالله وحب للوطن وثقة بالمقاتل المصري العظيم.. عشرات من المشاعر التي لا تنسى عشتها مثل آلاف من زوجات المقاتلين من الضباط والجنود، يربط بيننا هدف تحرير الأرض، ويعلو نداء الوطن فوق كل نداء.. وإذا كانت ذكرى النصر كل عام تجمعنا وتوحدنا وتنادي أجمل ما فينا فما بالكم بما حدث في تلك الأيام العزيزة والعظيمة.

ما أكثر الخواطر التي تدافعت عندما دعتني القوات المسلحة لأشرف بالتحدث في ندوتها الكبرى احتفالاً بمرور ربع قرن على النصر، واسمحوا لي اليوم أن استعيد شريط الذاكرة معكم، وأنقل من فوقه مشاهد ومشاعر أريد أن تعرفها الأجيال الشابة لتدرك الثمن القاسي للحروب التي لم تخضها مصر إلا للحفاظ على الحق وصولاً لفرض السلام الذي في ظله يزدهر البناء والإنسان، وتذكرت مجموعة من الأسئلة التي تخطر ببالي دائماً في مثل هذه الأيام من كل عام....

ماذا تعرف الأجيال الشابة والصغيرة عن هذه السنوات المجيدة، وأحداثها ورموزها ودلالاتها الكبيرة؟ وهل تدرك عمق المشاعر الإنسانية التي امتلأت بها؟ !وماذا تعرف عن الثمن الغالي الذي شاركت به عشرات الآلاف من أسرهم في تحقيق النصر؟ !تتكرر الأسئلة في خاطري وأنا أرقب أجمل مشاهد الدنيا في عيني.. وهو أسرة سعيدة ينعم أفرادها بالأمان - تتكرر الأسئلة وأنا أتابع الجهود المخلصة لحل مشاكل الشباب وتأمين الطفولة وتنمية المجتمع - وأبتسم دائماً من القلب امتنانا واعترافاً بالفضل لانتصار أكتوبر .. لكن هل يعرف أبناؤنا وهم ينعمون بثمار النصر حجم الجهد الذي بذله الآباء والأمهات؟

هل يعرفون التكلفة المعنوية والنفسية والمادية للحرب ليحافظوا على السلام قوياً وعزيزاً ومنيعاً ؟! هل تعرف الأمهات الشابات اليوم معنى الحياة تحت دوي المدافع؟ !هل تعرف معنى انطلاق صفارات الإنذار، والإظلام الكامل وفزع الأطفال ليحتموا بحضن الأم التي أصبحت أباً وأماً بعد أن سكن الزوج خطوط القتال؟

هل تعرف الزوجة والأم الآن معنى أن يصبح الزوج والأب زائراً في بيته ... كان يخفق القلب في كل لقاء معه .. هل سيتجدد مرة أخرى اللقاء ؟ هل يعرف شبابنا اليوم قسوة التهجير ومعنى ترك المسكن والحي والأهل والأصدقاء والانتقال إلى المجهول ؟

تسمح ذكرى النصر العزيز التي تجمعنا الآن بفتح القلب وكشف ما في أعماقه .. إن التجربة الفردية التي عشتها كزوجة لمقاتل، تكتسب قيمتها الحقيقية من أنها جزء من تجربة جيل بأكمله... جيل كان يقف على شاطئ الحلم ببداية التفتح والارتباط بالزوج، وتكوين الأسرة والاستقرار والأمان.. كنا آلافا من الزوجات، في عشرينات العمر وأطفالاً لم تكتمل الحروف على ألسنتهم بعد.. ثم جاءت نذر الحرب لتأخذ الأزواج إلى جبهة القتال، وتفرض تكويناً جديداً للأسرة تتحمل فيه الزوجة المسئولية وحدها بالكامل.. تراجع الحلم وغاب الأمان.

وتحل على شريط الذاكرة فترة إظلام عميقة - وقواتنا تهزم في حرب لم تخضها .. وتنزل كالصاعقة على الروح المصرية كلمة الهزيمة في ٦٧ وتكتوي مصر كلها بألمها وجرحها العميق وتعيشه أضعافاً مضاعفة أسر المقاتلين الذين ازداد غيابهم على الجبهة بعد أحداث ٦٧، كأنهم أقسموا ألا يعودوا إلا بالنصر أو الشهادة.

ست سنوات والحرب النفسية لا تكف عن شن حملات التيئيس والتشكيك في قدرة المقاتل المصري وفي الجحيم الذي ينتظره إذا فكر في العبور المستحيل، وعن القوات التي لا تقهر.. أذكرها الآن لتعرف الأجيال حجم الصلابة النفسية التي كانت للمقاتلين، والتي كانت الأم ومن بعدها الزوجة تزرعها وترعاها وهي تضع القيم الدينية والوطنية في أبنائها.

ست سنوات طوال لا يخففها إلا أنباء من الجبهة عن إعادة بناء قواتنا المسلحة، وما تتحدث به الدنيا عن وقائع حرب الاستنزاف التي بدأت ترهق القوات المعتدية، وتجعل وجودها فوق أرضنا جحيماً مستحيلاً .

من على شريط الذاكرة أيضاً ألتقط معنى لا أنساه أبدا ، وأسجل هنا وأشيد بالصمود الإنساني، الذي صنعته المرأة المصرية عندما حفظت قلب المجتمع بالحفاظ على وحدته الأساسية وهي الأسرة حفظتها صحيحة وقوية وآمنة.. وكيف كان هذا الأمان في مقدمة أسلحة الثبات النفسي بعد الإيمان بالله وبالوطن وبالعمل مما جعل النصر جزاءاً عادلاً وحقاً لأصحابه في ذلك اليوم المشهود من التاريخ.. ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

يمتلئ شريط الذاكرة بأحداث هذا اليوم العزيز الذي يكتب تاريخ ميلاد ثان لكل المصريين - مازلت أذكر للمقاتل، الذي شرفت بمشاركته رحلة الحياة، قدرته كقائد على الكتمان والتمويه وإخفاء ما يحدث حتى على من يعرف أنها تحفظ أنفاسه وأدق أسراره وكانت المفاجأة في مقدمة أسلحة النصر.

ليلة السادس من أكتوبر.. جاء زوجي إلى البيت في زيارة من زياراته المتباعدة، وفي الصباح كالمعتاد أنطلق الأولاد إلى المدرسة، وجدته مطمئناً هادئاً كأنه يوم لا يختلف عن كل الأيام.. لم أكن أعرف أنه بعد ساعات سيكون على موعد مع القدر.. متحملاً شرف ضربة النصر الأولى، من واقع

مسئولياته كقائد للنسور في فتح الأفق والسماء وتغطية موجات العبور الأولى للرجال فوق جبهة القناة.

وعرفت من الإذاعة بالصدفة أخبار بداية القتال.. ومادمت أنقل لكم من على شريط الذاكرة فما زالت نصوص البيانات العسكرية محفورة فوقه بحروف من النور، وأردد بعضها عن ظهر قلب.. وثائق لأعز وأجمل الأيام.. فكان نص البيان الثالث الذي استمعت إليه بالصدفة يقول: «نفذت قواتنا الجوية مهامها بنجاح وأصابت مواقع العدو بإصابات مباشرة وعادت جميع طائراتنا إلى قواعدها سالمة عدا طائرة واحدة». إن ترديد البيان يعيدني إلى نفس المشاعر التي عشتها.. الرجفة والفرحة والقلق والأمل والشكر لله..

توقفت الحياة إلا من استماع دائم للبيانات المتتالية لأنباء ما يحدث على الجبهة حتى منتصف الليل ولا أنسى أبدا بيان رفع العلم وفرض قواتنا المسلحة لسيادتها هناك.. فكانت كلمات البيان رقم خمسة «نجحت قواتنا المسلحة في اقتحام قناة السويس في قطاعات عديدة واستولت على نقاط العدو القوية بها ورفع علم مصر على الضفة الشرقية للقناة.»

تعرفون مثلي أنه أحياناً تضيق الكلمات عن وصف نبض وعمق المشاعر في لحظات تساوي العمر بأكمله.. وما أجمل المشاعر حين يمتزج الفرح بالنصر بالاعتزاز والفخر بمن شاركوا في صنعه وكافحوا حتى يصبح الحلم حقيقة... وأخيراً آن للزوجة والأم أن تشعر، بعد سنوات طويلة من القلق والخوف، بالأمان وبالسلام وبإشراقة حياة جديدة يبدأ فيها البناء من أجل مستقبل الأبناء وتنمية الوطن.

ويستمر شريط الذكريات وتتوالى الأحداث، ولا تتوقف التضحيات... وتكتسب لوناً جديداً مع إطلالة ملحمة البناء من أجل مصر الغد مصر المستقبل...

لقد عادت حرب أكتوبر لتذكرنا بحقيقة راسخة، وهي أن المواقف الحاسمة في تاريخنا كانت صناعة الرجال والنساء معاً، وبقدر إعداد وتنمية هذه القوة العظيمة من البشر كان النصر دائماً قريب المنال.. فلولا القوة الكبيرة التي حققها المجتمع من خلال تماسكه وترابط جميع أفراده من نساء ورجال لربما تصدعت وتهددت الجبهة الداخلية.

ولا أبالغ إذا قلت وبحياد كامل «لقد كانت المرأة المصرية مقاتلة على قدر المسئولية والواجب» أياً كان موقعها، وأثق أنكم تتفقون معي في أن حرب أكتوبر قد أكدت من جديد هذه الشهادة، فتاريخ نضال المرأة المصرية حافل بالنماذج التي تأكد أنها مثل بلدها لا تبتغي من الحرب إلا السلام، ولا تريد من القوة إلا أن تجعله سلاماً عزيزاً وقوياً.

إن دور المرأة في مثل هذه الأيام منذ ربع قرن، يثير لدينا عددا من الخواطر والمشاعر لمواقفها وأدوارها الوطنية في معارك التحرير والبناء في الوقت ذاته، فقد خاضت بنفس الحماس معركة التعمير بعد معركة التحرير، وأدركت بحسها النقي وروحها الصافية، أن الوطن هو الأبقى بعد الجميع وأن حريته تسبق كل الأهداف وتعلو فوق كل الغايات.

إن دروس انتصارات أكتوبر يجب أن تظل ماثلة في العيون والعقول والوجدان والضمير المصري وألا نكف عن تعليمها لأولادنا، لتصبح مقومات النصر مقومات الحياة، وتشكل ملامح ومستقبل أجيالنا، ولا تبقى احتفالية وتنقضي وإنما يجب أن تكون أكبر احتفالياتنا بترسيخ هذه القيم في تكوين أجيالنا.. ولقد كانت هذه الدروس وراء ما آمنت به من خطط للتنمية وما سعيت لتحقيقه في مجال خدمات المرأة والطفولة والأسرة ليصل الإنسان المصري -الرجال والنساء معاً- إلى القدرة والتمكن الذي يجعله على قدر التحدي.. ولا يخسر معركة من معارك الواقع المتغير حوله، ويجعله أيضاً قادراً على أن يفرض ما يريد بالعدل وبقوة العلم والوعي والتعليم والتفوق والتميز، وأن تتمكن الأجيال الشابة والصغيرة من تحقيق أحلامها في إطار المصالح والأهداف القومية، وألا تسمح أبداً بتكرار تجربة أجيال سرق منها الحلم والأمن وأحلى سنوات العمر.

نريد لأجيال ما بعد النصر أن تعرفه جيداً لتكون قوية وعزيزة ومنيعة على قدر حمايته وحماية مكاسبها وعلى قدر تحقيق طموحاتها وطموحات الوطن وهي متقاربة بالسلام الاجتماعي ومتمسكة بقيمها الأصيلة وبتاريخها وبجذورها واعية بما يحدث في العالم حولها.. تأخذ من منجزات العلم والتحديث وثورة المعارف ما يناسبها ويدعم قوتها، وتحفظ جيداً درساً من أهم دروس تاريخنا القديم والحديث، وهو أن السلام القوي هو الذي يمنع الحرب، وأن الحرب هي قتل لكل ما هو جميل على الأرض وأن السلام ازدهار وبناء.

وفي نهاية حديثي أتوجه بالتحية للمرأة المصرية، حاملة وحامية الحياة، في العيد الفضي لواحد من أجمل أعيادنا في تاريخنا الحديث، وتحية لكل شهدائنا الأبرار، ومقاتلينا البواسل، وأبطالنا الشجعان وتحية للعسكرية المصرية التي خاضت دائماً أشرف المعارك وحققت لنا أعظم الانتصارات....

تحية لكل من روى زهور السلام بدماء الحياة...

تحية لكل من يرعى الأجيال ويحفظ المستقبل بروح وضمير وقيم أكتوبر ويرويها بالإيمان وبالعلم والجدية والإتقان وبالعمل المخلص وبالروح والمحبة والتفاني والمسئولية.. روح أكتوبر التي ستظل تساوي وتمثل أنبل وأعظم من في المصريين والمصريات وحلقة من أمجد حلقات تاريخهم القديم والحديث.

الجلسة الرابعة ـ المناقشات ـ

سؤال للسيدة الفاضلة حرم السيد رئيس الجمهورية: ما هي نصيحتك للشباب من الجنسين في ظل المتغيرات التي يعيشها العالم الآن؟

الإجابة :

الحقيقة كما قلت في كلمتي أن أهم شئ لابد لشبابنا أن يعلموا اليوم أننا نعيش فعلا في عالم متغير في جميع المحافل سواء اقتصاديا أو سياسيا أو ثقافيا وأنا أرى أن في مصر حقيقة الانفتاح الذي نراه على الحضارات المختلفة ويجب علينا أن نأخذ كل ما نحتاجه من هذه المتغيرات ولكن في نفس الوقت نحافظ على قيمنا ومبادئنا وهذا مبدأ قديم، ولعل الأساتذة الاجتماعيون الموجودون معنا اليوم يعلمون جيداً طبيعة الصراع بين المتغير والثابت وبين الجديد والقديم ويمكن لأستاذنا السيد ياسين أن يحكى بتفصيل أكثر عن الناحية الاجتماعية بلغته الجميلة عن الصراع الذي درسناه في الجامعة، فقد درسنا الصعوبة بين المتغير والثابت وبين التقليدي والحديث. والأستاذ سيد ياسين سوف يكمل الإجابة على هذا السؤال.

إجابة الأستاذ/ سيد ياسين:

شكراً - هذا الموضوع الذي طرح هو في الواقع موضوع أساسي فيما يتعلق بما نسميه في الوقت الراهن عملية الصراع بين القيم التقليدية والقيم الحديثة. عملية التحديث مر بها المجتمع المصري منذ سنوات طويلة وفي كل مرة كانت تثار نفس الأسئلة تقريباً. ما هو النموذج الحضاري الذي ينبغي أن نحتذيه حتى نستطيع أن نتقدم؟ وهذا النموذج الحضاري ما هي مصادره وما هي منابعه، إننا قمنا في الأدبيات العربية المصرية في السنوات الأخيرة على صياغة هذه المشكلة تحت عنوان «مشكلة

الأصالة والمعاصرة » بمعنى كيف يمكن أن نوفق بين قيمنا الأصيلة وبين القيم الحديثة التي تحض على التقدم وتطبيق التفكير العقلاني واحترام حرية الأفراد واحترام حقوق الإنسان.

وهناك جدل شديد، ولكن يمكن القول أن كثيرا من القيم الحديثة نستطيع أن نعتبرها ثوابت أساسية خصوصا فى الفترات المشرقة من ازدهار المجتمع الإسلامي.
فى الفترات المشرقة من ازدهار المجتمع الإسلامي كان هناك إيمان بالعقلانية وحرية التفكير والتعددية وعدم معاقبة الخصوم المفكرين واحترام التعددية الفكرية كانت أحد ملامح الثقافة الإسلامية.
النقطة الثانية التي نريد أن نركز عليها هي أننا نستطيع أن نقابل تحدى العصر بان نكون عصريين نعتمد على العقلانية والديمقراطية، التعددية الفكرية، واحترام حقوق الإنسان.

وهناك سؤال آخر عن المرأة موجه للسيد ياسين: نريد مزيد من التفاصيل عن دور المرأة فى إيجابيات الشخصية المصرية؟

الإجابة :

إن للإجابة على هذا السؤال أريد أن أعود إلى تحليل الأدب المصري المعاصر ليس حديثا مجردا إنما نرجع للروايات الرائعة التي كتبها نجيب محفوظ وعن الثلاثية على وجه الخصوص لكي نرى ما هو دور المرأة فى التنشئة الاجتماعية وما هو دور المرأة فى نقل القيم الإيجابية بين الأجيال وما هو دور المرأة فى التنمية وفى دعم النضال الوطني.

ولا ننسى أيضا أن القوات المسلحة المصرية حين خاضت حروبها الباسلة فى ٤٨، ٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣ فالمرأة المصرية فى الريف والحضر قامت بدورها بطريقة فعالة فى تربية أبناء الشعب المصري و فى مقاومة المحتلين والغزاة وفى تعليمهم على قيم الإخلاص للوطن التي تتفق مع أهدافه العليا. هذه الأدوار قامت بها المرأة المصرية المتعلمة وغير المتعلمة المثقفة وغير المثقفة فكان للمرأة المصرية دورها الأساسي، ومن القيم الإيجابية فى المجتمع المصري هو حب الأبناء للام والدور المحوري الذي أقامته المرأة المصرية فى دعم أبنائها ويمكن (مثل ما قالت السيدة سوزان مبارك فى كلمتها الممتازة) حين ذهب الضباط والجنود إلى الجبهة انفردت المرأة على المسرح وقامت بمهامها الحقيقية ليس فقط لإدارة شئون البيوت وإنما فى تربية الأولاد ودفعهم للأمام .

هناك سؤال آخر موجه للسيدة سوزان مبارك: لقد أحسسنا وشعرنا بكل حرف فى كلمة حضرتك لأنها كانت معبرة تماما عنا ... فما هي نصيحتك للزوجات الجدد زوجات رجال القوات المسلحة الشابات وهن على بداية حياتهم الجديدة ؟

الإجابة:

طبعا أنا مثلما قلت فى كلمتي اليوم حيث حاولت أن تكون نابعة من القلب فعلا وكل كلمة كتبت فى هذه الورقة شعرت بها وأنا كنت اليوم منفعلة جدا عندما كنت اقرأها لان هذه الأيام عشناها وعاشتها كل السيدات الموجودات معنا اليوم، زوجات الضباط من اسر القوات المسلحة يعلمن معنى كل كلمة قلتها اليوم لأني مثلما قلت عشناها ثانية بثانية ودقيقة بدقيقة وسنة بسنة مع بعض فى كفاح

مشترك.

أما عن الأجيال الجديدة لأسرة القوات المسلحة فبالطبع فهن يعتبرن محظوظات عنا بكثير، لأنه كما نرى اليوم أنا فى رأيي أن القوات المسلحة فى عصرها الذهبي لأنها حاربت وانتصرت وبنت نفسها ومازالت فى بناء مستمر كما نرى اليوم، نراها تحمى الوطن وكل يوم تزداد قوة.

أما عن الأسرة فمثلما أقول انتم اسعد منا لان الحمد لله تنعموا بالسلام وليس هناك قلق على الزوج أو الأسرة أو الوطن وليست هناك المعاناة التي كنا نعيشها ومهما حاول الفرد منا أن يعبر عن تلك الفترة فقد كانت سنوات من عمرنا وشبابنا أمضيناها في قلق وخوف وتوتر.

فالمطلوب من كل منكم أنه كما أننا استطعنا أن نحافظ على أسرتنا الصغيرة خلال تلك الظروف الصعبة جدا فعليكم وأنتم اسعد حظاً و أحسن ظروفاً أن تحافظن على الأسرة وان تنشئن الأطفال والأجيال على القيم والمبادئ التي يعرفها كل المصريين والمصريات جيداً وأن تحافظن على الزوج.

فعندما يكون البيت هادئاً سعيداً فالزوج سيؤدي عمله على احسن وجه وليس معنى ذلك أن دور المرأة فقط فى المنزل وان تربى أبناءها وأن ترعى زوجها، ولو أن هذا هو دورها الأساسي، ولكن المرأة المصرية لها تاريخ طويل مشرق، أرجو أن تستمر فى عطاءها من اجل بناء الوطن وبناء المستقبل.
وشكـــــراً...

■ المحور الإجتماعى

بحوث قدمت إلى الندوة لإثرائها

حرب الإستنزاف المقدمة الحقيقية لحرب أكتوبر

دراسة في علم إجتماع الحرب والانثربولوجيا العسكرية

د. أحمد علي بيلي

أستاذ علم الإجتماع المساعد - كلية البنات - جامعة عين شمس

المقدمة:

ما أن وضعت حرب ١٩٦٧ أوزارها، حتى بدا الإعداد الجيد لإزالة الآثار السلبية لهذه الحرب، التي لم يسبقها الإعداد الجيد، وذلك بعكس حرب أكتوبر ١٩٧٣ التي سبقها إعداد جيد، فكان النصر المشرف للجندي المصري صاحب البطولات العسكرية على مر التاريخ.

ولقد كان الإعداد الجيد لحرب أكتوبر، من اعظم عمليات الإعداد العسكري رفيع المستوى، الذي أوضح الإبداع في الفكر العسكري المصري، والتخطيط الجيد لإدارة حرب ناجحة تكفل النصر العظيم. وقد تمثل ذلك في حرب الإستنزاف التي تحدث عنها الكثيرون ممن كتبوا عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة.

لكن هناك فرق كبير بين من كتبوا عنها من المحللين، وبين من عاش سنوات هذه الحرب الثلاث فكراً وعملاً. وبرغم مرور خمسة وعشرين عاما على حرب أكتوبر وما يقرب من الثلاثين عاما على حرب الاستنزاف، فإنها مازالت ماثلة أمامي بكل عظمتها، بأدوارها المتعددة وبمن خططوا لها بإقتدار ونفذوها بنجاح، ولقد كان لي شرف الاشتراك في كل مراحل هذه الحرب المقدسة «حرب الاستنزاف» فما هي حرب الاستنزاف؟ وكيف تم الإعداد لها؟ وما هو دورها في نصر أكتوبر المجيد؟ هذه هي قضيتنا الأساسية هنا.

والجديد في هذه الدراسة، أنها تقدم رؤية سوسيولوجية (من حيث التحليل) بمعنى إظهار الجانب الاجتماعي لها، بعيدا عن التفصيلات العسكرية المشرفة التي أبدعتها العسكرية المصرية، وذلك بالاعتماد على تراث علم الإجتماع العسكري وعلم إجتماع الحرب في جزء منه، معتمدين بصفة أساسية، على أداة تحليلية وهي «العلاقات العسكرية المدنية» وكذلك «العلاقات

العسكرية-العسكرية» كنمط أفرزته حرب الاستنزاف.
هذا إلى جانب الاعتماد على أداه منهجية تحليلية أيضا ، أملتها ظروف هذه الدراسة وهى «الملاحظة بالمشاركة» ونخص بالذكرأدوات المنهج الأنثروبولوجي محاولين تطويعها هنا، لتقدم لنا نمطاً جديداً من أنماط الأنثروبولوجيا وهى «الأنثروبولوجيا العسكرية»، حيث عايش مقدم هذه الدراسة، كل سنوات حرب الإستنزاف بكل آمالها وآلامها وعاش أحلى انتصاراتها.

ومن هذا المنطلق تأتى هذه الدراسة في قسمين أساسيين:
الأول: إعادة بناء القوات المسلحة ، ونتحدث هنا عن كيفية إعداد المقاتل الحديث العصري.
الثاني: حرب الاستنزاف وإسهام المقاتل الحديث فيها.
ونعرض لهما فيما يلي:

أولا : إعادة بناء القوات المسلحة:
ربما يكون ابلغ تصوير لحرب ١٩٦٧، ودور الجندي والمقاتل المصري فيها، هو الذي يرى أن هذه الجولة الثالثة للحرب مع إسرائيل، لم تكن متكافئة حيث فرض على قواتنا المسلحة، الدخول في صراع دون فرصة للقتال، فهزمنا أنفسنا وأهدينا عدونا نصرا سهلا لا يستحقه.
ولذلك فلقد كان لابد من إعادة بناء القوات المسلحة، وكم كانت هذه المهمة شاقة وعبئا كبيرا على كاهل القيادة السياسية، التي بذلت الكثير في الإعداد لها بعد حرب ١٩٦٧ مباشرة، وكان على الرئيس «جمال عبد الناصر» رئيس الجمهورية وقتها، أن يولى كل اهتمامه لهذه المهمة الشاقة وأن يسير في ظل العلاقات الطيبة التي كانت قائمة مع الإتحاد السوفيتى وقتها، وقادته الذين كانت تربطهم علاقات صداقة قوية مع الرئيس «جمال عبد الناصر».
ولم تكن تقتضى أيضا تغيير القيادة فقط، وان كان ذلك أمر شاق أيضا إلا أنه كان متاحاً، لكن المهم هنا هو الإعداد الجيد للمقاتل الذي سيخوض هذه الحرب القادمة، التي تعيد الأرض المحتلة إلى أحضان أمها مصر.
وسيتم تحليلنا هنا بهذه القضية الأخيرة وهى كيفية إعداد المقاتل العصرى الحديث بصفة خاصة. ذلك أن عملية إعادة بناء القوات المسلحة لم تكن عملية تقليدية، بل إنه كان عليها أن تتم «بمفهوم جديد» بحيث تشمل إعادة بعث الروح المعنوية والتدريب وكفاءة القيادات والضباط والجنود، والإلمام التام بالمهام القتالية بظروفها المختلفة والمتعددة. عملية شاملة إذن هذه العملية، ومهمة شاقة وصعبة لا يقوى على تنفيذها إلا اشد الرجال وأعظم الرجال.
وقد مرت عملية إعادة البناء العسكري جنبا إلى جنب مع إعادة البناء السياسي، فكيف كان ذلك؟ وللإجابة على ذلك، فإننا نعرض هنا أولا لعملية إعادة البناء السياسي ثم عملية إعادة البناء العسكري وذلك كما يلي:

١-إعادة البناء السياسي :
على الرغم من أن عملية البناء العسكري، قد سبقت كثيرا عملية إعادة البناء السياسي، إلا أننا نعرض لها هنا أولا لنوضح مدى أهميتها بالنسبة للبناء العسكري.
لقد كانت بداية عملية إعادة البناء السياسي من خلال «بيان ٣٠ مارس» الذي أعلنه الرئيس «جمال عبد الناصر» في ٣٠ مارس ١٩٦٧. وتأتى أهمية هذه الوثيقة السياسية في أنها أوضحت معالم

إعادة البناء السياسي، الذى نص في أول نصوصه على إعادة بناء القوات المسلحة. فقد شمل هذا البيان عددا من الاتجاهات، جاء فى مقدمتها تدعيم الممارسة الديمقراطية وإعادة بناء الدولة على أساس من العمل، وظهور دور المؤسسات وسيادة القانون، والاتجاه نحو الإدارة العلمية. كما قدم البيان تصورا شاملا لإعادة البناء في كل نواحى الحياة للمجتمع المصري وفى مقدمتها:

أ-إعادة بناء القوات المسلحة.

ب-تحقيق الصمود الاقتصادي.

ج-تصفية مراكز القوى.

د-كشف انحرافات المرحلة السابقة من خلال المحاكمات العلنية.

هـ-تكثيف الجهود السياسية من أجل المعركة.

وهكذا فقد اهتم البيان في البداية بإعادة بناء القوات المسلحة وفى النهاية كذلك بجعل الجهود السياسية في مؤازرة العمل العسكري، بحيث تكون السياسة في خدمة الجيش والمعركة.

كذلك فقد جسد «بيان ٣٠ مارس ١٩٦٧»، نمط العلاقات العسكرية-المدنية في أبهى صورة، حينما رفع شعار «كل شئ من أجل المعركة»، حينما أكد على أهمية تلاحم الشعب مع القوات المسلحة، وظهر ذلك بالفعل من خلال قرارات المؤتمر القومى الأول للاتحاد الاشتراكي العربي، التي أوصت بأهمية إشراك أفراد الشعب في تحمل مسئولياته في الدفاع عن الوطن ، وفى القيام بدعم المهام العسكرية، خلف خطوط القوات المسلحة.

ومن هنا ظهر القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٦٧، بشأن منظمات الدفاع الشعبي، ثم القرار الجمهورى رقم ٥٦٢ لسنة ١٩٦٧، بإنشاء قيادة الدفاع الشعبى العسكري، للدفاع عن الأهداف الحيوية بالجمهورية. وكانت هذه أول العلاقات العسكرية المدنية، حينما يشترك المدنيون مع العسكريين في الدفاع عن الوطن.

٢-إعادة البناء العسكري:

مرت إعادة البناء العسكري للجيش بعد حرب ١٩٦٧ بثلاث مراحل وهى:

أ-تغيير القيادات.

ب-الاستعانة بالخبراء العسكريين السوفييت.

ج-نمط جديد من المجندين والضباط.

ونعرض لكل منهما فيما يلي:

أ-تغيير القيادات:

لأن قيادات الجيش المصري لم تستطع تحقيق النصر في حرب ١٩٦٧، ولكن الجيش في معظمه كان يهتم بالواجبات غير العسكرية، كالاستعراضات مثلا التي كانت تجرى في عدد من المناسبات منها ذكرى قيام ثورة ٢٣ يوليو من كل عام. فقد فرض التغيير نفسه بعد الهزيمة التي لحقت بالجيش في هذه الحرب، التي تمثل نقطة سوداء في ثوب العسكرية المصرية ناصع البياض.

ويصور العميد الركن «حسن مصطفى»، عملية إعادة البناء العسكري في القيادات تصويرا جيدا، يرى أن إعادة بناء القوات المسلحة المصرية، قد بدأت بالاستعانة بنوعية جديدة من القادة العسكريين، وكان على رأس هذه القيادة إثنين من القيادات العسكرية وقتها لأهم منصبين عسكريين في القوات

المسلحة وهما وزير الحربية، وذراعه الأيمن رئيس الأركان، تلك هي البداية فإن صحت البداية صح البناء بعد ذلك.

وبالفعل كان على قمة القيادة السياسية وقتها ممثلة في الرئيس «جمال عبد الناصر»، أن يختار إثنين ممن يثق في كفاءتهما العسكرية، ليتوليا إعادة بناء الجيش على احدث نظم وفنون القتال، واختار بالفعل الفريق أول «محمد فوزي» وزيراً للحربية، وهو الذي لعب دورا رئيسيا في إعادة البناء، كما اختار الفريق «عبد المنعم رياض» رئيسا للأركان. وكان لهذين القائدين العسكريين البارزين، دور كبير في إعادة البناء، أظهره كثير ممن كتبوا عن هذه المرحلة بكل تفاصيلها. وبالمثل فقد كانت قيادات الوحدات القتالية من اكفأ ضباط القوات المسلحة المصرية، كما سنوضح ذلك حينما نتحدث عما دار في جبهة القتال.

ب-الاستعانة بالخبراء العسكريين السوفييت:

اتجه تفكير القيادة السياسية بعد ذلك، بعد الاطمئنان على تغيير القيادات العليا في القوات المسلحة، إلى أن تكون إعادة بناء الجيش على أسس علمية وسليمة، بالاستعانة بخبرة العسكريين السوفييت، وذلك حتى تكون إعادة البناء على أسس علمية من ذوى الخبرة.

وقد اتفق الرئيس «جمال عبد الناصر» مع الرئيس السوفيتى وقتها «بود جورنى» والمارشال «زخاروف» رئيس الأركان للجيش السوفيتي، على إمداد روسيا لمصر بعدد من الخبراء العسكريين السوفييت للإستفادة من خبراتهم في عملية إعادة البناء. واستجابت القيادة السياسية السوفيتية للقيادة السياسية المصرية، ووصل إلى مصر في أسرع وقت عدد من الخبراء العسكريين السوفييت في جميع الأسلحة.

ج-نمط جديد من الجنود :

تدافع أعداد هائلة من خيرة شباب مصر في عمر الزهور ممن أنار العلم عقولهم، وملأ حب مصر قلوبهم، على مناطق التجنيد المتعددة في كل أنحاء مصر. وشمل ذلك كل خريجي الجامعة القادرين على حمل السلاح، دون استثناء إلا من لا تسمح ظروفه العائلية أو الصحية و قد انخرطوا في صفوف القوات المسلحة، يحدوهم الأمل في أن يعطوا مصر كما أعطتهم. فهؤلاء الشباب لم يتجاوزوا عقدهم الثانى إلا بسنوات قليلة، قد شبوا مع نسيم ثورة يوليو المجيدة، وعاشوا أمجادها في الخمسينات والستينات، وأصبحوا هم أبناءها الأوفياء.

كانت هذه إذن بداية المقاتل التي تمثلت في تجنيد حملة المؤهلات من خريجي الجامعات التي لم تعرف طريقها بمثل هذه الأعداد الكبيرة إلى الجيش قبل ذلك، وكان وجودهم في الجيش قبل ذلك بأعداد قليلة جدا ولمهام غير قتالية، وكان من يجند منهم ، إما أن يكلف بالأعمال الإدارية، أو أن يكون أمينا للمكتبة أو غير ذلك. وكلنا يعلم أن الجنود هم قاعدة هرم القوات المسلحة العريضة، التي يقابلها في القمة، القيادات من الضباط العاملين أو الاحتياط. وقد أخذت القوات المسلحة من هؤلاء المجندين ما يكفيها من الضباط الاحتياط، ثم كانت النسبة الأكبر من الجنود

سمات خاصة للتدريب هنا:

نحن الآن في مرحلة إعادة البناء السريع وليس البناء العادي، فكل شئ ينبغي أن يكون سريعا وبأقصى سرعة، والموقف الآن لمصر ولجيشها موقف حياة أو موت ونحن امام تحد كبير، وعلينا أن نعوض سنوات النقص فى التدريب والكفاءة القتالية في لحظات أو في دقائق وليس ساعات أو أيام

أو شهور، ولذلك فلقد مر التدريب هنا بمراكز التدريب المختلفة للقوات المسلحة، التي تحولت إلى مصانع لإعداد الرجال المقاتلين الأشداء، بثلاثة مراحل وهي:

١-التدريب النظري.

٢-التدريب الميداني.

٣-الرماية بالذخيرة الحية.

ونعرض لكل منها فيما يلي:

١-بالنسبة للتدريب النظري، فقد كان يتم ذلك في قاعات المحاضرات، ثم في ميادين التدريب الصغيرة بنفس المراكز. ولأن الجنود هنا متعلمون مثقفون من أبناء الجامعة، فدرجة الاستيعاب أكبر. وسار التدريب سريعا سريعا في الفن العسكري والتكتيك، ومر إعداد الجندي المحترف بمراحله المختلفة، التي تؤدى في النهاية إلى مقاتل من الطراز الأول.

٢-التدريب الميداني: وكان ذلك في الصحراء القريبة من مدارس إعداد الرجال وكان التدريب العملي على فنون القتال والتكتيك والرماية. وكما ذكرت قبل ذلك كنا في سباق مع الزمن، فعلينا أن نعوض نقص معداتنا عن معدات العدو بالكفاءة في استخدام المعدات القتالية وظهرت المسابقات والتنافس فيما بيننا، وكل منا عليه أن يسجل اقل عدد من الدقائق في إعداد آلة الحرب، وظهر التفوق الهائل هنا في إعداد الآلة العسكرية وكان التدريب أيضا على فتح التشكيل القتالي وتعامله مع العدو، وذلك تمهيدا للمرحلة التالية.

٣-الرماية بالذخيرة الحية: في اقل من ستة اشهر قضيناها بين التدريب النظري والتدريب الميداني، كان مشروع الرماية بالذخيرة الحية، صورة مشرفة على أروع ما يكون الأداء العسكري، الذي اذهل الخبراء العسكريين السوفييت، فكانوا يتعجبون كيف يستطيع المقاتل الجندي المصري، أن ينفذ مشروعا للرماية بالذخيرة الحية بعد ستة اشهر فقط من التدريب؟ انه الإعجاز المصري وبراعة الإعداد للتدريب العسكري المتقدم، ودقة التنفيذ من أبناء مصر الأوفياء.

مرحلة التدريب بداية التحول الاجتماعي في الجيش المصري:

كما ذكرت قبل ذلك، كانت القاعدة الأساسية للجيش من الجنود غير المتعلمين أو المتعلمين تعليما بسيطاً، لكن الجيش الآن يستقبل خريجي الجامعات بأشخاص مختلفة لهم سمات خاصة في المظهر والجوهر، لهم أسلوبهم الخاص في التعامل مع الآخرين فكان ذلك إيذانا برفع المستوى الثقافي للجندي المصري، الذي أدى بدوره إلى رفع المستوى القتالي ورفع المستوى الاجتماعي بالتالي. وهنا ظهر التحول في نمط العلاقات الاجتماعية داخل الجيش المصري. كانت علاقة المدرب بالمتدرب علاقة رسمية جافة لا وجود للود والإحترام المتبادل فيها، كان المدرب سواء كان ضابطا أو ضابط صف متطوع لا تربطه بالجندي المتدرب علاقة الود، أما الآن فهو أمام جندي آخر يحس به ويحترمه فبادله الإحساس والاحترام.

وكما ذكرت قبل ذلك، دخل كل خريجي الجامعات بلا استثناء صفوف الجيش، وكان بينهم جميع التخصصات المهنية كالمدرس والطبيب والمحامي والأديب والفنان وغير ذلك، هنا تحولت العلاقة من علاقة جافة إلى علاقة ودية طيبة، فالمدرب سيجد ضالته المنشودة عند أي من هؤلاء الجنود الجدد، الذين سيرى بين صفوفهم من سيلبى احتياجاته المتعددة ومساعدته على حل مشكلاته الاجتماعية وما

أكثرها عند هؤلاء.
وفى المساء حينما يخيم الظلام، كان السائد قبل ذلك، هو النوم أو النوم الإجباري أما الآن فهناك «السمر» الذي لم يعرف طريقه بين جنود الجيش قبل ذلك وعن كان هناك سمر فبطرق تقليدية، أما الآن فالسمر مختلف تماماً، فكان منا من يأتي بآلته الموسيقية (كالعود أو الكمان) مثلاً ويعزف عزفا منفرداً أو جماعياً، ويغنى الجميع على نغمات الموسيقى. جو جديد على وحدات التدريب، فسال له لعاب المدربين النمطيين التقليديين بالجيش. كما عرفت الوحدات العسكرية أنماطا جديدة من المأكولات.
تحول في أنماط الثقافة المادية تبعه تحول في العلاقات فسادت روح التعاون بين الجميع، وظهرت العلاقات السوية التي تؤدى في النهاية إلى جو صحي يسمح بنتائج إيجابية، فكان هنا التحول الاجتماعي إيذانا برفع مستوى الأداء القتالي بالتالي.

ثانياً: حرب الاستنزاف:

كانت مرحلة التدريب التي تحدثنا عنها بمثابة الإعداد للمقاتل المصري الجديد الذي تم إعداده على أعلى مستوى من الكفاءة القتالية، لأنه على قدر كبير من الكفاءة العلمية، وهنا في جبهة القتال ظهرت طاقات الرجال التي كانت أشبه ما تكون بالأساطير وحكايات الخيال، عن القوة اللانهائية والصبر اللانهائي، كما كان القادة في الوحدات القتالية في مقدمة كل الأعمال، لا يغادرون أماكنهم في أي وقت، يصلون الليل بالنهار، إلا في حالات الراحة.
ونعرض هنا في هذا الجزء عن حرب الاستنزاف إلى ما يلي:
١-حول طبيعة حرب الاستنزاف وتوقيتها.
٢-نمط فريد من القادة.
٣-نمط جديد للجندي المقاتل.
٤-الجندي يتحول إلى ضابط احتياط.
٥-الوحدات العسكرية تقوم بمهام مزدوجة في نفس الوقت (واجب قتالي وواجب تدريبي) افرز نمطا جديدا من العلاقات العسكرية -العسكرية.
ونعرض لذلك فيما يلي:

١-حول طبيعة حرب الاستنزاف وتوقيتها:

تعنى حرب الاستنزاف التعبير عن قرار مصر في سبتمبر ١٩٦٧ التحول إلى إستراتيجية جديدة في القتال، والانتقال من «مرحلة الصمود الساكن» إلى مرحلة جديدة من المواجهة العسكرية، أطلق عليها «مرحلة الدفاع النشط» وهى التي سميت فيما بعد «استراتيجية الاستنزاف» وهى التي تعنى «استراتيجية الصراع الطويل الأمد»، الذي يبدد طاقات العدو وقدراته وإمكانياته وكان لهذه الحرب مجموعة من الأهداف العسكرية والسياسية منها:
أ-استنزاف العدو من الناحية العسكرية المادية والمعنوية، بتدمير قواته وإلحاق الخسائر البشرية بأفراده، لرفع تكلفة إحتلاله الأرض المصرية في سيناء.
ب-عدم تمكين العدو من تثبيت مواقعه وتحصيناته شرق القناة.
ج-تدريب قواتنا المسلحة في ميدان القتال الفعلي، والقيام بعمليات عبور استعدادا ليوم الهجوم

الشامل لتحرير الأرض.

د-إقناع العدو وإقناع العالم أيضا، أن مصر لا تنوى تحت أي ظرف من الظروف التخلي عن حقها في استرداد أرضها، وحق الدول العربية الأخرى في استرداد أرضها المحتلة.

ولذلك فلقد اعتمدت حرب الاستنزاف على نمطين من الأعمال القتالية:

أ-القصف المدفعي لتدمير خط بارليف، ومنع استكماله والتمهيد لفتح الثغرات به لقواتنا.

ب-القيام بعمليات عبور تقوم به بعض القوات، لتدمير أسلحة وأفراد العدو في المواقع الحصينة.

ونضيف هنا أن قوات المدفعية كانت تشترك في عمليات العبور، حيث كانت تقوم بالقصف التمهيدي عند بداية العبور لحماية القوات عند العبور، ثم تقوم بالقصف الثاني عند عودة القوات لحمايتها من تدخل العدو واشتباكه معها.

أما عن توقيت حرب الاستنزاف، فقد اختلف من كتبوا عنها في تحديد توقيتها. لكننا نوضح هنا ثلاث معارك شهيرة (على سبيل المثال) بدأت بها حرب الاستنزاف وقد شاركت فيها جميعا مشاركة إيجابية وهي:

١-معركة ٨ سبتمبر ١٩٦٧ ،وهى التي سميت بيوم المدفعية، حيث اشتبكت فيها جميع قطع المدفعية على جبهة القتال بأكملها في وقت واحد، وصبت نيرانها بكثافة على مواقع العدو على طول الضفة الشرقية للقناة.

٢-معركة ٢٦ أكتوبر ١٩٦٧، والتي سميت بمعركة الصواريخ ٢١٦مم بجانب الموقع الذي كنا نشتبك منه مع العدو وملاصق له تماما (واعتقد أننا كنا الهدف المقصود لكن الله سلم).

والصواريخ ٢١٦مم هي التي أقام العدو مواقعها على الضفة الشرقية للقناه ، أمام مدن القناة بهدف تدمير منازلها ومنشآتها.

٣-معركة ٨ مارس ١٩٦٩، وفيها أيضا اشتبكت كل قطع المدفعية بجبهة القتال وكبدت العدو خسائر كبيرة. وفى اليوم التالي ٩ مارس كان استشهاد رئيس الأركان الفريق «عبد المنعم رياض» في جبهة القتال وهو يتفقد كيفية سير هذه المعركة ونتائجها على العدو، ضاربا بذلك أروع المثل على نوعية القائد العسكري، الذي يتقدم الصفوف، ليشد من أزر ضباطه وجنوده، ويدفع روحه ثمنا لعمله ولبلاده رحمه الله. واستمرت حرب الاستنزاف حتى وقف إطلاق النار في أغسطس ١٩٧٠.

٢- نمط جديد ومزيد من القادة :

كنا قد التقينا فى مراكز التدريب بنمط جديد فعلا من القادة العسكريين وكان من سماتهم: الجدية فى العمل، وروح التفاني والإخلاص، والاحترام المتبادل.

صفات ثلاث تميز بها القادة فى مراكز التدريب، مراكز التدريب، مراكز إعداد المقاتل الجديد الذي يستطيع أن ينتزع النصر، من عدو مغرور كسب نصرا سهلا رخيصا لم يدفع له ثمناً.

فالجدية فى العمل تنتج عملا جيداً ، يمكن أن يكون له نتيجة افضل من عمل لا يتم بالجدية، وروح التفاني والإخلاص، لأن الموقف لا يقتضي التخاذل الذي أدى بنا فى حرب ١٩٦٧ إلى الهزيمة، والاحترام المتبادل هو الذي يقدم لميدان القتال جندياً يعتز بنفسه يعتز بقادته ويعتز بوطنه، و فى جبهة القتال التقينا بهؤلاء القادة الذين آمنوا بربهم و آمنوا بوطنهم الذين كانوا و كأنهم «النمط المثالي» الذي تحدث عنه عالم الاجتماع الألماني «ماكس فيبر» والذي كان ينظر إليه على أنه لا يشكل أسلوبا للفعل الواقعي، وإنما يعتبره أسلوبا مثاليا مفترضا، يمكن أن نقارن فى ضوئه وأن

يساعدنا على فهم ما هو قائم.
فنموذج الضابط المصري القائد لوحدة عسكرية قتالية فى جبهة القتال هو النموذج المثالي، الذي يوضح لنا افضل أنماط السلوك الرشيد فهو ضابط يؤمن إيمانا كاملا بقدرة الجندي المصري والضابط والجيش المصري على تحقيق النصر فى المعركة القادمة وتلك هي أولى ضمانات النصر وهي الثقة بالنفس والثقة بالمقاتل والثقة بالله قبل كل شيء.
ومنذ أن ذهبت إلى جبهة القتال وحتى تركتها بعد انتهاء حرب أكتوبر المجيدة ١٩٧٣ فقد كان هذا النمط المثالي للضابط القائد المصري هو هو لم يتغير، بل كان يزداد صقلا يوما بعد يوم، ومازالت حتى الآن برغم مرور ثلاثين عاماً على حرب الاستنزاف اذكر أسماء من تعاملت معهم فى المعارك الحربية من الضباط، بل أنني مازلت اذكر ما كان يردده أول قائد التقيت به و عملت معه فى جبهة القتال، و الذي كان يصف اشتباكنا مع العدو قائلا «عندنا فرح النهاردة» كما كان يردد قبل كل اشتباك.

٣- نمط جديد للجندي المقاتل:

فى منتصف يونيو ١٩٦٨ وبعد عام تقريبا من نكسة يونيو ١٩٦٧، تنفست جبهة القتال الصعداء، واستقبلت بكل الترحاب أبناء مصر الأوفياء، الذين جاءوا يأخذون لها بثأرها. ومحفور عندي فى الذاكرة يوم ١٩٦٧/٦/١٨، الذى لم تمحوه الأيام والسنون، عندما رأيت على الضفة الشرقية للقناة فى منطقة الإسماعيلية فى الطريق إلى رأس العش، العلم الأبيض وبه نجمة داود الزرقاء «وقلنا يومها يومهم ازرق إن شاء الله» فغلى الدم فى عروقي وأقسمنا قسم التحرير.
وظهر هنا فى جبهة القتال نمط جديد للجندي المقاتل ذي الثقافة المرتفعة والحرص الوطني الذى أعد للقتال إعدادا جيدا وشكلنا معا مجموعات عمل وكأنها جوقة موسيقية فى مسرح العمليات تعزف أنشودة النصر والتقينا عبر الأثير نبلغ نتيجة رصدنا لتحركات العدو، من الوحدات الصغرى فى جبهة القتال إلى المستويات العسكرية الأعلى.
واتسعت شبكة علاقاتنا الاجتماعية، التي نسجت جبهة القتال خيوطها والتي مازالت موجودة حتى الآن وبعد انقضاء ما يقرب من ثلاثين عاما، فأي نمط من العلاقات هذه الذى يستمر اكثر من ربع قرن، إنها أقوى العلاقات التي نشأت فى جبهة القتال بأيامها الخالدة بحلوها ومرها.
٤-الوحدات العسكرية تقوم بمهام مزدوجة فى نفس الوقت (واجب قتالي وواجب تدريبي)، وقد أفرز ذلك نمطاً جديدا للعلاقات العسكرية -العسكرية:
لم تكن مرحلة حرب الاستنزاف وقفاًعلى الواجبات القتالية بجبهة القتال لكن كان على جنودها، ان يتحملوا فى صبر الرجال الأشداء واجبين فى وقت واحد، ولقد أعاننا الله على ذلك. ففي اليوم الواحد كانت تكلف الوحدة القتالية فى جبهة القتال بالاستعداد للاشتباك مع العدو صباحا أو ظهرا مثلا، وما هي إلا ساعات محدودة وتكلف نفس الوحدة بإخلاء مواقعها فورا لتنفيذ واجب تدريبي فى الخلف. فكنا نقوم بالواجبين فى يوم ووقت واحد. توحد الواجب القتالي هنا وانحصر فى الاشتباك المستمر والدائم مع قوات العدو شرق القناة سواء فى تراشق المدفعية الدائم المستمر، أوفى حماية قوات العبور بالقصف التمهيدي عند بدء العبور ثم القصف عند العودة لستر عمليات العودة.
أما الواجب التدريبي فقد تنوع وكان له نمطين أساسيين:
١-التدريب فى مسرح للعمليات يشبه أرض الضفة الشرقية للقناة،وكان يتم ذلك فى مناطق صحراوية

متعددة من مناطق الجمهورية الصحراوية القريبة من جبهة القتال لنكون على استعداد لترك مناطق التدريب، والعودة لجبهة القتال للاشتباك الفوري مع العدو فى أسرع وقت أيضاً.
٢- التدريب على عمليات العبور للمانع المائي،وقد تم ذلك على مرحلتين أيضاً:
أ- شملت الأولى التدريب على عبور مانع مائي صغير.
ب- أما الثانية فكانت مرحلة أكثر تقدما وهى التدريب على عبور مانع مائي كبير اقترب كثيرا من مانع قناة السويس.
ولعل ذلك يدل على دقة القيادة فى الأعداد والتنفيذ لعمليات التدريب التي يمكن أن تجدي كثيراً وتعطى نتائج إيجابية لدرجة كبيرة.

ظهور نمط جديد للعلاقات العسكرية -العسكرية:

وفى خلال مراحل التدريب المتعددة ،وخاصة فى المراحل الأولى التي كانت تتم فى الصحراء، ظهر نمط جديد للعلاقات العسكرية -العسكرية ونقصد به العلاقة بين القادة من الضباط وبين جنود «أكتوبر». فلاشك أن عملية إعادة البناء كانت تقتضي إعادة البناء المعنوي والاجتماعي داخل صفوف القوات المسلحة، بهدف توثيق العلاقة بين الضباط والجنود وذلك من أجل التفاعل الإيجابي بين عنصري الحرب الأساسيين:الضابط والجندي، وأن تظهر من خلال بذل المزيد من العناية والاهتمام بإشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية للجنود وتنمية العلاقات المستمرة بينهم وبين ضباطهم.

وكنا قد ذكرنا قبل ذلك فى مرحلة التدريب الأولى -بمراكز التدريب- كيف أن حفلات السمر كان لها دور إيجابي فى تقوية العلاقات الاجتماعية بين المدربين والمتدربين داخل مراكز التدريب. لكن حفلات السمر هنا كان لها مذاق خاص،فهي لم تكن قاصرة هنا على الجنود فقط، بل انه نتيجة لتقارب المستوى الثقافي بين جنود «أكتوبر». وضباطهم فلقد أصبحوا أكثر قرباً من بعضهم اجتماعيا ونفسيا أيضا ،وأصبحت حفلات السمر هنا فى صحراء التدريب بعد يوم شاق من التدريب الجاد المتواصل ،تضم كلا من الجنود والضباط ،فسرت بين الجميع روح طيبة وأخوة سامية، وظهر بذلك نمط جديد من العلاقات العسكرية -العسكرية يقوى من العمل العسكري ويدعمه.

وأخيراً فهذه قطرة من محيط حرب الاستنزاف العظيمة، المقدمة الحقيقية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة، راجياً أن يتاح لي أن أسكب منها قطرات أخرى بإذن الله.

مواقف مع الصحة النفسية وانتصار أكتوبر عام ١٩٧٣

أ.د. جمال ماضي أبو العزايم

مستشار الطب النفسي

المقدمة:

يفتح العلم في كل آن صفحات من صفحاته ليري الإنسان عظمة طاقاته و كيف يمكن تذليلها في تنمية الإرادة وانطلاقها بلا حدود ، ومعركة ٦ أكتوبر مازالت توافينا بالكثير مما تم.

وقد انتصر المصريون ومازالت الانتصارات تجني ثمارها طمأنينة وتنمية وعزة وكرامة.

والصحة النفسية تكمل الصحة الجسمية والاجتماعية والروحية وهي الشعور بالرضا والطمأنينة والوصول إلى الاتزان والسعي إلى مزيد من التحصين ضد التوتر والخوف.

ونظرة إلى الجهاز العصبي ، مركز عمل النفس الإنسانية ، وما أودع فيه من بلايين الخلايا العصبية التي تجمع من نوافذ ذلك الجهاز بلايين المؤثرات البصرية والسمعية وأحاسيس الجلد والذبذبة وطاقات أخري عديدة كلها تحتاج منا إلى المزيد من البحث ونشر هذه المعلومات علي الناس حتي يعلموا بما وهبهم الحق وأعطاهم من القدرات التي تسيطر علي المراكز البدنية والنفسية.

ويبدأ التفكير بعد الأحاسيس وينفعل الإنسان بهذه الأحاسيس ثم يسلك سلوكا مناسبا لما تأثر به من أحاسيس وتبدأ الإرادة في الانطلاقة ومع المعرفة لكل هذه الكنوز يسهل علي الإنسان أن يسلك السلوك المناسب وأن تقوي عزيمته وقدرته علي مواجهة صعوبات الحياة.

وها هو مركز الجهاز العصبي المدير لطاقات الصحة النفسية يتكون من أكثر من مائة بليون خلية مرتبة في فصي المخ بكل دقة تعمل فيه النفس الإنسانية ويعطيها عظمة المعرفة كيف نبصر وكيف نسمع وكيف نعلم بما يدور حولنا وكيف نصل إلى السلوك السوي. وعندما ينفعل الإنسان بالقلق والتوتر والخوف فهذا هو الابتلاء لهذه المراكز ، كيف تعيد لهذا الإنسان هدوءه وطمأنينته.

وتوتر الشعوب وقلقها هو نتيجة توتر أفرادها ونكسة ١٩٦٧ أثارت أجهزة أعصاب الناس وهذا البحث حول ما يمكن أن تقوم به في مثل هذه المواقف وكيف يكون الطريق إلى مزيد من الصمود والانطلاق.

وصف القرآن لهذه الأحاسيس يدعونا إلى أن نسعي للحصول علي الكثير من ذلك الصبر الذي يوصي به الحق «واصبر الصبر الجميل».

وحقيقة أن رجال مصر صبروا وصبروا الصبر الجميل إبان الستينات والسبعينات من هذا القرن حتي جنوا

ثمار الصبر الجميل.
وسوف أحاول أن أعيش مواقف من حياتي وأنا فرد من هذه الأمة العظيمة وسوف أتحدث عن ما شاهدته بنفسي وما وفق به الفريق العلاجي الذي عاش معي طوال هذه الفترة.

شاهد عيان:

كنت أرأس العمل السياسي لوحدات الوايلي إبان عام ١٩٦٧ ، وكنت كذلك مديرا عاما بدار الاستشفاء للصحة النفسية بالعباسية وتخصصي هو الطب النفسي وهكذا كنت أعيش الأحداث النفسية إبان نكسة ١٩٦٧ ، أعيش بينها في المجتمع وبين مؤسسات الطب النفسي وأذكر أنني قد دعيت لاجتماع للقيادات بعد أيام الحرب ولم نكن نعلم حقيقة الموقف وعندما اجتمعنا أذيع نبأ النكسة واستقالة الرئيس جمال عبد الناصر.

وخيم السكون المؤلم علي الحاضرين وأسمع أحد الحاضرين ينادي في الحاضرين وقد إصفرّت وجوههم وعلاهم الهلع والخوف والألم والقلق.

وكان ينادي الصمود الصمود يا .. رجال وليتوقف الحزن ولنستنجد بطاقاتنا النفسية العظيمة التي وهبنا بها الله القوي المتعال ولنصبر ونخطط.

وسرت في المجتمعين روح جديدة وانتهي الاجتماع وصدرت قرارات لإعادة مبايعة الرئيس جمال عبد الناصر وعدم الموافقة علي تنحيه.

وفي اليوم التالي زحف الشعب إلى مبني الرئاسة لإعادة مبايعة الرئيس والدعوة إلى مواقف الرجال والأخذ بطاقات القوة وخيل إليّ وأنا أري هذا الاجتماع أن مصر قد خلعت ثياب الحزن جانباً وان المعركة لم ولن تنته إلا بالنصر وأسمع أخ صادق يهتف « إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون » (صدق الله العظيم).

ويطمئن قلبي إلى أصالة هذا الشعب وعزمه علي المضي في المعركة إلى النصر بإذن الله.

الحزن الذي تبدل إلى طمأنينة وتصميم!

ووسط هذه الموجات المحزنة نلاحظ أن الحدث المتفجر لم ينل من شخصية الأمة إلا تفكيرا يبحث عن الحل ويبدأ في التخطيط ولم يناقش كثيرا ويحمل المسئولية لأحد ولكنه بدأ يخطط سريعا ويؤدي الحدث إلى تغيرات جذرية في حياة الناس.

١- بدأت حرب الاستنزاف مع العدو وزحف الفدائي المصري الذي خاض حرب ضد العدو وفي عمق خطوطه.

٢- نسفت القوات المسلحة السفينة إيلات أمام شواطئ العدو وقتل كل من كان فيها.

٣- أنشئت سواتر جبلية في محاذاة القناة لتضليل العدو ودلت الإنشاءات علي عظمة الفدائيين الذين كانوا لا يبالون بضرب العدو لمواقعهم ليل نهار.

٤- تطوع الشباب للعمل جنبا إلى جنب مع القوات المسلحة إحساسا بالواجب وعملا علي مساندتها في واجبها الوطني.

٥- قام الأدباء والشعراء ورجال الموسيقي بتزويد الإعلام بفيتامينات الإرادة القوية التي هيأت الجو إلى مزيد من العمل الجماعي المبارك.

٦- نلاحظ أن المد الديني بدأ يتسع ويزداد عدد الذين يؤمون المساجد والذين تطوعوا للكتابة عن الإرادة وكيف يمكن تنميتها.

٧- مع تأثر الناحية الاقتصادية إلا أن التضامن الاجتماعي بدأ يزداد وساعد الأسر الفقيرة في الاستقرار وهذه ظاهرة صحية بناءة.
٨- بدأت الجهات المسئولة التخطيط في جمع الزكاة وارتفع إيرادها إلى درجات عالية سنة بعد سنة.
٩- ودارت معركة جزيرة شدوان وصمدت وتكلف العدو خسائر عديدة.
١٠- وازداد التصميم الجماهيري علي مزيد من المواجهة واجتمع زعماء العرب في القاهرة وبدأ التعاون والتآزر والبذل في سبيل النصر.
١١- زاد الاهتمام بعقد الندوات في المدارس وأماكن العبادة وحتى في المقاهي وكل التجمعات وكم من مئات المرات ذهبت أنا وصحبي إلى هذه الأماكن لنشر الوعي النفسي الديني ودار الحوار مع المجتمعين حتى تتم الفائدة من هذه اللقاءات.
١٢- بدأت المؤتمرات النفسية في التزايد وعقدت دار الاستشفاء مؤتمرا في مقرها مع الأطباء النفسيين بالمحافظات عام ١٩٦٩ وعقد مؤتمر ثان في عام ١٩٧٠ حضره رئيس الاتحاد العالمي للصحة النفسية ومؤتمر ثالث مع العاملين في ميدان الصحة النفسية في العالم العربي ١٩٧٢.
عقدت هذه المؤتمرات بقاعة المؤتمرات بالجامعة العربية وكان الموضوع المشترك هو التحصين ضد التوتر والقلق والاكتئاب.
١٣- قامت دور العبادة والجمعيات المشرفة عليها بدور إيجابي جديد وزاد الاهتمام بافتتاح المساجد الجامعة التي تتضافر فيها طاقات العقيدة مع طاقات الصحة الجسدية والنفسية والاجتماعية.
وهذا خير كبير يتمتع به الناس في هذه الأيام ويتعاونون في التطوع من أجلها.
١٤- قامت الصحافة ودور الإعلام بدور بناء وهي تفتح أبوابها لمزيد من المعرفة والعمل علي وقف زحف التوترات.
١٥- ازدادت الوحدة الوطنية صلابة واشترك المصريون جميعا في التحصين ضد السلبيات وضربوا أروع المثل لهذه المواقف.

وفاة الرئيس جمال عبد الناصر (الحزن الجماعي وآثاره:)

وحزن المصريون من أعماق نفوسهم علي هذه الحادثة وهي الموت المفاجئ للرئيس وكنت أحتفل مع زملاء لي بذكري الإسراء عندما همس صديق في أذني أن الرئيس قد استشهد وأسرعت لسماع الأخبار من مذياع قريب وتجمع المواطنون في حالة حزن وفزع وترك المحتفلون بالإسراء المكان ووجدتني وأنا الداعي لا يوجد حولي أحد والكل قد انصرف حزينا منفعلا.

* واتصل بي السيد وكيل وزارة الصحة وأخبرني أن هناك تجمع بالآلاف أمام سراي القبة وأن الناس يتشنجون ويقعون علي أرض الميدان بطريقة هستيرية وطلب مني إعداد العدة النفسية وفريق مدرب لعلاج هذه الظاهرة.

عيادة طوارئ عاجلة في ميدان القبة:

واتصلت بالزملاء الأطباء في المستشفي والأخصائيين النفسيين والاجتماعيين وأعددنا عيادة سريعة في مبني الاتحاد الاشتراكي بكوبري القبة وتطوع فريق من المواطنين علي حمل المتشنجين فرداً فرداً وأعددنا استمارة جمع معلومات من المصابين - عملهم - السكن - السن - الحالة المدنية - الأحداث النفسية التي تعرضوا لها في الأيام الأخيرة والأمراض التي كانوا يعانوا منها في الأيام الأخيرة وما يمكن أن يضيفه

هؤلاء المصابين من معلومات سريعة ..
وبدأ فريق العلاج في العمل وكان العلاج علاجا إيحائيا ويحقن المريض في الوريد بعقاقير منبهة ببطء وعندما بدأ الشعور يسترد طاقاته كان يتحدث إليه الطبيب ويعرفه أن هذا المرض رد فعل لفقدان شخصية الرئيس جمال عبد الناصر وربما ليذكره أخبارا عائلية مماثلة وأنه مؤقت ولا يحتاج إلا إلى إرادة المصاب وأن يتابعنا في التليفون إذا احتاج إلى مزيد من الرعاية.

إسترداد الوعي البناء للجماهير:

وتعلمنا من هذه المواجهة النفسية مع الجماهير. كانت لكلمات فريق العلاج آثارها في نفسية المصابين وتبين من معهم قدر أهمية الصحة النفسية ودورها في تنمية الإرادة وتابع المصابين الحضور إلى عيادة المستشفي وتحسنت حالاتهم.

وأذكر ليلة هذه الأحداث أن الثورة الحزينة في شوارع القاهرة وفي حي القبة بالذات لم تفقد وعيها رغم قلة عدد رجال الشرطة وكان الناس يتعاملون مع عيادة الطوارئ مقدرين ما يقوم به الفريق العلاجي المتطوع. وفي حوالي الساعة ٢ صباحا في طريقي إلى العودة للمنزل أوقفني فريق من الشباب وكنت بمفردي في عربتي وعندما عرفوا شخصيتي إعتذروا وعرفت منهم أنهم كانوا يسهرون للحفاظ علي الأمن خوفا أن يقوم العدو بغارة من حقده.

وهكذا قلّت الأحدث في هذه الليلة إلى أقصي ما كنا نتصور نتيجة الوعي والصبر والرشد الجماهيري.

وتجمع المعلومات في ورقة بحث أذاعتها الصحف وعلمت بها الأوساط الدولية وزار مصر رئيس الأبحاث بالمركز القومي للصحة النفسية بواشنطن وسأل عن دقائق ما حدث وما قامت به عيادة الطوارئ في ميدان القبة ,ودعاني لإلقاء محاضرة حول هذا الحزن الهستيري وألقي زميل أمريكي بحثا عن الحزن بعد وفاة الرئيس كيندي وكيف تمرض الأمم كما تمرض الأفراد.

المصريون يتعجلون العودة إلى الأرض في سيناء وانعكاسات ذلك نفسياً:

وتولي الزعيم أنور السادات مقاليد الحكم وأمامه تركة من المشاكل العاتية ووعد الجماهير بالتخطيط للعودة إلى الأرض السليبة وتم التخطيط لكن الناس كانت في عجالة من أمرها وتريد أن تمحو عار نكسة عام ١٩٦٧.

وقامت مظاهرات الطلبة عام ١٩٧٢، ١٩٧٣ ووسط هذه الأحداث يستشهد الفريق / عبد المنعم رياض وهو في موقع متقدم من العدو ويتعالي النداء بالثأر ويزداد التصميم في ذرات نفوس المصريين ويتابعون الأحداث.

السادس من أكتوبر ,العاشر من رمضان ١٩٧٣:

وفي الساعة الثانية ظهرا بدأت المفاجأة بقيام مئات الطائرات من سلاح الطيران المصري بقيادة الرئيس مبارك في هجوم فدائي خالد علي العدو في المواجهة وأعماق سيناء وعبر الجيش المصري وهو يردد:
« اللـه أكبر.. اللـه أكبر»

وانطلقت الطاقات العظمي للإرادة المصرية التي كانت نتيجة التخطيط النفسي السديد والتي لا تقدر بالمال والتي عرفت طريقها منذ بدء النكسة والتي أثبتت أن إرادة مصر سوف يكون لها النصر دائما ما دامت آخذة بناصية التربية النفسية في إطار من ثقافة دينية غلابة انتصر تخطيط الرئيس جمال عبد

الناصر والتخطيط السياسي عميق الأثر للرئيس أنور السادات وكذا القيادة السديدة للرئيس مبارك في نضوج الإرادة واقتحام طائرات المصريين شرقي القناة ودكهم حصون العدو التي كان يتحدث عنها أنها لا تقهر.

الإعلام المصري الصادق:

ومع مطلع حرب السادس من أكتوبر لبس الإعلام المصري ملابس الصدق وأعطي إعلاماً حبذا قبله المصريون الذين كانوا يقارنون هذا الإعلام بإعلام عام ١٩٦٧ وهدأت النفوس وفرحت بالنصر الصادق وازدادت صحوة الإرادة.

أخوة من البلاد العربية والسودان بين القوات المصرية:

وعندما بدأنا الاهتمام بالجبهة الداخلية وافتتحت عيادات الطوارئ النفسية وصل إلى مصر متطوعون من البلاد العربية والسودان - وها هو المرحوم الأستاذ / التيجاني الماحي رئيس الطب النفسي بالسودان ومنظمة الصحة العالمية ومعه صحب يتطوعون مع زملائهم المصريين للعمل النفسي وترحب بهم مراكز البحث العلمي ويصحبهم المرحوم الأستاذ الدكتور / أحمد وجدي - لزيارة ميدان الحرب ويقومون بإعطاء العون النفسي للذين يحتاجونه.

التطوع لإنشاء عيادات نفسية بمستشفيات القاهرة:

وعرضت علي السيد محافظ القاهرة إنشاء عيادات في مستشفيات القاهرة للصحة النفسية وأخبرته أن زملائي الأطباء والأخصائيين الاجتماعيين في مراكز متقدمة بعيدا عن المستشفيات.

واخترنا مستشفي منشية البكري والساحل وشبرا وأم المصريين وباب الشعرية والمنيرة، وحلوان، وتعهدت أن يكون مستوي العمل علي الدرجة الممتاز ،وذلك بعد موافقة أ.د. دويدار مدير منطقة صحة القاهرة وأن دار الاستشفاء سوف تمول كل ذلك بعيدا عن ميزانية الدولة، ولكن السيد اللواء / سعد زايد - يعد بإدراج كل ما ينفق في هذه العيادات من الميزانية المقبلة وأودع دار الاستشفاء (عشرة آلاف جنيه) للصرف علي هذا المشروع القومي النفسي وسارت التجربة ونجحت ووفرت من ميزانية الدولة الكثير.

عيادة طوارئ بالتليفون:

وازداد الاهتمام من فريق الصحة النفسية لتحقيق مزيد من النجاح ،وساهموا جميعا في نوبات عمل للتطوع في حل المشاكل النفسية الطارئة عن طريق التليفون، وتخصص رقمين من تليفونات دار الاستشفاء للعمل وتم الإعلان عن ذلك بكل وسائل الإعلام وأقبل الناس علي التحدث في هذه التليفونات ودونت المكالمات وكان يعقد صباح كل يوم الساعة الثامنة صباحا اجتماعاً يضم الأطباء والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين والمدربين المهنيين لمناقشة هذه الشكاوى وما وجهه فريق الصحة لهم من مشورة وبذلك تم تدريب عملي ونظري علي العمل في المجتمع تدريباً يحقق المجتمع العلاجي الذي ألقي أضواء ساطعة عن دور الفريق النفسي إبان الطوارئ.

معارك الدبابات في أعماق سيناء:

ونشبت أكبر معركة للدبابات شنها المقاتل المصري الذي زود بأدوات ليس لها دور في الحرب الإلكترونية ولكن كان لها دوي هائل في إحراز النصر وانطلق هؤلاء المردة المتطوعون يحملون أسلحتهم بين صفوف

دبابات العدو ويحرقونها ويحطمونها وكان ذلك نتيجة التربية العسكرية والتخطيط العلمي المناسب ويشهد العالم علي ما حققه المقاتل المصري الأعزل إلا من طاقة الإرادة.

انتصار مدينة السويس:

وها هي دبابات العدو التي زودته بها أمريكا تخرج من مصانعها عابرة القارات إلى أعماق سيناء وهناك كانت تقذفها الإرادة المصرية إرادة المردة الذين فدوا أمتهم ومسحوا عار نكسة عام ١٩٦٧ م.
ولذا عندما حاول العدو اقتحام مدينة السويس عام ١٩٧٣ هب المقاتلون المتطوعون بقذف هذه الدبابات في شوارع السويس وأحرقوها جميعا.

إيقاف حرب ١٩٧٣:

وتتخذ الأمم المتحدة قراراً بوقف الحرب وبدأت إسرائيل تعيش حالة من الحزن وهي تسترجع ما تم ومعناه التصميم النفسي المصري (أطفالها وشبابها والعاملون فيها وكل من يحبها ويسير في مسارها).
تذكرت كل ذلك ودارت مفاوضات الانسحاب من الأرض وتم ذلك بعد مفاوضات عنيدة تمسك فيها المفاوض المصري بكل حقوق أمته دون أدني تفريط وبإرادة قوية.

الاحتفال بفتح قناة السويس:

وفي عام ١٩٧٥ احتفل المصريون بافتتاح قناة السويس بعد توقف عشرة سنوات وأخذت العدة للاشتراك في ذلك الاحتفال في بورسعيد ولكن زارني وفد من الاتحاد العالمي للصحة النفسية وتحدثت مع المخابرات العامة للسماح لي بإصطحاب الوفد وسافرنا إلى بورسعيد وأتي القائد المنتصر/ أنور السادات بحضور الاحتفال وزحفت إلى مكان الحفل آلافاً من السفن تحتفل مع شعب القناة الذين شاركوا وتطوعوا في المعركة. حضروا يرددون:

« الله أكبر .. النصر لمصر .. النصر للإرادة والنصر للصحة النفسية »

وكنت أردد بين ما أردد في صميم نفسي قوله تعالي :

« وفي أنفسكم أفلا تبصرون »

(صدق الله العظيم)

المراجع

١ - كتاب مواقف مع الطب النفسي ١٩٤٣ - ١٩٩٦ (ص ٩٩)، (ص ١٠٦)، (ص ١٣٣) د. جمال ماضي أبو العزائم.
٢ - كتاب القرآن والصحة النفسية (ص ٤٧) د. جمال ماضي أبو العزائم.
٣ - كتاب نفوس من وراء الأسوار - د. جمال ماضي أبو العزائم.
٤ - إعداد مجلات الصحة النفسية ١٩٦٠ - ١٩٧٥ - د. جمال ماضي أبو العزائم.
٥ -أعداد مجلة النفس المطمئنة ١٩٨٤ -١٩٩٨ - د. جمال ماضي أبو العزائم.
٦ - كتاب مستشفي العباسية بين الأسوار المغلقة والباب المفتوح (ص ٨١).
٧ - الكتاب السنوي لدار الاستشفاء للصحة النفسية ١٩٧٣ (ص ١٠)، (ص ٦٣).

تجـــارب رائدة للمـــرأة المصــرية فـى خدمة المجتمع والارتقاء بالبيئة

أ. عنايات الحكيم

عضو مجلس محلى مدينة الجيزة

المقدمة:

فى اقل من قرن من الزمان شهد العالم حربين عالميتين كان لابد أن تتأثر بهما جميع الشعوب ومن بينها مصر، ومنطقة الشرق الأوسط،والبلاد العربية، وشهد العالم ثورة صناعية،وتغيرات اقتصادية، واجتماعية أثرت بدورها على داخل البلاد،ولم يستطع شعب من الشعوب أن يعيش بمعزل عما يجرى فى العالم من تغيرات، وسرعة الاتصال بين البلدان نتيجة التقدم العلمي والتطور في وسائل المواصلات جعل سرعة التأثر وشدته لا تترك بلدا من البلدان يستطيع أن يقفل بابه على نفسه،ويعيش فى عزلة، وهدوء بعيدا عن التأثيرات العالمية مكتفيا بالتطورات الداخلية حسب احتياجاته المحلية.

وكان موقع مصر الجغرافي ومركزها الاجتماعي بين الشرق،والغرب جعلها همزة الوصل بتقاليده،والمستقبل بين ثلاث قارات متنوعة الأحوال، والثقافات،وقد مرت مصر فى عدة مراحل سياسية،واجتماعية، واقتصادية، وشاهدت الإقطاع، والنظام الرأسمالي أثناء الملكية والاستعمار السياسي ثم بدأت بوادر الاشتراكية بعد ثورة ٢٣ يوليو، والاستقلال،وما أن بدأ التطور الاجتماعي من الرأسمالية إلى الاشتراكية، ومن الاقتصاد الحر إلى الاقتصاد الموجه حتى اضطرت من جديد أن تتحول من الاقتصاد الموجه إلى الاقتصاد الحر، والرأسمالية والخصخصة نتيجة لما حدث فى العالم من تغيرات جوهرية سريعة بعد انهيار الشيوعية والاقتصاد الموجه، ومن ثم كان التغير الداخلي لابد أن يواكب التغيرات العالمية، ولكن بحيث لا يفقد جذوره ويرتبط بها، ولا يتنازل عن تراثه وقيمته، وقد شاركت المرأة فى جميع المراحل مشاركة فعالة حيث كانت تناضل فى مرحلة التخلص من الاستعمار السياسي، ثم اشتركت فى التطور مع الرجال فى إرساء أسس الاشتراكية، ودخلت انتخابات الحكم المحلى، ونجحت فى عضوية المجالس النيابية حيث مثلت بعضوين فى بادئ الأمر هما أمينة شكري

في الإسكندرية وراوية عطية في القاهرة ثم في سنة ١٩٥٩ اشتركت في انتخابات اللجان الأساسية،ونجحت ٨٢ سيدة اشتركن بفاعلية في الحكم المحلي،وذلك عن طريق انتخابات مباشرة.

المرأة والنهوض بالمجتمع المحلي :

في مرحلة الملكية كان دور المرأة الاجتماعي من خلال المبرات التي كان يرأسها الأميرات وجمعية، الهلال الأحمر، والاتحاد النسائي الذى أنشأته المرحومة الراحلة هدى شعراوى وكان له نادى انبثقت منه أنشطة وجمعيات لخدمة المجتمع والنهوض بالبيئة من بينه جمعية التحرر الاقتصادي بشارع القصر العيني، والتي كونتها وترأسها السيدة خيرية شرين،وقد قامت ومازالت تقوم بعدة خدمات للبيئة، والأسرة من بينها إعداد بعض الخادمات كمعاونات لربات البيوت في العمل المنزلي بالتعاون مع وزارة الشئون الاجتماعية...الخ، وإعداد وجبات للسيدة العاملة بثمن معقول الخ... ثم بدأت تأخذ الحقوق الاجتماعية شكلا علميا منظما وبدأت الدراسات الاجتماعية، ومدرسة الخدمة الاجتماعية التي تحولت إلى كلية من الكليات فيما بعد، اهتمت بعض النساء بتكوين الصالونات الأدبية كما اهتمت بالريف،وكانت عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) من أول المهتمات بالريف والتوعية لنساء الريف،وان كانت لم تأخذ شكلا جماعيا ،وأسست رفيعة الحكيم في الجيزة جمعية رعاية الأسرة،وبدأت الأسر المنتجة، ومعارض الإنتاج المنزلي تنتشر في صورة إرهاصات كما تكونت جمعية خريجات الجامعة.

وفي عهد ثورة ٢٣ يوليو،وفي ظل اللجان الأساسية تكونت عدة جمعيات أهلية،ودخلت المرأة مجال التعاون فتكونت جمعية الأم العربية وجمعية ربات البيوت بالجيزة، وشاركت المرأة بجدية في تلك المؤسسات، وأصبحت عضوا مؤثرا في الاقتصاد،والتنمية الاجتماعية،واهتمت بنوع خاص بالتنمية الاجتماعية،والتحرر الاقتصادي حتى تأخذ مكانتها بجانب الرجل كما حصلت على حقوقها السياسية، وكان عليها أن تثبت جدارتها في التنمية البيئية،والارتفاع بمستوى المعيشة الحضارية.

وفيما يلي بعض النماذج والأمثلة التي أثرت في سير التطور الاجتماعي، والتنمية البيئية وصور من مساهمة المرأة المصرية في التقدم الحضاري في مصر،ولما كنت من بين النساء اللاتي تشرفن بعضوية مجلس المدينة فسوف ابدأ بتجاربي الخاصة كنموذج من المساهمة في تنمية المجتمع.

تطورات ومؤثرات محلية وعالمية	تطور حركة المرأة المصرية
بداية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤	
نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨	
ثورة ١٩١٩	الاتحاد النسائي وجمعية هدى شعراوى
أول دستور وتكوين مجلس النواب ١٩٢٣	المبرات الخيرية
ومجلس الشيوخ	الهلال الأحمر
معاهدة الجلاء بين مصر وإنجلترا ١٩٣٦	
بداية الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩	
نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥	سلسلة نشاط المصرية

	جمعية رعاية الأسرة
حرب فلسطين ١٩٤٨	جمعية تحسين الصحة
	جمعية التحرر الاقتصادي
ثورة يوليو ١٩٥٢	
تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي ١٩٥٦	تمثيل المرأة فى المجالس النيابية
الميثاق الوطني للقوى الشعبية ١٩٦١	والاتحاد القومي والمجالس المحلية
	الجمعية التعاونية للام العربية
وقرارات يوليو الاشتراكية	جمعية ربات البيوت
حرب يونيو ١٩٦٧	
بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨	جمعية بلدي
وفاة الزعيم جمال عبد الناصر ١٩٧٠	
تولى الرئيس أنور السادات	
معركة العبور ١٩٧٣	لجنة زكاة صلاح الدين للتنمية الاجتماعية
ورقة أكتوبر ١٩٧٤	
مبادرة السادات وزيارة القدس ١٩٧٧	
اغتيال الرئيس السادات ١٩٨١	
وتولى الرئيس حسنى مبارك الحكم	
المؤتمر الاقتصادي	جمعية الرعاية المتكاملة
إحلال وتجديد البنية الأساسية	جمعيات أهلية لخدمة البيئة وتنمية المجتمع
التوسع فى القروض والمعونات الأجنبية	فى الأحياء المختلفة مثل الدقى والزمالك
الإصلاح الاقتصادي والخصخصة	جمعية الارتقاء بالبيئة

الثروة البشرية أهم الثروات والتنمية البشرية أول خطوة فى التنمية الشاملة :

ولما كان اقتناعي بان الثروة البشرية أغلى الثروات لأنها مركز الحركة، والتنمية الشاملة،والمستمرة، ومن ثم فإن الاهتمام بها ،وبتنميتها ، وتوظيفها أهم،وأجدى الاهتمامات لأن بناء الإنسان أول خطوات الإصلاح، ومن ثم كان اهتمامي بالتربية على أنها أداة بناء الإنسان وإعداده للحياة،والعطاء، وتنمية المجتمع،والتربية فى مفهومي ليست فى تلقين العلوم، وإنما فى تهيئة الجو الذى يعين الإنسان على النمو من ذاتيته، ويكتشف نفسه بنفسه، ويوظف هباته بالعطاء، والنمو، والإصلاح ويعيش كما ينبغي للإنسان خليفة الله فى أرضه أن يعيش.

من النظريات التي استخدمتها، واقتنعت بها أثناء عملي فى مجال التربية، والتعليم، نظرية اللعب، وطريقة الترويح، حيث من خلالها يتم ربط العلم بالحياة، وربط العلوم بالتطبيق، وبعضها بالبعض،ويستطيع الإنسان بواسطتها أن يكتشف نفسه، واحتياجاته، واحتياجات بيئته، ومجتمعه ومن النظريات الحديثة التعلم من البيئة،وقد اعتمدت فى أسلوبي التربوي على تنمية الوازع الداخلي فى تكوين الخلق،وتنمية الشخصية،وليس المؤثر الخارجي الذى يزول عن الشخصية بزوال المؤثر،وهذا الأسلوب كان السبيل الأول فى إعطاء الثقة بالنفس،والتعرف على الذات وعلى المجتمع المحيط، وتربية الإرادة الواعية، والمدرسة فى مفهومي ليست مجالا للحشو والتفريغ، وإنما هى مجال للكشف

عن المواهب والميول، ومجالا للتجريب والابتكار، خلصت فى تجاربي إلى مبادئ،ومشروعات عميقة على نطاق المدارس منها إدخال الخدمة الاجتماعية بالمدرسة، وكذا الأنشطة المدرسية الحية التي تعطى الفرصة للإتباع واكتشاف الذات، وكان من نتائج تلك التجارب تكوين جمعية سلسلة نشاط المصرية بمدرسة طنطا الثانوية، وقد بدأت بتكوين نواة صالحة من خيرة الفتيات فى كل مدرسة فى مرحلة الثقافة العامة، وربط تلك الحلقات الواحدة بالأخرى لتكوين مجتمع صالح للفتاة المصرية، وفى مرحلة الإعداد للمستقبل،وكان إيماني بان تكوين البلورة النقية يلتف حولها المجتمع السليم كما يحدث فى تكوين ملح من الأملاح حيث يتبلور المحلول حول البلورة النقية الأولى من نوعها، ولما كان مجتمع المدرسة متغيراً كلما تغيرت الإدارات اضطررت لتسجيل الجمعية بوزارة الشئون الاجتماعية وكان ذلك فى الأربعينات.

وبناء على هذا المفهوم سعيت لتكوين إدارة لخدمة الشابات من موقعي كموظفة بمكتب الاتصال الفني بالوزارة وأصبحت هذه الإدارة بعد ذلك هي المسئولة عن النواحي الاجتماعية بالمدارس، وتعيين أخصائيات اجتماعيات بجانب التربويات للاهتمام بالخلفية الاجتماعية للطالبات لما لها من تأثير على النواحي العلمية،والتربوية،وشخصية الفتيات،وكذلك تشجيعهن على الإسهام بدور إيجابي للارتقاء بالمجتمع المحلى المحيط بالمدرسة باعتبار أن المدرسة مركز إشعاع للمجتمع.

المجال الشعبي ودوره فى النهوض بالبيئة وخدمة المجتمع :

لما انتقلت إلى العمل الشعبي بعد ذلك ظل اهتمامي بالمجتمع المحلى من النواحي التربوية، وكان شعاري المجتمع المحلى ينهض بنفسه، بمعنى انه كفيل بالنهوض بذاته ولا يجدي إصلاحه بفرض المشروعات عليه بدون اشتراكه فى الرأي، وإثارة اهتمامه، وإدراكه لاحتياجاته،وكان من أول المشروعات إثارة اهتمام المرأة بمجال التعاون، ونشر الوعي التعاوني فى صفوف النساء، ثم تكوين جمعية الأم العربية، وجمعية ربات البيوت فى مدينة الجيزة، أما الأم العربية التي كنت مؤسستها،ومديرتها فكانت جمعية إنتاجية ثقافية خدمية، وكانت، ومازالت ربات البيوت التي أسستها السيدة زهرة رجب جمعية استهلاكية.

ومن المشروعات التي بدأتها أثناء جولتي الانتخابية سنة ١٩٥٩ مشروع التعبئة لمحو الأمية بمعناه الواسع، والذي لا يقتصر على الأمية الأبجدية بل محو الأمية الذهنية، والصحية، والحرفية، والدينية والمعيشية مما جعل مركز سرس الليان يركز أنشطته فى محو الأمية الوظيفية كما سماها، ومن المشروعات التي كانت من البيئة أيضا مشروع الشرطة الاجتماعية للصبية،والشباب، ويهدف المشروع إلى إثارة وعى الشباب، والصبية بالاهتمام بالبيئة والعمل على النهوض بأنفسهم، وكان شعاره من الاتكال إلى المسئولية،ومن التالف إلى النافع، ومن الهدم إلى البناء.

وكان مدخلي إليهم الأسلوب التربوي، وأشعارهم بالانتماء للبيئة، والمجتمع، وإعطائهم الثقة فى أنفسهم، وانهم قادرون على تغيير أحوالهم بأنفسهم، والنهوض بالمجتمع ما دامت لديهم إرادة التغيير، وكان من نتيجة تلك الخبرات إصلاح شارع صغير يسمى شارع عامر فى الجيزة فى ثلاث أيام بمجهود الشباب،وتوجيهه، وتفاهمهم مع المحليات.

وإثارة الوعي لديهم،والشعور بالمسئولية، وإزكاء بذور الوطنية الإيجابية الحقة فى نفوسهم والتعاون على البر والتقوى والإصلاح وليس على الإثم، والعدوان، وبدأ مشروع الشرطة الاجتماعية ببعض المدارس، وخدمة البيئة،ومعسكرات العمل لتحسين البيئة.

وكان من نتائج مشروع محو الأمية بمعناه الواسع بدء تحويل المقاهي إلى أندية ثقافية وأخذنا في تسجيل بعض الأمثال الإيجابية كبداية لمحو الأمية، وأدخلت الشاشة الصغيرة كأداة للتثقيف إلا أن بعض المعوقات حالت دون إتمام المشروع بالصورة المرجوة كما كان من ضمن المشروع المكتبة المتنقلة التي تبنتها جمعية الرعاية المتكاملة برئاسة السيدة سوزان مبارك فيما بعد.

كما أنشئت أندية للأسرة في بعض المدارس بعد أن نجحت التجربة باستئجار مبنيين كانت تقام فيها بالتعاون مع هيئة الاستعلامات بالجيزة بإحضار بعض الأفلام الثقافية، وكان يشترك في تلك الندوات بعض المختصين بالتعاون مع نساء الحي،وكان يتم مناقشة قضايا المجتمع،والحياة من الزوايا النظرية، والعملية بالاستعانة بذوي الخبرة مما كان له اكبر الأثر في محو الأمية الذهنية، والمعيشية، وتكوين مودة،وتفاهم بين المواطنين، والأهالي.

البعد الإيماني كحافز للتنمية المتواصلة والتكافل الاجتماعي :

إبان معركة العبور ١٩٧٣ تنبهنا لإهمال الجانب الديني، والخلقي فبدأت النساء يشعرن بواجب الدعوى للاهتمام بخدمة المعركة، والرجوع للوازع الديني،والخلقي، والتعرف على التراث في اعتدال، وإخلاص، وبدأن بتعبئة الوازع الوطني بعقد سلسلة من الندوات تحت عنوان «اعرف عدوك» دعي إليها المختصين، والثقات، وخدمة الجرحى، ومواساة الثكلى، وعمل دورات للإسعافات الأولية، والتمريض، وكان منطلق خدماتهن مسجد صلاح الدين بالمنيل حيث كان قريبا من القصر العيني، وبدأت فكرة تحويل المسجد إلى جامع متكامل الخدمات،ومركز إشعاع للحى بالتعاون مع بيت الشباب، ونادى النيل في خدمة المجتمع، والنهوض بالبيئة، فتكونت أول لجنة نسائية للزكاة،والتنمية الاجتماعية معتمدة من بنك ناصر الاجتماعي، ورفعت شعار تحويل الطاقات المعطلة إلى منتجة، واستثمار أموال الزكاة في مصارفها الشرعية في تنمية المجتمع التي من بينها التخفيف من حدة الفقر بتحويل الطاقات المعطلة، وتأهيلها لتكون منتجة قادرة على الارتفاع بمستواها الاجتماعي، والمادي مما يقلل من نسبة الاستجداء، والاتكال وقامت،بتسويق، وعرض إنتاج السيدات، والرجال، وتيسير الزي الملائم للفتيات، والذي يتصف بالاحتشام إلا أن بعض المقلدين، والجهلاء تحول إلى نوع من المغالاة التي لم يفرضها الدين مما استدعى لجنة الزكاة لعمل عروض للزي المناسب المتفق مع روح الدين، وروح العصر مما شجع الكثيرات على ارتدائه في صورة وقورة وبسيطة، وقامت عضوات اللجنة بإعطاء دروس في محو الأمية من خلال القرآن الكريم بالتعاون مع وزارة التربية، والتعليم ودروس في الصحة والوقاية من خلال بعض الطبيبات الصالحات كما ساهمت اللجنة في علاج الأهالي، وتحمل عبء نصف قيمة الدواء، وعلاج بعض الأمراض المستعصية بالتعاون مع بعض المستشفيات والأمراض، وكذلك ساهمت اللجنة في تيسير الزواج بإعطاء القروض لمستحقيها من المقبلين على الزواج وقروض في الشدائد بأنواعها، وكانت ظروف الحرب قد جعلت القيم الروحية أقوى دافع للتنمية الاجتماعية والبيئية.

وقد قامت لجنة الزكاة بإعداد موائد الرحمن في المواسم مثل رمضان الكريم، وإحياء المناسبات الدينية مثل مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو رأس السنة الهجرية بصورة حضارية متطورة، وعقد القرآن، والزيجات بصورة واعية، وبسيطة تجمع بين قدسية المناسبة والبهجة، وعالجت كثيرا من المظاهر المتخلفة التى درج عليها بعض الناس.

وشعار اللجنة « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »، ولجنة الزكاة، والتنمية الاجتماعية فى الحقيقة مبرة دينية خلقية تنويرية اقتصادية اجتماعية للارتفاع من شأن المرأة والأسرة، والمجتمع فى اعتدال ووعى سليم وإخلاص، وتجرد.

رؤية مستقبلية

من الأمور التي نشاهدها هذه الأيام حاجة الأسرة المصرية، والعربية إلى الإعداد لمهام الحياة فى عصر العلم، والمتغيرات، والحياة المركبة، والمعقدة، وما يصادفها من مشاكل، وقضايا بعد أن ولى عهد الأسرة الكبيرة، وحل محلها الأسرة الصغيرة، واشتغال المرأة،وجمعها بين البيت، والعمل بجانب مشاكل الزواج، والبيئة.

ولما كان الطبيب يعد إعدادا جيدا لمهنته، والمهندس ...الخ فانه من الأجدى أن نعد الأسرة،الزوجة، والأم والأب لمستقبل الأسرة إما فى معاهد متخصصة أو دورات تثقيفية للمقبلين، والمقبلات على الزواج.

ومن المشاهد أن كثيرا من الناس يلجئون بما فى ذلك بعض المثقفين، والمتعلمين إلى القضاء لحل مشاكلهم الأسرية مما يؤدى إلى تفكك الأسرة بل، والقضاء على المودة بين أفرادها وبالتالي القضاء عليها ، وعلى مستقبل الأطفال، ولذلك اقترح دعم مكاتب الاستشارة،والتوجيه الأسرى، وإعطائها صلاحيات بحيث لا تعرض قضية أو مشكلة بين الزوجين على القضاء إلا بعد أن تعرض على مكتب من مكاتب التوجيه، والاستشارات الأسرية، وتعجز تلك عن حلها أو الوصول إلى قرار مناسب بالنسبة لها ، فهذه المكاتب يمكن أن تحل محل الأهل الذين كانوا فى الماضي يقومون بدور الوساطة، والتوفيق بين الأزواج حسب الآية الكريمة « ، وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله، وحكما من أهلها أن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما أن الله كان عليما حكيما ».

(سورة النساء آية ٣٥)

ولعل مكاتب الاستشارة الأسرية إذا أعطيت الصلاحيات الواجبة، ودعمت علميا وقانونيا، واجتماعيا تقلل كثيرا من حالات الطلاق، والتفكك الأسرى، والكوارث الاجتماعية، كما يمكن أن يكون لها دور المشورة، والتثقيف، والتوجيه فى مسائل التعليم، والتربية، والصحة لو نظر إليها نظرة شمولية واعية، ودعمت بثقافات فى مجالات الحياة،والتربية، والزواج، ولعلها تعين فى مواضع الاختيار فى الزواج، وتوفير التوافق المطلوب إلى آخره.

ومن المشاهد أن بعض النساء الصغيرات يقفن عن تحصيل العلم، ويقف نموهن الذهني بسبب الزواج أو انتظار الزواج أو ظروف خاصة بالأسرة مع أن الدين قد امرنا أن نطلب العلم من المهد إلى اللحد،وان معطيات العصر تحتاج للإنسان المتكامل الثقافة، والخبرات وتحديات العصر تحتاج منا للارتفاع بمستوى المرأة والأسرة والمجتمع إلى ابعد الحدود ، ولذلك فأنني اقترح بالإضافة إلى الاهتمام بمحو الأمية بمعناه الشامل، وبالإضافة إلى مدرسة الفصل الواحد المشروع الذى تتبناه مشكورة السيدة سوزان مبارك حرم الرئيس أن تعد دراسة لأنصاف المتعلمات حسب المستوى الذى وقفن عنده ويتم فى تلك المعاهدة دراسات تكميلية تتناسب مع كل فرد بتكملة،ومواصلة ثقافته أو ثقافتها لتأهيلها للحياة على مستوى مناسب ولائق واستمرارية التحصيل العلمي، وُالدراسي، وشموله لما يحتاج إليه

الإنسان لكي يتفهم الحياة، ويوظف مواهبه بالعطاء، والتنوير، ومن اجل التنمية المتواصلة المستمرة. ومن اجل ذلك اقترح إنشاء مراكز التنمية، والبناء، والتنوير فى الأحياء المختلفة، ولعل هذا المشروع يسد بعد النقص الذى نشأبعد إلغاء الجامعة الشعبية التي كانت تسد ،وتشبع احتياجات الكثيرين، والكثيرات للتعلم، والتثقيف وتؤهلهم للإنتاج، والإبداع بما يتناسب، وظروفهم واستعداداتهم، ونحن إذا كنا نريد أن ننمى مجتمعنا كي يواجه احتياجات العصر، ويواكب تقدم المجتمع الإنساني العالمي فعلينا ألا نقف عن التقدم، ومن ثم وجب علينا أن نعمل،ونشجع التعلم المستمر، والتنمية الشاملة،وأن نكفلها لجميع أفراد الشعب فى إطار المجتمع الإنساني العالمي المستمر فى التغيير، والذي يقفز بخطوات واسعة متزايدة فى السرعة منسقة الخطى.

ومما تقدم يجدر بنا فى مستهل القرن الواحد والعشرين أن نركز على ما يلي :

- دعم القيم الخلقية المستمدة من الأديان السماوية كأساس لبناء الإنسان، والتنمية المتكاملة للشخصية، وتربية الإرادة ،والإنسان.
- الاهتمام بالأسرة كوحدة المجتمع، وخليته الأولى، وإعدادها لتكوين المجتمع الحضاري السليم.
- إنشاء بنوك الادخار الشعبي، وتنمية عادة الادخار منذ الطفولة لدى الصغار، والأسرة.
- انتشار مراكز التنمية، والتنوير ،والبناء.
- الاهتمام بالبيئة والمجتمع المحلى فى رفع مستواه وتنميته بالتعاون والمشاركة الشعبية.
- العمل الجاد لتغير أسلوب التربية وجعل المدرسة مركز إشعاع لتربية الصغار على المسئولية والتعرف على الذات والمشاركة فى بناء المجتمع ورفع مستواه.
- الاهتمام بالتعاون ،ومزيد من الجمعيات التعاونية ،وتغلغل الحركة التعاونية فى جميع المجالات الاستهلاكية، والإنتاجية، والخدمية .
- الاهتمام بجعل الزكاة ركيزة للتنمية، والتكافل الاجتماعي عن طريق لجان الزكاة وأخيراً، وليس أخرا رفع شعار « المجتمع المحلى ينهض بنفسه».
- إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».
- تلك لعمري الأسس التي يمكن أن نرسيها فى مستهل القرن الواحد، والعشرين من اجل العبور الحضاري لمجتمع افضل تشارك فى بنائه المرأة مشاركة فعالة.

النتائج الإجتماعية لحرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما

أ.د. مصطفى علوى

أستاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية

كثيرة وعظيمة هي نتائج حرب أكتوبر المجيدة، ليس فقط في المجالين العسكرى والسياسي، بل أيضا، وبنفس الدرجة، في المجالين الاجتماعي، والاقتصادي. فبقدر عظمة الحدث، وضخامته كانت نتائجه، فحرب أكتوبر كانت بالقطع نقطة تحول كبرى في مسيرة العمل الوطني لكل من القوات المسلحة، والدولة والمجتمع. بل إن حرب أكتوبر كانت ولا تزال الحدث الأعظم في تاريخ مصر والعرب المعاصر، ومن ثم جاءت نتائج الحرب عميقة في تأثيرها على بنى المجتمع المصرى وهياكله القيمية والاجتماعية آلي الحد الذى يمكن معه اعتبار تلك النتائج غير مسبوقة.

ويتناول هذا البحث النتائج الاجتماعية لحرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما من ذلك الحدث العظيم في التاريخ المصرى، ويحاول أن يرصد ما أدت إليه من تغييرات وتطويرات جمة وعميقة في المجتمع المصرى، سواء على مستوى بنية القيم أو العلاقات الاجتماعية أو المكانية أو أسلوب العمل وآليته، أو على مستوى علاقة القوات المسلحة بالشعب والمجتمع والدولة المصرية بعد حرب أكتوبر والتي ما كان يمكن بدونها أن تظهر تلك السياسات أو تنفذ.

وبالإضافة إلى ذلك، تحاول الدراسة أن تطرح في خاتمتها السؤال الجوهري عن: كيف يمكن أن تمنع نشوب حرب جديدة، وتجتهد في تقديم إجابة عن ذلك السؤال من منظور التحليل الاجتماعي. ذلك أن التنمية هي الغاية والهدف، وأن تلك الغاية لا تتحقق مع تكرار وقوع الحروب، ولطالما ذاقت شعوب المنطقة ويلات الحروب، وعانت في مستويات معيشتها وفي حياتها اليومية من الآثار المدمرة لتلك الحروب، ليس فقط على الهياكل الإقتصادية ولكن أيضا على الهياكل والقيم الاجتماعية. ومن ثم، أصبح مطلبا مشروعا للشعوب في هذه المنطقة التى خضعت طويلا لحقب من الاضطراب، وعدم الاستقرار الناتج عن الحرب أن تتطلع إلى حياة مستقرة خالية من الحرب. وأصبح مشروعا أيضا أن

تنشغل الجماعة العلمية والفكرية بطرح السؤال عن الوسائل والأساليب التى يمكن من خلالها منع نشوب حروب جديدة، أو على الأقل تقليل احتمالات نشوبها إلى أدنى حد ممكن.

وعند هذه النقطة يمكن رصد أهم النتائج الاجتماعية لحرب أكتوبر فيما يلي:-

١- تحرير سيناء وعودتها إلى الوطن الأم.

٢- عودة مهجري منطقة قناة السويس إلى مدنهم الأصلية وتعمير تلك المنطقة.

٣- عودة السياحة كنشاط رئيسي إلى الحياة المصرية.

٤- إفراز جيل جديد اخذ يتولى زمام القيادة فى الدولة والقوات المسلحة والمجتمع.

٥- الانفتاح الإقتصادى وبدء عملية إعادة صياغة الائتلاف الاجتماعي - السياسي.

٦- بدء تغيير علاقة الدولة بالمنظمات والمؤسسات والقوى الاجتماعية - السياسية والتيارات الفكرية فى إطار تجربة التعددية السياسية الجديدة.

٧- التغيير الكبير فى منظومة القيم الاجتماعية، وذلك باسترداد قيم الثقة بالنفس والعمل الجماعى والتخطيط السليم والتنظيم الفعال والتدريب الجاد.

٨- الممارسة الناجحة لعملية صناعة القرار، واتخاذه على أساس علمي سليم، واكتساب خبرة إدارة الصراع بنجاح رغم صعوبة الظروف، أي بدء التغيير فى آليات العمل الاجتماعي العام.

٩- التغيير فى الأساس الاجتماعي للجنود فى القوات المسلحة المصرية بمزيد من الإعتماد على خريجي الجامعات، وتكريس تقاليد الاحتراف، واستعادة العلاقة الصحية والصحيحة بين القوات المسلحة من ناحية، وجهات الدولة المصرية من ناحية ثانية، فضلا عن دفعة كبيرة للدور التنموي الاجتماعي للقوات المسلحة فى المجتمع المصرى.

الجدير بالذكر أن البحث لا يعتمد ترتيبا لتلك النتائج الاجتماعية لحرب أكتوبر من حيث الأهمية. فليست أي من هذه النتائج أهم من الأخريات بحال. أضف إلى ذلك أن هذه النتائج الاجتماعية لحرب أكتوبر بينها من الترابطات والتشابكات والأثر المتبادل ما يجعل تناول كل منها يتم بغرض الدراسة العلمية فقط لأنها فى الواقع العملي غير منفصمة عن بعضها البعض. وربما تأثر حصر البحث لأهم النتائج الاجتماعية لحرب أكتوبر بالنقطة الزمنية التى ينظر من خلالها إلى تلك النتائج. ومن المؤكد أن صورة تلك النتائج كانت ستختلف قبل عشر سنوات أو عشرين سنة من الآن. وعلى أية حال فإنه قد يكون ثمة معيار يتعلق بطبيعة أثر كل من تلك النتائج من حيث كونه أثرا مباشرا تحقق بعد فترة وجيزة من الحرب أم أثرا إستغرق وقتا أطول نسبيا فى تبلوره وظهوره فى بنى المجتمع وهياكله. ومن المعلوم أن الأثر الذى أحدثته الكثير من النتائج الاجتماعية المشار إليها هو اثر ممتد، أي انه اتصل ولم ينقطع رغم مرور ربع قرن على الحدث المنشئ له. وأخيرا، فلأهمية النتائج الاجتماعية التى أحدثتها حرب أكتوبر على القوات المسلحة رأى الباحث إفراد بند مستقل لها.

أولى النتائج الاجتماعية المباشرة لحرب أكتوبر يتمثل فى تحرير كامل تراب سيناء، ومن ثم تعزيز التكامل الوطني الذى نعمت مصر به دوما، وفتح الباب أمام تخطيط ثم تنفيذ مشروعات عملاقة للتنمية الإقتصادية - الاجتماعية ليس فقط على ارض سيناء بل أيضا فى مناطق البحر الأحمر وجنوب الوادي، وعلى امتداد ارض مصر. إن تحرير سيناء - كواحدة من نتائج حرب أكتوبر العظيمة - ذو أبعاد أمنية - إستراتيجية وأخرى اقتصادية هامة. ولكن له أبعاد إجتماعية لا تقل أهمية.

فلقد أتاح التحرير المترتب على أكتوبر - ولأول مرة - فرصة حقيقية لعودة الجزء إلى الكل، وعودة سيناء إلى أحضان الوطن الأم، والتخطيط لإندماج اجتماعي حقيقي بين سيناء والوادي، وإنهاء سنوات الانقطاع بينهما، إذ بدأت أعداد المصريين الذين يصلون سيناء من الوادي للسياحة أو العمل أو الإقامة تتزايد. وانتهى العصر الذى كان يتطلب أمر الدخول إلى سيناء من جانب المواطن المصرى إلى تصريح أمني، وأصبح يتم التعامل مع سيناء كجزء طبيعى من الأرض المصرية. ونشطت عملية التنمية الزراعية خاصة فى شمال سيناء إلى الحد الذى بلغت معه مساحة أراضيها المزروعة حوالي نصف مليون فدان. كما نشطت عملية التنمية السياحية فى شطري سيناء الجنوبي والشمالي، ومن ثم أضحت سيناء اكثر إنفتاحا بكثير على الكثير من الثقافات والحضارات والشعوب الأجنبية. وأصبحت الإدارة المصرية والدولة المصرية موجودة على ارض سيناء بشكل مباشر ودائم وفاعل، ومن ثم، انتهت عهود الغربة التى كانت تعيشها سيناء أرضا وإنسانا، وأصبحت جزءا من اللحمة الاجتماعية المصرية أو كادت، ويساعد على ذلك كثيرا وجود الإعلام المصرى ووصوله القوى إلى مختلف أرجاء سيناء، فضلا عن وصول الخدمات والأنشطة الاجتماعية التعليمية والثقافية والصحية والإسكانية .... الخ إلى سيناء. وأخيرا، فإن عملية التحضر التى أخذت تتم فى ريف مصر قد انتقلت أيضا إلى بواديها وبخاصة فى سيناء، فتزايدت نزعة التحضر وما يرتبط بها من قيم وطريقة تفكير وأسلوب حياة، وذلك على حساب تقاليد البداوة، وبخاصة فى مدن سيناء التى جرى عليها ما جرى على بقية مدن مصر من امتداد وتوسع عمراني كبير جذب إليها مزيدا من السكان الذين كانوا فى السابق يقطنون القرى أو البوادي.

ورغم ما قد يعتبره البعض من أثر سلبى لذلك التغير الاجتماعي الذى صاحب مرحلة ما بعد أكتوبر فى شبه جزيرة سيناء، يتمثل فى تحدى أو تهديد ثقافة فرعية - هى ثقافة البداوة - على ما يعنيه ذلك من تقليل من التنوع أو التعدد والغنى الثقافي، فإن له وجها إيجابيا آخر يتمثل فى زيادة درجة التجانس الثقافى والاجتماعي على المستوى الوطني العام.

إن الحفاظ على الأصول الثقافية للأقاليم الفرعية - بما فيها سيناء - هو أمر مطلوب لارتباطه بمسألة الحفاظ على مصادر التراث الوطني فى تعددها وتنوعها. ولكن مزيدا من التجانس فى التقاليد، والعادات، وطريقة التفكير، وأسلوب الحياة يمكن أن يعزز الهوية الثقافية الوطنية على نحو يخلق أثرا إيجابيا على حياة المجتمع الأكبر.

أكثر من ذلك فإن عملية التنمية المتصلة فى سيناء - فى إطار الاهتمام الكبير من جانب الدولة المصرية بها - قد دخلت أفاقا جديدة، وذلك بتنفيذ مشروعات كبرى للتنمية توثق صلة سيناء بالوطن الأم. فبعد مشروع نفق « أحمد حمدي » ثمة مشروع تحت التصميم لإنشاء كوبري أعلى قناة السويس. والأهم من ذلك أن مياه النيل تدفقت أول مرة إلي داخل سيناء من خلال مشروع ترعة السلام الذى يستهدف ربط سيناء بالداخل وزراعة حوالى أربعمائة ألف فدان شرق قناة السويس وغربها. ولا شك فى أن وصول مياه النيل آلي سيناء هو - فى ذاته فتح لفصل جديد فى تاريخ سيناء، وفى تاريخ علاقتها بالوطن الأم، ففيه آفاق جديدة للتنمية الزراعية، وفيه ترقية لمستوى المعيشة، وتعزيز لقيم الاستقرار، وقيام لحياة جديدة فى شبه الجزيرة، فضلا عن أهم الروابط، رابطة مياه النيل التى هى رابطة المصير والوجدان والحياة.

أما ثانية النتائج الاجتماعية لنصر أكتوبر المجيد فتتمثل فى عودة الحياة مجددا إلي قناة السويس ومدنها الثلاث الرئيسية. فقد فتحت القناة أمام الملاحة مجددا بعد النصر وأضاف ذلك موردا هاما من موارد الدخل القومى ساهم مع حقول بترول سيناء التى عادت إلى مصر فى تخفيف أعباء الحياة الجسيمة التى تحملها الشعب المصرى فى بطولة رائعة فى مرحلة ما قبل أكتوبر. وأعيد بناء مدن القناة - بور سعيد، والسويس، والإسماعيلية - بعد الدمار، والخراب الذى كان قد لحق بها فيما بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٣. وعاد أبناء هذه المدن إلى العيش فيها. وترتب على ذلك رفع للضغوط الاجتماعية الكبيرة التى صاحبت إقامتهم فى مهجرهم المؤقت فى الدلتا والوادي. صحيح أن المصريين أظهروا قدرا بطوليا من التعاون والتساند والتكافل والتعاضد فى مرحلة التهجير، وعاش أبناء منطقة القناة فى مدن مصر وقراها دون شعور بالغربة أو الإغتراب بفضل ذلك التعاضد الهائل مع إخوانهم أبناء الوادي والدلتا. ولكن من المؤكد أيضا أن إستمرار ذلك الوضع غير الاعتيادي الناشئ عن التهجير لفترة طويلة كان من الممكن أن يرتب مشكلات إجتماعية يؤدى تراكمها الى تعقيدات لا تسهل مواجهتها. ولذلك كان النصر فى أكتوبر بابا لحل أو الحيلولة دون وقوع هذه المشاكل أو تفاقمها أصلا.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد. بل كان على الدولة المصرية أن تتجه إلى تبنى سياسة تعوض المهجرين من خلالها عن سنوات المعاناة العجاف فصرفت اهتماما عظيما لمشاريع إعادة التعمير والبناء، فضلا عن مشاريع التنمية، وإنشاء منطقة حرة فى مدينة بور سعيد لرفع مستوى المعيشة وزيادة مصادر الدخل.

وإذا كانت السياحة قد عادت إلى الازدهار بعد نصر أكتوبر، فإن هذه الحركة السياحية النشيطة لم تقتصر على شبه جزيرة سيناء. على العكس فإن النشاط السياحي لم يفد بكثافة عالية إلى سيناء - ولم يكن له أن يفعل - إلا بعد إبريل ١٩٨٢ عندما تحقق الإنسحاب الإسرائيلي من كامل أرض سيناء بإستثناء طابا التى استردتها مصر بعد معركة نضال دبلوماسي وطنية عظيمة. كانت عودة السياحة إلى القاهرة، وجنوب الوادي أسبق إذن. وكانت عودة السياحة تمثل ليس فقط تحسنا فى مصادر الدخل أو فى الوضع الاقتصادي، ولكنها كانت تعنى أيضا التأكيد مجددا على وضع مصر الوسطى، والمركزي أيضا فى الخريطة الثقافية العالمية. فمصر واحدة من أهم بقع الجذب السياحي والتأثير الثقافي فى العالم. فالثقافة المصرية هى ثقافة الانفتاح على الآخرين والتسامح معهم. وهى لم تكن قط ثقافة استبعادية تستبعد ثقافة الآخر أو تحتقرها. فمصر لم تعرف أبدا العنصرية الثقافية، بل عاشت دوما على التفاعل الخلاق، والاندماج الطوعي فى نسيج الحضارة الإنسانية. كل هذه المعاني تكرست من جديد من خلال عودة قنوات الإتصال الشعبية الطبيعية مع العالم الخارجي وعلى رأسها العلاقة السياحية.

وعلى مستوى الانفتاح على الآخرين كان لنصر أكتوبر أثر كبير أيضا على العلاقات الشعبية والاجتماعية بين مصر، والبلاد العربية الأخرى. فقد ترتب على حرب أكتوبر زيادة هائلة فى سعر البترول، ومن ثم فى عائدات البلاد العربية النفطية مما فتح آفاقا عظيمة لبناء المرافق الأساسية ولمشاريع التنمية العمرانية والاقتصادية. ونتج عن ذلك حركة هجرة ضخمة من البلاد العربية كثيفة السكان، ومنها مصر، إلى البلاد العربية النفطية خفيفة السكان. ولقد أثمرت حركة الهجرة تلك، ولا شك نتائج اقتصادية، ومالية إيجابية أفادت الاقتصاد المصرى سواء من خلال تحويلات المصريين

العاملين فى بلاد الخليج أو من خلال تدفق السياحة العربية على مصر أم من خلال زيادة حركة التجارة عبر قناة السويس. ولكن النتائج الاجتماعية - السياسية لذات الظاهرة كانت مختلطة.
فلقد ترتب على هجرة ملايين المصريين، والعرب إلي بلاد النفط العربية زيادة ضخمة فى درجة الإعتماد الاجتماعي المتبادل بين الشعوب العربية صمد أمام المقاطعات الدبلوماسية والإقتصادية الرسمية التى وقعت بين مصر والدول العربية فيما بين عام ١٩٧٩ ومنتصف الثمانينات، ولم يتأثر بها سلبا. ولكن الهجرة العشوائية المفتوحة وغير المخططة - ونظن أنه لم يكن بالإمكان إخضاعها لتخطيط دقيق - أفرزت نتائج سلبية على عملية التنمية الاجتماعية فى الداخل.
فقد تأثر كثير من العاملين المصريين فى بلاد الخليج بمنظومة القيم، والعادات والتقاليد المحافظة أو التقليدية، وعادوا بأنماط سلوكية مغايرة قللت - ولو إلى حد ما - من التجانس الثقافى، والقيمى، والسلوكي. كذلك فإن هجرة العمال المهرة خلفت ندرة فيهم فى داخل مصر الأمر الذى أدى إلى تغييرات مشوهة فى الهيكل الطبقي، والاجتماعي، والقيمى فى مصر، عانت من نتائجها بالأساس الطبقة الوسطى. على انه يجب التأكيد على أن تلك الآثار السلبية لم تترتب مباشرة على حرب أكتوبر أو نتائجها الاجتماعية. وإنما حدثت نتيجة إدارة مسألة الهجرة بطريقة فيها من العشوائية اكثر كثيرا مما فيها من التخطيط، والعمل العلمي. وبعبارة أخرى، فإن حرب أكتوبر بريئة من المضاعفات، والمشكلات الاجتماعية التى رافقت ظاهرة الهجرة إلى بلاد الخليج من جانب أعداد كبيرة من المصريين.
من نتائج حرب أكتوبر أيضا أنها أفرزت جيلا جديدا مارس القيادة وما تقتضيه من عمليات للتخطيط وصنع القرار والتنفيذ والاتصالات بطريقة علمية ومنظمة وفيها كفاءة كبيرة. ومن ثم، اصبح هذا الجيل مؤهلا لتولى زمام القيادة، أو للمشاركة فى تحمل أعبائها، سواء فى القوات المسلحة المصرية أو فى أجهزة الدولة المصرية بعامة، بل وفى تنظيمات مجتمع الأعمال كذلك. فلم يكن الجيل الذى خطط لأكتوبر وأدارها موجودا فقط داخل القوات المسلحة المصرية، على عظم ومركزية الدور الذى لعبه جيل أكتوبر من أبناء تلك القوات، وإنما تعداها ليوجد فى مؤسسات وأجهزة الدولة الأخرى المختلفة سواء فى مؤسسة الرئاسة أو فى الحكومة أم فى مؤسسة الإعلام.
وبعد أكتوبر، تولى أبناء جيل أكتوبر القيادة وتحملوا المسئولية. وكان الرئيس مبارك -قائد القوات الجوية أثناء الحرب- رمزا لذلك الجيل فتولى منصب نائب رئيس الجمهورية وهو لم يزل بعد فى منتصف الأربعينيات. كذلك كان الحال بالنسبة لكثير من الوزراء والقادة العسكريين ورؤساء تحرير الصحف وغيرهم كثير من قيادات أجهزة الدولة والعمل العام.

وجاء جيل أكتوبر ليلتحم بجيل يوليو -أو بمن بقى منهم- فى تحمل مسئولية قيادة الدولة المصرية فضخ كثيرا من الدماء الجديدة والفكر المجدد فى شرايين أجهزة الدولة والقوات المسلحة المصرية، فكانت تلك مرحلة التكامل الجيلى الذى أفادت منه السياسة المصرية والمجتمع المصرى.
وعلى مستوى الفكر الاجتماعي، أتاح نصر أكتوبر بيئة مواتية للنظام السياسي لكي يحدث تغييرا بالتحول عن الفكر الاشتراكي القائم على اشتراكية الدولة وفلسفة الإقتصاد المخطط مركزيا والمجتمع الموجه مركزيا إلى فكر جديد يقوم على مزيج من الليبرالية الإقتصادية والتعددية الفكرية (المنابر ثم الأحزاب) مع الاحتفاظ بمركزية الدولة وسيطرتها السياسية. وربما جنحت الدولة خلال السبعينيات نحو اليمين وشئ من ضعف الاهتمام بالعمال والفلاحين غير أنها عادت فى العقدين الأخيرين إلى

تقاليد الحفاظ على البعد الاجتماعي فى سياستها الإقتصادية والاجتماعية التنموية مع إعطاء درجة أكبر من درجات الحرية الفكرية وحرية التعبير والصحافة فضلا عن تدشين عملية خصخصة كبرى قد تؤدى إلى تغيير شكل ومحتوى البنية الاقتصادية - الاجتماعية للمجتمع المصرى فيما يشبه الخلاصة التى تجمع بين عناصر للشرعية اعتمد عليها النظام فى كل من حقبتي الستينات أو فيما يمكن أن يوصف بتقاليد الديمقراطية الاشتراكية.

وبالتوازى مع ذلك التغيير فى الفكر الاجتماعي وقع تغيير فى هيكل الإئتلاف الاجتماعي المساند للنظام السياسي. ففي مرحلة الرئيس عبد الناصر تشكل الإئتلاف الاجتماعي من بيروقراطية الدولة والمؤسسة العسكرية والعمال والفلاحين والنخبة الريفية. أما الائتلاف فى مرحلة الرئيس السادات فقد أضيف إليه قوة جديدة أو متجددة هى رجال الأعمال، وخرج منه أو كاد الفلاحون رغم إستمرار نسبة الـ ٥٠ %فى كافة التشكيلات البرلمانية والشعبية ورغم استمرار بعض مكاسبهم. أما فى مرحلة الرئيس مبارك، فقد استمر تشكيل الائتلاف من القوى الاجتماعية الأساسية الرئيسية مع إعطاء دور اكبر للقطاع الخاص فى عملية التنمية وبدء الاتجاه إلى تقليص بيروقراطية الدولة مع إتجاه القوات المسلحة إلى مزيد من الاحتراف ومزيد من الدور التنموي على النحو الذى سيلي بيانه.

وخلاصة القول، انه بدون نصر أكتوبر ما كان يمكن تصور حدوث التغييرات الفكرية والمؤسسية العميقة نحو التعددية والليبرالية ومزيد من النضج للائتلاف الاجتماعي المساند ولمصادر الشرعية على النحو الذى حدث خلال ربع القرن المنصرم.

أما على مستوى القيم الاجتماعية فقد أدى نصر أكتوبر إلى استرداد المصرى لثقته بنفسه التى كانت قد اهتزت نتيجة الهزيمة فى يونيو ١٩٦٧، ولكرامته الوطنية التى أصيبت بشرخ بسبب تلك الهزيمة. وما كان يمكن لمصر أن تنخرط فى السعى الجاد نحو السلام الحقيقي من دون ذلك الاسترداد للثقة بالنفس وللكرامة الوطنية.

ومن ناحية أخرى، فإن المجتمع المصرى كان قد انخرط بجميع أجهزته ومنظوماته فى عملية إعداد طويلة وشاقة لمعركة النصر، وعلى مدى اكثر من ست سنوات مر خلالها بصعوبات هائلة ومشكلات جمة استطاع التغلب عليها بمزيج من التخطيط العلمي والتدريب الجاد والتنظيم الفعال والتنفيذ الدقيق. وقد استمرت هذه المنظومة من القيم الاجتماعية الإيجابية حاكمة لعمل القوات المسلحة المصرية منذ حرب أكتوبر المجيدة. ولكن اللافت للنظر أن وجود ذات القيم المشار إليها ليس راسخا فى أداء المؤسسات المدنية للدولة المصرية كما هو فى أداء القوات المسلحة. وقد يقال إن القوات المسلحة بطبيعتها مؤسسة تقوم على الضبط والربط والنظام والانضباط وعلى العمل الجماعى والمؤسسي فى اتخاذ القرارات، وأنها اكثر تميزا من المؤسسات المدنية فى هذه المجالات. ولكن المقارنة بين أسلوب عمل القوات المسلحة قبل ١٩٦٧ وبعدها يشير إلى فرق جوهري، والى تطور ممتاز نحو مزيد من العلمية والمؤسسية والجدية فى سياسات التدريب وفى عمليات صنع القرارات. حقا إن المؤسسات المدنية للدولة المصرية قد تحسن أيضا أداؤها بعد يونيو ١٩٦٧، ولكن التحسن فى أداء القوات المسلحة اكبر كثيرا وأكثر دوما وأكثر انتظاما واستمرارا بل واطرادا عما هو عليه فى أجهزة الدولة الأخرى، ربما باستثناء مؤسسة الأمن القومي، والمؤسسة الدبلوماسية. فخارج نطاق هذه

المؤسسات، لاتزال روح أكتوبر « موسمية » وليست مستديمة وترتبط بظروف أو بشخصيات قيادية معينة ولا تعبر عن اتجاه متأصل بالضرورة. والحق إن كافة مؤسسات الدولة والمجتمع فى مصر ما تزال فى حاجة إلى استلهام روح أكتوبر وقيمة آنفة الذكر تحقيقا لمزيد من التقدم والنمو ولمستقبل افضل.

وفي خصوص نتائج حرب أكتوبر الاجتماعية على مستوى القوات المسلحة، سبقت الإشارة إلى التغير القيمى الإيجابي. وبالإضافة إلى ذلك، فإن مرحلة الإعداد لأكتوبر أنتجت تغيرا فى سياسة التجنيد يتعلق بمزيد من الاهتمام بتجنيد خريجي الجامعات وبخاصة خريجي الكليات العملية وتخفيض فى إعداد المجندين من غير المتعلمين وبخاصة في صفوف القوات المقاتلة. وقد أدى ذلك إلى تغيير في الأساس الاجتماعي وفي المستوى التعليمي والثقافي للمقاتلين في القوات المسلحة، ومن ثم تغيير في طبيعة العلاقات الاجتماعية نحو مزيد من الانفتاح والحرية وعدم القهر بين القادة والأفراد. كذلك فإن الاعتماد على خريجي الجامعات والمعاهد الفنية ومعاهد القوات المسلحة العلمية والفنية، أدى إلى تحسين قدرة الأفراد فيها على التعامل مع التكنولوجيا المتطورة، بل وتطويعها للاحتياجات التي تتطلبها البيئة ومسرح العمليات بالمنطقة.

ومن ناحية أخرى، فإن القوات المسلحة قد رسخت احترافها للعمل الدفاعي والردعي، ونأت عن التورط في مسائل وقضايا العمل السياسي الداخلي وذلك منذ مرحلة الإعداد لحرب أكتوبر، ولقد أصبح ذلك الاحتراف في مرحلة ما بعد أكتوبر - بمثابة تقليد غير قابل للاهتزاز. وقد أدى ذلك إلى استعادة العلاقة الصحية والصحيحة بين القوات المسلحة وأجهزة الدولة الأخرى وبينها وبين مؤسسات المجتمع.

يرتبط بذلك ارتباطا وثيقاً الدور التنموي النشط والهام الذي أصبحت القوات المسلحة تباشره بعد نصر أكتوبر. فالقوات المسلحة أضحت أحد أكثر الفاعلين نشاطاً في مجال التنمية الاجتماعية، وذلك من خلال جهودها الهامة في مجال محو الأمية وأنشطتها العظيمة في تعليم وتدريب الحرفيين والعمال المهرة الذين يفيدون المجتمع وليس فقط القوات المسلحة، وكذلك من خلال دورها الذي لا ينكر في مجال بناء شبكات المرافق الأساسية من طرق وكباري وشبكات تليفونات، فضلاً عن اتجاهها إلى أنشطة إنتاجية زراعية وصناعية من شأنها أن تحقق أكتفاء ذاتياً في بعض المجالات، وأن تسد بعض الحاجة في مجالات أخرى فضلاً عن تنمية المهارات وترقية التكنولوجيا المستخدمة في تلك الأنشطة.

إن القوات المسلحة المصرية هي المصدر الرئيسي لعملية التطوير التكنولوجي في كثير من مجالات النشاط الصناعي والزراعي المصري. وهي بذلك يمكن - بل ويجب - أن تلعب دور الريادة وتعمل كقاطرة تشد المجتمع المصري تكنولوجياً إلى الأمام.

خاتمة : كيف نمنع نشوب حرب جديدة ؟

ذلك سؤال هام للغاية، فالشعوب في هذه المنطقة المضطربة من العالم تتوق إلى الاستقرار لأن الاستقرار هو المدخل إلى التنمية. وهذه الشعوب في حاجة ماسة إلى تنمية اقتصادية - اجتماعية حقيقية.

وإذا كانت التنمية في حاجة إلى قوة عسكرية تحميها وتدافع عنها ضد الأخطار والتهديدات، فإن

التنمية الحقيقية وحدها هي القاعدة السليمة للأمن والطمأنينة، ولا يمكن تصور بناء قدرة عسكرية ذات بال في غياب تنمية حقيقية.

وتحقق هدفي الأمن والتنمية معاً يتطلب أول ما يتطلب غياب الحرب ومنع نشوبها. ذلك أن كلفة الحرب أضحت باهظة. والحرب الحديثة خاصة بين دول تملك أسلحة دمار شامل ووسائل إيصال متوسطة المدى وبعيدة المدى ستؤدي إلى تدمير التنمية وإلى الإضرار بالأمن في آن واحد. وما لم تكن الحرب هي الوسيلة الوحيدة المتاحة لتحقيق أهداف وطنية مشروعة مثل تحرير أرض محتلة فإنه لم تعد لشعوب الشرق الأوسط حاجة إلى مزيد من الحروب.

فالحرب قد تدمر القدرة العسكرية والبنية التحتية وتعود بالمجتمع عهوداً أو عقوداً إلى الوراء ومن ثم ومع التسليم بضرورة وأهمية امتلاك قاعدة أو قدرة دفاعية تكفل الأمن وتردع الخصوم، فإن إستراتيجية الدولة المصرية في منع نشوب حرب كبرى جديدة في المنطقة تظل ذات مغزى ودلالة عميقتين.

ولا يتم نجاح استراتيجية منع نشوب حرب جديدة من خلال الاقتصار على بناء قدرة دفاعية ذات بال أو اتباع سياسة احتواء الأزمات فقط، بل بالإضافة إلى ذلك لابد من مقومات ومتطلبات على مستوى بناء القوة الاجتماعية للدولة المصرية حتى تنجح تلك الاستراتيجية. فتماسك المجتمع المصري وأخذه بالأصول العلمية في صنع قراره وتعميقه للممارسة الديمقراطية، وتعزيزه للائتلاف الاجتماعي - السياسي السائد هي أمور أساسية في إنجاح تلك الاستراتيجية.

فمزيد من التماسك الاجتماعي والتلاحم السياسي للقوة الاجتماعية - السياسية المصرية، والنجاح في القضاء التام على البقية الباقية من مشكلة الإرهاب، والعمل المستمر من أجل تحقيق الوحدة الوطنية وتعميقها، والحرص على تطبيق سياسات التحول الاقتصادي الليبرالي مع حساسية مناسبة لاعتبارات البعد الإجماعي تقود إلى تجنيب المجتمع المصري الأزمات الاجتماعية العميقة التي مرت بها البلاد وإذا ما تسرعت أو تهورت في تطبيق سياسات الإصلاح والتحول الليبرالي، كل ذلك سيؤدي إلى تفكير الخصم أو العدو مرات ومرات قبل شن أي حرب كبرى جديدة. ومن المعلوم أنه لا حرب كبرى في المنطقة دون مصر. ومن ثم إذا كانت مصر على درجة عالية من التماسك الوطني والتجانس السياسي والثقافي فلن يكون بمقدور العدو أخذ مخاطرة الحرب ضدها. وإذا انتفت احتمالات حرب تكون مصر طرفاً رئيسياً فيها فلن تكون ثمة حرب كبرى بالمنطقة.

حقا ليست ثمة علاقة آلية أو ميكانيكية بين الديمقراطية، ومنع الحرب فكم من دولة ديمقراطية اتخذت قرارات بشن الحرب ،وأحيانا كانت هذه القرارات خاطئة و كانت نتائج الحرب وخيمة (الولايات المتحدة و الحرب الفيتنامية، والغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، هذا إذا سلمنا جدلا بان إسرائيل مجتمع ديمقراطي حقيقي) وفى المقابل فأن قرارات بعض الدول غير الديمقراطية بشأن التعامل مع ظاهرة الحرب جاءت مبنية على توجهات أو مدركات أو تقديرات سليمة (الصين مثلا) ولكننا لا ننظر الى العلاقة بين التطور الديمقراطي و الحرب من الزاوية السابقة، بل من زاوية الأثر الذى يحدثه التطور الاجتماعي (و ليس فقط السياسي) الديمقراطي (أي على مستوى الأسرة و المدرسة ودور العبادة والأندية والجامعة والنقابة و الخ . .) على تماسك المجتمع ووحدته فى مواجهة الخصوم أولا، ثم على مدى علمية عملية اتخاذ القرار وتأسيسها على المعلومات الكافية السليمة فى التوقيت المناسب،

وعلى قيم المسائلة والمحاسبية والمؤسسية من عدمه. فإذا كان المجتمع ديمقراطيا بالمعنى المتقدم فسوف يحسب الخصوم حساب الأساس الاجتماعي الصلب لقوة ذلك المجتمع قبل الإقدام على مغامرة الحرب معه، ومن ثم تقل احتمالات نشوب الحرب.

ومن باب القيم الاجتماعية التى تعزز احتمالات منع نشوب الحرب ذلك الموقف القيمى المتزن والمتوازن من الخصوم والأعداء، فكلما كانت صورة الخصم أو العدو لدى لا تقوم على الاستهانة أو الاستبعاد ولاعلى التضخيم أوالتهوين من قوته، زادت قدرتي على الإدارة الرشيدة للصراع، ومن ثم اتجهت العلاقة الاستراتيجية والأمنية معه الى نقطة توازن عنها كثيرا احتمالات شنه للحرب ضدي، أما الاستهانة بالعدو فقد تقودني الى مسلك مغامر يعطيه الفرصة والمبرر لشن الحرب. كذلك فان الخوف منه يغريه بالعدوان على جيرانه.

يتصل بذلك أيضا إصلاح التعليم وتحسين مخرجاته. كذلك هو بوابة النهضة الحقيقية هو الوسيلة الناجحة للتنمية البشرية، وهو أمر إن حدث سوف يؤدي إلى امتناع الخصوم عن مهاجمتنا أو العدوان علينا تقديرا منهم لمدى القوى الاجتماعية التي يحققها إصلاح حقيقي غير شكلي ولا كمي للنظام التعليمي. لقد سأل زعيم دولة غربية بعد الحرب العالمية الثانية أركان حكمه عن الأحوال في بلده. ولما علم أن معظم الأحوال كانت سيئة طلب منهم أن يطمئنوه على وضع التعليم والقضاء، فلما علم أن هذين القطاعين كانا وما زالا بخير قال انه أضحى مطمئنا على أمن بلده ومستقبلها.

وغير بعيد عما تقدم أيضا، بل لعله في القلب منه، أن يدلف المجتمع المصري الى ميادين البحث العلمي والتطوير التكنولوجي في مجالات رائدة يمكن تصويرها بالقاطرة التكنولوجية لذلك المجتمع الى القرن الواحد والعشرين. ولعل إرهاصات معينة تنبئ بإشارات مضيئة أو مؤشرات إيجابية وليدة في حاجة الى مزيد من العناية والاهتمام من جانب الدولة ومؤسسات الأعمال والمال والاقتصاد والمجتمع وذلك من قبيل تشغيل المفاعل النووي الثاني والاهتمام بالتكنولوجيا النووية في المجال السلمي، وتشكيل مجلس نوعي للمواد الجديدة ومجلس نوعي أحدث تشكل في مايو ١٩٩٨ لبحوث وتكنولوجيا الفضاء وذلك في إطار أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، وتزايد الإنفاق على أبحاث الهندسة الوراثية بمعدلات كبيرة فضلا عن مضاعفة ميزانية البحث العلمي رغم إنها ما تزال متواضعة (٨٥٠ مليون جنيه مصري).

إن التطوير التكنولوجي للمجتمع يكسب قدرة ردع تقنع الأعداء، والخصوم المحتملين بسياسة السلام والابتعاد عن الحرب في التعامل مع هذا المجتمع.

وهكذا يبدو أن ثمة نضجا في إدراك أهمية ومحورية الدور الذي يمكن أن يلعبه البحث العلمي والتكنولوجي ليس فقط في تقدم الأمة بل وأيضا في منع نشوب حرب جديدة.

وإذا كانت جهود التنمية البشرية المستدامة من خلال ترقية الخدمات الصحية والتعليمية والإسكانية ومن خلال ترقية مستوى المعيشة وزيادة وتحسين شبكات المرافق الأساسية هي عامل أساسي في التنمية الاجتماعية التي تضيق الفجوة التي تفصلنا عن إسرائيل في هذا المجال، ومن ثم تحسن من فرص واحتمالات منع نشوب حرب جديدة، فإن هذه الاحتمالات الأخيرة تتزايد بقوة مع جهود إعادة التوزيع المكاني للسكان في مصر، وذلك لتغطية العيب الذي ظل يسم الهيكل الأمني للمجتمع المصري من خلال تركز كتلته السكانية الرئيسية على ٤ ٪ فقط من مساحة الأرض المصرية. ولعل من المشاريع التنموية العملاقة مثل توشكي وشرق العوينات وشمال خليج السويس وترعة السلام

ومنار شرق بور سعيد ما يشير الى خطة الدولة المصرية بزيادة مساحة الرقعة المأهولة من إقليم مصر من ٤٪ الى ٢٧٪ وذلك بضخ جزء من القوة البشرية الى مناطق طرفية كانت تقليدا غير مأهولة ولكن إمكانيات التنمية فيها أضحت هائلة. أن النجاح في سد تلك الفراغات والثغرات في الجسد الجيوستراتيجي لمصر من شأنه أن يحسن كثيرا من الموقف والهيكل الأمنيين للدولة المصرية، وان يعيد صياغة خريطة مصر ومن ثم خريطة المنطقة، وان تقنع الخصوم والأعداء المحتملين لمصر بجدوى سياسة السلام ومنع الحروب.

غير أن كل العلاجات المقترحة أعلاه والتي تستهدف بناء آليات لمنع حرب جديدة في المنطقة لا يمكن أن تنجح دون العمل على تحقيق شيئين جوهريين هما:-

١- الاحتفاظ دائما بقوة عسكرية وتكنولوجية رادعة.

٢- علاج الخلل في الهيكل الطبقي والاجتماعي الذي ترتب على عشوائية سياسات الهجرة الداخلية والخارجية، وعلى التناقض بين الأساس المادي والأساسي الثقافي القيمي للانتماءات الطبقية، وعلى الخلل في سياسات التعليم والتشغيل، وعلى الاضطراب القيمي المترتب على دخول ثقافة العنف الى الحياة الاجتماعية، وعلى الفجوة الجيلية في مؤسسات المجتمع والدولة، الرسمية منها وغير الرسمية.

■ توصيات المحور الاجتماعى

١ – ضرورة استلهام حرب أكتوبر كنموذج تنموي فى التعبئة والمشاركة وتنظيم الأدوار لمواجهة التحديات المختلفة للتنمية البشرية الشاملة، ومعاملة المشاكل الاجتماعية على أنها تخص الأمن القومي للدولة وإعطاء قدر كبير من الدعم المادي والأدبي حتى يمكن تقوية شبكات الأمن الاجتماعي من خلال مظلة التأمينات الشاملة.

٢ – تمثل حرب أكتوبر، تخطيطا وتنفيذا وفاعلية، نموذجا حضاريا متكاملا ينبغي دراسته بعمق حتى يمكن تطبيقه فى مجال معركتنا ضد المشاكل المجتمعة، ولتدعيم جهودنا فى مجال التنمية.

٣ – يحتاج نموذج أكتوبر الحضاري إلى إبداعات فنية وأدبية متعددة تكشف عن إيجابيات الشخصية المصرية، حتى تبقى حرب أكتوبر حية فى الذاكرة التاريخية للشعب المصري.

٤ – فى ظل إطلاق طاقات الأفراد والإسهام الفعال للقطاع الخاص فى التنمية، لابد من تدعيم دور الدولة حتى تقوم بوظيفتها الأساسية فى الحفاظ على التوازن الاجتماعي.

٥ – لابد من توسيع إطار المشاركة السياسية الفكرية حتى يتم التلاحم بين فكر المثقفين وفكر صانعي القرار فى ضوء احترام التعددية الفكرية.

٦ – أن قضية الثقافة وما تنتجه من قيم ثقافية تقود سلوك الأفراد وتحدد كيفية أدائهم أصبحت جوهر التغيير الاجتماعي المنشود ومن ثم فإن العناية بتطوير ثقافة واعية تقوم على التسامح، وقبول الرأي الآخر، وإعلاء دور العقل مدعما بالإيمان، ونبذ التعصب والتفكير الخرافي، باتت مسألة قومية.

٧ – المحافظة على روح المشاركة الإيجابية للشعب المصري كما ظهرت فى حرب أكتوبر وبإعلاء مبدأ سيادة القانون وبالنظر إلى دور المرأة فى التنمية الاجتماعية نظرة جديدة تقوم على أساس توسيع الفرصة أمامها للمشاركة الشاملة فى كل الميادين.

٨ – ولتدعيم دور المرأة الاجتماعي فى مجال التنمية ينبغي:

أ. تضييق الهوة بين المقرر فى الدستور وفى التشريعات المختلفة، والممارس والمطبق فى حياتها بالفعل.

ب. إلغاء جميع القوانين التى تكرس التفرقة وتناقض حقوقها الدستورية فى المساواة.

ج. مساندتها القانونية لدعم مشاركتها السياسية والقيادية حتى تتجاوز الاعتراضات

التقليدية التى تهدف إلى تقيد دورها فى المجتمع.

٩ - التأكيد على الدور المحوري الذي يلعبه الإعلام بكافة صوره ومصادره فى تفجير الطاقات الخلاقة لدى المواطنين والتأكيد على ضرورة الارتفاع بمستوى مضمون الرسالة الإعلامية احتراما لعقلية المواطن.

١٠ - ضرورة تجميع وتكامل خدمات الوزارات والمؤسسات والصناديق التي تعمل فى مجالات الرعاية والتنمية الاجتماعية، وتوجيهها لدعم مشروعات الرعاية الاجتماعية ومحاربة البطالة.

١١ - الاستفادة من نموذج أكتوبر فى التصميم، والتخطيط، والتحضير، والتنفيذ، والمتابعة، فى تعبئة شركاء التنمية وتوزيع الأدوار بينها ضمانا للتنسيق والتكامل على أن تشكل لهذا الغرض مجموعات عمل على المستوى القومي يشارك ويمثل فيها جميع المختصين.

١٢ - يجب أن يمتد مفهوم المكون الاجتماعي للتنمية، ليشمل إلى جانب الخدمات الصحية والتعليمية، خدمات برامج الحد من الفقر ورعاية المعوقين، و الأحداث، والمعرضين للانحراف.

١٣ - ينبغي وضع استراتيجية للإصلاح الاجتماعي تتصل و تتوافق مع خطة الدولة فى التنمية الشاملة، تحدد الأهداف والأولويات وتضع أسلوبا للمواجهة والعلاج، وتوفر مصادر التمويل معيدة توزيعها طبقا للأولويات والمسئوليات كما تحدد الاختصاصات لضمان التعاون و التنسيق.

١٤ - وفقا للتوجهات الحيثية ينبغي خلق آليات للإنذار المبكر بالمشكلات الاجتماعية التى يمكن أن تحدث، حتى تصاغ السياسات الاجتماعية المناسبة لمواجهة المشكلات المحتملة مع تدعيم الاستناد إلى منهجية الدراسات المستقبلية لرسم خريطة واضحة المعالم للمجتمع المصري ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين.

١٥- الاستفادة من خبرة القوات المسلحة فى التنظيم والإدارة وكذا بالأفراد بعد تركهم الخدمة بالقوات المسلحة.

١٦ - الترحيب بمبادرة السيد رئيس الجمهورية فى رعايته لمؤتمر قومي تشارك فيه جميع القوى الفاعلة لوضع استراتيجية شاملة للنهضة الاجتماعية.

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



مطابع الأهرام التجارية - قليوب